وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م

من إعداد الطالبة: حياة بوشريبشة

إشراف الأستاذ الدكتور: ميلود بلعالية

المناقشة بتاريخ: 2024./12/18 من طرف اللجنة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	جامعة	الصفة
الاسم واللقب: بلعربي خالدي	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	جامعة: حسيبة بن بوعلي الشلف	رئيسا
الاسم واللقب: ميلود بلعالية	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	جامعة: حسيبة بن بوعلي الشلف	مشرف ومقررا
الاسم واللقب: زقور عفاف	الرتبة: أستاذ محاضر "أ"	جامعة: حسيبة بن بوعلي الشلف	ممتحنا
الاسم واللقب: شعشوع معمر	الرتبة: أستاذ محاضر "أ"	جامعة: حسيبة بن بوعلي الشلف	ممتحنا
الاسم واللقب: بن يوسف تلمساني	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	جامعة: علي لونيسي البليدة2	ممتحنا
الاسم واللقب: محفوظ تاونزة	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	جامعة: خميس مليانة	ممتحنا

السنة الجامعية: **1444- 1445هـ /2024- 2025م**

بسم الله الرحمن الرحيم


الإهداء

الإهداء:

إلى كل من يجاهد بعلمه وقلمه وعمله في سبيل اعلاء راية الدين والعلم والوطن.

إلى روح والدي الذي حرص على تعليمنا وتعب من أجلنا رحمه الله وطيب ثراه.

إلى والدتي حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها.

إلى زوجي الذي ساندي وصبر معي طيلة فترة انجاز هذا العمل.

إلى قرة عيني أريج ومعاذ اللذين انتظرا كثيرا خروج هذا العمل إلى النور.

إلى كل اخوتي وأخواتي وأبنائهم كل باسمه.

إلى كل من جمعتني بهم رحلة البحث كل زملائي وزميلاتي وكل الأصدقاء.

إلى كل عائلة بوشريبشة عبر كل ربوع الوطن.

شكر وتقدير

شكر وتقدير:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله حمدا كثيرا نحمده ونشكره على فضله وعفوه، الحمد والشكر لله أول العمل وآخره.

الحمد والشكر لله الذي وفقني وسدد خطاي لإتمام هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرفان إلى المشرف الأستاذ الدكتور" بلعالية ميلود" على كل ما قدمه من توجيهات منهجية ونصائح ومساعدات، وعلى حلمه وصبره معي ومتابعة كل مراحل انجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ الدكتور "بلعربي خالدي" رئيس مشروع الدكتوراه الذي أتاح لنا فرصة تحقيق الحلم.

شكر خاص إلى كل الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل.

إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–

إلى كل من علمني حرفا، إلى كل أساتذتي عبر كل الأطوار الدراسية.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى عمال المكتبة العمومية لمدينة عنابة وبلدية الحجار على كل التسهيلات والمساعدات التي قدموها لي.

وشكر خاص للأستاذ الدكتور " عياش محمد " وزوجته الأستاذة الفاضلة الدكتورة " مليكة بن ناجي" اللذين فتحا لي باب منزلهما طيلة فترة دراستي بجامعة الشلف وعلى كل ما قدموا لي من مساعدات.

إلى كل من ساهم معي وكان لي عونا في انجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد.

قائمة المختصرات

أولا: باللغة العربية

و. م. ش	وثائق المحكمة الشرعية
أ. و. ق	أرشيف ولاية قسنطينة
أ. و. ت	الأرشيف الوطني التونسي
ع	عقد
و	وثيقة
م	مكرر
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د. ت. ن	دون تاريخ نشر
د. ن	دون ناشر
د.ب	دون بلد نشر
مج	مجلد
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ط	طبعة
د. ط	دون طبعة
ط. خ	طبعة خاصة

ثانيا: باللغة الفرنسية:

Revue Africaine	R.A
Page	P
Numéro	N
Volume	Vol
Tome	T
Ouvrage Précédemment	Op cit
Ibidem (même ouvrage)	Ibid.
Traduction	Tra


مقدمة

مقدمة

تعد مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية العريقة الضاربة في تاريخ الحضارة، فقد تعاقبت عليها عدة حضارات أعطتها طابعا مميزا لنسيجها السكاني والعمراني، وتركت كل حضارة من هذه الحضارات بصمتها في المدينة في مختلف الجوانب، وشكلت فترة أواخر العهد العثماني مرحلة هامة في تاريخها الاجتماعي والعمراني والاقتصادي، ثم دخلت المدينة طورا أخر طارئ بداية الاحتلال الفرنسي والذي شكل منعرجا حاسما وفترة انتقالية واستثنائية في تاريخها الحديث، أين عرفت عدة تغيرات مست مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية، انتقلت فيها المدينة من الحياة التقليدية المتوارثة إلى حياة جديدة طارئة مفروضة من طرف الاحتلال الفرنسي، ونحاول من خلال هذه البحث الموسوم **ب:** "**التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م-1841م**"، رصد أهم سمات الفترة الأخيرة من العهد العثماني، ثم التطرق إلى التغيرات الجديدة التي طرأت بداية الاحتلال وتأثيرها على مجتمع وعمران المدينة.

كما هو معلوم فإن مدينة قسنطينة، قد شملت بالدراسة في كل جوانبها على شكل موضوعات عامة غير أن الدراسات الخاصة بالمجتمع والعمران لا تزال قليلة، لذلك كان من الصعب علينا التماس الجديد في هذه الدراسة، ولكن حاولنا سد بعض الثغرات خاصة العلاقة بين المجتمع والعمران وهي علاقة ترابط شديد يصعب الفصل بينهما.

كما يعتبر موضوع دراستنا من المواضيع التي تهتم بالتاريخ المحلي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، والذي يتطرق لطبيعة المجتمع وتفاعلاته الاقتصادية والثقافية وعلاقتها بالعمران الحضري، الذي يعكس لنا درجة التطور الحضاري الذي وصلت له مدينة قسنطينة ودور الفئات الاجتماعية في تطوير الأشكال العمرانية، ويتضح ذلك من خلال التغيرات الحاصلة في مدينة قسنطينة مطلع القرن التاسع عشر بعد سقوط المدينة سنة 1837م وبداية الاحتلال.

1. أهمية الموضوع:

يستمد هذا البحث أهميته من تناوله جوانب مهمة من التاريخ المحلي لإحدى المدن الجزائرية التي كان لها وزن كبير في الفترة العثمانية وهي مدينة قسنطينة وهذا من خلال: -دراسة التفاعل بين المجتمع والعمران في المدينة خلال الفترة ما بين (1787م-1841م)

وهي فترة مهمة من تاريخ المدينة، أين عرفت مرحلة من الضعف مباشرة بعد وفاة صالح باي، وهو ما كانت له تداعيات على الأوضاع الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية، ثم تعرض المدينة للاحتلال الفرنسي، وما طرأ عليها من تغيرات طارئة مست مختلف جوانب الحياة.

2. أهداف الدراسة: نهدف من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي:

- دراسة مدينة قسنطينة من جانبها الاجتماعي والعمراني أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، وما تعرضت له المدينة من تغيرات أثرت على وظيفتها وبعدها الحضاري والتاريخي.

- رصد العلاقة بين المجتمع والعمران في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال.

- التعرف على أهم الفئات الاجتماعية التي شكلت مجتمع المدينة، والتمايز السائد بين أفرادها خلال الفترة المدروسة ومدى تأثيرها على النسيج العمراني للمدينة.

- التعرف على أهم العوامل المؤثرة في الحراك الاجتماعي والعمراني، وانعكاساته على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

- رصد أهم التغيرات والتطورات التي طرأت على مدينة بداية الاحتلال، وكيف أثر الاستعمار الفرنسي بشكل كبير على معالمها ومكانتها الحضارية وأدوارها السياسية التي توارثتها عبر العصور.

3. أسباب اختيار الموضوع:

من أهم أسباب اختيار موضوع الدراسة حول مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، هو الرغبة في مواصلة البحث في المجال الاجتماعي، وتكملة لمساري الدراسي في مرحلة الماستر

من خلال إعداد مذكرة الماستر المعنونة بـ: "**الأمراض والأوبئة في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني من خلال سجل الوفيات 1840م-1841م**".

- الرغبة في إثراء البحث التاريخي في فترة مهمة من تاريخ المدينة وهي الانتقال من أواخر الفترة العثمانية إلى بداية الاحتلال الفرنسي.

4. الإطار الزماني للدراسة:

يمتد الإطار الزماني لهذا البحث من عام 1787م إلى سنة 1841م، ويمتد هذا الإطار الزمني على مدى حوالي خمسين سنة من أواخر العهد العثماني إلى السنوات الأول من الاحتلال الفرنسي، أي حوالي نصف قرن من الزمن شهدت من خلالها مدينة قسنطينة تطورات عديدة على الصعيد الاجتماعي والعمراني.

وللإحاطة بالموضوع المدروس ارتئينا ربط فترة الدراسة بتاريخ بداية تدوين عقود سجلات المحكمة المالكية والحنفية لمدينة قسنطينة، وتنتهي بتاريخ تدوين أخر سجل هو سجل الوفيات للمحكمة المالكية المؤرخ بين سنتي 1256هـ-1257هـ/1840م-1841م.

5. إشكالية الدراسة:

تعتبر دراسة المجتمع والعمران من الدراسات الهامة والضرورية بالنسبة للتاريخ المحلي للمدن الجزائرية في الفترة الحديثة لما لها من تأثير وانعكاسات في فهم التحولات التي مست الأوضاع الاقتصادية والسياسية، ومدينة قسنطينة من بين المدن التي عرفت أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي تحولات كثيرة أثرت على بنائها التقليدي المتوارث وما تحمله المدينة من مميزات، ودخلت مرحلة أخرى من تاريخها تحت وطأة الاحتلال الفرنسي الذي حاول محو هذا الموروث واستبداله بحضارة غربية دخيلة على المجتمع الجزائري، وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم التغيرات التي طرأت على المدينة أواخر العهد العثماني وبداية

الاحتلال الفرنسي، وما مدى تأثيرها على المجتمع والعمران؟ وللإجابة على الإشكالية الرئيسية نطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية منها:

- ما هي الفئات الاجتماعية التي سكنت المدينة أواخر العهد العثماني؟ وكيف تفاعلت مع محيطها الجغرافي؟
- ماهي أهم العوامل المؤثرة في الحراك الاجتماعي والتوسع العمراني للمدينة؟
- كيف تفاعل المجتمع القسنطيني في المجال الاقتصادي؟
- كيف تطور عمران المدينة أواخر العهد العثماني وما هي أهم العوامل المؤثرة فيه؟
- ما هي أهم التغيرات الاجتماعية والعمرانية التي مست المدينة بعد الاحتلال الفرنسي؟

6. عينة الدراسة:

للإجابة على إشكالية الدراسة اعتمدنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية المحفوظة في أرشيف ولاية قسنطينة، وهي سجلات المحكمة الشرعية من السجل الأول إلى السجل العاشر التي تغطي الفترة 1202هـ-1253هـ/1778م-1837م، بالإضافة إلى هذه السجلات، اعتمدنا كذلك على سجل الوفيات الصادر عن المحكمة المالكية في مدينة قسنطينة لسنة 1256هـ-1257هـ/ 1840م-1841م، والذي يحتوي تقاييد للوفيات، ومجموع وثائق عينة الدراسة حوالي 350 وثيقة غطت الفترة 1202هـ-1257هـ/1787م-1841م تخص مختلف المعاملات من زواج وطلاق ووفاة وبيع وشراء.

7. الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي تطرقت إلى تاريخ مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، وتناولت الجوانب الاجتماعية والعمرانية دراسة الأستاذة فاطمة الزهراء قشي الموسومة بـ: **(قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13هـ من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن19)** وهي رسالة دكتوراه نوقشت سنة 1998م بجامعة تونس، اعتمدت فيها الأستاذة الباحثة على

أرشيف سجلات المحكمة الشرعية لدراسة الناحية الاجتماعية للمدينة وأفادتنا في تحديد الفئات والعائلات المحلية الكبرى.

رسالة دكتوراه الأستاذة جميلة معاشي (**الإنكشارية والمجتمع في بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**)، نوقشت سنة 2008م، وهي دراسة اجتماعية اعتمدت فيها الباحثة على أرشيف المحكمة الشرعية ودرست علاقة المجتمع بالعناصر الإنكشارية أواخر العهد العثماني وهي الفترة التي تتقاطع مع الفترة الزمنية لبحثنا هذا.

أطروحة دكتوراه للأستاذ أحمد سيساوي المعنونة (**بالبعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838م-1871م**)، نوقشت بجامعة قسنطينة2 سنة 2014م، تطرق فيها الباحث إلى أهم المشاريع والقوانيين التي سنها الضباط الفرنسيون لفرض السيطرة على المدن الجزائرية، وقد استفدنا منها أهم السياسة التي طبقها فالي في مدينة قسنطينة.

محمد قويسم (**مدينة قسنطينة ما بين القرنيين 07-10هـ/13-16م، دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية**)، أطروحة دكتوراه نوقشت سنة 2015 في جامعة الجزائر تناول فيها الباحث الجوانب السياسية والعمرانية والاجتماعية لمدينة قسنطينة في الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة، وهي دراسة مهمة جدا أفادتنا في الجانب العمراني والاجتماعي.

سهام بوديبة (**دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية**)، رسالة دكتوراه نوقشت سنة 2019 بجامعة قسنطينة، وهي دراسة أرشيفية اعتمدت فيها الباحثة على سجلات المحكمة الشرعية وتناولت الجوانب الاجتماعية من مصاهرات بين الفئات المختلفة لمجتمع المدينة.

يوسفي صرهودة (**معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني**)، ماجستير في التاريخ الحديث، عالجت فيها الباحثة الجانب الاقتصادي واعتمدت فيها على المصادر الأرشيفية الخاصة بمدينة قسنطينة.

ومن بين الدراسات الأجنبية رسالة دكتوراه للباحثة إيزابيل قرانقو(Isabelle Grangaud)

حول مدينة(La ville imprenable une histoire sociale de Constantine au 18 -ème siècle) قسنطينة وهي مرجع علمي مهم لتاريخ مدينة قسنطينة خلال هذه الفترة في الجانب الاجتماعي، اعتمدت فيها الباحثة على سجل الوفيات وسجلات المحكمة الشرعية.

بالإضافة لدراسات "شارل فيرو"Charles Féraud " الخاصة بالشرق الجزائري وهي عبارة عن مقالات متخصصة في المجلة الإفريقية.

8. التعريف بمصادر الدراسة:

- **الرصيد الأرشيفي:**

تعد الوثائق الأرشيفية مصدرا هاما للباحث وقد وظفنا منها وثائق المحاكم الشرعية 1202هـ-1253هـ/1787م-1837م، وسجل الوفيات للمحكمة المالكية 1256هـ-1257هـ/1840م-1841م، والتي تتضمن معطيات مهمة حول الجانب الاجتماعي والعمراني للمدينة.

- **سجلات المحكمة الشرعية:**

تعد الوثائق الأرشيفية من أهم المصادر التي تم اعتمادها في هذا العمل وعلى رأسها وثائق المحكمة الشرعية، حيث يحتوي الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة على 12 سجلا من 1202هـ-1273هـ/1787م-1857م خاصا بالأحكام والعقود التي أصدرتها المحكمة الشرعية للمدينة، وتضم عقود زواج وطلاق ومعاملات ومبادلات أخرى، وهي مصدرا مهما لدراسة مجتمع وعمران المدينة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

- **سجل الوفيات للمحكمة المالكية المؤرخ في 1256هـ-1257هـ/1840م-1841م:**

يعتبر هذا السجل وثيقة هامة تغطي الفترة ما بين 1840م-1841م، وهي فترة مهمة من تاريخ المدينة، ويتكون السجل من 98 ورقة تنقصه الأوراق العشرة الأولى، وهو مرقم من 11 إلى

108، وهو السجل الوحيد الذي وثق تصاريح الوفاة، وظهر مع سجلات عدلية رسمية أخرى بها عقود متنوعة عثر عليها في دهاليز قصر العدالة بجوار أقدم الدفاتر الفرنسية لهذه المؤسسة، فنقلت إلى مصلحة الأرشيف للولاية سنة 1983م، ويحتوي هذا السجل على عقود لتصاريح بالوفاة لسكان المدينة ويحمل معطيات كثيرة حول المجتمع والعمران والوظائف والحرف والأمراض والأوبئة التي انتشرت في المدينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

- **مخطوط صالح باي:**

هو مخطوط محفوظ بالأرشيف التونسي تحت رقم 00263، وهو عبارة عن مخطوط خط من طرف كاتبه محمد الطاهر بن أحمد النقاد، وصفحاته مرقمة من 01 إلى 34 صفحة، مكتوب بخط واضح ومرتب الأحداث بداية بذكر ولاية صالح باي أمير بلد قسنطينة، وهو مقسم إلى ثلاث فصول: "فالفصل الأول في وقت ولايته والفصل الثاني في بيان وزارته وأهل مملكته وعلماء بلده، والفصل الثالث في رأفته وشفقته على أهل بلده ورعيته، والفصل الرابع واقعة موته".

- **سجل صالح باي للأوقاف:**

هو سجل كبير الحجم وضعه صالح باي جامعا لأملاك المساجد في المدينة، ويضم هذا السجل سبعين (70) عقدا صادرا عن المحكمة الشرعية توزعت على فترة حكم صالح باي وهو هام جدا في تكشيف المعالم العمرانية داخل أسوار المدينة وخارجها. وهو عبارة عن ورقات مصورة ولا يوجد الأصل في مصلحة الأرشيف، وإنما هو بحوزة عائلة ابن جلول حسب الأستاذة فاطمة الزهراء قشي، وقد اطلعت عليه في نسخته المصورة.

-مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن10-11هـ/16-17م:

هو نسخة من مخطوط أصلي جمعت فيه أوقاف وأحباس مدينة قسنطينة، ويتضمن نصوصا وقفية ترجع إلى فترات مختلفة بتواريخها 669هـ-1057هـ/ 1271م-1647م، ويرجح الأستاذ

عبد القادر دحدوح الذي حقق هذا المخطوط، أنه من المحتمل أن يعود تاريخ النسخة الأصلية إلى منتصف القرن 10هـ/16م.

9. نقد المصادر:

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر التي تخص مدينة قسنطينة في فترة الدراسة ومنها: المصادر المحلية:

-كتابات صالح العنتري بمؤلفيه، "**فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**"، أو "**تاريخ قسنطينة**"، الذي أرخ للمدينة في الفترة المتزامنة مع التواجد الفرنسي.

-كتاب "**مجاعات قسنطينة**"، تناول فيه الوضع الاقتصادي للمدينة أواخر العهد العثماني، وأهم الأسباب التي أدت إلى غلاء أسعار السلع، كما تطرق لأهم المجاعات والكوارث التي تعرضت لها المدينة.

-أحمد مبارك العطار، "**تاريخ بلد قسنطينة**"، وهو مصدر مهم، عايش فيه صاحبه الفترة الأخيرة من العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

-"**مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**"، يتحدث فيه المؤلف عن الفترة الأخيرة من العهد العثماني حتى ظروف سقوط المدينة.

-محمد المهدي بن علي شغيب، "**أم الحواضر في الماضي والحاضر**" **(تاريخ مدينة قسنطينة)**، وهو مصدر مهم يؤرخ للجانب العمراني للمدينة في الفترة العثمانية.

- أوجين فايست (Eugene Vayssette) (1826م-1899م)، المترجم الفرنسي في بداية الاحتلال الذي عرف بكتاباته ومقالاته حول تاريخ قسنطينة خلال الحكم العثماني والتي نشرها في المجلة الإفريقية–Revue Africaine- بأعدادها المختلفة، وخاصة الأعداد (6–5– 7) وكذلك كتابه

-Histoire de Constantine sous la domination turque de (1517-1837)

- **أندري نوشي** (Andrée Noushi) (1922م-2017م)، الذي تطرق في كتاباته وأبحاثه التي خص بها مدينة قسنطينة إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، ثم تطرق إلى مستوى المعيشة في المقاطعة فيما بين 1830م-1930م، وقد وظف الأرشيف الفرنسي وتقارير سلطات الاحتلال حول أوضاع الجزائر ومنها دراسته الموسومة بـ:

- André Noushi, "Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises (de la conquête jusqu'en 1919".

- أرنست مارسييه (Ernest Mercier) (1840م-1907م)، الذي اهتم بتاريخ المدينة، وخاصة الجانب العمراني وله دراسات عديدة حول المدينة في الفترة الاستعمارية منها دراسته:

-Ernest Mercier,"Constantine avant la conquête française 1837, Notice sur cette ville à l'époque du dernier bey ".

- كتابات لوران شارل فيرو"Charles Féraud "(1829م-1888م)، الذي درس تاريخ قسنطينة ودون المعلومات والمعطيات الخاصة بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، منها كتابه الموسوم بـ:

-Charles Féraud," Histoire des villes de la province de Constantine."

أما المراجع العامة، فقد اعتمدنا على مجموعة كبيرة منها، والتي تناولت تاريخ مدينة قسنطينة في شتى المجالات سواء كانت سياسية، اقتصادية واجتماعية أو ثقافية وعمرانية، والخاصة بالفترة الأخيرة من العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، والتي ساعدتنا كثيرا في إثراء هذا البحث نذكر منها:

- محمد الهادي العروق، "**مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**"، وهي دراسة تخص الجانب العمراني لمدينة، استفدنا منها في كل مراحل وجزئيات البحث.

- فاطمة الزهراء قشي، "**قسنطينة مدينة وموروثات**"، وهي دراسة يشترك فيها مجموعة من الباحثين على رأسهم الأستاذة قشي، وهي ترصد أهم التحولات والتغيرات العمرانية والاجتماعية التي تعرضت لها المدينة عبر مختلف المراحل التاريخية.

- فلة موساوي القشاعي، "**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني** 1771م-1837م".

- دراسات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، ومنها: "**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**"، "**ورقات جزائرية**".

- أبو القاسم سعد الله، "**تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ج2 وج5**"، والذي اعتمدناه في رصد الجانب الثقافي وأهم التغيرات التي مست المساجد والزوايا بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة.

- أرزقي شويتام، "المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519م-1830م"، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تخص تفاعلات المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

-عبد الرزاق قشوان، "**الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري 1219-1282هـ/1804-1871م دراسة مقارنة**"، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر.

-رياض بولحبال، "**أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول**" (دراسة وتحقيق)، وهي مذكرة ماجستير عبارة عن تحقيق لمخطوط لمؤلف مجهول، حيث ركز على الوضع الاجتماعي والصحي للمدينة في عهد صالح باي.

-عائشة غطاس، "**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية**"، دكتوراه في التاريخ الحديث، استفدنا منها في رصد أهم الحرف المنتشرة في الجزائر في العهد العثماني.

10. منهج الدراسة:

باعتبار المناهج هي القاعدة الأساسية للبحوث العلمية، فقد وظفنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي بأدواته المختلفة الوصف والتحليل والمقارنة والاحصاء للإحاطة بجوانب الموضوع والأحداث التاريخية، حيث وظفنا المنهج الوصفي في وصف النسيج العمراني للمدينة في الفترة

العثمانية وبعد الاحتلال الفرنسي، واعتمدنا كذلك على المنهج التحليلي في تحليل ورصد التغيرات التي شهدتها المدينة في الجوانب الاجتماعية والعمرانية أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

أما المنهج الإحصائي فقد وظفناه لإحصاء ورصد مجموع الفئات وأنواع الحرف والأمراض وتحويلها إلى جداول ترصد مختلف الظواهر الاجتماعية والعمرانية، ووظفنا كذلك المنهج المقارن في الفصل الأخير لمقارنة فترة أواخر العهد العثماني مع فترة بداية الاحتلال الفرنسي.

11. هيكل الدراسة:

قسمنا بحثنا هذا إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول. فالفصل التمهيدي بعنوان الإطار المفاهيمي والجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني ويتضمن الإطار المفاهيمي والجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة.

ويتناول الفصل الأول الموسوم ب "الفئات الاجتماعية في فضاء مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني" الفئات الحاكمة من أتراك وكراغلة، ثم الأعيان والأثرياء من بلدية وأندلسيين، ثم زعامات البيوت العلمية والأشراف والصلحاء وشيوخ الطرق الصوفية وأعيان البلد، ثم طائفة اليهود والنصارى، وأخيرا تطرقنا إلى الوافدين إلى المدينة من داخل وخارج إيالة الجزائر ومكانتهم في مجتمع المدينة.

ويغطي الفصل الثاني المعنون ب"العوامل المؤثرة في التطور العمراني والتفاعل الاجتماعي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني"، العوامل الطبيعية المتمثلة في العامل الجغرافي والكوارث الطبيعية، العوامل الصحية من أمراض وأوبئة وتأثيرها على الجانب الاقتصادي والنمو الديمغرافي، ودور السلطة البايلكية في الرعاية الصحية وطرق التداوي المعتمدة، ثم العوامل السياسية المتمثلة في التوترات الداخلية كثورة ابن الأحرش والتوترات الخارجية مع إيالة تونس، والعوامل الاجتماعية كالمصاهرة بين الفئات المشكلة لمجتمع المدينة كوجه من أوجه التفاعل الاجتماعي، والعادات والتقاليد الموروثة في مجتمع مدينة قسنطينة.

الفصل الثالث بعنوان "تفاعل المجتمع القسنطيني في المجال الاقتصادي أواخر العهد العثماني" ويضمن ملكية الأراضي وعقود الإنتاج، وحركية الصنائع والمهن المنتشرة في المدينة كالمهن الخدماتية والإدارية والتجارية والصناعات الجلدية والنسيجية والغذائية والتحويلية، والتوزيع السكني للحرفيين في المدينة والنقابات المهنية ودورها، ومراكز النشاط التجاري من أسواق ومرافق تجارية أخرى كالرحبات والفنادق والتربيعات، وطرق إيصال السلع إلى المدينة والتجارة الداخلية والخارجية، والعملات والموازين المتداولة في المدينة وحركية الأسعار.

الفصل الرابع بعنوان "تطور العمران الحضري بمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني". تطرقنا فيه للعمارة السكنية في المدينة أواخر العهد العثماني والسكن الجماعي في مختلف المرافق ثم التضامن والانسجام بين الجيران، ثم تطرقنا إلى العمارة الدينية المتمثلة في المساجد والزوايا والأضرحة، ثم العمارة الخدماتية والمرافق الحضرية من أحياء وشوارع وأسواق والرحبات والحمامات والمقاهي والفنادق ودورها الاجتماعي، ثم العمارة العسكرية والدفاعية الممثلة بالأبراج والأسوار والثكنات والحاميات العسكرية، وأخيرا المنشآت العمرانية للشبكة المائية وطرق جلب الماء إلى المدينة من خلال الآبار والعيون كذلك الأحواض والصهاريج والسبالات، ثم طرق إخراج الفضلات من المدينة.

ويعالج في الفصل الخامس الموسوم ب "التحولات الاجتماعية والعمرانية في المدينة بداية الاحتلال"، وأهم التغيرات الطارئة التي مست المجتمع والعمران، بداية بتفكيك البنية الاجتماعية وانعكاساتها على المجتمع وذلك بالتطرق إلى المستوطنين الفرنسيين وعلاقاتها بالأهالي، ثم فئة الحضر وسياسة الحاكم العسكري فالي تجاهها، وفئة اليهودية و البرانية، وتراجع عدد السكان وتأثيره على النمو الديمغرافي، والتحولات العمرانية ومحاولة فرنسا إحلال النسيج العمراني الأوروبي محل النسيج العمراني التقليدي للمدينة، وتأثير التدخلات العسكرية على النسيج العمراني وأثارها على المدينة القديمة، والتحولات الاقتصادية المتمثلة في مصادرة الأراضي والعقارات وفرض الضرائب، وأخيرا رصدنا مظاهر التحولات التي مست الجانب الثقافي من خلال التطرق إلى

مختلف التحولات على مستوى المؤسسات العلمية والثقافية وتغييب الرموز الدينية والعلمية ومصير أوقاف المدينة بداية الاحتلال.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم نتائج البحث واستنتاجاته.

اعترضتنا في إنجاز بحثنا هذا بعض الصعوبات، وخاصة فيما يخص الولوج إلى دوائر الأرشيف الذي يعد العماد الأساسي لهذا النوع من الدراسات الاجتماعية المحلية، وصعوبة الحصول على بعض المصادر التاريخية رغم أهميتها، كذلك عدم القدرة على مسح وقراءة كل الوثائق الأرشيفية التي تم الحصول عليها لصعوبة قراءة الخط الذي كتبت به.

الفصل التمهيدي

الإطار المفاهيمي والجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

1. الإطار المفاهيمي للدراسة
2. الإطار الجغرافي لمدينة قسنطينة
3. الإطار التاريخي للمدينة

شكلت الفترة الأخيرة من العهد العثماني في مدينة قسنطينة مرحلة مهمة من تاريخها، حيث كانت احدى أهم المدن الجزائرية من حيث الموقع الجغرافي، الذي أصبحت من خلاله قطبا اقتصاديا للجماعات والأفراد، ومن المدن العريقة الضاربة في تاريخ الحضارة، حيث تعاقبت عليها عدة حضارات أعطتها طابعا مميزا لنسيجها السكاني والعمراني، وتركت كل حضارة من هذه الحضارات بصمتها في المدينة في مختلف الجوانب بداية من فترة ما قبل التاريخ إلى عهد الاستعمار الفرنسي الذي شكل منعرجا حاسما في تاريخها الاجتماعي والعمراني، أين عرفت المدينة توسعا عمرانيا خارج أسوارها الأصلية الأولى وأصبحت بعدها من أكبر المدن الجزائرية.

1.الإطار المفاهيمي للدراسة:

إن الخوض في موضوع "**التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة – بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م**"، يفرض علينا في البداية وكخطوة تمهيدية لهذا العمل أن نضبط المصطلحات الواردة فيه، وأن نحدد الإطار الجغرافي والتاريخي الذي شغلته هذه المدينة في الفترة المدروسة الممتدة من أواخر العهد العثماني إلى بداية الاحتلال الفرنسي، ولذلك تطرقنا إلى تعريف كل من التفاعل الاجتماعي والعمران وكل ما يتصل بهما.

1.1. المدينة:

هي المكان الذي يقيم به الإنسان وهي مشتقة من الفعل (مدن) ويقول العرب مدن بالمكان بمعنى أقام به وجمعها مدائن، أو مدن وتعني كذلك استقرار السكان في مكان ما، وقد كانت المدن منذ فجر التاريخ عبارة عن قلاع وحصون، والمدينة في تعبيرها الدقيق هي مجموعة من السكان يعيشون على رقعة جغرافية محددة ومستقرة[1].

---

[1] –ابن منظور، **لسان العرب**، ج13، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص 402.

وفي تعريف آخر مدن مدونا، أي أتى المدينة وتمدن تعني عاش عيشة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة، فالمدينة هي الحضارة واتساع العمران[1]، وهي وحدة سكانية متكاملة ومتجانسة بها منشآت عمرانية وعمومية، كالأسواق والمقاهي ونظام إداري واقتصادي يسيرها، ولها عادات وتقاليد مستمدة من ثقافة سكانها، ويمكن الجمع بين لفظتي الحاضرة والمدينة في نفس المعنى، وكلاهما يدلان أنهما مركز تجمع بشري دائم، وتعتمد هذه الوحدة السكانية في نشاطها الاقتصادي على الصناعة والتجارة، وهو ما يميزها عن الريف[2].

وتعد المدينة ظاهرة جغرافية تشغل مساحة من سطح الأرض، نشأت من تكاثف التجمعات العمرانية التي أقامها الإنسان لتكون موطنا له، في شكل علاقة متبادلة بينه وبين البيئة التي اختارها مكانا له، حتى أصبحت بمثابة كائن حي يخضع للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية[3].

2.1. التفاعل الاجتماعي:

تعد فاعلية المجتمع من أكثر الموضوعات حيوية نظرا لارتباطها بالمشكلات الحضرية، ويقصد بالتفاعل الاجتماعي؛ كل العلاقات الاجتماعية التي تنشأ نتيجة وجود أفراد في بيئة واحدة رغم اختلافاتهم الطبقية والاجتماعية[4].

1.2.1. التفاعل لغة: يعود أصل كلمة التفاعل من الفعل تفاعل تفاعلا[5]، وتعني تأثير شخص على آخر، كما تفيد المشاركة[6].

---

[1] –شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروف الدولية، القاهرة، 1425هـ/2004، ص 859.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من القرن 16إلى القرن19**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، د. س. ن، ص 57.

[3] –بشير مقيبس، **مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران**، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 29.

[4] – محمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 6.

[5] –مسعود جبران، **الرائد**، ط خ، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص 225.

[6] –شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص 695.

2.2.1. التفاعل اصطلاحا: يعني التفاعل في الاصطلاح الصلة بين مجموعتين أو أكثر من أي نوع كان، بحيث فاعلية كل منهما تحددها جزئيا فاعلية الطرف الآخر[1]، وهو عملية يرتبط بها أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض عقليا ودفاعيا وفي الحاجات والرغبات والوسائل والأهداف والمعارف[2].

والتفاعل الاجتماعي هو كذلك التأثيرات المتبادلة التي تحددت بين الأفراد والجماعات بحيث يؤثر ويتأثر بالآخر، إذ يبدأ كل شخص بفعل اجتماعي، يعقبه رد فعل يصدر عن شخص أخر، ويحدث ذلك في محاولة من الأفراد لحل مشاكلهم وفي كفاحهم من أجل الوصول إلى الأهداف[3]، وهو كذلك العملية التي يؤثر بها الناس على بعضهم البعض خلال تبادل للأفكار المشتركة والمشاعر وردود الفعل[4].

3.1. التوسع العمراني:

هو مفهوم عام متعدد الوجوه يشير إلى توسع مدينة ما وضواحيها على حساب المناطق المحيطة بها، وتؤدي هذه الظاهرة إلى تطوير المناطق الريفية المجاورة للمدن الكبرى تدريجيا وزيادة كثافتها السكانية، كما تساعد على رفع مستوى الخدمات[5]، ويعرف كذلك على أنه يمثل تفاعل عدد المنظومات الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية مع بعضها البعض، لتكوين بنية

[1] –أحمد بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط خ، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 222.

[2] –باسم محمد ولي، محمد جاسم محمد، **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، د. ط، مكتبة دار الثقافة، عمان (الأردن)، 2004، ص 88.

[3] –حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، **العلاقات الاجتماعية في القوات المسلحة**، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004، ص 88.

[4] –جابر نصر الدين، لوكيا الهاشمي، **مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي**، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة (الجزائر)، 2006، ص 55.

[5] –السيد حنفي عوض، **سكان المدينة بين الزمان والمكان**، د. ط، المكتب العلمي، الإسكندرية، 1997، ص 195.

مترابطة لها خصوصياتها، وبذلك يكون النسيج العمراني الحضري نظام معقد تحكمه مجموعة من العلاقات المتبادلة والمتداخلة[1].

ولفظة التوسع العمراني تشمل زيادة ميل السكان إلى المدن الكبيرة، وعلى هذا الأساس فالتوسع يعني توسع المجال للهيكل العمراني للمدينة خارج الحدود الحالية، أي الزيادة في استعمالات الأرض للمدينة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية[2].

4.1. العمران والعمارة:

إن مصطلح العمران قديم قدم الإنسان، فكثيرا ما يستعمل مصطلح العمران في كتابات المختصين وفي الأحاديث اليومية، إلا أن أول من استعمله بصفة واضحة وحاول إعطاءه مفهوما محددا حتى أصبح متداولا في الأوساط العلمية، هو المؤرخ "ابن خلدون"، حيث جاء في مقدمته أن العمران أساسه البداوة والخشونة، ثم يمر بمرحلة الانتقال من البداوة إلى الحضارة، وصولا إلى مرحلة ينسى فيها أهل المدينة عهد البداوة[3]. ويقول "ابن خلدون" في هذا الصدد إن العمران هو التساكن والتنازل في مصر ما أو حلة للأنس بالعشير، واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش[4].

وهو مصطلح عام يستخدم من طرف الجغرافيين لمختلف أنواع ونماذج المساكن البشرية، فيقال عمران حضري، عمران مبعثر، وعمران مركز؛ فالعمران المبعثر هو إحدى نماذج العمران

---

[1] –ماجد الخطيب، **النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغيير**، د. ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ت. المقدمة.

[2] – مشنان فوزي، الأحياء العشوائية واقعها وتأثيرها على النسيج العمراني لمدينة باتنة دراسة ميدانية للتجمع الحضري (أولاد بشينة–طريق حملة)، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع 20، سبتمبر 2015، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، ص 32.

[3] – بوطارن مبارك، **تطور العمران الإسلامي في المغرب الإسلامي**، د. ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2013م، ص 19.

[4] – ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، **مقدمة ابن خلدون" المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ط. ج، دار الإمام مالك للطباعة، الجزائر، 2021، ص 338.

الريفي وفيه يعيش أغلب السكان في مساكن منعزلة، عكس العمران المركز حيث يجتمع السكان في قرى[1].

والعمران هو البنيان وما يعمر به البلد، ويحسن حاله بواسطة الزراعة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي والأعمال والتمدن وأساسه العدل[2].

وتتمحور إشكالية العمران العامة حول نقطتين أساسيتين يرتكز عليهما التفكير والتنظير في ميدان العمران؛ الأولى هي محاولة فهم وضبط العناصر والعوامل المحركة لسيرورة النمو العمراني والتي تشارك في عملية تشكيل المدن؛ أما الثانية فهي محاولة إيجاد أفضل وأنسب الصيغ والأشكال لنمو عمراني منسجم، وعلى هذا الأساس انتشرت المدن ومظاهرها، وطغى النمط الحضري على التجمعات الإنسانية، ومن هذه الإشكالية تتفرع إشكاليات أخرى منها تلك التي تتعلق بإعادة تنظيم المدن وهيكلتها للحفاظ على هويتها وتنظيم وتوجيه توسعاتها الجديدة[3].

ومصطلح العمران ليس جديدا، لكن اختلف مدلول كلمة العمران من فترة إلى أخرى ومن موضع لأخر، وقد سبق لبعض المفكرين المسلمين تناول موضوع العمران والتمدن على أشكال مختلفة، منهم كما سبق وذكرنا "ابن خلدون"، الذي يرى أن الدولة والملك والعمران بمنزلة الصور للمادة وهو الشكل الحافظ لوجودها، وانفصال أحدهما عن الآخر غير ممكن، فالدولة دون العمران لا تتصور، والعمران دونها متعذر، فاختلال أحدهما يستلزم اختلال الآخر[4].

أما فيما يخص الجزائر في العهد العثماني، فإنه رغم كثرة المباني وجمالها إلا أن علماء تلك الفترة لم يؤلفوا في هذا الفرع من فروع المعرفة، ولا نكاد نجد في كتب الجزائريين إلا بعض

---

[1] –توني يوسف، **المصطلحات**، دار الفكر العربي، د. ط، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص 351.

[2] –شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، **مرجع سابق**، ص 627.

[3] – إبراهيم بن يوسف، **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، ط2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، (الجزائر)، 2015، ص 7–8.

[4] –محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، د. ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 24.

الإشارات القليلة، التي تكتفي فقط بالتاريخ ووصف البناء وصفا أدبيا، فإن أرخوا على سبيل المثال لأعمال حاكم معين ذكروا أنه بنى مسجدا أو ضريحا أو قصرا[1].

أما العمارة فهي لفظ مفرد جمعها عمائر، وتأتي بمعنى نقيض الخراب والبنيان، وما يحفظ به المكان ومبنى كبير به جملة مساكن، وفن العمارة هو تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة[2]، وهي أهم مكونات العمران فهي تحتاج إلى جهد وعمل متقن ومركب الملامح والتفاصيل للوصول إلى تغيرات الملائمة لاحتواء الأنشطة والوظائف، والاستجابة لمتطلبات الأفراد المادية والثقافية في إطار ضوابط وقوانين المجال والمحتوى، والعمارة المحلية تعبر عن هوية وثقافة وهي تعبير حي عن وجدان الإنسان، وتحقيق الرغبة الدائمة في الانتماء والخلق والإبداع[3]. وهي كذلك فن البناء وتعتبر من الناحية التحليلية فنا وعلما، فهي التي تأوي الإنسان ونشاطه في المجالات الروحية والمادية على المستويات الفردية والجماعية من وقت ولد فيه إلى أن يموت، وهي تشمل جميع المباني الدينية والدنيوية الحضرية والريفية السكنية والعامة الثقافية والتجارية، وهي من أهم الوسائل المتاحة للإنسان للتعبير عن تطلعاته التي حاول إشراك بني قومه في الإحساس بما وضعه فيها من عناية بالشكل وخاصة في المباني الدينية، وهي بذلك تعبير عن أرقى الفنون[4].

وبمفهوم أخر فالعمارة هي فن يشتمل تخطيط المدينة وميادينها وشوارعها وأسوارها ونمط السكن، وتأثير الظروف المناخية والاقتصادية فيها، والتي تغطي رغبات الفرد وطموحه وتشمل

---

[1] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 446.

[2] –شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، **مرجع سابق**، ص 627.

[3] –حسن فتحي، **العمارة والبيئة**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص 21.

[4] – حسن فتحي، **مرجع سابق**، ص 11.

كذلك المرافق كالمدارس والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية وأماكن التسلية واللهو وكلها تقاس بالمقياس الإنساني[1].

2. الإطار الجغرافي للمدينة:

يعد الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية والمناخ عنصرا هاما في تحديد أهمية وأدوار المدن السياسية والاقتصادية على مر العصور، ومدينة قسنطينة واحدة من أهم المدن التي مرت عليها حضارات متعددة أعطتها طابعا مميزا من العصور القديمة إلى يومنا هذا، وتعد الفترة الأخيرة من العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي عهدا مفصليا واستثنائيا، مرت فيه المدينة بتحولات كبيرة على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، فكيف أثر الموقع الجغرافي للمدينة على المجتمع والعمران؟ وما هي أهم خصائص ومميزات هذا الموقع؟

1.2. الموقع الجغرافي:

يعرف الموقع الجغرافي بأنه الموضع المكاني وعلاقته بالمناطق المحيطة به، وقد يشمل الموقع الواحد العديد من المواضع، وتختار المواقع على أساس الوظيفة والدور الذي تلعبه المدينة أو الذي أنشأت من أجله، فالمدن تنشأ في مواقع مختارة تتمتع بأفضليتها عن سواها من المدن الأخرى، ويعتبر الموقع من العناصر الهامة في دراسة جغرافية المدن ومن أعظمها تأثيرا في حياتها[2]، وهو من أهم الضوابط المؤثرة في دراسة المراكز العمرانية لما له من تأثير مباشر في استقرار السكان في أماكن محددة دون أخرى، وهو ما يؤدي إلى خلق قيم مكانية متفاوتة، ويجعل الإنسان يختار الأنسب والأصلح لأغراضه وتلبية حاجياته، وقد تكون بعض المواقع أفضل من غيرها وأكثر حساسية وحيوية، وهذا يعتمد على علاقاتها الخارجية مع المناطق القريبة والمحيطة بها، ومن هذا المنطلق فإن أفضل المواقع هي التي تحقق أكبر قدر ممكن من العلاقات[3]، ويؤدي

---

[1] -توفيق صالحي، **المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية (1838-1962م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2009، ص 2.

[2] -بشير مقيبس، **مرجع سابق**، ص 29.

[3] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 13.

عدم التجانس في تضاريس سطح الأرض وفي صفاته النباتية والمناخية إلى تباين المواقع التي تقوم عليها مراكز الاستقرار البشري، وهذا ما أدى إلى ظهور مواقع أفضل من غيرها وأكثر حساسية وحيوية، ويطلق عليها الأماكن الحرجة والمناطق الحساسة والحيوية[1].

ومدينة قسنطينة لم تكن لتوجد لولا أهمية موضعها الذي جعلها تحظى بالأفضلية على باقي المدن الجزائرية الأخرى، والأكثر إثراء من الناحية الاقتصادية والسياسية، ولا ينحصر جمال المدينة بما يحيط بها من أسوار وصخور عالية وأبواب شامخة فقط، إنما يتعدى ذلك إلى داخل المدينة[2].

1.1.2. الموقع الفلكي:

وهو عبارة عن تحديد المدينة بخطوط الطول والعرض[3]، ولكل مكان موقعه الفلكي المتفرد الذي لا يشاركه فيه غيره[4]، ويعتبر الموقع الفلكي لمدينة قسنطينة من أهم المواقع الاستراتيجية الهامة؛ فهي تتوسط إقليم الشرق الجزائري مما أكسبها موقعا مميزا، وهي تقع بالشمال الشرقي للجزائر على خط عرض 36.23 شمالا وخط طول 7.35 شرقا، وترتفع بـ621 م إلى 740م عن سطح البحر، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة للشرق الجزائري[5]، ويشير ابن سعيد المغربي أن موضع قسنطينة في جنوبها، حيث الطول ستة وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثة وثلاثون درجة، واثنتان وعشرون دقيقة[6]، أما "مارمول كربخال" في القرن السادس عشر الميلادي، فيذكر "...أن قسنطينة مدينة عتيقة جدا كبيرة ممتدة، يقدر المسلمون

---

1 –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبينية الطبيعية**، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، 1984، ص 119.

2 –محمد العيد تاورته، **الأدب الشعبي في مدينة قسنطينة**، د. ط، منشورات البيت، الجزائر، 2015، ص 16.

3 –بشير مقيبس، **مرجع سابق**، ص 31.

4 –جمال حمدان، **جغرافية المدن**، ط2، علم الكتب، القاهرة، د.ت، ص 277.

5 –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 14.

6 –أبي الحسن ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 142.

موقعها بثمانية وعشرين درجة وثلاثين دقيقة طولا، وبإحدى وثلاثين درجة وخمسة عشرة دقيقة عرضا، ولها موقع ممتاز فوق جبل عال، تجاورها من جهة الجنوب صخرة شديدة الانحدار ينبع منها نهر..."[1].

في حين يذكر "وليام شالر "William Shaler"، أن قسنطينة قاعدة إقليم الشرق، هي مدينة "سيرت" القديمة وهي تقع على نهر الرمل أو الرمال[2]، على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر 36.20 درجة شمالي، و6.30 درجة طول شرقي، وموقعها من أعظم المواقع التي يتصورها الإنسان ومتى أشرفت على إدارتها حكومة حكيمة، تمكن للمدينة أن تأمل في الحصول على فوائد كثيرة[3]. وإقليم قسنطينة أحد أهم الأقاليم الاقتصادية والسكانية في البلاد لوجودها ضمن الشبكة الواقعة على التل، الذي يشكل العمود الفقري في هيكل شبكة المدن في الجزائر، وهو ما جعلها تحظى بمكانة واهتمام التجار القادمين من الشمال والجنوب، باعتبارها تقع على خطوط رئيسية توصل شمالها بجنوبها وشرقها بغربها[4].

2.1.2. الموقع الإقليمي:

الموقع الإقليمي هو الموقع الفعال الذي يحمل في معناه مغزى الموقع النسبي؛ أي بالنسبة لما حوله من ظواهر بشرية أو مدنية[5]، فمدينة قسنطينة تقع في شمال شرق الجزائر على الحافة

---

[1] – مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حاجي، محمد الأخضر، ج3، د. ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الرباط، 1408هـ–1409هـ/1988م–1989م، ص 11.

[2] – يسمى كذلك وادي الرمال ويطلق عليه الأهالي اسم الوادي الكبير أو وادي قسنطينة، يجري عبر المدينة من أقصى طرفها الجنوبي إلى أقصى طرفها الشمالي، على طول ألفين وثمانمائة متر، ويبلغ عمقه في نقطة البداية حوالي خمسة أمتار، ينظر: محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر «تاريخ مدينة قسنطينة"**، تح: سفيان عبد اللطيف، ج1، ط1، دار الروح للنشر والتوزيع، قسنطينة (الجزائر)، 2015، ص 62.

[3] – وليام شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816م–1824م)**، تع وتح وتق: إسماعيل العربي، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 36.

[4] –فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي (1837–1832)**، تر وتع: أبو العيد دودو، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 73.

[5] –بشير مقيبس، **مرجع سابق**، ص 31.

الشمالية للأطلس الصحراوي، وهي على بعد حوالي 430 كلم جنوب شرق العاصمة الجزائر، عنابة وتبعد وعن مدينة سكيكدة بحوالي 84 لكم، وتبعد بـ156 كلم عن مدينة ، و130 كلم عن مدينة سطيف، و146 كلم عن مدينة جيجل، و119 كلم عن مدينة باتنة، و198 كلم من مدينة تبسة، فهي بذلك تكون قريبة من الجبال التلية في الشمال، والسهول العليا في الجنوب، وهو ما أعطاها موقعا استراتيجيا هاما[1]. وتبعد عن تونس بحوالي 476 كلم وبحوالي 1560 كلم عن طرابلس (ليبيا)[2]. وهي من المدن الجزائرية العريقة بتاريخها وحضارتها وتراثها وهي قائمة على شبه جزيرة صخرية يحيط بها واد كبير، وتمتد المدينة فوق صخرة، وهي على شكل برزخ ضيق بقمم تلال كدية عاتي، ويترتب على هذا الوضع أن المدينة لا يمكن الوصول إليها مباشرة، إلا من طرف واحد وهو جهة الجنوب الغربي والشمال الشرقي، وتتصل الجوانب الأخرى بالأرض عن طريق الجسور التي كانت فوق الوادي الضيق الذي يحيط بالمدينة إلى الجنوب الشرقي[3]، وهي من أبدع المدن الجزائرية من حيث الموقع الطبيعي الخلاب، فهي مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمال، تشرف من جهاتها الثلاث على هاوية هذا الوادي، وتصل بين قسميها جسور أهمها جسر سيدي مسيد وطوله 168 مترا، وارتفاعه 170 مترا[4].

وتحتل المدينة موضعا متميزا فوق صخرة وعرة، تأخذ شكلا مستطيلا غير منتظم الأضلاع، تمتد استطالته في اتجاه محور شمال شرق-جنوب غرب، يندرج ارتفاعها على هذا المحور بداية من الناحية الجنوبية بين 564م-664م فوق سطح البحر، يحيط بهذه الصخرة وادي الرمل أو وادي الرمال، الذي يرفده "وادي بومرزوق"[5] ويلتقي به بالقرب من المدينة، يسير

---

[1] -مهنتل مقروس جهيدة، **حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية**، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 12.

[2] -محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 16.

[3] -Ernest Mercier**, Constantine avant la conquête française 1837,** Notice sur cette ville à l'époque du dernier bey, p 6.

[4] - أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 93.

[5] - هو نهر يصب في وادي الرمال بمدينة قسنطينة ويلتقي معه جنوب المدينة، وعين بومرزوق هي العين التي تزود سكان قسنطينة بالمياه منذ العهد الروماني، ولا تزال بعض أحياء قسنطينة تتزود من نبعها، للاطلاع أكثر ينظر: أحمد بن مبارك

الوادي في خندق طوله 2800م، يبدأ عند سيدي راشد وعلى عمق 35م، وبعرض يقدر بحوالي 60م، ثم يواصل في انحدار مستمر مسايرا حدود الصخرة في اتجاه جنوب غرب-شمال شرق، إلى أن يصل منطقة باب القنطرة، أين يغير اتجاهه مشكلا زاوية تكاد تكون قائمة ليحيط بالصخرة من جهتها الشرقية، وعند نهاية الخندق يكون عمقه يفوق 200م، ثم تبدأ المنحدرات الوعرة لتلف بالصخرة من الجهة الشمالية، وهو ما يجعل المدينة تأخذ شكل شبه جزيرة، حيث لم يبق لها إلّا الجهة الغربية التي يتواصل امتدادها مع هضبة "كدية عاتي" وسط شريط أرضي عرضه حوالي 300م[1]، والمدينة مطلة من أطرافها الثلاث على الهاوية وتتصل من جهتها الرابعة على بقية الأرض، وقد تم وصل الطرفين بواسطة جسور[2]، وهي محصنة ولا يمكن أن تهاجم من الناحية الشرقية، ولها أربعة أبواب وهي باب القنطرة والذي يقع في الشرق، ولكنه يتجه نحو الجنوب الغربي ويؤدي إليه فوق هوة الصخور جسر حجري قوي يقوم فوق ثلاثة أقواس، أما الأبواب الثلاثة الأخرى فتقع في الجنوب الغربي في صف واحد، يبعد الواحد منها عن الأخر بحوالي 200 خطوة[3].

3.1.2. طبوغرافية الموقع: يتشكل الموقع الطبوغرافي[4] لمدينة قسنطينة من منحدرات شديدة وتلال مقطوعة بوديان، وهو عبارة عن كتلة جيرية ترتفع نحو 650 متر من على سطح البحر، تحيط بها أخاديد وادي الرمال من الجهة الشمالية والشرقية، أما الجهة الغربية فهي عبارة عن برزخ ضيق يأخذ شكل عش الصقر، وقد اختيرت هذه الكتلة الصخرية التي تحتوي على 42 هكتارا تقريبا لتكون الموقع الأول للمدينة وقلبها النابض الذي استمر عبر العصور، وهي تقع

العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع تق: عبد الله حمادي، ط. ج، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 98.

[1] -عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، دراسة تاريخية أثرية**، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة (الجزائر)، 2015، ص 31-32.

[2] -أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 232.

[3] -فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 73.

[4] -كلمة إغريقية الأصل ومعناها وصف المواضع وتحديدها، مثل الانحدار والارتفاع والانحراف والاستدارة والاستقامة ومجاري المياه وطرق المرور. ينظر: محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر**، **ج1**، مصدر سابق، ص 62.

على جيولوجية هشة، حيث تستند على صخرة جيرية يمكنها أن تنفصل تحت تأثير عوامل خارجية كالزلازل والمياه[1]، وتبدو كتلة الحجر الجيري ذات اللون الرمادي أو الرمادي الأبيض التي تحمل المدينة وكأنها موشور أساسي شبه منحرف تتوافق حوافه إلى حد كبير في النقاط الأساسية الأربعة[2]، وتحتل المدينة هضبة صغيرة شبه معزولة بالكامل من جميع الأراضي المحيطة بها[3].

ويبدو موقع المدينة القديمة مشكلا من مدرجات تحتضن السويقة والقصبة ذات القرميد الأحمر، وهو موقع ذو طابع فريد ومميز، فعندما نراه من الخارج قادمين من مدينة جيجل يظهر لنا كطائر جاثم فوق عشه في القمة ذات الانحدار الشديد، أما عن طريق الجو فإن الصخرة تبدو ثابتة وكأنها لم تتغير منذ ألفي سنة[4]، وقد صورت لنا المصادر والمراجع طبوغرافية المدينة القديمة حيث تشير إلى معالمها الجميلة، وكذلك بالرجوع إلى تقارير الاكتشافات التي عثر عليها والمنشورة وخاصة في مجلة قسنطينة R.S.A.C [5]. وهي الأثار التي كانت تكتشف صدفة أثناء القيام بأشغال الحفر والبناء[6].

4.1.2 الموقع الجيولوجي: يعد التركيب الجيولوجي أساس تخطيط وقيام المدن، ويتمثل في نوعية الصخور والجبال الكلسية السائدة في منطقة المدينة، فهي مصدر أساسي في توفير المواد الخام المستخدمة في البناء، كالحجارة الصلبة التي استخدمتها القوات الفرنسية في بناء تحصينات ومعسكرات المدينة، كما أن صلابة الطبقة السطحية تساعد على تحمل ضغط المباني العالية

---

[1] –مهنتل مقروس جهيدة، **مرجع سابق**، ص 15.

[2] - Léonce Joleaud, **La rocher de Constantine**, Annales de géographie, 2018, p 340.

[3]-Expédition de Constantine période initiale, Revue de deux mondes, Tome 13, Paris, 1838, p 13.

[4] – مهنتل مقروس جهيدة، **مرجع سابق**، ص 17.

[5] – الحوليات الأثرية لمدينة قسنطينة"Recueil de notice et mémoire de la société archéologique de Constantine" تأسست هذه الجمعية بمبادرة من (شاربونو) (Charbonneau) ومعاصره كل من فيرو (Féraud) و(ألكسي بيلامان)(Alexi Bi lamane) عام 1852، وتمكنت هذه الجمعية من إصدار تقويم خاص بها (Annuaire) منذ عهد مبكر، حولته فيما بعد إلى مجموعة مقتطفات (Recueil)، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 42.

[6] –مهنتل مقروس جهيدة، **مرجع سابق**، ص 142.

ومد الطرق وخطوط السكة الحديدية، وعليه فإن المنطقة التي تقع عليها المدينة هي صخور كلسية متجانسة تمتد في نطاق الصخرة وسط المدينة وجوانب وادي الرمال والقنطرة[1]، وهي تنتمي إلى المنطقة الملتوية للأطلس التلي التي تشترك مع منطقة الهضاب العليا[2]. ويحتوي الموقع على منحدر حاد يرتفع من 150 إلى 80 مترا من الشمال إلى الجنوب[3].

أما بالنسبة لشكل المدينة فهو أهليجي ذو سطح مائل نحو الشرق، يرتكز أساسه على الانحناء الالتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما وعلى مسافة يقدر طولها بخمسمائة مترا من خط الانحناء الكبير، وضمن صور قديم يعلوه بحوالي ثلاثين مترا توجد ثلاثة أبواب تنتصب بينها بطاريات للمدافع، كما يوجد بحافة جبل المنصورة باب رابع وهو باب القنطرة المحصن ببطارية بها هي الأخرى ستة مدافع، وبجانب الباب ترتفع الأسوار في شكل منعرج[4]، ولا تتوقف أهمية المدينة على الموقع والمساحة التي تشغلها أو عدد السكان الذين يقيمون بها، ولكن تستند بالدرجة الأولى على الوظائف التي تقوم بها عبر مراحلها التاريخية[5]، وقد اجتمعت في موقع المدينة عدة أبعاد جعلت منها مدينة رئيسية في الفترات التاريخية المختلفة.

3. الإطار التاريخي للمدينة:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الأكثر عراقة وقدما، وكانت على مر العصور محط أنظار وأطماع الغزاة والمغامرين والعابرين والرحالة[6]، حيث تداعت عليها الأمم منذ العصور الغابرة وحاولت الفوز بها، وتزاحمت مختلف الدول بجحافلها على أبواب قلعتها الحصينة، وسعت إليها

---

[1] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 31–36.

[2] –جهيدة مهنتل، **مرجع سابق**، ص 14.

[3] - Bernard Pagand, **La Medina de Constantine (Algérie) de la ville traditionnelle au centre de l’agglomération contemporaine,** Fascicule 14, Etudes méditerranéenne, Université de Poitiers, 1989, p 1.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر–العهد العثماني**، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 309.

[5] – أحمد علي إسماعيل، **دراسات في جغرافية المدن**، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ/1988، ص 22.

[6] –أحمد بن المبارك بن العطار، **مصدر سابق**، ص 43.

من الشرق والغرب، ومن الشمال والجنوب[1]. ورغم ذلك فإن تحديد المكان والتاريخ الأول الذي بنيت فيه مدينة قسنطينة أمرا صعبا، رغم إجماع الباحثين على أنها من أقدم وأعرق المدن في منطقة شمال إفريقيا، وهذا راجع إلى أن معظم الاكتشافات الأثرية القديمة أثارت جدلا كبيرا حول التاريخ والمكان اللذان يشهدان التأسيس الأول للمدينة[2].

1.3. الفترة القديمة:

يعود أقدم استقرار بشري بمدينة قسنطينة إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد عمرها الإنسان منذ بداية الزمن الجيولوجي الرابع، لما توفر له من ظروف العيش اللائق من وفرة المياه وخصوبة التربة، وكثرة الكهوف الصخرية التي كانت الملجأ المناسب له، فقد عثر الأثريون في محيط المدينة على مواقع كثيرة بها مقابر ميغاليتية[3]، ومخلفات عظمية وأدوات حجرية ونقوش صخرية[4]، حيث شهدت كهوف سيدي مسيد على حضارة العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديثة[5].

2.3. قسنطينة في العهد النوميدي (3200 ق م-46م):

شجع موقع مدينة سيرتا الاستراتيجي والمحصن جيدا التجار الأجانب وأصحاب الحرف من مختلف الجنسيات على الإقامة بها منذ زمن بعيد[6]، ومنهم قبائل الفينيقيين الذين نزحوا عن شبه الجزيرة العربية في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد واستقرت بالساحل اللبناني، واشتهرت هذه

---

[1] -التواتي بومهلة، **قسنطينة معالم حضارة وتاريخ**، ج1، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2015، ص 6.

[2] -عمار بوطبة، **المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919-1956**، ط. خ، مطبعة بابل، الجزائر، 2015، ص 35.

[3] -توجد على بعد 2 كلم شمال قرية بونوارة، التي تبعد عن مدينة قسنطينة بـ 32 كلم على الطريق الوطني رقم 20 الرابط بين قسنطينة وقالمة، ينظر: قارة مبروك بن صالح، **مسار المدن والعمران بالجزائر**، ط1، 1438-2017، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ص 17.

[4]- عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 73.

[5] -مهنتل (مقروس) جهيدة، **مرجع سابق**، ص 23.

[6] -يمينة سعودي، **الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية-دراسة تاريخية أدبية**، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 46.

القبائل بالتجارة وصناعة السفن، واتخذت الموقف الحيادي من الصراعات الدائمة والتعامل السلمي في ترويج تجارتهم البحرية، وهو ما سهل مهمتهم في شمال إفريقيا أي استقروا وبنوا عاصمتهم قرطاج[1]، ثم وسعوا تجارتهم وتمكنوا من الدخول إلى المدن الداخلية منها "كرتن" أو قسنطينة[2]، غير أن هذا الاستقرار لم يتوج بوضع حجر الأساس للمدينة، إلا بعد فترات طويلة لما قامت مملكة الماسيل النوميدية[3]، والتي اختارت من موقع المدينة مستقرا لها وعاصمة لملكها، فشيدت قسنطينة فيما بين القرنيين الرابع والثالث قبل الميلاد، وبدأت تنمو شيئا فشيئا لتصبح مركزا تجاريا كبير وسوقا إفريقيا هاما[4]، ويذكر "أحمد بن مبارك العطار" في هذا الصدد، "أن قسنطينة مدينة قديمة بناها الذي بنى قرطاج التي كانت بقرب تونس، وكان بها مقر حاكم إفريقيا"[5]، وتوسعت مملكة موريتانيا خلال القرن الثالث قبل الميلاد توسعا كبيرا بزعامة الملك النوميدي ماسينيسا[6]، الذي وحد مملكتي الماسيل و الماسيسيل، وأسس المملكة النوميدية في سنة (203ق م-46 ق م)، واتخذ من قسنطينة التي سميت "سيرتا" عاصمة له وجعلها قطبا عمرانيا وحضاريا ينافس مدينة قرطاج[7]، وكانت المدينة في عصره مملكة تمتد من برقة في شرقي ليبيا إلى نهر الملوية غربا في المغرب الأقصى[8].

---

[1] – عاصمة القرطاجيين بتونس، أسست سنة 825 ق.م ومعناها بالفينيقية المدينة الجديدة، ينظر: أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 96.

[2] –على خلاصي، **قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور**، ط1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2015، ص 38-39.

[3] –نسبة لقبائل منتشرة في الإقليم الشرقي للجزائر والإقليم الغربي لتونس، اشتهرت بتربية المواشي وخدمة الأرض، ينظر: محمد الصغير غانم، **معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر**، د. ط، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2003، ص 226.

[4] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 74.

[5] –أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 96.

[6] –ماسينيسا (227 ق م-149 ق م)، من أشهر وأعظم ملوك نوميديا، وهو ابن الملك غايا وكان في أول أمره مواليا للفينيقيين، ثم خرج عن طاعتهم واستمر على الكفاح ضدهم ودانت له البلاد إلى الحدود التونسية، ينظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م، ص 83.

[7] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 74.

[8] –التواتي بومهلة، **مرجع سابق**، ص 5.

3.3. قسنطينة في العهد الروماني (46م-429م):

بعد دخول الرومان أرض إفريقيا، استغلوا مرحلة الضعف التي كانت تمر بها مملكة نوميديا وتوغلوا في أراضيها، ليحتلوا قسنطينة في سنة 46 ق م، غير أنهم قوبلوا بمقاومة محلية استرجعت من خلالها المدينة فيما بين سنتي 44 ق م-41 ق م، وبعد هذا التاريخ تمكن الرومان من احتلال المدينة وإقليمها[1]، وعرفت مدينة قسنطينة فترة من الصراع القائم بين قرطاج وروما، وهو ما يعرف بالحروب البونيقية[2] أو البونية، التي دامت حوالي قرنيين من الزمن وانتهت بانتصار روما على قرطاج، وتأثرت المدينة كغيرها من المدن النوميدية الأخرى بهذه الحروب سواء كانت إلى جانب قرطاج أو روما، ونظرا لموقعها الاستراتيجي والجغرافي وحصانتها التي تتمتع بها في الميدان الدفاعي والاقتصادي، بأن الرومان كانوا ينظرون إليها كما ينظرون إلى قرطاج بنوع من الطمع والرغبة في الاستثمار، فقاموا باحتلالها سنة 112م، ومنذ هذا التاريخ أصبحت قسنطينة مستعمرة رومانية[3].

لم تنعم المدينة في المرحلة الأولى من حكم الرومان بالاستقرار الذي عهدته من قبل، ولم يسدها الهدوء حيث رفض أهل المدينة والقبائل النوميدية المجاورة لها هذا الاحتلال الأجنبي وقاموا بعدة ثورات كردود فعل، وكان يوغرطة زعيما للمقاومة وسعى بكل جهده لتخليص نوميديا من السيطرة الرومانية، ونظرا لاشتداد المقاومة بين جيوش الرومان وأهالي نوميديا، أدى هذا الأمر إلى تدمير المدينة بعد أن تم حرقها ونهبها[4]، ثم أعيد بناؤها وتجديدها على يد قسطنطين الأكبر[5]، الذي نسبت إليه تسميتها حسب بعض المصادر، قد كرس جهده لتعمير وتنشيط صناعتها

---

[1] -عبد القادر دحدوح، **محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 75.

[2] -هي الحروب التي دارت بين القرطاجيين والرومان، كانت الأولى بين (241-264ق م) والثانية التي أنهت الصراع كانت (201-218ق م) والتي دارت بموقع زاما على الأراضي التونسية: ينظر: على خلاصي، **مرجع سابق**، ص 45.

[3] - Ernest Mercier, **Histoire de Constantine,** Imprimerie Jérôme Male et f Biron, Constantine, 1903, p42.

[4]- Ernest Mercier, **Ibid**., p 42.

[5] - قيصر روماني حكم من 306م إلى 337م، وهو الذي أقر الديانة المسيحية للإمبراطورية الروماني عام 313 ميلادية، ينظر: أحمد بن المبارك بن العطار، **مصدر سابق**، ص 95.

وزراعتها وتجارتها، فاستقطب إليها عناصر سكانية جديدة وشجع الاستقرار بها، فكثر سكانها وانتشر عمرانها وامتد إلى خارج أسوار المدينة، وبعد وفاة قسطنطين سنة 337م، بقيت المدينة تحت وطأة الاستعمار الروماني واستمر أهالها يقاومون إلى غاية سنة 427م[1].

4.3. قسنطينة في العهد الوندالي (429م-534م):

بليت قسنطينة كغيرها من مدن بلاد المغرب القديم وحواضره بالاحتلال الوندالي[2]، الذي حل محل الرومان في العقد الثالث من القرن الخامس الميلادي، والذي استمر حوالي قرن من الزمن[3]، فالاستقرار الذي شهدته مدينة قسنطينة خلال الحقبة الرومانية لم يدم طويلا، لتشهد المدينة على غرار العديد من المدن الجزائرية الاستيطان الوندالي سنة 455م[4]، والذي جاء نتيجة الصراع والمطالبة بالاستقلال عن روما، حيث استنجدت المدينة بالوندال ألذ أعداء الرومان الذين استقروا بها مدة من الزمن (432م-534م)[5].

احتل الوندال إفريقيا بقيادة جنسريق (429م-477م)[6]، وتمكنوا خلال سنة واحدة من التغلب على كل حواجز المقاومة التي أبدتها الحاميات الرومانية في المقاطعات النوميدية، ووصلوا إلى أبواب "هيبون" (عنابة) في شهر ماي سنة 430م ودام حصارها مدة أربعة أشهر؛ حيث سقطت بيد الوندال شهر أوت سنة 432م، ومنه كان دخول مدينة قسنطينة تحت الحكم الوندالي[7]، ونظرا

---

[1] -Ernest Mercier, **Histoire de Constantine, op cit,** p 42.

[2] -طوائف جرمانية صقلية استقرت بأوروبا بين نهر الفستول ونهر الأودر، وكان دخولهم إلى بلاد المغرب القديم سنة 429م، اجتازوا قطر الجزائر حتى بلغوا عنابة في القطاع القسنطيني سنة 429م، ونصبوا حصارا عليها واستولوا على قرطاجنة وجعلوها عاصمة لهم في شهر أكتوبر 439م وسقطت مملكتهم سنة 534م: ينظر: نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، د. ط، دار الحضارة للنشر، الجزائر، 2006، ص 20-21.

[3] -عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 31.

[4] -عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص77.

[5] - رشيد بوروبية، **سلسلة الفن والثقافة**، د. ط، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص 49.

[6] -ملك وقائد وندالي ولد حوالي سنة 390م وتوفي سنة477م، لاطلاع أكثر ينظر: العود محمد الصالح، **(التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م)**، ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 71.

[7] -محمد قويسم، **(مدينة قسنطينة ما بين القرنين 07-10هـ/13-16م، دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2014-2015، ص 56 57.

لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، فقد دام هذا الاحتلال قرابة قرن من الزمن (432م-534م) وهو ما تدل عليه مجموعة النقود الوندالية التي كانت متداولة في تلك الفترة، والتي تم اكتشافها في منطقة الحامة سنة 1949م وهي محفوظة في متحف المدينة سيرتا[1].

5.3. قسنطينة في العهد البيزنطي (534م-649م):

وبعد أقل من قرن من الزمن من مرور الوندال، أطل الرومان على المدينة وباقي المنطقة كلها تحت اسم جديد وهم البيزنطيين، الذين جعلوا من قسنطينة حامية حصينة ومقرا لقائد منطقة نوميديا العسكرية[2]، وحاولوا استرجاع إفريقيا من أيدي القبائل الوندالية عدة مرات عن طريق البحرية، منها الحملة الكبرى سنة 468م والتي انتهت بانهزام الأسطول البيزنطي هزيمة كبرى على سواحل قرطاج، ووقع خلالها الإمبراطور البيزنطي معاهدة السلم مع القائد "جنسريق" سنة 476م الذي توفي في العام الموالي[3]. وأصبحت "كيرتا" مدينة بيزنطية محصنة مساحتها ما بين 25 و50 هكتار، وقد استمر الاحتلال البيزنطي لبلاد شمال إفريقيا أكثر من قرن من الزمن (535م-649م)، وكان هذا الاحتلال بمثابة إعادة سلطة روما إلى هذه المناطق[4].

وكان البيزنطيون مثل أسلافهم الرومان يمارسون سياسة التعسف والظلم والاضطهاد ضد الأهالي الذين نفروا من سلطتهم وامتنعوا عن تأييدهم في كل الظروف[5]، ورغم هذه الاجتهادات التي قام بها البيزنطيون في إفريقيا لم تشفع لهم ولم يستطيعوا أن يستعيدوا بها مكانة امبراطوريتهم الأولى، فقد ثار في وجوهم زعماء البربر بثورات عديدة ومقاومات شديدة، أخمدوها بعد جهد كبير ومعارك كثيرة، ولكن بقي الحقد في قلوب البربر ضد الروم واستمر هذا العداء على أشده إلى غاية ظهور الإسلام في إفريقية حوالي سنة 645م[6]، وانتهت بذلك سيطرة البيزنطيين على يد

1 -رشيد بورويبة، **مرجع سابق**، ص49.

2 -التواتي بومهلة، **مرجع سابق**، ص 28.

3 -محمد قويسم، **مدينة قسنطينة ما بين القرنيين 10هـ/16م**، مرجع سابق، ص 59.

4 -عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 31.

5 -يحيى بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج1، د. ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 58-59.

6 -محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر**، **ج1**، مصدر سابق، ص 17.

الثورات المحلية وحملات الفتح الإسلامي على المنطقة الذي أنقذ سكانها من تعسف وطغيان الرومان البيزنطيين[1].

6.3. قسنطينة في الفترة الإسلامية:

بعد أن أتم العرب المسلمون فتح مصر في سنة 19هـ/640م، ألحت الضرورة لمواصلة الفتح وحماية ظهر مصر فوجهوا أنظارهم إلى بلاد المغرب القديم، لنشر الدعوة الإسلامية في هذه المناطق وحماية حدود الإسلام من غزو الروم وضرباته من الغرب والشمال الغربي، وتخليص أهل المغرب من الروم واضطهادهم[2]، وصلت حركة الفتح الإسلامي إلى منطقة المغرب في شمال إفريقيا، فهاجم الفاتحون العرب مدينة قرطاج والمدن البيزنطية الأخرى التابعة لها، وأصبحت تحت حكمهم جل المدن، ومن بينها مدينة قسنطينة في القرن السابع الميلادي[3].

وقد بقيت مدينة قسنطينة في المرحلة الأولى للفتح محصنة، جمعت العديد من بقايا البيزنطيين ومن التجأ لها هروبا من المعارك الدائرة هناك[4]، ومن الصعب تحديد تاريخ الفتح الإسلامي للمنطقة تحديدا دقيقا والإحاطة بالفترة التي دخلت فيها المدينة إلى دائرة الإسلام، لأن المصادر لم تشر إلى ذلك ولم تتطرق إلى موقف أهلها من الفاتحين المسلمين، وأغفلت الدور الذي قامت به المدينة في هذه المرحلة من تاريخها كمدينة عريقة ورائدة في بلاد المغرب[5].

ويذكر محمد المهدي بن علي الشغيب أن عقبة بن نافع فاتح بلاد المغرب، بعد عودته إلى المشرق الإسلامي في المرة الأولى خلفه أبي المهاجر دينار[6]، الذي بقي قائدا للجيش الإسلامي

---

[1] –يمينة سعودي، **مرجع سابق**، ص 48.

[2] –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 35.

[3] –يمينة سعودي، **مرجع سابق**، ص 49.

[4] –على خلاصي، **قسنطينة مدينة الجسور**، مرجع سابق، ص 85.

[5] –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص38.

[6] –أول أمير مسلم وطأت قدمه المغرب الأوسط، وأول من حمل الإسلام إلى الديار الجزائرية، اتصل بإفريقية وأسس بها مركزا على بعد ميلين من القيروان، انتصر على عمالة قسنطينة سنة 59م، وجعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة، وبنى بها دار الإمارة، وتقدم في فتوحاته إلى تلمسان وظفر بخصمه كسيلة هناك، وحمل عليه حملة شديدة وعرض عليه الإسلام فاعتصم، ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، **مرجع سابق**، ص 169–170.

الفاتح وحل بمنطقة ميلة واستقر مدة عامين (55-56هـ/674م-675م)، وفتح أراضي كتامة[1]، وضواحيها بالمغرب الأوسط مثل قسنطينة وميلة وسطيف ومن قبلها مدينة تبسة إلى أن وصل إلى أطراف تلمسان، فهو القائد المسلم الأول الذي تمكن من الوصول إلى أراضي الإقليم القسنطيني[2].

1.6.3. قسنطينة في العهد الأغلبي (182هـ-296هـ/798م-908م):

عاشت مدينة قسنطينة منذ الفتح الإسلامي تحت ألوية حكم متعددة، فلقد ظلت تابعة للقيروان على امتداد عهد الولاة منذ سنة 50هـ إلى سنة 182هـ[3]، وبقيت قسنطينة تحت حكم ولاة القيروان[4] الذين تعاقبوا على حكم إفريقية، إلى أن تقاسم بلاد المغرب الإسلامي الرستميون (144هـ-296هـ/761م-909م، والأدارسة (172هـ-363هـ/788م-973م) والأغالبة (184هـ-297هـ/800م-909م)، وبموجب ذلك التقسيم لحقت قسنطينة بدولة الأغالبة[5]. وتذكر النصوص التاريخية أن مدينة قسنطينة خلال هذه الفترة قدمت إليها مجموعة من القبائل العربية واستقرت بها وبضواحيها، واندمجت مع كتامة، ونتج عن هذا الاندماج ظهور جيل جديد يحمل الدماء العربية والمغربية تجمعهم اللغة العربية ويوحدهم الدين الإسلامي[6].

---

[1] – من أشهر القبائل الجزائرية الكبرى، تسكن الفحوص والسهول والجبال فيما بين قسنطينة وبجاية، ويوجد منها بعض البطون بجبال الأوراس، وهي من أشد القبائل بأسا وأطولها باعا في الملك، ولها أفخاذ وبطون منتشرة في المغرب الأوسط، للاطلاع ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، **مرجع نفسه**، ص 225.

[2] – محمد المهدي بن علي الشغيب، أم الحواضر، ج1، **مصدر سابق**، ص 230-231.

[3] –بورايو عبد الحفيظ، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، ط2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة (الجزائر)، 2013، ص 106.

[4] – هي مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع الفهري على بعد 36 ميلا من البحر الأبض المتوسط 100 ميلا من تونس، ينظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 87.

[5] –عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة تاريخ -معالم-حضارة**، د. ط، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2007، ص 11-17.

[6] –عبد العزيز فيلالي والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 43.

2.6.3. قسنطينة في العهد الفاطمي (296هـ-362هـ/908م-972م):

يعود اسم مدينة قسنطينة من جديد في المصادر التاريخية كقاعدة لانطلاق الدولة الفاطمية[1]، وانتصاراتها على دولة الأغالبة، ووصول الداعية عبيد الله الشيعي[2] إلى قسنطينة واستقراره في محيطها يبث دعوته[3]، في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري-التاسع الميلادي والذي اختار الاستقرار في مواطن كتامة وحواضرها، فتأثرت بذلك مدينة قسنطينة ولقي عبيد الله الشيعي حماسا كبيرا ومحبة وتقديرا، فالتف شيوخ كتامة حوله وناصروه وأيدوه، فلما كثر أتباعه وأحس بقوته أعلن خروجه على الأغالبة[4]. ومنذ سنة 293هـ/905م صارت قسنطينة تابعة لحكم الفاطميين، الذين قضوا على الدولة الأغلبية، والدولة الرستمية، وكان الفاطميون يولون عليها واليا لتسيير شؤونها وترتيب مصالحها، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن والي قسنطينة خرج لاستقبال الخليفة الفاطمي وتقديم فروض الطاعة والولاء له[5].

3.6.3. العهد الزيري والحمادي: (362هـ-542هـ/982م-1147م)

تعرضت مدينة قسنطينة في هذه الفترة إلى زحف قبائل بني هلال[6]، وغاراتهم كغيرها من المدن الإفريقية الأخرى، وقد تمكنت هذه القبائل من السيطرة على قسنطينة وضواحيها ومعظم ممتلكات الدولة الزيرية، واستغل الحماديون هذا الضعف واستولوا على مدينة قسنطينة وضموها

---

[1] – تنسب الدولة الفاطمية إلى عبيد الله المهدي بن أحمد بن إسماعيل، وقد سموا بالفاطميين نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجة الإمام علي رضي الله عنه، وقد بادر الفاطميون بالسعي نحو الخلافة لاعتقادهم بأحقية نسل الإمام علي بالخلافة، بدأت دعوتهم في اليمن وانتقلت إلى المغرب الإسلامي.

[2] –هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أصله من مدينة صنعاء باليمن، وهو مؤسس الدولة الفاطمية، اتصف بالذكاء والفطنة والتدين والزهد، واعتنق تعاليم الشيعة وتشيع بحب آل البيت النبوي، وأعلن ولاءه للأئمة العلويين الإسماعيليين، وعمل على نشر الشيعة في أراضي المغرب الإسلامي.

[3] –التواتي بومهلة، **مرجع سابق**، ص 31-32.

[4] –عبد العزيز فيلالي والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 50.

[5] –عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة**، مرجع سابق، ص 41-42.

[6] – قبائل أصلهم من معد بن عدنان، كانوا يسكنون القفار التي تفصل بين الحجاز ونجد، ثم قدموا إلى مدينة قسنطينة حوالي القرن العاشر، ينظر: أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص 138.

إلى إمارتهم[1]، ولما ثار "حماد بن بلكين" على ابن أخيه ورغب في الاستقلال عن الأمير الزيري "باديس بن منصور"، طلب منه هذا الأخير التنازل عن قسنطينة، ولكنه امتنع، مما أدى إلى قيام ثورة بينهما استطاع من خلالها باديس استرجاع قسنطينة إلى دولته، وشهدت مدينة قسنطينة في ظل الحكم الحمادي (398هـ-547هـ/1009م-1152م) من بداية القرن 5هـ/11م إلى منتصف القرن 6هـ/12م تطورا وتوسعا عمرانيا استجاب للأحداث السياسية التي عرفتها، فقد أصبحت مركز ولاية ذات أهمية كبيرة [2].

والجدير بالذكر أن مدينة قسنطينة التي كانت تلعب أدوارا ثانوية في الفترة التي امتدت من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حتى أواخر القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي، زادت أهميتها في العهد الزيري والحمادي، حيث أعادوا لها أهميتها ومكانتها كمدينة استراتيجية وتجارية وثقافية هامة، وأصبحت بذلك من أهم المراكز الحضرية في بلاد المغرب الأوسط وإفريقية بعد مدينة القيروان[3]. وفي أخر عهد هذه الإمارة أحاطت بها ظروف أدت إلى ضعف نفوذ أمرائها وانحلالهم، وفتحت المجال لظهور دولة الموحدين التي أخذت تنمو وتزحف من المغرب الأقصى[4].

4.6.3. العهد الموحدي (515هـ-668هـ/1121م-1269م):

بعد سقوط الدولة الحمادية في سنة 547هـ/1152م، خضعت قسنطينة إلى دولة الموحدين (524هـ-668هـ/1130م-1269م)، وبقيت مخلصة لهم وصمد أهلها أمام الثورات والفتن الحاصلة وعرفت المدينة نوعا من الركود، فلم تعد لها مكانة كبيرة مثل السابق، لأن هذه الدولة كانت قد سيطرت على كل المغرب الإسلامي بالإضافة إلى بلاد الأندلس، كما أنها عمرت قليلا

---

[1] -عبد العزيز فيلالي والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 56.

[2] -عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 84-86.

[3] -عبد العزيز فيلالي والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 52.

[4] -يحيى بوعزيز، **الموجز**، **ج1**، مرجع سابق، ص 132.

ولم تعرف الاستقرار فطالها التفكك والانقسام[1]، وظلت قسنطينة تحت حكم الموحدين حتى استقل بها "أبو زكريا الحفصي" عام 662هـ/1228م ودخلت بعد ذلك تحت الحكم الحفصي[2].

5.6.3. العهد الحفصي (625هـ-678هـ/1227م-1279م):

لما ضعفت دولة الموحدين (524هـ-668هـ/1130م-1269م) مع مطلع القرن 7هـ/13م استقل "أبو زكريا الحفصي (625هـ-647هـ/1228م-1249م)[3] بملك تونس في سنة 625هـ/1228م، وفي السنة الموالية اتجه إلى قسنطينة فحاصرها أياما حتى تمكن من الدخول[4]، وأصبحت قسنطينة وكل الشرق الجزائري تحت الحكم الحفصي سنة (628هـ/1230م)، وأصبحت بذلك من أهم المدن الرئيسية[5]، وحظيت المدينة في هذه الفترة بعناية خاصة ومكانة رفيعة لدى الحكام الحفصيين، فكانت المدينة الثانية بعد تونس، وقصدها الناس من كل الأماكن فاتسع عمرانها، بتشييد القصور والمنازل العامة وزاد عدد مساجدها وأسواقها وحماماتها[6].

ويذكر الحاج مبارك العطار أن المدينة قد سطع نجمها وعلا صيتها أيام كانت تابعة للمملكة الحفصية، ولعبت دورا إيجابيا في سبيل حماية حاضرتها اقتصاديا وعسكريا وعلميا، واستطاعت أن تصبح إحدى أهم القلاع في هذه المملكة، وحاجزا في وجه أطماع الممالك المجاورة، وهي بذلك الحصن أو المدينة الحربية التي يتربى على خشونتها أبناء السلاطين والقادة[7].

---

[1] -عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 90-92.

[2] -يمينة سعودي، **مرجع سابق**، ص 53.

[3] -تنسب الدولة الحفصية لابن يحيى الهنتاني الذي أسسها سنة 625هـ/1228م، وجعل عاصمتها تونس، تمتد رقعتها الجغرافية من خليج سرت إلى الضواحي الغربية لمدينة بجاية ومن البحر الأبض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، عاشت الدولة الحفصية حوالي ثلاث قرون من الزمن إلى أن سقطت على يد الأتراك العثمانيين سنة 982هـ/1535م ينظر: أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ج1، د. ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 193-194.

[4] -روبار برنشيفك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تع: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص50-51.

[5] - **نفسه**، ص 419.

[6] -عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسية عمرانية ثقافية**، د. ط، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002، ص 61-62.

[7]- أحمد ابن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 43.

وقد ظلت المدينة على هذا الحال رغم الضعف والتفكك الذي أصاب المملكة الحفصية خاصة وبلاد المغرب عامة، بسبب الانقسامات الداخلية والحروب الصليبية على شواطئ المغرب الإسلامي، واحتلال الإسبان السواحل الشمالية، وعلى هذا الأساس استغل بعض الأمراء من بني حفص هذه الفترة المضطربة واستقلوا بمدينة قسنطينة عن السلطة المركزية بتونس، غير أن المدينة ظلت تخضع لعرب "الصاولة"[1] تارة ولرؤساء الأسر المحلية أمثال أسرة ابن باديس[2] وآل الفكون[3] تارة أخرى، إلى أن دخلتها الحامية العثمانية[4].

7.3. قسنطينة في الفترة العثمانية:

شهد إقليم قسنطينة نهاية العهد الحفصي فراغا سياسيا واضحا لم تستطع المملكة الحفصية ملأه رغم محاولاتها المتكررة، فأصبح الوضع ينبئ بزوال حكمها، واستعد السكان لاستبداله بأي حكم آخر يستجيب لمطامحهم في الأمن والاستقرار، وهو ما مهد الطريق أمام الأتراك العثمانيين لدخول المدينة[5]، حيث انتشرت سمعة الأتراك وصداهم وأخبار انتصاراتهم البحرية في داخل البلاد

---

[1]– هم أبناء عمومة الدواودة، كانوا أيام الحفصيين وفي أوائل العهد العثماني سائدين على مدينة قسنطينة، وهم من نسل صولة ابن خالد بن حمزة بن ليل. للاطلاع أكثر ينظر: محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر**، **ج1**، مصدر سابق، ص 117.

[2] – هي أسرة ذات أصول صنهاجية بمدينة قسنطينة منذ العصور الوسطى، وهي سليلة المعز بن باديس، عرفت بعلمائها وأخرهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في عام 1931م، وكان مقرها مدينة قسنطينة. ينظر: جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص 240.

[3] –أسر من البيوتات القسنطينية العريقة، ومن أشرافها، كانت لهم الرياسة والقضاء والإمامة، وهم دار صلاح وعلم وعمل حازوا المناصب الشرعية ببلدهم قسنطينة. ينظر: عبد الكريم الفكون (توفي 1073هـ/1662م)، **منشور الهدايا في كشف حال من إدعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987، ص 57.

[4] – عبد العزيز فيلالي والهادي لعروق، **مرجع سابق**، ص 77.

[5]– جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ(16م) إلى القرن 13هـ(19م)**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة2، 2015، مرجع سابق، ص 109.

الجزائرية، وكان لهم بمدينة قسنطينة دعاة وأنصار يدعون إلى الدخول في طاعتهم منذ وصول عروج إلى تونس، ثم قدومه إلى جيجل واستقراره بها حوالي عام 922هـ/1516م[1].

واختلفت الروايات التاريخية حول تحديد تاريخ الفعلي لدخول الأتراك إلى مدينة قسنطينة، ورغم محاولات بالكثير منهم التطرق إلى هذه المسألة، إلا أنهم لم يصلوا إلى تاريخ محدد متفق عليه يستند إلى أدلة قوية، في غياب النصوص التاريخية المعاصرة للحدث[2]. فالأسير "هايدو" "Haedo"الذي حل بالجزائر في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م، يرى أن وصول "خير الدين بريروس" إلى ميناء القل حوالي سنة 926هـ/1520م، كان بداية دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة تلقائيا، بحكم أن الميناء كان شريان الحياة بالنسبة لتجارة المدينة[3]، في حين يرى اللنبيري[4]، أن مجيء الأتراك إلى قسنطينة واستقرار حكمهم بها، كان بعد وفاة الأمير أبي عبيد الله محمد بن الحسن الحفصي في عام 932هـ/1525م[5]، وهناك رأي آخر يرجح أن دخول الأتراك إلى المدينة يعود لسنة 935هـ/1528م، وهذا استنادا على وثيقة مؤرخة بهذه السنة وهي تقرير حول مدينة قسنطينة كتبه أعيان المدينة، جاء فيها أن الأتراك قد أتلفوا البساتين التي كانت موجودة بموضع الحامة، بعد المعارك التي دارت بينهم وبين أهل قسنطينة، ثم تذكر الوثيقة أن الوالي الحفصي، جاء إلى المدينة وأعاد الحياة إلى بساتينها من جديد، مما يعني أن محاولة الأتراك قد بائت بالفشل وأن المدينة عادت مرة أخرى إلى الحاضرة الحفصية، غير أن "خير الدين بربروس"، أرسل إليها قائده "قارة حسن"، الذي أعادها لحظيرة الحكم العثماني[6]، وفي سنة

---

[1] –محمد المهدي بن علي الشغيب، **مصدر سابق**، ص 52.

[2] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 115.

[3] –جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة**، مرجع سابق، ص 110.

[4] – يعود أصل عائلته إلى اليونان أما هو فقد نشأ بتونس، ثم جاء إلى مدينة قسنطينة وعمل بالإدارة الفرنسية موظفا بالمحكمة المدنية وله أبحاث عن قسنطينة في العهد العثماني. ينظر: محمد المهدي بن علي الشغيب، **مصدر سابق**، ص 87–92.

[5]– محمد المهدي بن علي الشغيب، **نفسه**، ص87– 92.

[6]– جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة**، مرجع سابق، ص 111–112.

940هـ/1534م حين توفى الوالي الحفصي "حسن بن علي"، استغل الأتراك هذا الوضع فأقاموا حامية على مشارف المدينة لفرض السيطرة عليها[1].

وبعد سيطرة الأتراك على معظم المدن الساحلية الجزائرية، وصل نفوذهم إلى مدينة قسنطينة، وذلك بدعوة من الأهالي لمساعدتهم ضد التحرشات الأوروبية[2]، وقد كانت الأوضاع الداخلية للمدينة غير مستقرة على رأي واحد، فقد كان السكان منقسمين على أنفسهم إلى فريقين؛ أحدهما باقي على ولائه للحفصيين أمراء تونس الأقدمين، وآخر موالي للأتراك الوافدين حديثا على البلاد، وظل الخلاف على أشده بين سكان المدينة ما يقارب العشرين سنة، من عهد خير الدين إلى غاية أيام حفيده الباشا محمد بن صالح رايس[3] (974هـ-975هـ/1566م-1567م)، وبعد أن استقر الأمر للعثمانيين الأتراك بتونس، حوّلوا نظرتهم إلى عاصمة الشرق محاولين اقتحامها مع بقية المدن الأخرى، إلا أنهم تفاجئوا وهم يحاولون اجتياح حصانتها بمقاومة شعبية في منتهى الشراسة مما أجبرهم على التراجع والاكتفاء بضرب الحصار الطويل[4].

إن تأخر تعيين قسنطينة عاصمة بايلك[5] الشرق دون غيره من البايلكات الأخرى هو دليل على عدم استقرار التواجد العثماني بالمدينة ، وأنها كانت تعيش في مرحلة أخذ ورد بين الأتراك والحفصيين، ولم تنتهي هذه المرحلة إلا بعد مقتل شيخ الإسلام "ابن عبد المؤمن"[6]، الذي ظل وفيا للحفصيين، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الاستقرار الفعلي للأتراك العثمانيين بمدينة

---

[1]-Ernest Mercier, **Histoire de Constantine**, Op-cit, p192.

[2] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 79-80.

[3] – محمد الهادي بن شغيب، **أم الحواضر**، ج1، مصدر سابق، ص 127.

[4] – أحمد ابن المبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 49.

[5] – كلمة تركية تعني اللواء أو الإمارة، وأطلقت هذه الكلمة على الأقاليم الكبرى في الجزائر في الفترة العثمانية. للاطلاع أكثر ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة**، مرجع سابق، ص 10.

[6] –ينتمي إلى إحدى الأسر الشريفة التي قدمت من المغرب الأقصى لتستقر منذ القرن 8هـ/14م بمدينة قسنطينة، حيث وجدت من سكانها ومن الحكام الحفصيين كل الاحترام، وقد منحها هؤلاء منصب" شيخ الإسلام" وهو أعلى منصب ديني بالمدينة ومنصب ركب الحج، وقد يقي هذان المنصبان متوارثان في الأسرة حتى نهاية العهد الحفصي. ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية**، مرجع سابق، ص 107.

قسنطينة، كان بداية من سنة 975هـ/1567م، وقد كان هذا نتيجة العديد من المحاولات التي دامت حوالي نصف قرن من الزمن (923هـ-975هـ/1517م-1567م)[1]، وفي هذه السنة سافر "عبد الكريم الفكون"[2] برفقة المفتي "عبد اللطيف المسبح"[3]، وعدد من مشايخ المدينة إلى مدينة الجزائر لملاقاة الباشا "محمد بن صالح رايس"، ولكن أثناء ذلك بلغهم هجوم سكان قسنطينة على الأتراك ففروا من الجزائر، وبعث الباشا في طلبهم وبعد أن علم حسن نواياهم وعفا عنهم وأكرمهم وأخذهم معه في حملة تأديبية قادته إلى قسنطينة، وتم على إثرها فتح المدينة دون قتال وعين عليها "رمضان شولاق باي"[4] أول باي ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مدينة قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق[5].

وعلى هذا الأساس يتضح أن التواجد العثماني بمدينة قسنطينة، كان أول الأمر في شكل حامية عسكرية يرأسها قائد، وبعد استحداث نظام البايلك صارت المدينة عاصمة الشرق بداية من سنة 975هـ/1567م، وقد كانت حدود هذا البايلك تمتد من البحر شمالا، ووادي الصمار[6] غربا والذي يعرف بوادي بني منصور وبني عباس، وتصل حدوده الغربية إلى برج حمزة (البويرة حاليا)،

---

[1] -عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص122.

[2] -هو الشيخ عبد الكريم بن محمد الفكون، توفي سنة 1073هـ، وله عدة تأليف وعائلة الفكون أو الفقون من البيوتات العلمية العديدة في مدينة قسنطينة والتي لعبت أدوارا هامة في المدينة. ينظر: سليمان الصيد، **نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار**، د. ط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 17.

[3] -هو أبو محمد عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني الجزائري كان مفتيا بقسنطينة، ومدرسا للفقه. للاطلاع أكثر ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهدايا، **مصدر سابق**، ص 76.

[4] -أول باي تولى إدارة بايلك الشرق، حكم بين سنتي (975هـ-982هـ/1567م-1574م)، وقد كان ممن شاركوا في الهجوم الذي قام به العلج علي في سنة 975هـ/1567م على حاكم تونس الحفصي الذي حالف الإسبان. ينظر: عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 123.

[5] - محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة**، طبعة مصححة، تق: يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 43-44.

[6] -يأخذ مجراه من أعالي برج حمزة، وترفده أودية كثيرة من جرجرة، وتختلف تسميته حسب الجهات التي يمر بها، فهو يدعى في أعالي قرية بني منصور بوادي بني منصور، ثم يغير اسمه إلى وادي بني عباس، وأقبو وبني وغليس وتازمالت، وفي الأخير يحمل اسم وادي الصمار، نسبة إلى النبات المعروف بهذا الاسم. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 324.

ومن الجنوب يتوغل في الصحراء ليصل إلى ورقلة وتوقرت، ومن الشرق إقليم تونس حيث حدود وادي صرات[1]، حتى يلتقي بوادي مرجانة، وإلى الجنوب من وادي صرات يستمر الإقليم ليصل إلى بلاد الجريد[2]، وانطلاقا من سنة 1567م ومع تعيين أول باي على المدينة وإلى غاية 1791م، عرفت المدينة إنشاء وتكوين البايلك وتنظيمه إداريا، واستقرت بها عدة حاميات في المناطق الاستراتيجية للإقليم[3].

كان الحكم العثماني في مدينة قسنطينة ملازما لازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، بالإضافة للتطور العمراني الذي عرفته المدينة، وخاصة في عهد "صالح باي" (1185هـ-1207هـ/1771م-1792م)، وأصبحت خلال هذه الفترة المدينة الثانية بعد دار السلطان، فهي عاصمة البايلك الممتدة على رقعة شاسعة من شواطئ البحر شمالا إلى صحراء الزيبان جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا، وقد استمر الحكم العثماني للمدينة أكثر من ثلاث قرون من الزمن[4]، ودخلت المدينة مرحلة من الازدهار الاقتصادي والفكري، كان العلامة البارزة في تاريخ التواجد العثماني بهذه الديار، خاصة خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري السابع عشر والثامن عشر الميلادي[5].

ثم تأتي المرحلة الثالثة من نهاية فترة حكم "صالح باي"، إلى تاريخ الاحتلال الفرنسي (1792م-1833م)، وهي بداية الضعف على مستوى البايلك، وعلى مستوى الحكم المركزي

---

[1] – هو الواد الفاصل بين الإيالتين، على إثر معاهدة ضبط الحدود عام 1617م، يتجه نحو الجنوب الغربي لإيالة تونس ويبعد بعشرين كلم عن واد نيقرو. للاطلاع أكثر ينظر: حسام صورية، **(العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، عبد المجيد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م، ص 10.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث**، مرجع سابق، ص 324.

[3] -Mouloud Gaid, chronique des Bays de Constantine office publication univarsitaire 1975, p5.

[4] –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 79.

[5] – أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 53.

وذلك بسبب الممارسات السيئة، وإنهاك كاهل السكان بالضرائب وظهور الثورات والتمردات المحلية، ثم تدخل مرحلة الاحتلال الفرنسي وسقوط المدينة[1].

8.3. الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة (1252هـ-1253هـ/1836م-1837م):

سقطت مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي يوم الخامس من شهر جويلية سنة 1830م، واستسلمت الحامية العثمانية وعلى رأسها "الداي حسين"[2] للجيش الفرنسي، وهذا بعد معارك غير متكافئة، شاركت فيها الحامية القسنطينية بقيادة الحاج أحمد[3] باي قسنطينة[4] والذي جاء للعاصمة لتقديم اللازمة أو ما يعرف بالدنوش[5] للمرة الثانية كحاكم لبايلك الشرق، وقد صادف ذلك نزول الحملة الفرنسية في سيدي فرج، فطلب "حسين داي" من "أحمد باي" الالتحاق بمنطقة الحملة بعد أن زوده بمدفع على غرار بقية قادة الجيش[6]، وبعد سقوط المدينة على يد "دوبرمون" De Bourmont"[7] قائد الحملة العسكرية على الجزائر، عاد الحاج أحمد على إثر الهزيمة إلى مقر حكمه، يجر معه مرارة الحزن والأسى، لانتصار النصارى على المسلمين وسقوط عاصمة البلاد

---

[1] -Mouloud Gaid, **op cit**، p 5-6

[2] –هو آخر الدايات، تولى الحكم سنة 1818م، كان رجلا عالما وشجاعا حكيما، وقعت في عهده حادثة المروحة والحصار سنة 1827م، ثم الاحتلال سنة 1830م، أكبر خطأ ارتكبه هو سماعه للواشين في قضية يحيى آغا الذي كان أكبر قائد عسكري عرفته الإيالة. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة، لمحة تاريخية واحصائية حول إيالة الجزائر**، تق، محمد العربي الزبيري، د. ط، وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 146.

[3] –هو الحاج أحمد بن محمد الشريف وحفيد الباي أحمد القلي، وأمه رقية من أسرة بن قانة الصحراوية، وهو آخر بايات إقليم الشرق. للاطلاع أكثر ينظر: أحمد باي، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، تر: محمد العربي الزبيري، د. ط، منشورات السهل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 7.

[4] – عبد العزيز الفلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 97.

[5]– هي رحلة تقليدية للبايات كل ثلاث سنوات للجزائر العاصمة من أجل إعطاء تقرير عام عن حالة البايلك، وتجديد الولاء لباشا الجزائر مع دفع اللزمة أو الالتزام المالي الذي يصحبه معه الباي للباشا والخزينة العامة. ينظر: إبراهيم مياسي، **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 102.

[6] –علي خلاصي، **قسنطينة مدينة الجسور**، مرجع سابق، ص 245-246.

[7] –هو لويس أوجست فيكتور دي شاز، ولد في 2 سبتمبر 1773م، وتوفي سنة 1846م، كان من جنرالات الإمبراطورية، ثم أنظم إلى لويس الثامن عشر الميلادي، وهو قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، وهو الذي وقع معاهد الاستسلام، وأول من نكث العهد الذي عقده مع الجزائريين باسم الأمة الفرنسية. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، **مصدر سابق**، ص 64.

في أيديهم[1]، وفور عودته إلى قسنطينة أخذ يعد العدة فحصن المدينة ورمم أسوارها وزودها بالجنود والرجال والعتاد والمؤن استعدادا لأي هجوم قد يقع من الفرنسيين،[2]. وجمع الحاج أحمد باي كل أنصاره من الأتراك الذين قدموا معه من الجزائر العاصمة، قصد إعداد جيش قوي يمكن أن يعتمد عليه، كما عمل بجدية على تحصين عاصمته قسنطينة، حيث قام ببناء ثكنات جديدة مستوعبا بها جنودا من الجزائريين، ثم نصب نفسه باشا كخليفة "للداي حسين"، وفي هذه الظروف أثبت الحاج أحمد باي جدارته في الداخل والخارج، كما أعطى مثلا رائعا في استقامته وقدرته على إدارة شؤون بايلكه، فلم يكن يمنعه أو يرده عائق قصد تحقيق مبتغاه[3].

لقد اعترف القادة الفرنسيون بجدارة "أحمد باي" التي أبداها أثناء الدفاع عن مدينة الجزائر، فحاولوا إقامة علاقات معه، فأرسل له قائد الحملة "دي بورمون""De Bourmont" رسالة عاجلة تنص على مطالبته بالاستسلام والاعتراف بالسيادة الفرنسية على الجزائر، مقابل بقائه في منصبه ودفع اللزمة مثلما كان يفعل في السابق مع "الداي حسين"، ولكن الباي بعد تشاوره مع بعض الشخصيات المرافقة له أجاب قائد الحملة، بأنه أخذ سلطته من داي الجزائر، وبتزكية من سكان قسنطينة، ولا يمكنه اتخاذ أي قرار دون استشارة مجلسها[4].

1.8.3. الحملة الفرنسية الأولى (1252هـ/1836م):

اقترح "كلوزيل"[5]"Clauzel"في شهر جويلية سنة 1836م على حكومة باريس توسيع المنطقة المحتلة وارسال حملة للاستيلاء على قسنطينة، وكان يفكر في إرسال حملات عسكرية إلى

---

[1] – عبد العزيز الفلالي ومحمد الهادي، **مرجع سابق**، ص 97.

[2] – **مرجع نفسه**، ص97.

[3] –صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826م–1850م**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 59.

[4] –بوعزة بوضرساية، **الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم(1830م–1848م)**، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 127–128.

[5] –ولد عام 1772م بمدينة أرباج الفرنسية، وتوفي بعد ذلك بسبعين سنة، تولى منصب حاكم عام للجزائر مرتين، وحصل على رتبة ماريشال، وارتكب أبشع الجرائم، ثم استبدل بدام ريمون يوم 12 فيفري1837م. ينظر: Faucon, Narcisse, **Le livre d'or de l'Algérie**, T1, Challamel éditeurs, Paris,1889,p20.

المناطق الداخلية لاحتلال المدن الكبيرة بشكل دائم وترك حاميات فيها، وإقامة معسكرات ومواقع حصينة في النقط العسكرية الهامة، وقد جاء هذا المشروع وخاصة أن الفرنسيين كانوا قد وصلوا إلى مدينة عنابة[1]، وقد علم الحاج "أحمد باي" بالاستعدادات الكبرى التي تجري في مدينة عنابة حيث كان له حراس وجواسيس، غير أنه لم يكن يعلم بالضبط ما هو الغرض منها، وأرسل سرا إلى عنابة أين أخبروه بالغرض الحقيقي، وأن الفرنسيين يستعدون لمهاجمة قسنطينة وإبعاده من الحكم وإعلان "يوسف الملوك"[2] بايا مكانه على المدينة[3].

أوكلت الحملة الأولى لاحتلال مدينة قسنطينة إلى الجنرال "كلوزيل" " Clauzel "والذي كان يعتقد أن عملية الاحتلال ستتم بسهولة وبوسائل بسيطة ومحدودة، لأنه كان يستضعف الطاقات العسكرية لأحمد باي، كما كان يعتقد أن السكان ناقمين على حاكمهم ويكرهونه لأنه طاغية، وبالتالي سيحسنون استقبال القوات الفرنسية، وهو ما شجعه على احتلال المدينة وافتكاكها من يد أحمد باي[4].

كان الحاج "أحمد باي" يعلم كل تحركات الجيوش الفرنسية ويتابعها عن كثب وبدقة، ولما تأكد من انطلاقها نحوه شرع في تنفيذ خطته الدفاعية، وهو يدرك أنها مجهزة بأسلحة أفضل من الأسلحة المتوفرة لديه، وأنها متمرسة على القتال أحسن من أفراد جيشه الذي شكله على عجل[5]،

---

[1] –جلال يحيى، **تاريخ المغرب الكبير –العصور الحديثة وهجوم الاستعمار–**، ج3، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 151.

[2] – كان أسيرا لدى باي تونس ثم فر إلى مدينة عنابة بعد ارتكابه جرما كبيرا، والتحق بالجيش الفرنسي ولعب دورا كبيرا في احتلال مدينة قسنطينة: ينظر: أحمد باي، مذكرات، **مصدر سابق**، ص 32–33.

[3]– أحمد باي، **مذكرات**، نفسه، ص 34.

[4] –أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية (1830م–1900)**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 66.

[5] –محمد العربي الزبيري، **مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية**، ط1، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2014، ص 164.

وهو يتشكل من حامية تتكون من ألف جندي تحت قيادة "ابن عيسى"[1]، ونصب على الأسوار ثلاثون مدفعا[2]، وعلى الرغم من عدم توازن القوة العسكرية بين الطرفين، إلا أنه صمم على مواصلة مسيرة المقاومة معتمدا بالدرجة الأولى على الأهالي، لأنه رأى فيهم العزيمة والإيمان القوي لطرد الاستعمار الأجنبي، فكانت سنة 1836م المؤشر الأول لبداية هذه الحرب بين الطرفين[3].

لقد حاول الجيش الفرنسي اقتحام أسوار المدينة وأبوابها بأسلحته المتطورة، لكن قوات" ابن عيسى" من الداخل كانت بالمرصاد، وكذلك هجومات "أحمد باي" خلف الخطوط زعزعت تماسك الجيش الفرنسي وأربكته مما جعله يتراجع، وألحق الحاج "أحمد باي" الهزيمة بالجيش الفرنسي وتكبد خسائر فادحة[4]، وفي يوم 23 نوفمبر 1836م وقعت الهزيمة النكراء وشرعت الجيوش الفرنسية في الانسحاب تاركة وراءها الأسلحة والذخيرة والجرحى وعددا كبيرا من العربات المشحونة بالمؤن المختلفة، وكل ما يحتاج إليه الجيش الفرنسي من تجهيزات، ولكن نظرة المارشال "كلوزيل" " Clauzel "للهزيمة كانت مغايرة إذ اعتبرها مجرد كبوة، وما كانت لتحدث لولا الظروف الطبيعية[5]، أما على الجانب القسنطيني فقد كان لهذا الانتصار صدى واسع النطاق، بحيث ارتفع حماس المقاومين الجزائريين في أرض الوطن، كما كان لها تأثير قوي في كل من تونس و اسطنبول[6].

---

1 – ولد عام 1782م بقبيلة بني فرقان، وكان مقربا من الحاج أحمد باي، حيث أسند له مهام تجارية بتونس، ثم رقاه إلى منصب باشا الحامية، أي قائد للجيش، وقد شارك أحمد باي في مواجهة الاحتلال الفرنسي في الحملتين الأولى والثانية على قسنطينة (1836م–1837م). مختار هواري، **(سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837م–1870م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008–2009، ص 30.

2 –أحمد باي، **مذكرات**، مصدر سابق، ص 52.

3 –بوضرساية بوعزة، **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري**، مرجع سابق، ص 139.

4 –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 99–100.

5 –محمد العربي الزبيري، **مقاومة أحمد باي**، مرجع سابق، ص 166–167.

6 –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 100.

2.8.3. الحملة الفرنسية الثانية وسقوط المدينة سنة(1253هـ/1837م):

لم تستسغ الحكومة الفرنسية الهزيمة أمام أسوار مدينة قسنطينة، ولم تكتفي بالإجراءات الإدارية والتي من جملتها عزل المارشال" كلوزيل"Clauzel"، ولذلك أمرت الحاكم العام الجديد بالتفكير جديا في تنظيم حملة ثانية تنتهي بالاستيلاء على عاصمة الشرق، ولكن هذه المرة وفق استراتيجية تأخذ في الاعتبار توزيع الجيوش الفرنسية على محاور مختلفة، مع ضرورة الاعتماد على الأسلوب الدبلوماسي، حتى تستطيع التفرد بكل محور على حدا والسعي بكل الحيل لمنع الالتحام بين جيشي المقاومة في غرب البلاد وشرقها[1].

أدرك "أحمد باي" أن الفرنسيين لن يتأخروا في أن يتداركوا خطأهم، ولذلك اتخذ احتياطاته لمقاومتهم بشدة أكثر في حالة ما إذا قاموا بمحاولة ثانية لإسقاط المدينة، فأمر بإصلاح عربات المدفع وإقامة تحصينات جديدة وتقوية التحصينات القديمة، وتحصين المدينة بصفة عامة قدر المستطاع[2]، واتبع الخطة ذاتها التي استعملها ضد الفرنسيين في حملتهم الأولى سنة 1836م، بعد أن جمع ديوانه وأعيان المدينة ورؤساء القبائل لاطلاعهم على خطورة الأمر، وطلب منهم تزويده بالرجال والفرسان، فاجتمعت كلمتهم على المقاومة والإعداد لها، واستنفرت القبائل من كل ناحية، قبائل الحنانشة والحراكتة[3] والتلاغمة وفرجيوة وزاغة وأولاد عبد النور ومجانة والأوراس وسكيكدة وجيجل والقل وشيخ العرب ابن قانة[4]، وقد نسيت هذه القبائل خلافاتها مع الحاج "أحمد باي" ووحدوا قوتهم لضرب العدو[5].

---

[1] –محمد العربي الزبيري، **مقاومة الحاج أحمد باي**، مرجع سابق، ص 179.

[2] –فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 61.

[3] – من القبائل التي تقع في الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، وهي من القبائل المتنقلة التي لها مكانة كبيرة، وكانت ترفض للرضوخ للسلطتين التونسية والجزائرية، ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية**، مرجع سابق، ص 133.

[4] – هو لقب عرف به من حكم صحراء بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية والتي عرفت في الفترة الاستعمارية بالجنوب القسنطيني واشتهر بهذا اللقب كل من عائلتي بوعكاز وبن قانة، ينظر: مختار هواري، سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837م–1870م، مرجع سابق، ص 9.

[5] –عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 102.

أما الاستعدادات الفرنسية هذه المرة فقد أحيطت بعناية كبيرة، ونقلت القوات المسلحة إلى الشرق الجزائري وكانت أكثر تنظيما وأحسن تأطيرا وأوفر عدة وعددا، وضمت من بين قادتها أفضل التقنيين وأشهرهم[1]، "فالمريشال كلوزيل" Clauzel "الذي لم يحقق طموحه في الاستيلاء على مدينة قسنطينة، تم عزله على إثر الهزيمة الأولى، وعين مكانه الجنرال "داmريمون"[2] "Damrémont"، وكان هذا الأخير قد استعد للحملة جيدا، وبلغت القوات المسلحة هذه المرة حوالي 204 ألف جندي معززة بمدفعية كافية ومؤونة احتياطية، وقد تجمع الجيش في منطقة "مجاز عمار" بقالمة، وتقدم نحو مدينة قسنطينة ونصب مدفعيته، واستمرت الجيوش الفرنسية سائرة إلى أن وصلت قرب المدينة، أين بدأ القتال بين الطرفين، واستمرت المعارك بتقدم العدو، وضربت المدافع الجزائرية قائد الحملة "دامريمون" Damrémont "وسقط قتيلا[3]، ثم واصل القتال بعده الجنيرال "فالي" Valée"[4] والذي أحدث ثغرة في أسوار المدينة، وهو ما ساعده على دخولها والاستيلاء عليها يوم 13 أكتوبر 1837م[5].

وبعد سقوط المدينة دخلت المقاومة في الشرق الجزائري مرحلة جديدة تتمثل في انتقال الباي من قبيلة إلى أخرى ومن منطقة إلى منطقة أخرى، وهو يدرك أن هذه المرحلة لا يمكن الاعتماد

---

[1] –محمد العربي الزبيري، **مقاومة أحمد باي**، مرجع سابق، ص 185.

[2] –هو شارل ماري دونيس دامريمون، ولد بشومون في 8 فيفري 1783م، ترقى في مناصب عدة بالجيش الفرنسي شارك في حملة على بونة في 21 جويلية 1830م، عين حاكما عاما على الجزائر يعد 1835م، قتل بعد دخول قسنطينة في 12 أكتوبر 1837م. ينظر مختار هواري، **نماذج من القمع الإداري الاستعماري اتجاه القبائل في الجنوب القسنطيني 1871م–1916م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016–2017، ص 36.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية ج1**، مرجع سابق، ص 65.

[4] – سياسي وعسكري، ارتبط تاريخه بحصار مدينة قسنطينة سنة 1837م، ولد في 17 ديسمبر بفرنسا، كان يحمل رتبة الماريشال وهي أعلى الرتب العسكرية في الجيش الفرنسي، وقاد سلاح المدفعية والهندسة في الحملة الثانية على قسنطينة، وتوفي يوم 16 أوت 1846م بباريس. ينظر: أحمد سيساوي، **(البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838م–1871م)**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2، 2013–2014، ص 45–46.

[5] –فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 62.

عليها لطرد قوات الاحتلال أو حتى لاسترجاع بعض المراكز المحتلة حديثا، وعلى الرغم من ذلك ظل يواصل مقاومته[1]، واتخذت المقاومة في قسنطينة أشكالا مختلفة وظلت قائمة لمدة قرن ونصف من الزمن تحاول القضاء على الاحتلال، وتحمل لواء المعارضة وظل أهل قسنطينة أوفياء لمبادئهم ولغتهم ومقوماتهم[2].

أما الباي فقد انسحب إلى الجنوب بفرسانه ورابط هناك ما يزيد عن ثلاثة عشر سنة في محاولة للعودة إلى قسنطينة وطرد الاستعمار منها[3]، وقد ترتب عن سقوط المدينة في قبضة العدو الفرنسي فوضى عارمة بالبلاد، وتدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وقدر "فالي" الخسائر في الجيوش الفرنسية بمائة قتيل و500 جريح[4]، وبعد السيطرة على المدينة، عمد الجنرال "فالي" إلى المحافظة على الوضع الرهن، أي أبقى على شكل الإدارة التركية متبعا سياسة الحماية؛ حيث تكون فيها إدارة الأهالي من طرف الأهالي، لكن تحت وصاية السلطة العسكرية الفرنسية، وعينت السلطات الفرنسية حاكما عربيا عليها يكون تحت حكمها، وأصبحت قسنطينة بعد ذلك مركز القيادة العليا للقاعدة الشرقية لتصبح سنة 1848م مقاطعة من المقاطعات الجزائرية الخاضعة للحكم الفرنسي[5].

ومن خلال هذا العرض نخلص إلى أن الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة وفاعلية موضعها الطبيعي، استطاع استيعاب التطور العمراني والسكاني المتزايد عبر مختلف العصور، وجعلها تؤدي أدوارا مميزة في مختلف الجوانب منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ولكل فترة من هذه الفترات مميزات وخصائص غيرت المدينة حسب متطلبات الوضع السياسي والاقتصادي وطبيعة الحكم، وتعرضت المدينة عبر مراحل تاريخها إلى أحداث كثيرة وتغيرات في جميع جوانبها السياسية

---

[1] -محمد العربي الزبيري، **مقاومة أحمد باي**، مرجع سابق، ص 193.

[2] -عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص105-107.

[3] - **مرجع نفسه**، ص 104.

[4] -صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة**، مرجع سابق، ص 71.

[5] -صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844م-1871م**، د. ط، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر)، 2006، ص 15.

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بداية من العهد النوميدي، ثم الاحتلال الروماني والوندال والبيزنطي، حتى دخلت المدينة مرحلة أخرى على إثر الفتوحات الإسلامية في المنطقة وأصبحت خلالها من أهم حواضر بلاد المغرب، وحافظت المدينة على مكانتها خلال العهد العثماني وذاع صيتها كعاصمة لبايلك الشرق الجزائري، إلى غاية سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1837م.

الفصل الأول

الفئات الاجتماعية في فضاء مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

1. الفئات الحاكمة.
2. الأعيان والأثرياء
3. العلماء والأشراف
4. اليهود والمسيحيين
5. البرانية
6. مكانة البرانية في مجتمع مدينة قسنطينة

إن دراسة موضوع "التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م"، يتوجب علينا أولا التعرف على الفئات الاجتماعية التي سكنت داخل فضاء المدينة أواخر العهد العثماني، وكيف ساهموا باختلاف أعراقهم ومستوياتهم في البناء الاجتماعي، حيث عرف المجتمع القسنطيني خلال القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر الميلادي تحولات عميقة ساهمت في تحديد معالم البنية الاجتماعية المشكلة للمجتمع آنذاك، كما عكست لنا وثائق المحاكم الشرعية وسجل صالح باي للأوقاف وسجل الوفيات طبيعة هذه التحولات، ووفرت لنا مادة خصبة لتناول موضوح المجتمع والعمران في المدينة، وللتعرف على المستوى الاجتماعي اقتضى الأمر التعرف على الطبيعة التاريخية لهذا المجتمع وأهم فئاته.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نطرح الإشكال التالي: من سكن مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني؟

تميز سكان المدن الجزائرية في العهد العثماني بالتنوع الشديد، فهي تضم عناصر عرقية ودينية مغايرة تماما لسكان الريف[1]، ولا تختلف البنيات الاجتماعية في المدن اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى، بل أنها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان سواء في الشرق أو الغرب في الشمال أو الجنوب، وتعد الأسرة الخلية الأساسية والحية التي تساهم في تكوين الجماعات وتوسيعها[2]. وإذا حاولنا تصنيف سكان مدينة قسنطينة حسب أصولهم فإننا نجد أربع مجموعات عرقية متمايزة هي؛ القبائل والعرب والترك واليهود، بالإضافة إلى هذه الفئات كان هناك كثير من الزنوج والأسرى المسيحيين الذين يسخرون في الأعمال المختلفة، أو يخضعون إلى حرس الباي وجيشه، وعاشت هذه الفئات في ظل هدوء نسبي فيما بينها بفضل تحالفهم؛ وخاصة عندما

[1] –أندري ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 55.

[2] –محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 45.

يداهمهم الخطر المشترك[1]، أما على أساس العرق فإن المجتمع القسنطيني والذي هو جزء من المجتمع الجزائري، فقد كان متباين الأصول فهو يتألف من الأهالي والأتراك والكراغلة الذين كان بيدهم سلطة البلاد ولهم امتيازات لم تكن لغيرهم، وقد تجمعت في يدهم ثروة البلاد، بالإضافة لطبقة اليهود التي كانت تنافس الأتراك في الثراء وقد تفوق ثروتهم في بعض الأحيان ثروة الداي نفسه، بالإضافة إلى طبقة المهاجرين الأندلسيين وفئة البرانية والمسيحيين وطبقة الزنوج[2].

يعكس التركيب الاجتماعي للمدينة التنوع العرقي من حيث الأصول والخلفيات لمجموع السكان[3]، فتعدد الفئات الاجتماعية والعرقية في الوسط الحضري يمكن أن يجعل صورة المدينة أكثر تعقيدا وتميزا[4]، وسوف نحاول من خلال هذا الفصل التعرف على هذه الفئات وأهم مميزاتها.

1.**الفئات الحاكمة:** شكلت الفئات الحاكمة في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني طبقة مميزة وثرية تتكون من الأتراك والكراغلة التي كانت بيدها سلطة البايلك.

1.1. الأتراك

شكل العنصر التركي أساسا للمجتمع القسنطيني فكيف أتوا إلى المدينة؟ وأين استقروا؟ وماذا قدموا كإضافة للمدينة والمجتمع القسنطيني؟

ينتمي الأتراك إلى شعب أصيل متميز عن غيره من الشعوب، اختلطوا مع مرور الزمن بالسكان الأصليين أو الأهالي، ولولا روافد المجندين الجدد من الدولة العثمانية الذين كانوا يصلون إلى البلد باستمرار لا اندمج الأتراك مع سكان الجزائر، وقد حافظوا بدقة على تعاليم الشريعة الإسلامي وكانوا يتحدثون اللغة التركية وهي اللغة المستعملة في الإدارة الحكومية[5]، وشكلت هذه

---

[1] –عبد العزيز فيلالي والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 85-86.

[2] –علي عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 258.

[3] –وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، د. ط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص97.

[4] - Isabelle Grangoud, **La ville imprenable une histoire sociale de Constantine au 18ème siècle,** Media plus Algeria, p 37.

[5] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 10.

العناصر طائفة حضرية لا يستهان بها في المجال السياسي والاقتصادي، حيث كانت لهم في المدن الجزائرية علاقات مهمة مع باقي العناصر السكانية[1]؛ وتذكر الأستاذة فاطمة الزهراء قشي أنه لولا وجود بعض التأثيرات التركية أو العثمانية على الأسماء، ولولا معرفتنا لطبيعة الحكم العثماني للجزائر في الفترة المدروسة لما انتبهنا لوجود بعض العناصر من الأتراك والإنكشارية[2] لقلتهم في الوثائق[3]، وترجع قلة العنصر التركي رغم طول مدة مكوثهم واستقرارهم بالمدن الجزائرية والتجائهم إلى جلب أعداد من الأتراك من حين لأخر إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش الإنكشاري، أما عزلة الطائفة التركية فتعود إلى رغبة هؤلاء في الاحتفاظ بامتيازاتهم، حيث امتنع جل الموظفين الكبار عن الزواج بالجزائريات؛ وبالمقابل نجد بعض الجزائريين دفعوا حياتهم ثمنا لمصاهرة الأتراك[4]، ويظهر تمازج العناصر التركية مع عناصر مجتمع مدينة قسنطينة، من خلال ظهورهم في مختلف الوثائق تحت تسميات مختلفة منها الإنجشاري والعسكري وبنسبة قليلة باسم الكريتلي، أو القريتلي نسبة إلى جزيرة كريت، وقد رصدنا من خلال وثائق عينة الدراسة(350) وثيقة في إحدى العقود نسب القريتلي "...**في أول ربيع الثاني طلق حسين بن حسن القريتلي فاطمة بنت إسماعيل الساحلي...**"[5]، وعقد أخر من السجل الخامس وثيقة 324 المؤرخة في شهر شعبان عام 1228هـ تذكر"...**طلاق مصطفى بن إبراهيم الإنجشاري زوجته بية بنت حسان الكريتلي...**"، أما جل العقود الخاصة بالأتراك فكانت باسم الإنجشاري والعسكري،

1-Isabelle Grangoud, **Op-cit**, p 183.

[2] – لفظ تركي بمعنى العسكر الجديد في فرقة من فرق الجيش العثماني، وكان أفرادها يختارون من الشبان المسيحيين الذين ترسلهم المدن المسيحية الخاضعة للأتراك. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 50.

[3] –فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، **رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1419هـ/1998م، ص 204.

[4] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، ج4، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 93.

[5] **–وثائق المحاكم الشرعية، السجل الخامس، وثيقة517، أرشيف ولاية قسنطينة.**

حيث رصدت لنا وثائق عينة الدراسة من سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات لمدينة قسنطينة عقود زواج وطلاق ومعاملات مختلفة لهذه الفئة مع الفئات الأخرى، سواء من الحضر أو البرانية، وهو ما وثقه العقد المؤرخ عام 1234هـ في شهر محرم الحرام من السجل السادس "**الحمد لله وفيه تزوج مصطفى بن محمد الإنجشاري جغمومة بنت إبراهيم التونسي**..."[1].

مارست العناصر التركية في المدينة بالإضافة إلى المناصب الإدارية والعسكرية، بعض الأنشطة الأخرى حيث اشتغلوا في التجارة والورشات الحرفية وكعمال في مختلف المهن، فهم لا يحتقرون أي مهنة، كما عملوا في الحياكة وصناعة الأسلحة، وكانوا يبيعون الدجاج والعجول والأعلاف والفواكه والتبغ والغلايين، كما يبيعون المحاصيل الزراعية إذا كانت بحوزتهم الأرض المزروعة[2]، وقد رصدنا في وثائق عينة الدراسة أمثلة عن الحرف والصنائع التي مارسها أفراد الانكشارية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "...**حضر مصطفى الإنجشاري نسب الخراز حرفة**..."[3]، واتجه معظمهم إلى العمل في المقاهي لما كان يجنون منها من الأرباح، حيث عادة ما اقترن اسم الإنجشاري بالقهواجي[4]، كما ورد في بعض وثائق عينة الدراسة "...**حضر أحمد بن محمد الإنجشاري نسبا القهواجي حرفة الساكن بدار بن الأعور قرب سيدي بوعبد الله**..."[5]، كما نجد لهم مساهمات في الحياة الاقتصادية من خلال مشاركتهم في مختلف المعاملات من بيع شراء وكراء وهبات وغيرها، نذكر كمثال على ذلك عقد شراء "...**الحمد لله وفيه اشترى محمد المالوسي، بغلا من باكير الإنجشاري وأحمد اللوز وقبض كل واحد منهما ما يجب قبضه**..."[6].

---

[1] -**و. م. ش**، السجل 06، و85، أ. و. ق.

[2] -صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 547.

[3] -**سجل الوفيات**، و 18 م، ع 02، أ. و. ق.

[4] - لقب يطلق على صاحب مهنة تحضير وتوزيع القهوة. ينظر: مصطفى أحمد بن حموش، **فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 956هـ-1264هـ/1549م-1830م**، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي (الإمارات العربية المتحدة)، 1421هـ/2000م، ص 275.

[5] -**سجل الوفيات**، و17، ع 2، أ. و. ق.

[6] - **و. م. ش**، السجل 01، و12، أ. و. ق.

وعاشت العناصر التركية طوال تواجدها في عزلة ترجع أسبابها إلى رغبة الحكام الأتراك في المحافظة على امتيازاتهم، وميل غالبية العناصر إلى التمسك بعاداتها ولغتها وأسلوب عيشها ونمط حياتها، واعتبر الكثير منهم أنهم يكونون فئة مميزة تتفوق على باقي العناصر الأخرى[1]، كما شكلت فئة الإنكشارية غالبية فئة الأتراك، ويشترط الانضمام إلى هذه الفئة الجنسية التركية، كما تمتع آغا الإنكشارية بنفوذ كبير إذ لا أحد يستطيع توقيفه أو معاقبته حتى الباشا نفسه[2].

أما نواة الإنكشارية الأولى في الجزائر فقد تكونت من الجنود الذين أرسلتهم الدولة العثمانية إلى الجزائر، وكانت تشبه فرق الإنكشارية الموجودة بالدولة العثمانية، بالإضافة إلى المتطوعين والمجندين الذين سمحت لهم الدولة العثمانية بالانتقال للعمل بها، وعليه فإن العناصر التي شكلت الإنكشارية في الجزائر تختلف عن تلك العناصر التي شكلت إنكشارية الدولة العثمانية، حاولت العناصر الإنكشارية السيطرة على المناصب العسكرية، فرفضوا انضمام الفئات الأخرى لهم، لذلك ظل بقاء ونمو الإنكشارية مرهونا بالتجنيد من الأراضي العثمانية والذي عرف تراجعا خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلادي[3]، غير أن ذلك لم يمنع أفرادها من الاندماج والمصاهرة مع الفئات الأخرى سواء الحضر أو حتى البرانية، وهذا ما ترجمته عقود الزواج والطلاق وباقي المعاملات الأخرى، ونذكر في هذا الصدد عقد زواج "**الحمد لله وفي أواسطه تزوج أحمد بن محمود بن عبد الله الإنجشاري الزهراء بنت سي محمد بن عمر النجار...**"[4]، وكانت هذه عناصر تقيم وتستقر عادة في الحصون والثكنات العسكرية في المدن، أما خارجها فتتوزع على الحاميات التي بلغ عددها حوالي 15 حامية[5].

---

[1] –زوليخة إسماعيلي المولودة علواش، **تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ الى الاستقلال**، ط1، دار أنفو للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 319.

[2]-Fray Diego de Haedo, **Topographie et histoire d'Alger**, Trad de l'espagnole par MM le Dr Monnereau et Berbrugger en 1870. Imprimé à Valladolid en 1612. P57.

[3] – صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 474–475.

[4] – **و. م. ش**، السجل الخامس، و519، أ. و. ق.

[5] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، مرجع سابق، ص 92–93.

2.1. الكراغلة:

إن دخول الأتراك وتعيينهم بأعداد كبيرة في الوظائف العسكرية والإدارية أدى إلى إقامتهم بصفة دائمة ونهائية، فتأقلموا بالزواج من نساء من أهالي البلاد، وهو ما نتج عنه تكوين جاليات تقع في منتصف الطريق بين الطبقة الحاكمة والسكان والرعايا، كما عبر عنه أندري ريمون" André Raymond"[1]، وتكونت هذه الفئة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي بنساء البلاد سواء جزائريات أو أندلسيات أو تونسيات، وظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية، وهي الجزائر وقسنطينة وتلمسان و معسكر وعنابة[2]، فالكراغلة من أمهات جزائريات وأباءهم أتراكا وتمت ولادتهم بأرض الجزائر، وكان لهذا العنصر أول العهد العثماني وجاهة عظيمة وقدر رفيع، ولكن الحكومة التركية حاولت نزع الثقة منهم خوفا من منافستهم على الحكم، فأبعدتهم عن الأماكن الحساسة في سياستها فحولوا وجهة حياتهم إلى مهنتي التجارة والعلم[3]، وهم لا يتمتعون بحقوق أكثر مما يتمتع السكان فيما يتعلق بالمناصب، ولكن يمكنهم الترقي في البحرية، كما يمكنهم الوصول إلى منصب (القائد)[4] أو (الباي)، وهم يتميزون بلبس الملابس المطرزة بالذهب، كما يتمتعون ببعض الامتيازات مماثلة للأتراك[5]، وكان الكراغلة الذين تربطهم قرابة الدم يشبهون الأتراك في اللون والتربية[6]، وقد احتلت هذه الفئة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي نتيجة صلتهم

---

[1] – أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 41.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، د. ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 227-228.

[3] – محمد عبد الكريم، **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1972، ص 74.

[4] – هو لقب إداري يطلق على الذين يشرفون على إدارة الأوطان في الفضاءات الريفية، كما ارتبطوا بالجباية والحفاظ على الأمن وتسيير أملاك البايلك. للاطلاع أكثر ينظر: سعيد شريدي، **قياد الجزائر العثمانية دراسة في التاريخ الإداري للجزائر خلال مرحلة الحكم العثماني (ق16-ق19م)**، ط1، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج (الجزائر)، 1441هـ-2021، ص 8.

[5] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 56.

[6] – فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 96.

بالأتراك وعلاقاتهم الخاصة بالأهالي، فأصبحوا بعد فترة قصيرة يؤلفون فئة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة، وتشتغل في المهن وتستغل الملكيات الزراعية بالفحوص، وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية[1]، وقد شكلت هذه الفئة بالإضافة إلى العائلات الكبرى عنصرا مهما في النخبة التي تدير شؤون البايلك، وأهم امتياز تحصلوا عليه تمثل في إمكانية وصولهم إلى منصب الباي، وهي السلطة العليا في الحكومة الإقليمية، وقد تداول على حكم البايلك خمسة بايات معظمهم من الكراغلة ويذكر صالح العنتري أن العديد من الكراغلة الذين تولوا منصب الباي كانوا أكثرا حظا في بايلك الشرق مقارنة بالبايلكات الأخرى[2]، وقد انصهروا مع العائلات القسنطينية دون أن يكون لهم حي خاص بهم في المدينة، كما وجدت لهم نواة حتى في المدن الداخلية، فعامل الدين والمصاهرة وعامل الزمن جعل من هذه الفئة جزءا من أعيان الحضر والنخبة المالكة للثروة والعلم بالمدينة وإقليمها[3]، وتواجد الكراغلة هي ظاهرة انتشرت في العهد العثماني حتى خارج العواصم الكبرى، وقد استطاعت العائلات التركية والكرغلية أن تكون حوالي 5025 عائلة بمدينة قسنطينة[4]، ويذكر مارسييه Mercier" أن بعض العائلات الكرغلية انصهرت مع العائلات الكبرى وأصبحت من معالم المدينة مثل دار باش تارزي، وديار آل كوتشك علي، ودار ابن البجاوي[5].

1.2.1 أسرة البجاوي: هي أسرة محلية تعود أصولها إلى منطقة بجاية، وتؤكد بعض المراجع أن ابن البجاوي إنكشاري من أصل تركي واسمه الحقيقي "فرمان اليوناني" ولاستقراره الطويل في بجاية عرف بالبجاوي[6]، وقد وردت أسماء هذه العائلة في مختلف المعاملات في الوثائق الشرعية، نذكر

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 228.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 92–100.

[3] - Kamel Filial, **Les kuloughlis, essais d'histoire d'une version d'origine ottoman dont l'identité**, vol3, 1999, p78-79.

[4] – رياض بولحبال، **(أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة** وتحقيق)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009–2010، ص 32–33.

[5] - Ernest Mercier, **Historie de Constantine**, Op-cit, p 195-196.

[6] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 249.

منها تصريح من سجل الوفيات جاء فيه: "**الحمد لله...حضر المراني الساكن بدار المدافن...وذكر أن مملوكة الحاج محمد بن البجاوي المريضة بالبرد...هلكت...وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما حمد بن البجاوي...**"[1].

2.2.1 أسرة الباش تارزي: وهي من الأسر الكرغلية العريقة في مدينة قسنطينة، وقد جاء ذكر هذه العائلة في وثائق عينة الدراسة منها التصريح رقم 3 من سجل الوفيات وثيقة 88: "**الحمد لله...حضر السيد محمد بن الباش تارزي الساكن بداره يوم الثلاثاء من الشهر الثاني وقت الضحى وذكر أن مملوكته مرجانة المريضة بالبرد قد هلكت بالمرض المذكور...**".

وقد كان للشيخ باش تارزي زاوية مشهورة، تقع في حي الشارع، وهي تتبع الطريقة الرحمانية، أسسها عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي، المتوفي سنة 1221هـ/1806م، ولا تزال رفاته بزاويته هذه[2]، وقد ورد ذكر زاويته في الوثائق منها، "**الحمد لله...حضر سي محمد بن مصطفى الساكن بزاوية الشيخ باش تارزي...**"[3].

3.2.1 أسرة ابن كوجك أو كوشك: اسم ابن كوجك مركب من كلمة "كوجك" وتعني الصغير في التركية، مضافة إلى اسم علم علي، اشتهرت هذه العائلة بالعلم والوجاهة واحتلت مكانة كبيرة في عهد "صالح باي"[4]، حيث ورد في مخطوطه " **أنه لما جلس على ساير المملكة استوزرا العالم الأديب الشهيد محمد بن كوجك على وجعله باش كاتب**"[5]، كان يحرر الرسائل الأكثر أهمية لسياسة الباي، ويحتفظ بسجل المداخيل بكل أنواعها، النقد والخيول البغال الأبقار والأغنام وغيرها المحصلة من كامل الإقليم ويسجل خروجها[6]، ولم يقتصر دوره داخل أسوار المدينة، وإنما كان

---

[1] –**سجل الوفيات**، و91، ع3، أ. و. ق.

[2] – عبد القادر دحدوح، **الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي** 19، ص 1171.

[3] – **سجل الوفيات**، و95م، ع 1، أ. و. ق.

[4] –صرهودة يوسفي، "مكانة عائلة بن كوجك علي في بايلك الشرق أواخر الحكم العثماني من خلال الوثائق الأرشيفية،" **مجلة البحوث التاريخية**، مج 06، ع 02 ديسمبر 2022، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 468.

[5] – **مخطوط صالح باي، وثيقة 18، الأرشيف الوطني التونسي، تحت رقم 263.**

[6] –أوجين فايست، **تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية1517م-1837م**، تر: أحمد سيساوي، ط1، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص 23.

الباش كاتب يرافق الباي في رحلته إلى الجزائر حرصا منه على التدوين والتسجيل[1]، ولما مشى السيد محمد بن كوجك علي إلى الحجاز بقي مكانه السيد الحاج "أحسن جلول"[2].

غير أن مكانة العائلة قد تغيرت بمجرد وفاة "صالح باي"، حيث يذكر "الزياني" نكبة عائلة كوجك علي في كتابه (الترجمانة الكبرى) عند مروره بمدينة قسنطينة، أنه التقى مع السيد محمد بن كشك علي الكرغلي وهو الكاتب الأديب والخوجة[3] الكبير كان مع "صالح باي"، ولما تولى هذا ويقصد به الباي الجديد نكبه، وأخذ منه أموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى[4]، ورصدت لنا وثائق عينة الدراسة أسماء أفراد العائلة أواخر العهد العثماني، وهذا من خلال تصريح من سجل الوفيات المؤرخ سنة 1841م، تصريح رقم 3، وثيقة 83، "...**وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما السيد محمد...بن كجك علي الذي عمره ثمانون عاما الساكن بداره** ...".

وبالإضافة إلى هذه العائلات الشهيرة هناك بعض العائلات الأخرى التي قد تعود أصولها إلى الكراغلة نذكر منها عائلة شاوش، والتي ذكرت في الوثاق منها تصريح في سجل الوفيات شهر شوال وثيقة 65 تصريح رقم 1: "**الحمد لله...حضر حسين بن علي الحمار ...وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما... وثانيهما محمد بن عبد الله عتيق سي علاوة بن شاوش**..."

وعائلة دالي حسن والتي ذكرت في السجل السادس الوثيقة 2 المؤرخة في أواسط محرم عام 1232هـ، "**الحمد لله وفي أواسطه راجع محمد بن أحمد الإنجشاري علجية بنت الحاج محمد بن دالي حسن من طلقة أولى**..."، كذلك عائلة بوشناق والأرجح أن أصولها يهودية، جاء في

---

[1] –صرهودة يوسفي، مكانة عائلة بن كوجك علي، **مرجع سابق**، ص 469.

[2] –**مخطوط صالح باي**، و18، أ. و. ت

[3] – مرتبة عسكرية ووظيفة إدارية أصبح يلقب بها العديد من الموظفين، ويقصد بها الموظف الذي يلازم الداي أو الباي ويكون في خدمته، ويعتبر كاتبا له وممثلا له لدى أمناء الطوائف والمهن. ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر1107-1117هـ/1695-1725م**، د ط، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر للنشر والطباعة، الجزائر، 2014، ص 58.

[4] – أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا (1249-1147هـ/1734-1833م)**، تر: عبد الكريم الفيلالي، د. ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1412هـ/1991. ص 154.

السجل الرابع وثيقة 1 المؤرخة في أوايل ربيع الأول عام 1220هـ، "**الحمد لله التزم المكرم أحمد بن المرحوم علي بوشناق بأن يعطي مائتي** ريال **وخمسة عشر** ريال...".

كما نرجح عائلة أخرى تعود أصولها للعناصر الكراغلية وهي عائلة "بن قارة علي"، والتي ورد ذكر أحد أفرادها في السجل الرابع وثيقة 273 المؤرخة في جمادى الثانية عام 1222هـ، "**تزوج محمد بن عبد الله عتيق السيد علي بن قارة علي...**".

عائلة خوجة والتي جاء ذكرها في السجل الخامس وثيقة 221 المؤرخة في أول محرم سنة 1227هـ ": **الحمد لله وفيه تزوج حسن بن مصطفى أمة الله آمنة بنت الحاج إسماعيل بن حسن خوجة...**".

عائلة بورصالي أو بورسالي والتي وردت في أحد التصاريح من سجل الوفيات، التصريح رقم 1 وثيقة 83: "**الحمد لله...حضر مصطفى برسالي الساكن بدار بن بدر في سيدي علي بن مخلوف ...**".

وكانت هذه الفئة وسيطة بين الأهالي والأتراك ثائرة في بعض الأحيان على الأتراك لعد أسباب، ولعل أهمها عدم السماح لهم بتقلد المناصب العليا[1]، ومع مرور الوقت لم يجد الأتراك بدا من السماح لبعضهم من تولي بعض المناصب المهمة على مستوى البايلكات ابتداء من أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، وفي هذا النطاق تولى الحاج أحمد باي (1826م-1837م) منصب باي قسنطينة[2]، ولعل من أسباب تولية الكرغلي أحمد باي على قسنطينة، بعد أن كان البايات الذين تقدموه كلهم أتراكا هي التجاوزات التي كانوا يقومون بها، حيث يجمعون الأموال ويخفونها لعواقبهم ولذريتهم، وعند قروب وقت الدنوش يأخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب[3].

---

[1] – رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 32.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 230-231.

[3] – أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، د. ط، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 160.

وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت غالبية الوظائف في مراكز البايلكات من اختصاص الكراغلة، ورغم تزايد قوتهم ونفوذهم أواخر العهد العثماني غير أنهم لم يستغلوا هذه القوة، ولم يقوموا بالدور المنتظر منهم باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحاكم من المحكوم، إذ اكتفوا بمنافسة للعناصر التركية بالحصول على ترضيات ولم يعودوا يطمحوا إلى الارتقاء للمناصب السياسية وتولي المهام العسكرية، وأصبح اهتمامهم يقتصر على تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم وتنشيط تجارتهم، وبذلك فشلوا في التعبير عن طموحات الأهالي وإسماع صوتهم إلى الحكام[1].

وكان لهذه العائلات ثروات وعقارات، وقد استطاع البعض من أفرادها الوصول إلى الحكم مثل "أحمد باي" أخر بايات قسنطينة، وهو ابن لإحدى بنات أسرة محلية صحراوية وهي أسرة بن قانة[2]. ويقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله، أنه لو نجح الكراغلة في تغيير التاريخ الجزائري لوجدنا الحكم فيها أكثر التصاقا بالشعب، وأكثر اهتماما بمصالحه وأكثر ارتباطا بقيمه الحضارية، بل لتحول شيئا فشيئا إلى حكم وطني، والغريب أن العثمانيين كانوا يرفعون أبناءهم إذا كانوا من أمهات أسيرات مسيحيات على عكس أبناء الجزائريات، ولكن الغرابة تزول إذا علمنا أن هدفهم الأساسي هو إبعاد العنصر الأهلي عن مقاليد السلطة[3].

2. الأعيان والأثرياء:

شكل أعيان وأثرياء المدينة فئة ذات مكانة هامة في مجتمع القسنطيني ويمكن تقسيمها إلى:

1.2. الأندلسيون:

عرفت المدن الجزائرية خلال الفترة الحديثة هجرات واسعة للأندلسيين، وهي العناصر التي طردها مسيحيو إسبانيا خلال القرن السادس عشر الميلادي، وتوافدوا على الجزائر عن طريق

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 230–231.

[2] –رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 32–33.

[3] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 155.

مارسيليا وموانئ فرنسية أخرى، ويطلق عليهم كذلك الموريسكيون[1]، وبدأ النزوح الأندلسي الجماعي إلى أقطار المغرب الإسلامي وعلى رأسها الجزائر، إثر سقوط حواضر الأندلس الكبرى في أيدي النصارى الواحدة تلوى الأخرى، وعلى هذا الأساس بلغت الهجرة أوجها مع قرارات الطرد الجماعية سنة 1609م، والتي صاحبها جهود البحارة الأتراك وعلى رأسهم "الإخوة بربروس" الذين عملوا على تسهيل هجرة الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية[2]، وقد تواصلت الهجرات الأندلسية إلى المدن الساحلية الجزائرية منذ نهاية القرن التاسع الهجري (أواخر القرن الخامس عشر الميلادي)، بفعل تشجيع الحكام الأتراك، حيث كسبت هذه الفئة اهتماما كبيرا من قبلهم، وحظيت برضى الأهالي وتعاطفهم وكسبت فرصة الاستقرار، وتمكنت من بناء نفسها من جديد وأصبحت لهم بها أحياء خاصة وأماكن يعرفون بها، وأصبح مهاجرو الأندلس يشكلون أغلبية سكان المدن الجزائرية مثل مدينة قسنطينة[3].

وكان للوافدين الأندلسيين تأثير ثقافي واجتماعي في الأسر التي شكلتها في المدينة، وقد امتد ذلك التأثير إلى المجتمع الذي يعيشون فيه[4]، حيث تأثر السكان بهذه الفئات التي انتشرت في البلاد، وأصبحت تشكل عنصرا بشريا مهما له تأثيره في مختلف مجالات الحياة، وأهميته التي لا تخفى على الحكام وباقي السكان، وأصبح أفرادها يشكلون طبقة ثرية في المدن الكبرى على غرار مدينة قسنطينة، بعد أن ركزوا نشاطهم على احتكار بعض الصناعات والمهن وممارسة التجارة، وأصبحوا يؤلفون طبقة ميسورة الحال مع بقية سكان الحواضر[5]، وقد ارتبطوا مع أفراد

---

[1]– مؤيد محمود المشهداني، وسلوان رشيد رمضان، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518–1830"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مج 5، ع 16، أوت 2013، جامعة العراق، ص 426.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث**، مرجع سابق، ص 130.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، مرجع سابق، ص 57.

[4] –خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني** –الحياة الاجتماعية للأسرة–، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1436هـ–2015م، ص 174.

[5] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 143–144.

مجتمع مدينة قسنطينة وربطوا علاقات مختلفة مع كل الطوائف، وهو ما مكنهم من التأثير والتأثر بالحياة الاجتماعية في أشكالها المختلفة[1].

وقد اعتبر الأندلسيون أنفسهم في دار الهجرة، وعلى هذا الأساس كانوا يأملون بالعودة إلى ديارهم إذا ما أتيحت لهم الفرصة، لذلك ظلوا محتفظين بمفاتيح منازلهم، كما أنهم كانوا لا يميلون إلى الاندماج مع بقية السكان، وهذا ما جعلهم يبتعدون عن الزواج مع أفراد خارج جماعتهم، كما كانت المرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من شخص غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة[2]، ورصدت وثائق المحاكم الشرعية هذا الاندماج من خلال عقود زواج وطلاق أفراد هذه الفئة في مجتمع مدينة قسنطينة، وعلى هذا الأساس نذكر بعض ما ورد في عقود عينة الدراسة من ذكر للعناصر الأندلسية في مدينة قسنطينة نجد منها ما جاء في السجل الثالث وثيقة 209 المؤرخة يوم 16 ربيع الأول سنة 1214هـ: "**وفي السادس عشر راجع الحاج محمد بن علي بن محمد بن علي الأندلسي، زوجه زينب بنت محمد بن عباس من الطلقة الأولى بعد البناء بها...**"[3].

كما ورد ذكر الأندلسي في الوثائق الشرعية باسم القشتولي[4]، وهو ما وثقه عقد مراجعة من طلاق: "**وفي الثاني والعشرين منه راجع صالح بن سليمان المرواني من طلقة أولى رحمونة بنت رجب القشطولي...**"[5]. ولكن يختلف الأمر إذا تعلق بالأتراك فقد استطاع الأندلسيون بفضل

---

[1] –حنيفي هلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص50.

[2] – سعيدوني ناصر الدين، **دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت، 2003، ص 24.

[3] – **و. م. ش**، السجل 03، و209، أ. و. ق.

[4] –نسبة إلى مملكة قشتالة النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية والتي كانت من أشد أعداء المسلمين، وساهمت في سقوط أخر معقل للمسلمين بالأندلس غرناطة.

[5] –**و. م. ش**، السجل 03، و105، أ. و. ق.

مساندتهم للحكم العثماني من الارتباط بعلاقات المصاهرة مع بعض الحكام والمسؤولين الكبار في الدولة، وذلك من خلال زواج العديد من الباشوات والرياس من نساء أندلسيات[1].

وشكل الأندلسيون عناصر نشطة لعبت دورا هاما في الاستثمار الزراعي في المناطق التي توطنوا فيها وخاصة المدن، وأدت قدراتهم وفعالياتهم إلى انتعاش بعض الأنشطة كتلك المتعلقة بنسيج الحرير وصنع البلاطات الخزفية وأعمال البناء[2]، كما كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر انعكاس إيجابي على الحالة العمرانية والتي سوف نتعرض لها بالتفصيل لاحقا.

2.2. العائلات المحلية الكبرى (الحضر):

شكل البلدية أو الحضر في القرن الثامن عشر الميلادي أغلب سكان مدينة قسنطينة[3]، وهي الطبقة المنحدرة من أهل البلاد وبعض مهاجري الأندلس، وهي طبقة غنية كانت تملك الأراضي في الفحوص ويمتهن أغلبهم التجارة، ومنهم من تقلد مناصب القضاء والإفتاء والكتابة ونحوها[4]، وتعتبر هذه الفئة من أهم الفئات المتواجدة في مدن الجزائر على غرار مدينة قسنطينة، والحضر في اللغة هو خلاف البدو، الحاضر خلاف البادي، وفي حديث يقول لا يبيع الحاضر لبادي، والحاضر هو المقيم في المدن والقرى والبادي هو المقيم في البادية[5]، وتتكون فئة الحضر أو ما يصطلح عليه بالبلدية، من العناصر السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، ويضاف لها في أغلب الأحيان الأندلسيين والأشراف، وقد تميزت هذه الفئة بعادات وتقاليد خاصة وبوضع اجتماعي مميز، حيث كان جل أفرادها يشتغلون في المهن الصناعية التي كانت تدر عليهم أرباحا كثيرة، وهو ما جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، كما كانوا يتولون

---

[1] – قدور عبد الحميد، **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، ماجستير في التاريخ الإسلامي**، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة، 1991، ص 219.

[2] –أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 42.

[3]- Isabelle Granguad, Op-cit, p 17.

[4] –أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 65-66.

[5] –ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، مرجع سابق، ص 107.

وظائف السلك القضائي والتعليمي، وقد ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والتجار النشيطون والعلماء والفقهاء[1]، والحضري أو البلدي هو من يمتلك دارا داخل أسوار المدينة ومكانا مخصصا للعائلة في مقبرة المدينة وقطعة أرض في الحفص إذا أمكن ذلك، حيث توضح الدراسات أن معظم الأراضي المحيطة بالمدينة من البساتين وأراضي زراعية هي ملك لأهل المدينة وخاصة أعيانها[2].

وجماعة الحضر أو البلدية العناصر الأولى التي ولدت في المدن وترعرعت فيها عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، وتتكون هذه الفئة أساسا من العرب والأمازيغ، وقد تزايد عددهم بمن انضم إليهم من الوافدين الأندلسيين الذين سكنوا المدن الكبرى مثل قسنطينة[3]، وقد اهتم أفراد هذه الفئة بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم الواقعة قرب المدينة، وشكلوا أغنياء المدينة، ورغم نفوذهم في الحياة الاقتصادية إلا أنهم لم يكن لهم تأثير كبير في الحياة السياسية باستثناء عائلة "الفكون" و"عبد المؤمن" التي كان لها أدوار سياسية ودينية قبل استقرار الحكم العثماني، فحتى العائلات الحضرية التي عرفت كيف تتعامل مع بعض الحكام اقتصر نشاطها على المحافظة على امتيازاتها فقط مثل عائلة ابن عبد الجليل وابن باديس[4].

كانت مدينة قسنطينة منذ العهد الحفصي موزعة إلى أحياء سكنية وصفوف منحازة إلى رؤساء العائلات المحلية الأكثر نفوذا والتي كانت تنتهج سياسة الأحلاف وتشكل طبقة محافظة وعريقة وميسورة الحال، هي بمثابة الطبقة النبيلة التي توارثت مناصب الإفتاء والقضاء وبرزت الأخرى في الآدب والفقه[5]، واشتهرت مدينة قسنطينة بعائلاتها النبيلة والعريقة التي كانت تحمل

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 232.

[2] –فاطمة الزهراء قشي، **المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 209.

[3]– أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519م–1830م) ، **رسالة دكتوراه في التاريخ** الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005–2006، ص55.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 232.

[5] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ثلاثية قسنطينة**، **قسنطينة التاريخ والعمران والحضارة**، **في عبقرية المكان القسنطيني**، **(تاريخ قسنطينة من الازدواجية إلى القطيعة)**، الكتاب الثاني، د. ط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 150.

اسم "بلدي"، وارتبطت هذه العائلات بسكان ضواحي المدينة بعلاقات مصاهرة من جهة وكذلك بنمط حياتهم، فمعظم أعيان سكان مدينة قسنطينة ملاك مزارعون في الدواوير أو الأرياف[1]. ورغم قلة عدد أفراد هذه الفئة إلا أنها تبرز في مجال الوظائف المخزنية والعلمية ونشاط مؤسسة الأوقاف والمبادلات العقارية، وكما ساهمت في الحياة الاجتماعية في المدينة[2].

ومن أشهر عائلات قسنطينة والتي كان من بينها عدول قسنطينة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، عائلة العلمي، عائلة بن عزوز، عائلة ابن كيرد، عائلة المسبح، عائلة الفكون، عائلة ابن باديس وعائلة الراشدي، وينتمي هؤلاء لعائلة العلماء وعائلة الأعيان المعروفين في المدينة [3].

1.2.2.عائلة ابن الفكون أو الفقون: من العائلات ذات التاريخ العريق فهي من قبيلة تميم العربية، تتمتع هذه الأسرة بنفوذ روحي بلغ أعلى الدرجات، كما كانت تحوز على أموال طائلة وأملاك واسعة ومداخيل رسمية ودينية، كانت لهم زاوية في المدينة تحمل اسمهم لاستقبال الضيوف من الفقراء والغرباء[4]، ومن مختلف الوثائق المتوفرة تظهر العائلة في مناصب عديدة منها الإفتاء والقضاء وحتى العدول نذكر منها الوثيقة 3 من السجل الرابع المؤرخة سنة 1218هـ: "**وفي السابع من شعبان طلق سي على بن...خيرة بنت الحاج...بباقي صداقها عليه...والمعرفة تامة أمام السيد محمد الفكون والسيد محمد بن محجوبة**".

2.2.2. أسرة ابن باديس: وهي أسرة علمية ذات أصول صنهاجية نشأت بمدينة قسنطينة منذ العصور الوسطى وهي سليلة المعز بن باديس، عرفت بعلمائها وآخرهم الشيخ عبد الحميد بن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م والتي كان مقرها مدينة قسنطينة[5]، واشتهر أفراد هذه الأسرة في مجال العدل والقضاء والافتاء وبرز منهم العدل الرضي السيد علي

---

[1] –أحمد سيساوي، **مرجع سابق**، ص 19.

[2] –فاطمة الزهراء قشي، **المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 211.

[3] –يحي أحمد، **التركيبة الاجتماعية لمدن الشمال القسنطيني**، ج1، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2015، ص 189.

[4] – عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، مصدر سابق، ص 7.

[5] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 240.

النوري بن باديس"، وارتبط هذا الأخير بابنة إنكشاري من الأتراك الوافدين من الأناضول، وهو ما يضعف الفرضية القائلة بأن الأعيان الحضر نفروا من مصاهرة الأتراك والحكام العجم[1]، وقد ظهر أفراد هذه العائلة في مختلف وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة منها الوثيقة 25 تصريح رقم 3 من سجل الوفيات للمحكمة المالكية بقسنطينة جاء فيه:"...**الحمد لله...حضر سي محمد الشريف...المؤدب بضريح سيدي الجليس الساكن بعلو بن باديس قرب سيدي علي بن مخلوف يوم الأربعاء...**".

3.2.2.عائلة العلمي: تأتي هذه العائلة على رأس القائمة بعدد العدول والقضاة، وبحضورها المستمر على مدى سبعين سنة في سجلات المحاكم الشرعية (1787م-1857م)، ولم تكن معروفة قبل القرن الثامن عشر الميلادي، ولم تذكر بين الأعيان في القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، والعائلة لم تكن لها مكانة تقليدية في هذه الوظائف في القرون الأولى من الحكم العثماني، إنما ارتقت إليها في عهد "صالح باي" وبعده، وكانت عائلات أخرى في نفس الوضع، ويمكن ذكر عائلات ابن عزوز، وابن الكيرد وبوعكاز والراشدي[2]، ويظهر اسم هذه العائلة في وثائق عينة الدراسة ومثال ذلك الوثيقة 281 من السجل الثاني المؤرخة في سنة 1205هـ: "**الحمد لله وفيه تزوج بلقاسم بن علي العلمي أم هاني بنت أحمد ...**"[3].

كما تقلد أفراد هذه العائلة منصب العدول في المحكمة الشرعية وهو ما توضحه الوثيقة 281 من السجل الثاني والتي جاء فيها: "**الحمد لله وفيه تزوج محمد بن إبراهيم الحملاوي...والمعرفة تامة لدى السيد محمد العلمي والسيد عبد الكريم العنابي طايعين بذلك للتاريخ**"..

---

[1] -يحيى أحمد، **مرجع سابق**، ص 193.

[2] - يحي أحمد، **مرجع سابق**، ص 190.

[3] -**و. م. ش**، السجل الثاني، و281، أ. و. ق.

4.2.2. عائلة ابن كيرد: وهي من العائلات التي ظهرت في الواجهة وبكثافة كبيرة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ولم تكن حاضرة في القرون السابقة، ولم يذكرها عبد الكريم الفكون في منشور الهدايا في سنة1256هـ/ 1840م[1].

5.2.2. عائلة ابن المسبح: من الأسر المحلية التي اعتنق شيوخها المذهب الحنفي بتشجيع من بايات قسنطينة، وقد عين الباي عثمان (1218هـ/1804م) شيخها محمد المسبح خطيبا بجامع سوق الغزل أين كان يصلي، وفي 12 شوال 1236هـ/1820م تولى الإمام أبو عبد الله السيد محمد المسبح قضاء المحكمة الحنفية بمدينة قسنطينة[2]، وجاء ذكر أفراد هذه الأسرة في الوثائق منها سجل الوفيات الوثيقة 82 التصريح رقم 1 " **الحمد لله...حضر محمد بن إبراهيم الساكن بعلو السيد خليل بن المسبح...**"[3]. كذلك ظهر اسم العائلة في الوثيقة 5 من السجل السادس المؤرخ سنة 1233هـ " **...وفيه طلق الفاضل الأجل الزكي الأمثل السيد محمد بن السيد محمد المسبح فاطمة بنت سي العربي...**".

6.2.2. عائلة ابن نعمون: اختلفت المصادر في تحديد أصول هذه الأسرة القسنطينية، فمنها من يرجعها إلى العنصر التركي ومنها من يشير إلى أصولها العربية، وقد ثبت في سجل البلاد بأرشيف ولاية قسنطينة أن هذه الأسرة تنتمي إلى الباي محمد نعمان[4]، الذي قال عنه صالح العنتري: "إنه تركي قديم في مدينة قسنطينة، وفي 12 سبتمبر 1848م تم السماح بدفن "لالة موني" بزاوية ابن نعمون، ومنح لها هذا الامتياز لأنها من أسرة بايات المدينة، فهي ابنة أخ "الباي نعمان" الذي حكم قسنطينة ما بين 1226هـ-1229هـ/1811م-1814م، وتعد أسرة ابن نعمون من الأسر القسنطينية العريقة التي تقلدت العديد من المناصب الهامة في البايلك

---

[1] -يحي أحمد، **مرجع سابق**، ص 191.

[2] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 240-241.

[3] - **سجل الوفيات**، و82، ع 1، أ. و. ق.

[4] - تولى حكم البايلك سنة 1226هـ-1229هـ/1811م، 1814م: اسمه محمد تركي قديم في قسنطينة، وكان رجلا عاقلا، وفي زمنه عمت العافية والاستقرار الوطن، ومات قتيلا سنة 1229هـ/1841م. للاطلاع أكثر ينظر: محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 94.

منها منصب الباي ووظيفة الباش سيار وأمين السكة[1]، وفي عهد صالح باي عين أحمد نعمون حسب ما جاء في مخطوطه" **أما أحمد نعمون قايد الجابري ويقال له قايد التراب كان أمر الرعية في أمر البلدان يشهي إليه ...وله ثلاثة مخازن يخزن فيها زرع البايلك ... وبرج وادي الذهب وبرج المعمرة وكانت الضياف الواردين تنزل بداره وله عقل سليم ورأي مستقيم**"[2].

وقد ظهر اسم العائلة في وثائق عينة الدراسة وفي مختلف المعاملات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الوثيقة 53 من السجل الأول المؤرخ سنة 1202هـ" **الحمد لله وفيه طلق الحاج إبراهيم بن نعمون وريدة بنت الحاج محمد البجاوي ...**". وعقد أخر يذكر فيه دار ابن نعمون،" **...حضر سي علاوة بن ...الفرغلي الساكن بدار بن نعمون في حومة زقاق البلاط ...**"[3]

7.2.2. أسرة ابن الأبيض: هي أسرة قسنطينية محلية احتلت منصب قايد الدار في عهد أحمد باي القلي، وقد توارث أفرادها هذا المنصب منذ سنة 1168هـ/1755م تاريخ تقليد حسين زرق عينو[4] المنصب لزعيم الأسرة "ابن محمد بن الأبيض" قائد الزمول، لتبقى هذه الوظيفة وراثية في الأسرة حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي[5]، ورصدت الوثائق اسم العائلة ممثلا بعقد زواج من السجل السادس وثيقة 105 المؤرخة في جمادى الأولى عام 1234هـ "**الحمد لله وفي أواسطه تزوج محمد بن حسين الإنجشاري عايشة بنت أحمد بن الأبيض...**".

8.2.2.أسرة ابن جلول: هي أسرة عربية تعود أصولها إلى فاس بالمغرب الأقصى، اعتنق مؤسسها عباس بن علي جلول المذهب الحنفي، بتشجيع من الباي حسن بوكمية (1125هـ/1713م)، والذي منحه منصب باش كاتب، وبقيت هذه الوظيفة متوارثة في الأسرة

---

[1] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، 242-243.

[2] - **مخطوط صالح باي**، و21، أ. و. ت.

[3] -**سجل الوفيات**، و23، ع 3، أ. و. ق.

[4] - اسمه حسن وهو تركي تولى حكم البايلك (1754م-1756)، وخلال ولايته عمل على ترتيب الوظائف المخزنية، وأسس منازلهم بالسويقة. ينظر: محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 70.

[5] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 246-247.

حتى أواخر العهد العثماني حين تحول أفرادها إلى الاشتغال في القضاء الحنفي، وعادت وظيفة الباش كاتب إلى أسرة العنتري[1]، وتداولت وثائق المحاكم الشرعية اسم العائلة، حيث ظهرت في عدة عقود منها عقد رقم 3 من سجل الوفيات وثيقة61 المؤرخ في 1841م، "**الحمد لله...حضر محمد...وذكر أن ابن عمه محمد بن جلول المريض بالبرد هلك بالمرض...**"[2].

9.2.2. أسرة ابن زكري: يذكر "شارل فيرو" أن أصول هذه الأسرة تعود إلى عرب الأندلس، في حين يرى آخرون أن أصولها تعود إلى قبيلة أولاد بليل قرب برج حمزة (البويرة)، ولعل الأسرة ينحدر منها العالم "أحمد بن محمد بن زكري التلمساني" الذي تصدر الإفتاء في تلمسان في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (توفي 900هـ/1495م)، وهي أسرة ذات نفوذ إداري بمدينة قسنطينة، وتقلد أفرادها مناصب هامة في الإدارة العثمانية بقسنطينة منها منصب الخليفة وهو أقرب المناصب الإدارية إلى الباي، وباش سيار وهي من الوظائف التي توارثها أفراد هذه الأسرة[3]، ففي عهد صالح باي عين الحاج مسعود بن زكري كما ورد في مخطوطه "**وأما الحاج مسعود بن زكري فكانت له الفايدة القصوى مع صالح باي والوزارة التامة فنهض بأعباء الدولة أتم نهوض وتدارك الخلل وتصدى لمهمات المملكة ممدوحا عند العامة بكل لسان صايب لآرائه، حسن التدبير ضابطا لما تحت يده خبيرا بأحوال الملوك وآدابهم ويكاتب بي تونس بلا اذن ويهادي الباي صالح**"[4].

ويظهر اسم العائلة في وثائق عينة الدراسة وفي مختلف المعاملات منها الوثيقة 638 من السجل التاسع المؤرخة عام 1242هـ"...**وفي التاسع عشر منه طلق المكرم أحمد بن الكبابي زوجه مباركة بنت سي أحمد بن سيدي يحيى بن زكري طلقة أولى...**".

[1] – جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 247–248.
[2] –**سجل الوفيات**، و61، ع 3، أ. و. ق.
[3] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 250–251.
[4] – **مخطوط صالح باي**، و30، أ. و. ت.

بالإضافة إلى هذه العائلات هناك عائلات أخرى تعتبر من الحضر منها عائلة "الورتيلاني" والتي ظهرت في المعاملات منها عقد من السجل الثامن الوثيقة 445 المؤرخة في جمادى الأولى 1238هـ "**وفي الخامس عشر منه تزوج سي العربي بن بوجمعة السفاقصي آمة الله الزهراء بنت سي محمد الورتيلاني...**".

وقد كان لبعض هذه العائلات خلاف وعداء مع الحاج أحمد باي، الذي شكاهم للداي عند لقائه وهم أولاد بن زكري وأولاد بن نعمون وأولاد ابن الأبيض، وعندما رجع من الدنوش قتل كل من محمد بن زكري وأخاه عبد الله وابن الأبيض والشيخ الزواوي، بينما تمكن العربي بن نعمون من الفرار والنجاة وبقي حيا إلى غاية وفاته سنة 1856م[1].

وعلى الرغم من المكانة المرموقة التي احتلتها العناصر الحضرية في المدن الجزائرية والامتيازات التي منحها إياهم الأتراك، إلا أنهم مثل باقي الطوائف الأخرى أبعدوا عن السلطة[2]، غير أن ممثلي العائلات الكبرى في مدينة قسنطينة تولوا مناصب إدارية وسياسية وعسكرية[3]. وإن كثافة الأنساب القبلية تكاد تغطي على وجود عائلات حضرية عريقة لقلة ظهورها في الوثائق، وقد نستنتج من هذا أن هذه العناصر أو العائلات كانت في انحصار من حيث العدد وكذلك من حيث الدور أو المكانة الاجتماعية أواخر العهد العثماني[4].

3.العلماء والأشراف:

مثلت العائلات الغنية أو أثرياء المدينة فئة مميزة في مجتمع المدينة من حيث اللباس والمسكن وحتى الوظائف والامتيازات التي كانت تحصل عليها من طرف الأتراك.

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 108.

[2] – صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 550.

[3]- Eugene Vayessette**, Historie de Constantine sous la domination turque de (1517-1837**) , boucheme Paris, 2002., p 453-454.

[4] –فاطمة الزهراء قشي، **المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 211.

1.3. الشخصيات العلمية

إن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة بين سكان مدينة قسنطينة في أواخر العهد العثماني حالت دون تكوين طبقات اجتماعية كاملة، غير أنها أفرزت فئات اجتماعية مختلفة جعلت العلماء يتخذون مواقف متنوعة فيما يتعلق بدورهم في المجتمع وعلاقتهم مع الطبقة الحاكمة[1]، لفت علماء وأدباء مدينة قسنطينة أنظار مؤرخي الأدب العربي، وامتازت قسنطينة أيضا بأهميتها من بين العواصم العلمية التي انتجت أسرا علمية توارث أفرادها العلم قرونا أبا عن جد[2]، وكان العلماء الذين يتولون الوظائف الدينية والثقافية ينتمون عادة إلى السكان المحليين ويمثلون إلى حد ما سكان الحضر، ولكن أنشطتهم ورعاية الطبقة الحاكمة وتقريبهم جعلهم في مركز وسيط بين الحكام والرعية[3]، وكانت قسنطينة تشهد حركة علمية طيبة على رأسها مجموعة من شيوخ العلم التقليدين، الذين يدرسون المعارف الأدبية والفنية، كما كانت مساجدها وزواياها وبيوتاتها العلمية تعج بالمكتبات[4]، ويندرج تحت هذه الفئة أعضاء المحكمة الشرعية المالكية والحنفية ورجال المؤسسات الدينية والتعليمية (الجوامع-المدارس)[5]، وهي بذلك مجموعة إنسانية واسعة وفضفاضة بعض الشيء، ولكنها تجد وحدتها في أنشطتها المرتبطة ببث الدين والمعرفة وإصدار الأحكام ونشر الثقافة، وتتوقف مواردها في غالبية الأحوال على المداخيل التي توزعها المؤسسات الدينية والخيرية (الأوقاف والحبوس)[6].

وكان للعلماء دور مهم في الحياة الثقافية والاجتماعية في مدينة قسنطينة، فهم يقومون بدور الوسطاء بين الرعايا المرتبطين بهم بحكم نشأتهم، وبين السلطات التي تحتاج إليهم كأعوان في

---

[1] -أندري ريمون، **مصدر سابق،** ص 62.

[2] -المهدي البوعبدلي، **تاريخ المدن**، جمع: عبد الرحمان دويب، ط خ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 267.

[3] -أندري ريمون، **مصدر سابق،** ص 62.

[4] -أبو القاسم سعد الله، **محمد الشاذلي القسنطيني 1808م-1877م، دراسة من خلال رسائله وشعره**، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص15-16.

[5] -أندري ريمون، **مصدر سابق،** ص 62.

[6] - **نفسه،** ص 63.

مجال العدالة والحكم لأنهم دعائم قوانين الشريعة ومفسريها، وكانوا يجلسون في مجالس الحكام، حيث أنهم يعملون مستشارين لهم ومراقبين عند الاقتضاء[1]، ولعب أفراد الأسر العلمية دورا كبيرا في تسيير شؤون البلاد فلم يهتموا بالحياة الثقافية فقط[2]، بل كانوا في الكثير من الأحيان يعمدون إلى مسايرة الحكام الذين يفتحون لهم الأبواب للحصول على الأرباح والامتيازات والوظائف الهامة[3].

واكتسبت هذه الشخصيات الدينية أهمية كبير باعتبارها ممثلة للعامة ولسان حال السلطة، وذلك نتيجة ضعف ممثلي السلطة في الأقاليم أو الولايات والتي وجدت نفسها في حاجة ملحة للحصول على التأييد المحلي من طرف هذه الشخصيات[4].

ظهر في مدينة قسنطينة علماء وأدباء كانوا وما زالوا محل عناية واهتمام كل من كتب عن قسنطينة، غير أننا نحاول هنا التركيز على العلماء الذين برزوا وذاع صيتهم في الفترة المدروسة وهي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

1.1.3. أحمد بن مبارك العطار 1204هـ-1287هـ/1790م-1870م:

هو الحاج أحمد بن عمر بن أحمد بن محمد العطار القسنطيني، ويعرف أيضا باسم الحاج أحمد بن مبارك العطار، ولد بمدينة قسنطينة عام 1204هـ الموافق 1790م أواخر عهد صالح باي وتوفي بها عام 1287هـ الموافق 1870م[5]، ورد ذكر ابن العطار في الوثائق الشرعية وهو من مثقفي القرن التاسع عشر الميلادي الذي عنى بتاريخ قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية، عرف بكنية القسنطيني بسبب أصوله غير القسنطينية، كما عرف عادة باسم الشيخ الحاج أحمد بن مبارك العطار، انتقل في سن مبكرة إلى مدينة ميلة القريبة من قسنطينة عند أعمامه أين تلقى مبادئ الفقه واللغة العربية في زاوية أسرته المعروفة بعائلة ابن العطار المنتمية في أصولها إلى

---

[1] – أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 64.

[2] –المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن الثلاث، مرجع سابق، ص 271.

[3] –أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 64.

[4] – **نفسه**، ص 66.

[5] –محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر**، مصدر سابق، ص 73.

تلك المنطقة، ثم عاد وهو في سن الصبا إلى مسقط رأسه قسنطينة[1]، ليتلقى العلوم بها على يد شيوخها المشهورين منهم الشيخ عمار الغربي وعمار الميلي ومحمد العربي بن عيسى والشيخ العباسي الذي تأثر به كثيرا، اشتغل الحاج أحمد بالتجارة في شبابه وكان يتردد على تونس للتزود بالبضائع كالعمائم والحرير وأنواع العطور، وقد حضر أثناء وجوده بتونس بعض الدروس بجامع الزيتونة، وبعد أدائه فريضة الحج استقر بقسنطينة وتولى التدريس بالجامع الأعظم خلفا لشيخه العباسي بعد وفاته، ثم أسند له الإفتاء المالكي بعد وفاة محمد العنابي وعين ناظرا لمهامه هذه وعضوا بالمجلس الشرعي الإسلامي بقسنطينة، وتولى أثناء ذلك مهمة التدريس بالمدرسة الحكومية تحت إدارة الشيخ محمد الشاذلي، ثم ما لم يلبث أن عزل عن مهامه بعد أن ثبت اتصاله سريا بالحاج أحمد باي المغضوب عليه من طرف الإدارة الفرنسية[2].

وكان الشيخ ابن العطار ينتمي إلى الطريقة الحنصالية التي عرفت بقسنطينة، وهي إحدى فروع الطريقة الشاذلية وتنسب إلى مؤسسها الشيخ يوسف الحنصالي المعروف في نواحي قسنطينة، فكانت له مكانة مرموقة في أوساطها وكان يحظى بالتقدير والاحترام بين الجميع[3].

***مؤلفاته:**

ألف ابن العطار كتبا عديدة منها كتاب "تاريخ بلد قسنطينة: والذي نحن بصدد الحديث عنه، ومنظومة (نصيحة الإخوان) في أصول التربية وآداب السلوك في الطريقة الحنصالية الشاذلية، و(سلم الوصول في الصلاة على الرسول)، وقصيدة في مدح "النبي صلى الله عليه وسلم"، ومؤلفه المشهور عن تاريخ قسنطينة[4]، الذي كتبه عام 1870م وبدأ كتابه بالحديث عن تكوين المدينة في العصور القديمة والحضارات المتعاقبة عليها إلى غاية دخول الأتراك العثمانيين، وقد غطى مراحل هامة من تاريخها العثماني إلى بدايات الاحتلال الفرنسي، ولهذا المخطوط نسخ

---

[1] –أحمد بن مبارك العطار، **تاريخ قسنطينة**، مصدر سابق، ص 3.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، مرجع سابق، ص 509–511.

[3] – أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 7.

[4] – محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر، ج2، **مصدر سابق**، ص 77–78.

عديدة مخطوطة منها نسخة المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة رقم 1645 ونسخة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم 1457 ولهذا المخطوط أهمية بالغة؛ حيث خصه أحد الفرنسيين وهو .A. Dornon, Kitab tarikh Qosantina, in R A, Vol57, A, 1919, p 265 بدراسة نشرها في المجلة الإفريقية سنة 1913م، يوجد بالكتاب بعض الأحداث التي ذكرها المخطوط، ومنها ثورة ابن الأحرش (1219هـ/1804م) والحرب مع تونس (1222هـ/1807م)[1].

وتوفي الشيخ العطار في 3 محرم عام 1298هـ الموافق 15 ديسمبر 1880م، ودفن بتربة الشيخ الزواوي بجبل شطابة على مقربة من قسنطينة، وكانت وفاته يوم الثلاثاء من شهر رجب الموافق بشهر أكتوبر من العام المذكور، وتوجد على قبره أبيات منقوشة فيه تبين تاريخ وفاته وهي من نظم عاشور القسنطيني[2].

2.1.3. الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي:

هو عالم جليل وأديب مشهور ولد سنة 1212هـ-1295هـ/ 1797م-1877م، استقر بمدينة قسنطينة قبيل الاحتلال[3]، وهو العلامة الفرد نقلا وعقلا تولى القضاء، ثم أسندت لعهدته نظارة المدرسة الكتانية، وعاصر كل من الشيخ مصطفى باش تارزي والشيخ العباسي حتى نبغ في فنون الأدب[4]، وتلقى تعليمه في المدينة على يد مشاهير علمائها وأصبح قاضيا مالكيا فيها، وهو من الشخصيات البارزة في المدينة خلال بداية الاحتلال الفرنسي، وهو شخصية متعددة الجوانب إذ ترك مجموعة من القصائد بعضها في مدح قسنطينة وأهلها، ولعب الضابط الفرنسي "بواسوني" "Boissonnet" دورا لا يستهان به في حياة الشاذلي، إذ أقنعه بتولي وظيفة القاضي

---

[1] –رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 15.

[2] –محمد المهدي بن علي الشغيب، أم الحواضر، ج2، **مصدر سابق**، ص 77.

[3] – **نفسه**، ص 111.

[4] – أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، د. ط، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 386.

بقسنطينة ورشحه للرحلة إلى فرنسا وأوروبا فيما بعد، واقترح على الإدارة الفرنسية بأن يكون مرافقا للأمير عبد القادر في سجنه في "بو" (Pau) وأمبواز (Amboise) سنة 1848م[1].

كان للشيخ محمد بن عيسى أشعارا كثيرة مدح فيها الأمير عبد القادر الجزائري عند اجتماعه به في باريس، تولى القضاء ثم أسندت له نظارة المدرسة الكتانية وكانت له قوة ذكاء مفرط، وله عدة قصائد في مواضيع مختلفة[2]. وبعد تأسيس المدارس العربية الفرنسية سنة 1850م من أجل تكوين إطارات جزائرية في ميادين القضاء والتدريس والترجمة، اقترح إسماعيل أوربان (1812م-1884م) (Urbain Thomas Apolline) على الإدارة الفرنسية اسم الشاذلي واختاره ليكون مديرا للمدرسة بقسنطينة وهذا إلى غاية وفاته سنة 1877م[3]، ودفن بداخل المدرسة الكتانية التي كان ناظرا عليها وقبره بها حتى الآن[4].

3.1.3. صالح العنتري:

هو صالح بن محمد العنتري، كان أبوه كاتبا لدى أخر بايات قسنطينة الحاج أحمد باي، لم يذكر المؤرخين تاريخ ميلاده أو وفاته، ويرجح أنه ولد بين عامي (1800م-1870م) وتوفي بعد عام 1870م، اشتهر صالح العنتري بنشاطه في "بيرو عرب" بعد تأسيسه بقسنطينة عقب احتلال المدينة سنة 1837م، وقد شغل منصب كاتب فيه مدة طويلة مع رؤسائه المتعاقبين عليه، واقترن اسمه باسم أحدهم وهو (الكابتان بواسوني)" Boissonnet "[5].

***مؤلفاته:**

كتاب "فريدة منسية في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها" المعروف أيضا باسم "الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة" بدأ في تأليفه سنة (1258هـ/1843م) وانتهى

---

[1] -حنيفي هلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي**، مرجع سابق، ص 146-147.

[2] - أبي القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ص 386.

[3] -حنيفي هلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي**، مرجع سابق، ص 147.

[4] - أبي القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ص .386

[5] - قائد فرنسي عين رئيسا للمكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية بقسنطينة منذ سنة 1843، ويلقبه الجزائريون آنذاك القبطان بوسنة. ينظر: Louis Rin, **Le général Boissonnier,** in RA, Vol 46, 1902, p133-136.

منه سنة (1261هـ/1846م)، وغطى محتوى الكتاب الفترة الزمنية (1050هـ/1641م) وهو تاريخ دخول الأتراك إلى قسنطينة إلى غاية البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي (1261هـ/1846م)، وتميز أسلوبه بالبساطة وخلوه من العناوين ونشر عن هذا الكتاب قادة ومترجمو الاحتلال الفرنسي ومنهم "سان كالبر" "Saint Calbre" الذي نشر عنه العديد من المقالات في المجلة الإفريقية، واعتبره من أهم المؤلفات ويعد من أهم المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة[1]، وكتاب "مجاعات قسنطينة" وهو نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2330 وهي النسخة الوحيدة مكتوبة بخط عربي مغربي جميل، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 1870م ومقاسها 190/280 ملم وسطورها 19 وأوراقها 23 ورقة، وقد تكون هذه النسخة مكتوبة بخط صالح العنتري نفسه أو بمساعدة بعض كتابه في المكتب، ويمتاز الكتاب بأسلوبه العلمي الأدبي المتوسط، وهو يوضح تقدم صالح العنتري في تعبيره، حين ألف الكتاب سنة 1870م مقارنة مع أسلوبه العامي في مؤلفه الأول (الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة) الذي ألفه سنة 1844م[2].
ويعد صالح العنتري أول من كتب عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي، والذي كان مغيبا في تلك الفترة أو مهمشا أمام الاهتمام بالدراسات العسكرية والسياسية، والتي كانت تشغل الناس في تلك الفترة قبل أن يفتح المجال أمام الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والتي لا تقل أهمية عن التاريخ السياسي والعسكري[3].

4.1.3. العالم عمار بن مسعود بن شريط توفي سنة 1250هـ:

هو العلامة الشهير أبو منصور عمار بن مسعود بن القاسم بن شريط، يعتبر من العلماء الكبار في عصره[4]، وكان فقيها وأديبا وعالما بالحديث والأصول وعلم البلاغة، تولى الإفتاء في المحكمة المالكية توفي حوالي 1250هـ/1834م[5]، ويعتبر عمار بن شريط من كبار العلماء في

---

[1] – رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 14-15.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات قسنطينة**، مصدر سابق، ص 10.

[3] – **نفسه**، ص 20.

[4] –سليمان الصيد، **مرجع سابق**، ص 71.

[5] – أبي القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ج 02، ص 386.

عصره، وقد تكون له عدة مؤلفات وفتاوي غير أنها لم تصلنا[1]، وتعبر هذه الشخصيات عن نماذج لفترة مضطربة من تاريخ مدينة قسنطينة، فهم عايشوا أحداثا مشتركة من آواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ومن ثقافة إسلامية عريقة إلى ثقافة أوروبية[2].

2.3. الأشراف:

كلمة الأشراف مأخوذة من كلمة الشرف ومعناه العلو والارتفاع، تطلق على كل من ينتسب لأهل البيت سواء كانوا في الجزائر عامة أو جاؤوا من مناطق مختلفة، فمنهم من جاء من شبه الجزيرة العربية مباشرة، ومنهم من قدم من الأندلس، ومنهم من قدم من المغرب الأقصى[3]، كما أطلق على هذه العائلات الدينية الشريفة الأصل في العهد العثماني اسم المرابطون[4]، ويعود الدور الذي لعبه الأشراف في بعض المدن في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي بلا شك إلى مجموعة من الظروف المحلية المواتية، فقد كان الأشراف في جميع المدن ينتظمون داخل هيئة يترأسها "نقيب الأشراف" والذي يعينه عادة نقيب استانبول، وأدى عددهم الكبير وانتشارهم عادة بين جميع فئات المجتمع إلى أن أصبحوا مجموعات قوية، وقد قنع الأشراف عموما بالانتفاع بالامتيازات التي منحها لهم الأتراك احتراما لأسرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك لتثبيت مراكز العثمانيين أنفسهم باعتبارهم من أنصار السنة الحصانة الشخصية[5].

وكان لهذه الفئة دورا كبيرا في تسير المدينة إذ انتظمت العائلات ذات النسب الشريف منذ القديم في أطر من علاقات ذات القربى بمدينة الجزائر وباقي المدن الكبرى مثل مدينة قسنطينة وعلى ما كان ساريا في المدن العربية وكان هذا التنظيم يتصدره نقيب[6].

---

[1] –سليمان الصيد، **مرجع سابق،** ص 76.

[2] –حنيفي هلالي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي،** مرجع سابق، ص 150.

[3] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،** ج1، مرجع سابق، ص241.

[4] – مشتق من كلمة ربط العربية والتي تعني الالتزام والتعهد أي أن المرابط يعاهد الله على ألا يتصرف إلا لما فيه خير الإنسانية وهو محل توقير واحترام من طرف الجميع للاطلاع ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة،** مصدر سابق، ص 19.

[5] – أندري ريمون، **مصدر سابق،** ص 67.

[6] –عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830 مقاربة اجتماعية–اقتصادية، **دكتوراه في التاريخ الحديث،** جامعة الجزائر، 2001/2000، مرجع سابق، ص 134.

وكانت السلطة الحاكمة تخول للنقيب وظائف قضائية وامتيازات ضريبية، فضلا على أن الضرائب ذاتها غير محددة في غالبية الأحوال بدقة، وكانت المهمة الرئيسية للنقيب الاحتفاظ بسجل للأشراف وتجنب إساءة استخدام لقب شريف الذي يوفر الاحترام ومزايا مادية، وقد باشر النقباء هذه المهمة بقليل من العناية، أو أغمضوا عيونهم تجاه التجاوزات التي كانت تحدث، الأمر الذي يفسر بأن عدد الأشراف ازداد في بعض المدن إلى حد كبير كما ازدادت أهمية الدور الذي يقومون به، وكانوا ممثلين في جميع طبقات السكان الاجتماعية، ويتقلدون مناصب الإفتاء وكان منهم العلماء، وكثيرا ما يصبح المفتي نقيبا أو العكس، ولا يبدو أنهم أقاموا مثل الإنكشارية في أحياء خاصة غير أنهم أقاموا داخل أسوار المدينة[1]. وكان الأشراف يطمحون في الحصول على حرية أكبر من أجل زيادة الامتيازات التي يحصلون عليها بحكم مراكزهم إلى أقصى حد وذلك على العامة الأقل حظا[2].

4. اليهود والمسيحيون:

بالإضافة للعناصر المسلمة هناك فئات أخرى من أهل الذمة شكلت مجتمع مدينة قسنطينة ولعبت أدوارا مهمة في جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة ومنها:

1.4. اليهود:

استطاعت فئة اليهود أن تكون لنفسها مكانة مهمة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني لا سيما في مدينة قسنطينة، وذلك راجع لما تحمله هذه الفئة من مميزات منها معرفتها باللغات الأجنبية والأنشطة التجارية والحرفية، بالإضافة إلى علاقاتها مع الدول الأوروبية، وهذه ما جعلها تبرز على مسرح الأحداث، وخاصة في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

وشكلت فئة اليهود إحدى أهم العناصر البشرية بالمدن الكبرى على غرار مدينة قسنطينة، وتعود أصولها الأولى إلى اليهود المحليين الذين استقروا بالبلاد الجزائرية قبل الإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلد، بالإضافة إلى يهود الأندلس الذي وفدوا مع الأندلسيين أو ما

---

[1] – أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 67.

[2] – **نفسه**، ص 68.

يعرف بالسافرديم[1]، هروبا من اضطهاد النصارى منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي، أو سعيا وراء أنشطة اقتصادية مثمرة، حيث أنظم إليهم يهود ليفورنا والموانئ الإيطالية الأخرى بعد منتصف القرن السابع عشر الميلادي للممارسة التجارة[2]، وهناك عدة انتفاضات وثورات ضد الطائفة اليهودية أهمها ثورات(سنة1801م-1804م-1808م-1815م)، وأدت هذه الثورات إلى هجرة العديد من العائلات اليهودية نهائيا من الجزائر، إذ هاجرت ألف عائلة يهودية إلى تونس و200 عائلة أخرى إلى ليفورنا بإيطاليا في 10 جويلية 1808م، وهذه الانتفاضات مع أنها تبين الجانب السلبي من حياة الجالية اليهودية بالجزائر إلا أنها في نفس الوقت تعتبر عن بقاء هذه الجالية دخيلة على المجتمع الجزائري[3].

إن تسامح الأتراك تجاه أهل الذمة ومنحها استقلالا كبيرا في إدارة شؤونها الداخلية، أدى إلى ازدهار حال الجماعات اليهودية في مجتمع المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة[4]، وشكل اليهود ملة غير إسلامية معترفا بها في الديار الجزائرية[5]، واكتسبوا عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا اللغة العربية أداة تعبير في المعاملات اليومية وطقوسهم الدينية واندمجوا بذلك في المجتمع، كما ساعدهم كذلك ثقة الحكام الأتراك فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم، ونظرا لكون أغلب اليهود أصولهم أندلسية ويتشابهون معهم في طرق العيش وأسلوب الحياة والاشتغال في المهن اليدوية[6].

---

[1] -تعني الإسبانيين الذين وفدوا مع الأندلسيين، كما تعني فرانك (Franc)، التي تقابل في العبرية لفظ الفرنجة، ينظر: كمال بن صحراوي، **دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية**، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ/2016، ص23.

[2] - ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 241.

[3] -ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1792)**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 134.

[4] -أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 41.

[5] -وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 100.

[6] - ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 242.

كان للعناصر اليهودية ملابس خاصة بهم ذات اللون القاتم، كما وامتنعوا عن ركوب الخيل وحمل السلاح والتزموا بدفع ضريبة الرأس "الجزية" والتي يتولى مقدم اليهود تقديمها نيابة عن باقي أفراد جماعته إلى شيخ البلد أو إلى الباي، وبلغت هذه الجزية في مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي حوالي خمسة آلاف ريال بوجو، بالإضافة إلى تقديم بعض الخدمات والهدايا[1].

وبعد زيادة أعداد اليهود بحلول يهود ليفورنا والموانئ الأوروبية الأخرى تغيرت حياة العناصر اليهودية أواخر العهد العثماني، وأصبحوا يعيشون في عزلة عن باقي السكان، ويقتصرون في علاقاتهم على ما تمليه مصالحهم الخاصة للحصول على الثروة والنفوذ، ويعود ذلك إلى اتصالهم بالخارج وارتباط مصالحهم بالدول الأوروبية، وهو ما دفع السكان إلى التشكيك في نشاطاتهم واعتبروهم أجانبا عن البلد واتهموهم بالتواطؤ مع الأعداء، وقاموا بعدة انتفاضات للحد من تزايد نفوذهم[2]، وخلال عهد الدايات سيطر اليهود على الأعمال التجارية للإيالة وبالمفاوضات مع التجار الأوربيين، وهو ما كان يتطلب المعرفة باللغات والمعاملات التجارية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط[3].

وظهر اليهود في الوثائق الشرعية باسم الذمي[4] أو الذمية، حيث كانوا يقومون بمختلف المعاملات من بيع وشراء في مجتمع مدينة قسنطينة، ومثال على ذلك نجد عقد بيع في السجل الأول وثيقة 9 المؤرخة سنة 1202هـ "**الحمد لله وفيه باعت مسعودة الذمية بنت فرج العنابي جميع الثمن على الشياع والخراب...الكابنة بشارع اليهود من ولدا أختها المسمى هارون الذمي...اعترفت البايعة ...للتاريخ**[5]"، كذلك في السجل الأول وثيقة 115 المؤرخة في 15

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 242.

[2] – **نفسه**، ص 243.

[3] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 100.

[4] – من أهل الذمة وهم المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم والمقصود هنا جماعة اليهود والنصارى ينظر: عبد الله الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر**، مصدر سابق، ص 62.

[5] –**و. م. ش**، السجل الأول، و9، أ. و. ق.

شوال عام 1203هـ: "**الحمد لله وفي الخامس عشر من شوال طلق عيسى بن محمد فاطمة بنت الذمي طلقة أولى بعد البناء... طايعين بذلك للتاريخ**".

استطاعت فئة اليهود أن تكون لنفسها مكانة بارزة في مجتمع مدينة قسنطينة، وأن تبرز على مسرح الأحداث كإحدى أهم فئات المجتمع في تلك الفترة، وذلك لما اختصت به من مميزات لعل أهمها معرفة أفرادها باللغات، وسيطرتهم على غالبية النشاطات الاقتصادية كالحرف وعلاقاتهم مع الدول الأوروبية.

2.4. المسيحيون:

إن موقع الجزائر على الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط في مواجهة دول مسيحية التي تقع على الجانب الشمالي، أفرز علاقات بين هذه الدول سواء على أساس التجارة أو الحرب، كما أدى نشاط القرصنة إلى وجود مهتدين ازداد عددهم وكثر نشاطهم في المدن الجزائرية، وقد اعتنق عدد كبير منهم الإسلام سواء عن قناعة أو لتحسين ظروفهم[1]، وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري كالتجار الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية والأسرى، وقد أشارت المصادر الأوروبية للأسرى بوصفهم "عبيدا"[2]، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يعتبرون أسرى حرب أكثر مما يعتبرون عبيدا، فالأسرى الذين لا يختارهم الداي ليعملوا كحراس أو خدم ولا يشتريهم النخاسون (الباعة) يصبحون ملكا للدولة، ويعملون في المرافق التابعة لها، وللأسير حق الغذاء سواء من قبل دولته أو يغذي نفسه، إذا كان قادرا على ذلك، وقد تكاثرت أعدادهم وخاصة خلال القرن السابع عشر الميلادي[3].

كان الأسرى المسيحيون التابعون للبايلك أو الذين يمتلكهم الخواص يكلفون بأعمال مختلفة مثل العمل في ورشات بناء السفن ومقالع الحجارة ومصانع الأسلحة وغيرها، ومنهم من يشتغل

---

[1] –أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 42.

[2] –من المعلوم أن شروط حياة الأسرى الأوروبيين بالجزائر إذا ما قورنت بوضعية الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية، كانت حسنة بل ممتازة خلافا لادعاءات رجال الدين المسيحيين من أجل حمل الدول الأوروبية على مهاجمة الجزائر. ينظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 105.

[3] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 130-131.

في البساتين أو يقوم بالخدمة في المنازل والمقاهي والحانات، ويتقاضون مقابل ذلك علاوات شهرية وهدايا متنوعة في المواسم والأعياد، ولا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك المخصصة لهم[1]، ومثال ذلك "تدينا" أسير الباي.

أما القناصل ومبعوثو الدول الأوروبية وممثلو الشركات والوكالات التجارية الأجنبية مثل الشركة الإفريقية أو الباستيون[2] في الشرق الجزائري ورجال الدين، فكانوا يعيشون في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية المعمول بها في البلاد، غير أن بعضهم كان يتعرض في بعض الأحيان إلى غضب الحكام مع توتر العلاقات مع بلدانهم، وكان هؤلاء الأجانب ينزلون بفنادق معينة أو يقيمون في أحياء معزولة أو يسكنون منازل خاصة بهم في الضواحي، أما عن وضعية وشروط حياة الأسرى بالجزائر ورغم ما قيل وأتهم به الجزائر من اضطهاد للأسرى، غير أن شهادة بعض الكتاب الأوربيين أمثال "لوجي دو تاسي Laugier De Tassy" والذي انتقد أقاويل وادعاءات رجال الدين المسيحيين المغرضة، ويرى أن شروط حياة الأسرى بالجزائر كانت ممتازة إذا ما قورنت بوضعية الأسرى المسلمين في البلاد الأوروبية[3].

وقد غابت العناصر المسيحية والأسرى في الوثائق الشرعية، ويعود ذلك إلى حالة عدم الاستقرار التي كان يعيشها الأسير في المدن الجزائرية حيث كانوا ينقلون من مدينة إلى أخرى، وكان معظمهم يفضل مدينة الجزائر العاصمة على باقي المدن الأخرى.

كان للمسيحيين سواء الأحرار أو الأسرى دورا كبيرا في الحراك الاجتماعي في المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة رغم غياب تسجيل معاملاتهم في الوثائق الشرعية.

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 245.

[2] – هو حصن فرنسا التجاري الواقع على بعد بضع كيلومترات شرق مدينة عنابة على الساحل الشرقي للجزائر، أسس خلال القرن السادس عشر على يد التاجرين المرسليين توماس لانش وكارلين ديديه، بعد أن تحصلا على موافقة الأهالي على إنشاء محطة تجارية، وذلك باستغلال حوالي ثلاثين كيلومترا من الشريط الساحلي الممتد من الرأس الأحمر إلى وادي سيبوس. للإطلاع أكثر ينظر: Charles Féraud, **Histories des villes de la province de Constantine; la Calle**, Type de l'Association Ouvrière, Vaillaud et Cie Alger, 1877, p 93.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص244–245.

5. البرانية:

شكلت العناصر المحلية الوافدة إلى مدينة قسنطينة من الضواحي المجاورة أو المدن القريبة، وكذلك الفئات الوافدة من خارج الإيالة كتونس والمغرب وطرابلس وحتى من السودان، يد عاملة مهمة في فضاء مدينة قسنطينة لما كانت تقوم به من مهن وأعمال في جميع المجالات وكانت تعرف باسم القبيلة أو الجهة التي جاءت منها ويصطلح بتسميتها بفئة البرانية.

1.5. البرانية لغة واصطلاحا:

البرانية لغة هي كلمة مأخوذة من الدارجة أو العامية الجزائرية، والبراني ينسب إلى البر ومعناه خارجي، وهو الشخص الغريب القادم من خارج أسوار المدينة، ويغيب هذا اللفظ في الوثائق والمصادر المحلية[1]، ويعرف البراني من خلال تركيبة اسمه الذي يحمل النسبة إلى موطنه أو مدينته الأصلية، بإضافة الياء إلى اللفظ المنسوب إليه مثل ميلة–الميلي[2].

أما اصطلاحا هم الأفراد الذين يهاجرون من مناطقهم الأصلية إلى المدن الكبرى للبحث عن العمل، ويعيشون لوحدهم وليس لهم مسكن ثابت ويسكنون عموما الفنادق ويناموا أمام المنازل والمحلات، ولم تتوفر لأغلبيتهم شروط الاستقرار بحي سكني إلا عددا قليلا ممن تزوجوا بنساء المدينة[3]، ويعرفون كذلك باسم الأغراب ويعتبرون دخلاء ينسبون إلى مواطنهم الأصلية ويحافظون على أوضاعهم بالاشتغال بمهن وأعمال معينة لا تجد القبول من طرف باقي الفئات الأخرى وهي في مجملها مهن متواضعة وأعمال بسيطة كالعمل في الورشات أو عند العائلات الحضرية[4].

وهنا نتساءل هل كانت كلمة البراني أو الغريب تحمل نوعا من التحيز والعنصرية، أو تظهر نظرة التميز والاستعلاء، التي قد يمارسها سكان العواصم والمدن الكبرى على الوافدين في تلك

---

[1] – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 20.

[2] – قشي فاطمة الزهراء، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 16.

[3] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 93.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، مرجع سابق، ص 60.

الفترة والتي ما زالت منتشرة في مجتمعنا إلى يومنا هذا؟ وهل كانت نفس النظرة للوافدين من المدن أو الفضاءات الحضرية كالجزائر العاصمة؟

إن الأمن الذي كان يسود المدن الجزائرية مثل مدينة قسنطينة والامكانيات الاقتصادية جعلها محل هجرة داخلية قوية من طرف سكان الأرياف والمناطق المجاورة الذين يبحثون عن أي حرفة حتى لو كانت متواضعة[1]، وقد أدى الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي صاحب التواجد العثماني في مدينة قسنطينة إلى ظهور هذه الفئات جديدة والتي شكلت جزءا هاما وفعالا في المدينة. فما هي أهم الفئات البرانية في المدينة وما مدى تأثيرها على الفئات الأخرى؟

كانت مدينة قسنطينة مركزا لاستقطاب السكان من مختلف المناطق مع انتشار ظاهرة النزوح الريفي نحو المدن بحثا عن العمل والارتزاق، فترتب عن ذلك ظهور فئة سكانية جديدة في المدينة قادمة من المناطق الريفية والصحراوية وحتى من خارج الإيالة والتي اصطلح على تسميتها بالعناصر البرانية[2]، وهي تشكل أغلبية سكان المدينة من العامة وذات مستوى متدني من الحياة، ونزح معظمهم من خارج المدينة ويضاف إليهم فئة الفلاحين الذين كانوا يشكلون قاعدة الهرم الاجتماعي[3]، وكانت هذه الجماعات تنضوي تحت إشراف أمين منها يختاره الباي، ويوكل له حق مراقبة جماعته ويتولى شؤونها فيما يتعلق بأمور الشرطة والقضايا العدلية ويساعده في ذلك أعوان وشواش وكتاب[4].

وترصد لنا وثائق المحاكم الشرعية بقسنطينة العناصر السكانية التي جاءت لإقامة بالمدينة، والتي هاجر أفرادها من مواطنهم الأصلية التي تدل عليها أسماؤهم ونسبتهم، وتميزت تركيبة هؤلاء الوافدين بتنوع كبير، فمنهم الوافدون من المدن المجاورة والقريبة والتابعة للبايلك، مثل مدن جيجل وميلة و فرجيوة وعنابة والمسيلة وزمورة ومنطقة جرجرة، ونزح آخرون من مدن بايلك الغرب،

---

[1] –أندري ريمون، **مصدر سابق**، ص 41.

[2] -Haedo, **Topographie**, Op-cit, p 491.

[3] –أحميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)**، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1405هـ-1984م، ص 22.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 236.

كوهران وتلمسان ومستغانم وغيرها، وقدم آخرون من خارج حدود الإيالة، مثل تونس والمغرب والسودان، كجماعة الوسلاتية والمراكشيون والسودانيون وغيرهم[1]، وهو ما يفند التصورات الشائعة أن مدينة قسنطينة مدينة مغلقة على نفسها ولا ترحب بالبراني إلا بصعوبة، وأن البلدية (الحضر) لا يختلطون بأهالي الريف والبادية إلا نادرا، وخاصة قبل التحولات العميقة التي أحدثها الاحتلال الفرنسي في البلاد من تفكيك للقبائل الجزائرية[2].

2.5. الوافدون من داخل الإيالة:

كان معظم سكان المدينة مزارعون يقيمون في المناطق النائية للإشراف على مجالات نشاطهم، أما في فصل الشتاء فيفضل الكثير من سكان الريف الهجرة إلى المدينة تجنبا لقسوة برودة الجو[3]، ونذكر في هذا المقام أهم الفئات التي كان لها وزن كبير ومكانة في مجتمع المدينة سواء في مدينة الجزائر أو قسنطينة أو في المدن الأخرى وهي جماعة الجيجلية[4].

1.2.5. الجماعة الجيجلية:

هاجرت هذه الجماعة من مدينة جيجل الساحلية التي عرفت مع بداية الفترة الحديثة تراجعا كبيرا في جميع الميادين، فلا صناعة اختصت بها وحتى دار صناعة السفن أهملت بعد رحيل "خير الدين بربروس"، كما كانت عرضة لانتقام القوى البحرية الأوروبية وهو ما يفسر هجرة سكانها إلى المدن الكبرى على غرار مدينة قسنطينة[5]، واشتهرت هذه الجماعة بالعمل في المطاعم والمخابز وامتلكوا المحلات، كما شاركوا في نشاطات أخرى مثل التجارة ودباغة الجلود[6]، وتظهر

---

[1] – صرهودة يوسفي، معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، **ماجستير في التاريخ الحديث**، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005/2004، ص 136.

[2] –قشي فاطمة الزهراء، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 167.

[3] -Isabelle Granguad, **Op-cit,** p 73.

[4] –لعل العناصر الجيجلية كانت تفضل الجزائر العاصمة على المدن الأخرى، وهذا يعود للمكانة والامتيازات التي كانت تحظى بها دون الفئات الأخرى، ويعود ذلك للعلاقة الوطيدة بين سكان جيجل وخير الدين بربروس في اتصاله الأول بهم سنة 1512م. للاطلاع ينظر : Venture de Paradis, **Tunis et Alger au XVIIIe siècle**, mémoires et ressembles par Joseph Cuop, Paris, Sindbad, 1983, p 119.

[5] –على خنوف، **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، ط1، دار منشورات الأنيس، 2011، ص 64.

6 - Venture de Paradis,**op cit**، p 119.

عقود المحكمة الشرعية مشاركة هذه الجماعة في الحياة الاجتماعية واندماج أفرادها مع عنصر الحضر؛ من خلال عقود الزواج والطلاق وباقي المعاملات الأخرى، وعرفت هذه الجماعة بنسبة الجيجلي ويمثلون أكبر نسبة من البرانية في مدينة قسنطينة، ويظهر لنا أحد العقود نموذجا لزواج أحد أفرادها، جاء فيه:" **الحمد لله وفيه تزوج محمد بن سليمان الجيجلي فاطمة...**"[1]. كما تظهر كذلك في مختلف المعاملات الأخرى من بيع وشراء منها عقد من السجل الثاني وثيقة 343 المؤرخة عام1205هـ "**الحمد لله وفيه اشترى سي إسماعيل بن مصطفى... من المكرم سي محمد بن عباس بن المرابط الجيجلي...**".

2.2.5. العناصر الميلية:

تعد العناصر الوافدة من مدينة "ميلة" التي تربطها علاقة وطيدة بمدينة قسنطينة عبر مختلف العصور من أهم العناصر المشكلة لمجتمع المدينة، فهي تقع شمال غرب مدينة قسنطينة على بعد 52 كلم وهي أهم مركز عسكري تابع لها، وعلى هذا الأساس استقطبت عناصر عثمانية من عسكريين وموظفين سامين استقروا بها حتى نهاية العهد العثماني، وبالمقابل فقد تواجد العنصر الميلي بكثرة في مدينة قسنطينة وانصهر مع مجتمع المدينة إلى درجة أن أصبح اسم ميلة يطلق على أحياء بقسنطينة منها حي "ميلة الصغيرة" بأقصى شرق المدينة وزنقات الميليين جنوب البطحاء[2]، وجاء في وثائق المحاكم الشرعية أسماء لهؤلاء الميلين الذين انتقلوا إلى مدينة قسنطينة بحثا عن العمل بعد أن ضاعت منهم أراضيهم، أو تركوها هروبا من الحروب والثورات الشعبية التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة ، وقد اختصت هذه العناصر في بيع اللحوم أي العمل كجزارين[3]، ولا يوجد تاريخ محدد لوفود هاته العناصر إلى المدينة غير أن الوثائق ترصد معاملاتهم وتفاعلهم الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع المدينة، حيث كانوا يبيعون ويشترون العقارات، وكذلك يكترون وكانت أسماؤهم ترد في عقود عينة الدراسة ومن أمثلة ذلك عقد الشراء من السجل

---

[1] – **و. م. ش**، السجل الأول، و6، أ. و. ق.

[2] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع في بايلك قسنطينة**، مرجع سابق، ص 69.

[3] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 136.

الأول وثيقة 130 المؤرخة في 14 محرم سنة 1204هـ والذي جاء فيه: "**الحمد لله وفيه اشترى الشقيقين محمد ورمضان ولدا رجب الميلي الجزار صنعة من المكرم عبد الله بن خوجة ووالدته الشطر على شياع من الدار الشرقية المفتح والمتوسطة بين الشيخ البركة سيدي راشد وكوشة الزيات وتقابض ثمنا ومثمنا بين الشراء بتاريخ أواسط محرم من عام 1204هـ**"، ويتضح من خلال هذا العقد استقرار هذه العناصر بالمدينة وشرائهم المنازل داخل أسوار المدينة، ودون أن نغفل عقودا عديدة توثق لزواج أو طلاق هذه العناصر من مختلف الفئات الأخرى، وإلى جانب هؤلاء ترصد الوثائق كذلك العناصر الوافدة من مدينة فرجيوة، القريبة من مدينة ميلة والذين نزحوا إلى مدينة قسنطينة ولعبوا دورا مهما في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث تشير الوثائق إلى نسبة الفرجيوي الذي اندمج هو الآخر اجتماعيا من خلال الزواج والمصاهرة فنجد عقدا في السجل الثاني وثيقة 593 المؤرخة عام 1210هـ " **الحمد لله وفيه تزوج محمد بن محمد الفرجيوي من سخرية بنت بوعبد الله...**"، وهو ما يدل على استقرار هذه العناصر مجتمع مدينة قسنطينة.

3.2.5. العناصر العنابية:

كانت مدينة عنابة واحدة من أهم أقاليم بايلك الشرق لاحتوائها على ميناء تجاري كبير، ودخلت مرحلة جديدة من تاريخها الطويل خلال العهد العثماني[1]، وأصبحت جزءا من بايلك قسنطينة وعموده الاقتصادي بفضل مينائها وتحصيناتها الدفاعية[2]، وهذا ما فتح الطريق أمام بعض أفراد المدينة الذين فضلوا الهجرة إلى عاصمة البايلك نتيجة الغارات والهجمات البحرية التي كانت تتعرض لها المدينة من القوى البحرية الأوروبية بين الحين والأخر، والتي زادت حدتها في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وتركت انعكاسات سلبية على نشاط سكان المدينة مما

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 452.

[2] –محمد لخضر بوبكر، سعيد دحماني، **غزو التوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607م**، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر، 2013، ص 56.

اضطر بعض أفرادها للهجرة لقسنطينة لطلب العمل وتحسين ظروف الحياة[1]، ويظهر ذلك في وثائق عينة الدراسة منها عقد زواج أحد أفراد هذه العناصر "**الحمد لله وفيه تزوج بلقاسم بن رمضان بن حسين العنابي حسينة بنت الحاج أحمد ...للتاريخ**"[2].

كما استقطبت مدينة قسنطينة بحكم أنها مركز ثقافي وعلمي في تلك الفترة فئة من العلماء والفقهاء الوافدين من مدينة عنابة والذين استقروا بها وكانوا يترددون على المحكمة الشرعية لتسجيل معاملاتهم.

4.2.5. جماعة الزموري:

ومن الجماعات التي ثبت كذلك توافدها على مدينة قسنطينة بأعداد معتبرة جماعة الزموري نسبة إلى منطقة زمورة، حيث سجلت الوثائق معاملاتهم داخل المدينة، منها عقد كراء من السجل الأول المؤرخ في 12 جمادى الأولى 1204هـ الذي تضمن "**تعاقد كل من محمد بن خليل الإنكشاري ثم الزموري، مع المكرم الحاج بن محمد العمراني في كراء الدار القبلية المفتح...**".

5.2.5 جماعة السدراتية:

تنسب الجماعة السدراتية إلى مدينة سدراتة، وهي إحدى أهم الجماعات البارزة في الوثائق باسم ونسبة السدراتي ومن أهم معاملاتهم التي تم تسجيلها في المحكمة الشرعية عقود الزواج والطلاق وهو ما عبر عنه عقد زواج: "**الحمد لله وفيه تزوج علي بن بلقاسم السدراتي حدة بنت بوشريط... للتاريخ**"[3].

6.2.5. جماعة المسيليين:

ومن العناصر كذلك الوافدة على مدينة قسنطينة والتي كان لها دور فعال جماعة المسيلين وهم القادمون من منطقة الحضنة أو ، وهي تشكل رأس مثلث سهول عليا محصورة بين الأطلس

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 457.

[2] –**و. م. ش**، السجل الأول، و13، أ. و. ق.

[3] –**و. م. ش**، السجل الأول، و9، أ. و. ق.

التلى والأطلس الصحراوي[1]، وقد لعبت مدينة المسيلة في العهد العثماني دورا كبيرا فهي مفتاح الاتصالات بين الصحراء ومدينة الجزائر ومع قسنطينة عبر جبال البيبان[2]، وقد ثبت من خلال عقود عينة الدراسة وجود أفراد هذه المدينة المعروفين بنسبة المسيلي في المعاملات المختلفة من بيع وشراء وزواج، واخترنا منها عقد من السجل الأول وثيقة 14 المؤرخة في 1202هـ، والذي يوثق زواج السيد مصطفى بن المسبح وهو من العائلات الكبرى في مدينة قسنطينة من رحمونة بنت أحمد المسيلي، وهو دليل على اندماج الجماعات الوافدة مع المجتمع الحضري القسنطيني.

7.2.5. جماعة القبائل:

ويظهر لنا كذلك من خلال وثائق عينة الدراسة نسبة الزواوي والقبايلي، وهي مكونة من جماعة القبائل و الزواوة، التي تنتمي إلى منطقة جرجرة وهم ينسبون إلى العنصر الأمازيغي، وقد نزح أغلب أفرادها من المناطق الجبلية القريبة من مدينة قسنطينة للعمل والاشتغال بالمهن اليدوية كالنسيج وصناعة الأواني البسيطة والآلات الفلاحية، كما يتولون العمل في دكاكين بيع الزيت أو دباغين أو يقومون بالحراسة[3]، وعملوا كذلك خياطين ورعاة وعمال غير مهرة وخدم للبيوت[4]، وقد نزح أفراد هذه الفئة إلى المدينة بسبب تدهور الزراعة، وأشارت الوثائق إلى ما يعرف بالوكيل أو ممثل القبيلة في عاصمة البايلك وكانت مهمته اقتصادية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى وكيل الزواوة، وكان هذا المنصب يهتم بمصالح أي قبيلة يرجع إليها في النسب بعد أن أصبحت القبائل تتمتع بامتيازات مادية مختلفة من أجل تشجيعهم على الوصول إلى قسنطينة[5]، فقد كان أهل الزواوة يقصدون أسواق المدينة لقضاء حاجاتهم، وكثيرا ما استقر أغلبهم فيها

---

[1] –محمد القويسم، المسيلة في العهد العثماني، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع 3، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 121.

[2] –كمال بيرم، "فئة الكراغلة بالجزائر كراغلة مدينة المسيلة أنموذجا"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، ع 11، ديسمبر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 239.

[4] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 100.

[5] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات**، مرجع سابق، ص 136.

فيتخذون لهم مسكنا ويتزوجون، أو يأتون بعائلاتهم معهم فينمو المجتمع ويتنوع ويتنافس[1]، ومن الأمثلة التي توثق لهذه الجماعة عقد زواج "**الحمد لله وفيه تزوج صالح بن عبد العزيز القبايلي عايشة بنت أحمد بن سعيد...للتاريخ**"[2].

8.2.5. جماعة المزيتي:

تنسب هذه الجماعة للسكان الأصليين القادمين من منطقة القبائل الصغرى، واختص أفرادها بالعمل في الحمامات وامتهن بعضهم صناعة الحصير بالحلفاء أو حلفويين، واشتغل البعض الآخر في البناء كعمال أجراء[3]، وقد تم رصد أعداد قليلة من المزيتيين أواخر العهد العثماني حوالي عشرة أفراد من خلال ما جاء في وثائق عينة الدراسة، كما كانوا يشتركون في السكن وفي النشاط الاقتصادي فجميعهم صناع حصير، وعلى الأرجح هم الوحيدين الذين يمارسون هذه الحرفة حسب ما أوردته الباحثة "إيزابيل قرانقو"[4].

9.2.5. جماعة الحنانشة والحراكتة:

هي إحدى أهم الفئات الوافدة على مدينة قسنطينة، حيث رصدت لنا وثائق عينة الدراسة حضور جماعة الحنانشة وهم سكان تعود أصولهم إلى قبيلة ذات نفوذ تقع على الحدود الشرقية للبايلك ومعروفة بولائها لبايات قسنطينة وتونس حسب ما يتماشى مع مصالحها، وعرفوا في مدينة قسنطينة باسم الحناشي، حيث نجد عدة عقود مسجلة بأسماء أفراد أسرة وشيوخ الحنانشة بمحكمة قسنطينة في مختلف المعاملات من بيع وشراء وكذلك زواج وطلاق، ولعل تلك العقود جاءت نتيجة اندماج واستقرار هذه العناصر في مجتمع المدينة[5]، وسيطرت هذه الجماعة على أسواق الحدود بين بايلك الشرق وتونس ويعملون تجاريا على احتكارها، كما عملوا على إقامة علاقات

---

[1] –أبو القاسم سعد الله، "مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهدايا القرن 11هـ/ 17م"، **منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية**، ع 48، زغوان (تونس)، 1988، ص 389.

[2] –**و. م. ش**، السجل الأول، و08، أ. و. ق.

[3] – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 310.

[4]- Isabelle Granguad, **Op-cit,** p 43.

[5] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 120.

تجارية مع الشركة الإفريقية الفرنسية في ميناء القالة[1]، وتظهر نسبة الحناشي بكثرة في عينة الدراسة نذكر منها على سبيل المثال عقد زواج في الوثيقة 600 من السجل الثاني المؤرخة عام1210هـ الذي يوثق "**زواج علي بن شعبان الحناشي من مريم بنت سي مبارك الدراجي**".

أما جماعة الحراكتة فهي لا تقل أهمية عن جماعة الحنانشة، حيث شكلت هي الأخرى إحدى أهم الجماعات الوافدة على المدينة وهذا لمكانتها في بايلك الشرق، وتظهر الوثائق وجود أفراد هذه الجماعة ومشاركتهم في مختلف المعاملات الموثقة في عينة الدراسة ومثال ذلك عقد بيع من السجل الأول وثيقة 44 المؤرخة في 17 ربيع الأول لسنة 1204هـ" **باعت أم الخير بنت الحاج عمار الحركاتي الدار الشرقية المفتح القريبة من مسجد سيدي علي الطنجي للمقدم السيد محمد بن الفج**"، وهو دليل على تفاعل هذه الجماعة واستقرار أفرادها من خلال شرائهم وامتلاكهم الدور داخل أسوار المدينة.

بالإضافة إلى عناصر أخرى ظهرت بصورة قليلة في الوثائق منها العناصر القادمة من مدينة تبسة ممثلة بنسبة التبسي، ومثال على ذلك عقد من السجل السادس وثيقة 19 المؤرخة في ربيع الثاني سنة 1233هـ "**الحمد لله وفيه تزوج سي محمد بن إسماعيل التبسي كان قاضي السادة الحنفية بآمة الله بنت الحاج أحمد زروق...**".

10.2.5. جماعة بني عباس:

كما نقلت لنا وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة أمثلة عن استقرار بعض العناصر من منطقة بني عباس، وتعود أصولهم إلى منطقة القبائل الصغرى وهم جماعة استقروا في المدينة واشتهروا بصناعة بعض الأدوات من الحلفة، وهم أول من مارس هذه المهنة بالإضافة إلى نشاطات مختلفة كوازنين وحمالي الماء أو سقاءين[2]، وكان لهذه العناصر علاقة متوترة مع السلطة العثمانية مما جعلها قليلة التوافد على المدن الكبرى[3]، غير أن ذلك لم يمنع من أن نجد أفرادا

---

[1]–André Nouschi, **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises (de la conquête jusqu'a 1919**, Presses Universitaires de France, Paris, 1961, p119.

[2] -Isabelle Grangaud, **op cit**, p 43.

[3] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 26.

تنتمي لهذه المنطقة بنسبة العباسي وأنها استطاعت أن تجد لنفسها مكانا في مدينة قسنطينة من خلال ربط علاقات اقتصادية واجتماعية، ويظهر ذلك في الوثيقة رقم 4 من السجل الأول المؤرخ سنة 1202هـ، التي تتضمن "**زواج محمد بن سليمان العباسي من عائشة بنت علي...**"

11.2.5. جماعة بني مزاب:

هم الوافدون من مدينة غرداية الصحراوية وهم أناس هادئون نشيطون في التجارة ومشهورين بالأمانة والنزاهة في الأعمال[1]، ولعبوا دورا كبيرا في المجال الاقتصادي في مدينة قسنطينة من خلال ممارستهم لأنشطة مختلفة، حيث اختصوا بالعمل في الحمامات والمطاحن والمخابز والقصابة وصناعة الحلوة والبناء[2]، واستطاع أفراد هذه الجماعة ربط علاقات اقتصادية مع باقي الطوائف الأخرى، واحتكر الميزابين في المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة أعمال الإشراف على الحمامات وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين[3].

كما عرفت المدينة توافد عناصر من مدن بايلك الغرب، وهي تلمسان بلعباس ومعسكر ووهران ومليانة، وسجلت العناصر الوافدة من مدينة تلمسان أعلى معدل حضور في الوثائق[4]، وهي المدينة التي نالت شرف الاسم والشهرة في العلوم والأدب والفنون والصناعة عندما كانت عاصمة الدولة الزيانية، ويعتبر أهلها من أمهر السكان في الصناعات اليدوية المختلفة كالنقش والتطريز وصناعة الأقمشة ونسيج الزرابي، وتراجع دورها في القرن السادس عشر الميلادي نتيجة الحروب مع الإسبان[5]، وهذا من الأسباب التي جعلت سكانها يهاجرون إلى المدن الكبرى، أو البحث عن مناطق أخرى أكثر استقرارا مثل مدينة قسنطينة، وظهر اسم ونسبة التلمساني في

---

[1] -وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 111-112.

[2]- سيمون بفايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، د. ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 163-164.

[3] -وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 100.

[4] - سهام بوديبة، دائرة المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية، **رسالة دكتوراه في التاريخ**، جامعة قسنطينة، 2018-2019، ص 70.

[5] - أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري** مرجع سابق، ص 110-111.

عقود عينة الدراسة ومنهم من تولى وظائف مهمة في المدينة، منها وظيفة العدول الممثلة في شخص "علي التلمساني" الموظف بالمحكمة الحنفية، كما تولى أربعة من رجال التلمساني منصب الإنكشاري[1]، وكان لهذه العناصر مكانة مميزة بحكم أنهم قدموا من فضاء حضري، وقد أشارت وثائق المحاكم الشرعية إلى نسبة التلمساني في عقود المعاملات المختلفة اخترنا منها عقد إبراء ذمة وجاء فيه: "**الحمد لله وفيه أبرأت دايخة بنت عمار زوجها إبراهيم بن أحمد التلمساني من خمس وثلاثين ريالا صداقها وهي صحيحة العقل والبدن للتاريخ**"[2].

فضلا عن العناصر السالفة الذكر والتي تأطرت ضمن جماعات حسب أصولها الجهوية تشير وثائق عينة الدراسة إلى عناصر من البرانية وصفوا بالغرباء أو المجهولين، الذين ظهروا في الوثائق وأطلق عليهم اسم غريب[3]، فمثلا نجد: "**الحمد لله ماتت غريبة المسماة العباسية بدار بن قايد أمام رحبة الصوف وثبت ذلك على يد وكيل بيت المال يوم الجمعة**"[4]. **ومنها أيضا** "**الحمد لله مات غريبا بفندق بن نعمون وابصراه عدلين من عدول المحكمة السيد عبد الكريم والسيد بن طويل**"[5]، وتعد هذه العناصر من الفئات البرانية التي لم يسعفها الحظ لتحسين ظروفها، والاندماج في مجتمع المدينة ولم تتمكن من ربط علاقات اقتصادية واجتماعية، كما تبين الوضع الصعب الذي كانت تعيشه هذه العناصر والتي ليس لها كفيل حيث يتكفل وكيل بيت المال بإجراءات دفنها.

---

[1] – سهام بوديبة، **دائرة المصاهرات**، مرجع سابق، ص 70.

[2] –**و. م. ش**، السجل الأول، و6، أ. و. ق.

[3] –عائشة غطاس، "الوافدون "البرانية" على مدينة الجزائر1787م–1830م بين التهميش الاندماج"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع 25، أوت 2002، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان (تونس)، 2002، ص، 169.

[4] –**سجل الوفيات**، و97، ع 04، أ. و. ق.

[5] –**سجل الوفيات**، و79، ع 04، أ. و. ق.

3.5. الوافدون من خارج الإيالة:

لم تقتصر فئة الوافدين أو البرانية على العناصر المحلية من داخل الإيالة بل تعدتها إلى خارج حدودها كتونس والمغرب والسودان ممثلة بجماعة الوصفان أو العبيد، وتعود هجرة هذه الجماعات لعدة أسباب منها السياسية والاقتصادية، كما كان لحركة الحج السنوية التي تحط رحالها بمدينة قسنطينة ذهابا وإيابا دور في استقرار بعض هذه العناصر.

1.3.5. جماعة الوسلاتية:

شهدت مدينة قسنطينة توافد عناصر من إيالة تونس التي ارتبطت بالجزائر في الفترة الحديثة، وهو ما أدى إلى هجرة العديد من سكانها إلى المدن الجزائرية وخاصة القريبة كمدينة قسنطينة، وورد ذكر هذه الجماعة في وثائق عينة الدراسة باسم التونسي والوسلاتي وهم العناصر الذين ينتسبون لجبل وسلات بتونس[1]، ويعود تاريخ توافد وهجرة هذه العناصر إلى الأحداث السياسية التي عرفها جبل وسلات سنة 1762م الواقع على مقربة من مدينة القيروان التونسية، نتيجة الصراعات الطويلة حول الحكم وهذا ما دفع سكان هذه المنطقة للهجرة إلى جهات مختلفة فرارا من الملاحقة ومنهم من اختار مدينة قسنطينة مستقرا له[2]، وترصد لنا الوثائق عدة عقود تؤرخ لمختلف معاملات هذه العناصر التي استقرت بالمدينة ونذكر منها عقد من السجل الأول وثيقة 4 الذي يوثق "**زواج أحد عناصر الوسلاتية وهو أحمد بن عمار الوسلاتي من مسعودة بنت سعد بن الشحات**"، كما تظهر نسبة الباجي في العقد السجل السادس الوثيقة 27 المؤرخة في جمادى الأولى عام 1233هـ "**وفيه طلق سي بلقاسم بن الطاهر بن الحاج حسن الباجي زوجه آمة الله فاطمة بنت سي محمد بن حلموش...**". واسم الصفاقسي في السجل الثامن وثيقة 445

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18**، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 23.

[2] – سهام بودبية، فاطمة الزهراء قشي، "مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة (1825-1800م)"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع 49، قسنطينة، 2018، ص 38-39.

المؤرخة في جمادى الأولى عام 1238ﻫ" **وفي الخامس عشر منه تزوج سي العربي بن بوجمعة الصفاقسي آمة الله الزهراء بنت سي محمد الورتيلاني ...**"[1].

2.3.5. جماعة المراكشية:

هي الجماعة التي توافدت من المغرب الأقصى رغم حالة التوتر والصراعات التي كانت سائدة في تلك الفترة بين حكام الجزائر والمغرب، غير أن ذلك لم يمنع بعض الأفراد من التواصل والهجرة العكسية لعوامل ثقافية واقتصادية وحتى السياسية، حيث استقرت بعض الجماعات من المغرب الأقصى في المدن الجزائرية كمدينة قسنطينة، وهو ما يظهر في وثائق عينة الدراسة باسم المراكشي منها عقد طلاق" **الحمد لله وفيه طلق الحاج سعيد بن محمد المراكشي زوجه فاطمة بنت علي المسيلي**"، وهو دليل على تفاعل هذه الجماعة ومصاهرتها مع الفئات المحلية كجماعة البرانية.

ويتضح لنا من خلال عينة الدراسة أن أعداد الوافدين من تونس أكبر من الوافدين من المغرب، ويعود ذلك للأسباب السياسية بالدرجة الأولى ثم البعد الجغرافي.

3.3.5. العناصر الطرابلسية:

وهي العناصر التي هاجرت من إيالة طرابلس الغرب واستقرت بمدينة قسنطينة ولكن بأعداد قليلة مقارنة بسابقيها حيث نجد في سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة المؤرخ سنة 1840م في التصريح رقم 1 وثيقة 55 "...**حضر المكرم الحاج محمد ابن الطرابلسي...**"[2]، للتصريح بالوفاة وهو دليل على استقرار هذه العناصر في مدينة قسنطينة.

4.3.5. جماعة الوصفان والعبيد:

تعود أصول هذه الجماعات الدخيلة على المجتمع الجزائري في العهد العثماني في أغلب الأحيان إلى بلاد السودان، إذ كان التجار الطوارق يقومون بشرائهم مقابل بعض المنتوجات الحرفية كالشواشي والأحذية والأقمشة الحريرية، وبالتالي كان العبيد في تلك الفترة عبارة عن

---

[1] –**و. م. ش**، السجل الثامن، و445، أ. و. ق.

[2] –**سجل الوفيات**، و55، ع 1، المؤرخ في 1840م، أ. و. ق.

بضاعة للمقايضة[1]، وكان يسمح لهم بشراء حريتهم وفي بعض الأحيان يتولى مالكوهم تحريرهم وفي كلتا الحالتين يصبحون كمواطنين[2]، واعتبرت هذه العناصر من الفئات البرانية وشكلوا جماعة يقودهم أمين يسمى "قايد الوصفان"، والذي كان يتقاضى بعض الفوائد مقابل السهر على حراسة النظام بينهم بأمر من الحكومة، وكان عددهم كبيرا وشكلوا شريحة هامة تمتلكها عادة الفئات الحاكمة والميسورة الحال كنوع من التباهي والثراء[3]، وكانت ملكية العبيد والأسرى في المدن الجزائرية في العهد العثماني لها صلة قوية بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة[4]، أما الجماعات الحضرية فقد ازدادت حاجتها للرقيق وكان ذلك عاملا من عوامل الرفاهية عند الطبقات الميسورة في المدينة[5]، حيث كانت النساء الحضريات يشترطن آمة خادمة في الصداق ومثال ذلك ما جاء في السجل الخامس الوثيقة 222 المؤرخة عام 1227هـ"**الحمد لله تزوج حسن...بن مصطفى آمة الله آمنة بنت الحاج إسماعيل بن حسن خوجة.... على صداق قدره ماية ريال واحد وقفطان وحزام وآمة ...**".

كان العبيد يعاملون معاملة حسنة لدرجة أن العبد يصبح فردا من أفراد الأسرة المالكة[6]، ومارس أفراد هذه العناصر أعمالا مختلفة منها الزراعة ورعي المواشي، كما كانت الدولة تسخرهم في الأعمال الشاقة وتأمين مرافقها وبناء القصور والقلاع والحصون وتجديف السفن وغيرها[7]،

[1] –عائشة غطاس، **الوافدون" البرانية" على مدينة الجزائر**، مرجع سابق، ص 170.

[2] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 145.

[3] –ياسين بودريعة، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786م–1800م) دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات، **أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2016–2017، ص 73–74.

[4] –خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر، ج1، **مرجع سابق**، ص 751.

[5] –عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضره**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1987، ص 48–49.

[6] –ياسين بودريعة، **مرجع سابق**، ص 74.

[7] –عبد السلام الترمانيني، **مرجع سابق**، ص 48–49.

ومن الأمثلة على ذلك العبد الأسود مرجان الذي كان في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة "قائد الدريبة[1]" أي المكلف بحراسة حريم الباي[2].

كما عملوا في البساتين ومارس أغلبهم مهنة الصباغين حيث كانت عادة تبييض البيوت من الداخل والخارج، توكل للسود وكانوا يكسبون منها أموالا كثيرة[3]، والبعض الأخر منهم يشتغل في المخابز وأعمال الغسيل والتنظيف والبناء والنسيج وصنع الحصير والقفاف من القصب والحلفاء، بالإضافة إلى امتهان بعض الفنون الجميلة كالرقص والغناء والموسيقى أمام المقاهي مقابل الهدايا من الأتراك والعرب[4]، ومنهم من عمل في بيوت الأشخاص الميسوري الحال، وخاصة النساء، أما المعتوقون فيشتغل حرفة الحمارة (بيع الدواب أو كراءها لنقل البضائع)، وفئة قليلة منهم تعمل في التجارة، ومنهم من امتهن الشعوذة وصنع التمائم، ورغم ذلك فقد كان للعبد الأسود أيضا مكانة محترمة بين موظفي البايلك[5].

وقد رصدت لنا وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة هذه العناصر تحت تسميات مختلفة منها معتوق أو معتوقة، كما وردت كذلك باسم السوداني ونذكر كمثال على ذلك ما جاء في السجل الأول وثيقة 10 المؤرخة في ربيع الأول عام 1202هـ" **الحمد لله وفيه تزوج البركة بن عبد الله عتيق الحاج محمد مباركة عتيقة محمد بن الحاج ابن قانة ... للتاريخ**"[6]. **وعقد أخر من** السجل الثامن الوثيقة 284 المؤرخة في شعبان من عام 1237هـ "**وفي الثاني والعشرين منه تزوج علي بن أحمد السوداني آمة الله رقية بنت بلقاسم بن عامر السوداني...**"[7].

---

[1] –هو حارس الباب الرئيسي بالقصر وعادة ما يختار من العبيد السود. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 194.

[2] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 196.

[3] –سيمون بفايفر، **مصدر سابق**، ص 180.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 238.

[5] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 196.

[6] –**و. م. ش**، السجل الأول، و10، أ. و. ق.

[7] –**و. م. ش**، السجل الثامن، و384، أ. و. ق.

كما أشارت الوثائق كذلك إلى العنصر التنبكتي وهم الوافدون من منطقة تنبكتو بالسودان الغربي، ونقلت لنا الوثائق أمثلة لأفراد هذه العناصر منها عقد زواج من السجل الأول وثيقة 37 توثق "**زواج الحاج مبارك بن إبراهيم التنبكتي من مبروكة بنت علي**"، حيث تصاهرت هذه العناصر مع أفراد المجتمع المحلي وانصهرت معه وكونت نسيجا اجتماعيا متنوعا في مدينة قسنطينة.

6. مكانة البرانية في مجتمع مدينة قسنطينة:

وبعد أن استعرضنا بعض هذه العناصر والجماعات والنشاطات التي كانوا يمارسونها ويتميزون بها عن بعضهم البعض، كان لا بد أن نستعرض مكانتها في مجتمع المدينة، التي كانت تختلف من عنصر إلى أخر، إذ اعتبرت العناصر الوافدة من الضواحي والمدن الأخرى غريبة عن المجتمع مما صعب عليها الاندماج[1]، ونظرا للأعداد الكبيرة من عناصر البرانية فقد ضاق بها حال المجتمع الحضري الذي ينظر إلى هؤلاء بنظرة استعلاء، فهو يريد تجارتهم وأموالهم وبضائعهم وأيديهم العاملة، ولكنه لا يريد بقاءهم في المدينة ومنافستهم وعاداتهم الخشنة التي لا تتفق مع عاداته الرقيقة[2]، وقد عبر عن هذا الموقف الشاعر بلقاسم الحداد الرحموني[3]، في قصيدته التي عرض فيها الحياة الاجتماعية لمدينة قسنطينة بعد توافد الدخلاء أو البرانية وما صاحبها من فساد الأخلاق والدين[4]، كما تظهر نظرة الاستعلاء على الوافدين إلى المدينة[5]، وجاء في مطلعها:

واش تنظروا فيها هلكت   راهي فسدت

ما بقت تسمى بلدة   من كثير العبد اندخلت

---

[1] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 20.

[2] –أبو القاسم سعد الله، "**مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهدايا للفكون**، مرجع سابق، ص 389.

[3] – هو محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن أبي القاسم الرحموني العيسوي الزواوي (1739م–1826م) نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش، أديب وشاعر تعلم بتونس، ومن أهم آثاره القصيدة التي بين أيدينا. للاطلاع ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 146.

[4] – عبد الجليل رحموني، الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك قسنطينة خلال العهد العثماني، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية**، ع 3، رمضان –جوان 1437هـ/2016م، ص 203.

[5] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 227.

زعما عمرت   كل جنس جاها يتهدا

بالقبايل راهي تحشات   والشاوية كلتهم جات

والسوافة ذوك الازفات   حتى مزيتة زادوا

مغاربة وشراقة حفلات   جايين لها بالكثرات[1].

وكانت جماعة البرانية بمختلف طوائفها تتميز بأوضاعها السيئة وظروفها الصعبة فأغلب أفرادها كانوا يعيشون من دخل مهنهم المتواضعة والشاقة والقليلة المردود، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبارها جماعات مؤقتة ذات صبغة عرقية أكثر منها مهنية تتحكم فيها الظروف والأحوال الاقتصادية، والتي ترغم الكثير منها على العودة إلى مواطنها الأصلية[2]، كما اعتبرت العناصر التي وفدت من المناطق الجبلية والصحراوية برانية، في حين أن العناصر الوافدة من المدن لم يعتبروا كذلك، أو على الأقل لم ينظر إليهم بنفس النظرة، وهو ما يعكس نظرة المجتمع الحضري إلى هؤلاء، فالانتماء إلى المجتمع الحضري والتشابه في العادات والتقاليد من حيث اللباس والمأكل وغيره كان قاسما مشتركا بين هؤلاء[3]، وكان عدد فئات البرانية في المدن الجزائرية عموما وبوجه خاص في مدينة قسنطينة مرتبطا بالرخاء الاقتصادي وتوفر العمل فيزداد عددهم خلال الوفرة ويقلون أثناء الجوائح والأزمات الاقتصادية والأمراض والقحط[4].

حاولت هذه الفئات والجماعات أن تجد لنفسها مكانا ضمن مجتمع مدينة قسنطينة فنجدها تفاعلت مع بعضها البعض، أو مع أفراد المجتمع القسنطيني سواء عن طريق الزواج مع نساء المدينة أو شراء المحلات والدور، فهناك من أسعفه الحظ وارتقى في السلم الاجتماعي وأصبح يملك العقارات وهو ما تدل عليه وثائق البيع والشراء والهبات والوصية، والأكيد أن هذه العناصر

---

[1]- A. Cour, Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh Belgacem Er-Rahmouni EL-Haddad**, R A, n° 60**, p 227.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 240.

[3] – عائشة غطاس، **الوافدون "البرانية"**، مرجع سابق، ص 173.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، ج4، مرجع سابق، ص 102.

الوافدة قد ساهمت في إثراء البنية الاجتماعية للمجتمع القسنطيني من خلال تفاعلها في مختلف المجالات.

واعتمادا على عينة الدراسة والمتمثلة في 350 عقدا من سجلات المحاكم الشرعية من سجل الوفيات تم وضع الجدول التالي الذي يوضح بالأعداد الفئات المشكلة لمجتمع مدينة قسنطينة:

جدول رقم (1) أعداد الفئات الاجتماعية في مدينة قسنطينة من إعداد الطالبة[1]

الفئات	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة (350)وثيقة
الأتراك	67 مرة
الأندلسيين	8 مرات
الحضر	9 مرات
البرانية	100 مرة
اليهود	6 مرات
الوصفان أو العبيد	19مرة

من خلال المعطيات الواردة في الجدول تستنتج أن أعداد البرانية كانت الأكثر حضورا مقارنة بباقي الفئات الأخرى حيث يأتي في المرتبة الثانية الأتراك، ثم فئة العبيد، ويقل حضور كل من الحضر واليهود في الوثائق ويعود ذلك لعدة أسباب منها أن مدينة قسنطينة كانت تمثل قطب اقتصادي وتجاري بالنسبة للعناصر المحلية التي تبحث عن العمل وتحسين ظروف الحياة، فرغم تنوع التركيبة الاجتماعية في المدينة فقد ظلت الغلبة للعنصر المحلي مقارنة بالعناصر الأخرى.

نستنتج مما تم ذكره في ثنايا هذا الفصل أن مجتمع مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني تكون من عناصر وفئات مختلفة منها العناصر الحاكمة المتمثلة في فئة الأتراك والكراغلة، وفئة

[1] – سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

الأعيان والأغنياء التي كانت تملك الثروة والجاه وهي الفئة الممثلة بالأندلسيين والحضر، وفئة العلماء والأشراف التي كانت لها مكانة مرموقة وامتيازات مختلفة في مجتمع المدينة، بالإضافة لليهود والمسيحيين، وفئة العامة المتكونة من عناصر البرانية الوافدة على المدينة من الضواحي وفئات أخرى مثل جماعة الوصفان أو العبيد، والفئات القادمة من المدن والبلاد التونسية والمغربية، منها والوسلاتية والمراكشية وغيرهم، حيث تشابكت هذه العناصر وتفاعلت فيما بينها بالعلاقات المختلفة الناتجة عن تواجدها مع بعضهم البعض مشكلة مجتمع المدينة التقليدي.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في التطور العمراني والتفاعل الاجتماعي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

1. العوامل الطبيعية
2. العوامل الصحية
3. دور السلطة البايلكية بقسنطينة في الرعاية الصحية
4. العوامل البشرية
5. العوامل الاجتماعية

تعد العوامل الطبيعية والبشرية من أهم العوامل التي يتأثر بها المجتمع والعمران، وهي التي تساعد في هدم أو بناء المجتمعات المختلفة، لذلك ارتأينا أن نعرج على أهم العوامل الطبيعية والبشرية التي أثرت في تفاعل المجتمع القسنطيني مع بيئته الحضرية، وما لها من دور في التحكم في بنية المجتمع واستقرار العمران وتطوره، كما تعد عاملا من عوامل جذب أو طرد السكان.

نحاول في هذا الفصل التطرق إلى أهم هذه العوامل ومدى تأثيرها على الحراك الاجتماعي والتوسع العمراني، انطلاقا من التساؤل التالي: ما مدى تأثير العوامل الطبيعية والبشرية في التطور العمراني والتفاعل الاجتماعي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني؟

1. العوامل الطبيعية:

إن طبيعة الحياة التي فرضتها الظروف الطبيعية والبشرية ساعدت على تأكيد المظهر العمراني للمدن العربية والإسلامية، فالمدينة والمسكن والحي ككل يجب أن يتوفر على عامل الحماية من العوامل المناخية والهجمات الخارجية[1]، لذلك تعد البيئة الطبيعية أحد العوامل الرئيسية المؤثرة على الجانب العمراني والاجتماعي، وذلك لقوة عناصرها التي قد يصعب تغييرها في كثير من الأحيان أو العبث بها فيكون الحل الوحيد هو التعامل معها، وعليه فإن العوامل الطبيعية تؤثر على الطابع العمراني والحراك الاجتماعي بصور مختلفة وفقا لاختلاف مؤثراتها سواء كانت جغرافية أو مناخية[2].

1.1. العامل الجغرافي:

يمثل المجال الجغرافي للمدن المكان الذي يتقاطع فيه البناء العمراني مع ممارسات الأفراد والمجتمع لتتفاعل كل هذه المعطيات مع بعضها البعض وتعطي مجالا حضريا متميزا ومتباينا

[1] –زياد محمد شحادة، **(أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية)**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة (فلسطين)، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، 1431هـ/2010م، ص 27.

[2] –أحمد السيد عبد الفتاح الزيات، **(الطابع العمراني لمدن القناة، دراسة تطبيقية لمدينة الإسماعيلية في القرن العشرين)**، رسالة ماجستير في العمارة، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، د.ت، ص 11.

بتباين خصائص الفئات الاجتماعية ونشاطها الاقتصادي[1]، ويعد الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية لمدينة قسنطينة كما سبق وذكرنا عاملا أساسيا من عوامل الهجرة والنزوح إليها فهي تحتل موقعا استراتيجيا هاما بتوسطها الإقليم الجزائري، وتتربع على ملتقى الطرق البرية والبحرية مما أعطاها طابعا مميزا[2]، فالأثر الهام لموقع المدينة الجغرافي رسم خطوط الاتصال التجاري بينها وبين المدن الجزائرية من جهة، وبين المدن المغاربية والأوروبية من جهة أخرى، بالإضافة إلى السودان وجنوب إفريقيا[3]، غير أن المزايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يمكن أن يوفرها الموقع الجغرافي للمدينة قد يكون في بعض الأحيان سببا في عدم استقرارها، وخاصة في فترات الاضطرابات الداخلية والخارجية كالثورات والكوارث الطبيعية[4]، وعلى هذا الأساس فإن الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة يمثل نقطة أساسية وعاملا مهما لاستقطاب الجماعات من كل الأنحاء والجهات.

2.1. المناخ:

يعد المناخ بعناصره المختلفة من العوامل المؤثرة على نشأة المدينة وفي اتجاه محاور نموها، وخاصة هندسة مبانيها وطرقها وبعض الاستخدامات الأخرى بها التي تتأثر إلى حد كبير بدرجات الحرارة، واتجاهات الرياح والرطوبة وتذبذبات الأمطار، ولذلك كانت دراسة المناخ ضرورية جدا في تخطيط المدن على غرار مدينة قسنطينة[5]، فهو العامل الأكثر أهمية لاستقرار وديمومة السكان في موقع معين دون غيره، وعلى هذا الأساس يحظى دائما بالاهتمام الكبير ويلعب أهمية خاصة

---

[1] –صلاح إبراهيم موسى بن دابة، (المتغيرات الاجتماعية ودورها في الحراك السكني بمدينة طبرق)، **مجلة القرطاس**، ع 16، ديسمبر 2021، كلية الآداب، جامعة طبرق (ليبيا)، ص 199.

[2] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 36.

[3] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، ج2، د. ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 8.

[4] –أرزقي شويتام، **مرجع سابق**، ص 11.

[5] –بشير مقيبس، **مرجع سابق**، ص 57.

في جغرافية العمران والمدن، وذلك لما له من تأثيرات مباشرة على نشاط الإنسان وعلى العمران المدني، فالطابع المعماري هو انعكاس للبيئة المناخية وهو صورة من صور التجانس بينهما[1]، ومن الطبيعي أن يتأثر العمران والمجتمع في كل بلد بالمناخ السائد فيه، حيث تتم مراعاة الظروف الطبيعية في تصميم المساكن والتي تميزت في أغلب المدن في ذلك الوقت بضيق الشوارع، وتقارب المنازل من بعضها البعض كالقصبة، وذلك للحفاظ على برودة الشوارع في فصل الصيف، بالإضافة إلى تقليل الرطوبة التي يمتاز بها فصل الصيف في المدن الشمالية[2].

تتميز مدينة قسنطينة بمناخ المناطق الداخلية في الجزائر الخاضعة للانخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق والناتجة عن قرب البحر الأبيض المتوسط مع تيارات المحيط الباردة، كما تتميز بمناخ شبه قاري نتيجة وقوعها في منطقة تحدها جنوبا الصحراء، وتتداخل في تكوينه المؤثرات الصحراوية القادمة من الجنوب، هذا ما جعلها تمتاز بتساقط قليل تقتصر فترته في الغالب على الخريف والشتاء وتتوقف أو تقل في فصل الصيف[3].

اشتهرت مدينة قسنطينة باعتدال هوائها وجودته منذ القديم، وعلى هذا الأساس حملت لقب قسنطينة الهواء، وتعرضت المدينة في بعض فتراتها التاريخية إلى الجفاف والقحط الكبير الراجع إلى قلة منسوب الأمطار المتساقطة، والذي نتج عنه ارتفاع شديد في درجات الحرارة الأمر الذي أوقع البلاد في جائحة الجفاف تسببت في حدوث مجاعات من سنة 1805م حتى سنة 1808م والتي سوف نتطرق لها بالتفصيل لاحقا، ومن غير هذه الأوقات الاستثنائية فإن مناخ المدينة يسوده الاعتدال على العموم[4].

---

1 –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 36.

2 –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 59.

3 – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 145.

4 –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 65-66.

وعلى هذا الأساس يعد المناخ أحد الأسباب الأساسية التي تحكمت في تذبذب الإنتاج، وظهور المجاعات التي ساعدت بدورها على تردي الأوضاع الصحية، وعلى اشتداد وطأة تفشي الأوبئة التي تركت أثارا وخيمة على السكان وتفاعلاتهم[1].

3.1. التضاريس:

تعد التضاريس من العناصر الهامة في موقع المدينة التي تتوسط إقليم الشرق الجزائري، وهو أحد الأقاليم السكانية والاقتصادية الهامة، ويعكس موقعها المتميز بالنسبة لباقية المدن مجموعة من الخصائص المتصلة بالمظاهر الجغرافية كالتضاريس والمورد المائي وخط الساحل والحد الشمالي للصحراء، وهي الخصائص التي تقوم بدور كبير في رسم هيكل شبكة المدن وتوزيعها في الجزائر[2].

ومن حيث المظاهر التضاريسية فالشرق القسنطيني بصفة عامة جبلي في معظمه، تلتقي في وسطه سلسلتا جبال الأطلس التلية شمالا والصحراوية جنوبا عند كتلة جبال الأوراس، وليس فيه من الأحواض والسهول سوى حوض الصومام، والسهول العليا لقسنطينة، وسهول تبسة وحوض وادي سوف ووادي ريغ وسهول عنابة وسكيكدة[3].

4.1. المجاري المائية:

يرتبط نمو المدن ارتباطا وثيقا بوفرة المياه والمنابع الضرورية للاستخدامات الشخصية والأغراض السكنية والصناعية والتجارية[4]، وتعد مدينة قسنطينة من المدن الوافرة بالمياه على اختلاف مصادرها فهي محاطة بواد الرمال المدعم بوادي بومرزوق، الذي يلتقي به ويصب فيه بالقرب من المدينة في الجهة الجنوبية، كما تضم المدينة مياها جوفية كبيرة ويرجع ذلك إلى

---

[1] -أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج2، د. ط، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص 188.

[2] -عبد العزيز فيلالي ومحمد العروق، **مرجع سابق**، ص 120.

[3] -محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 25-26.

[4] -محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 59.

طبيعة التركيبة الجيولوجية لموقعها المتكون من صخور كلسية وتربة تساعد على تشكل خزانات مائية هامة تستوعب مياه الأمطار والثلوج المتساقطة على المنطقة[1]، وفي بعض الأحيان تتسرب بعض تلك المياه المخزنة إلى الواد فتخرج في شكل ينابيع، غير أنها عبارة عن مياه معدنية ذات حرارة مرتفعة نسبيا والتي استغلت منذ القدم كحمامات، ومن بين تلك الينابيع منبع "سيدي راشد" الذي يرتفع مصبه عن الواد بحوالي مترين، ومنبع عين "الشفة" عند باب القنطرة، ومنبع عين "سيدي ميمون"، وهناك منبع أخر بارد غير أنه بعيد نسبيا فهو يقع في هضبة "سيدي مسيد"[2].

ويتزود سكان المدينة بالماء من الواد الذي يمكن الوصول إليه خارج أسوار باب الجابية عبر ممر، وهناك مجاري وعيون متوفرة في الجهات القريبة من المدينة[3]، فالشبكة المائية تتكون من مجموعة من المجاري التي تتمثل في وديان مؤقتة تزود شبكة واد الرمال مثل واد بومرزوق واد سماندو، واد حميمين وواد البردة[4]، وعليه كان سكان قسنطينة يعتمدون بالدرجة الأولى في مسقاهم على الواد الذي يحيط بالمدينة، وكان ماؤه عذبا صالحا للشرب عكس ما هو عليه الآن، حيث أصبح مصبا لقنوات صرف المياه وفقد صلاحيته للشرب والري معا، وكان الوادي بالإضافة إلى الشرب مستغلا في سقي البساتين والحقول التي كانت على ضفافه، كما أستغل سكان المدينة منابع أخرى في الري كانت منتشرة في الجهات المحيطة بالمدينة، والتي كانت تشكل المجال الخصب للزرع والرعي مثل منطقة الحامة[5].

ومن هذا المنطلق نستنتج أن مدينة قسنطينة كانت تعتمد في مصادرها المائية بالدرجة الأولى على مياه الواد الكبير الذي كان يسد حاجات السكان بتزويدهم بمياه الشرب والسقي وغيرها من الأغراض الأخرى بالإضافة إلى خزانات وهو ما سوف نتطرق له بالتفصيل لاحقا.

---

[1] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 47.

[2] –**نفسه**، ص 47.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 311–313.

[4] –مهنتل جهيدة، **حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 12.

[5] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 61.

5.1. خصائص التربة وطبيعة المنتوجات:

تعد التربة وما يرتبط بها من خصوبة ووفرة الماء من العناصر الأساسية التي ينبغي مراعاتها في اختيار مواقع المدن، والتي يتوقف عليها حياة الإنسان ومصدر قوته فهي توفر طعامه من الزرع والخضر والفواكه والعلف والكلأ للحيوان، وتعتبر أراضي قسنطينة سواء المحيطة بها أو البعيدة عنها والتي كانت تابعة لها في العهد العثماني من أجود الأراضي الصالحة للزراعة، فالهضبة التي بنيت عليها المدينة والتلال المجاورة لها من نوع السهول المرتفعة التي تمتاز باتساعها الكبير وتوازن انحداراتها وهي تتكون من سهول تغطيها طبقة من الطين من كل الجهات وتحمل فوقها تربة خصبة صالحة للزراعة[1]، وكانت قسنطينة من أحصن الحواضر في العالم تشرف على سهول واسعة وأرياف سخية بالعطاء الفلاحي وهي من قلاع الإقليم الحصينة، أقل اتساعا من مدينة الجزائر وأكبر من المدية عاصمة بايلك التيطري بثلاث مرات[2]، وأشار الحسن الوزان خلال رحلته للمدينة أن الأراضي الزراعية المحيطة بها كانت كلها جيدة وخصبة، كما تتوفر على بساتين في غاية الجمال إلا أنها لا تنتج كثيرا من الثمار لأن أهلها لا يحسنون خدمتها[3]، وقد يكون الوزان قد صادف خلال رحلته للمدينة سنوات قحط وجفاف أو أثناء حركة التمرد والثورات، حيث كان الناس يهاجرون ولا يستغلون أراضيهم خوفا من العواقب.

ويعتبر جبل المنصورة الذي ينتصب في اتجاه جنوبي شرقي إلى شمال غربي ومع أنه خال من الأشجار إلا أنه يمكن استغلال أرضه في الزراعة[4]، أما من حيث الإنتاج فإن أغلب هذه الأراضي سواء كانت ملكا للبايلك أو ملكا خاصا أو حبسا، فهي تستغل في إنتاج الحبوب على اختلاف أنواعها وخاصة القمح الصلب، وتعد قسنطينة من أكبر المناطق المنتجة لهذا النوع،

---

[1]-عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 54-55.

[2] -André Noushi, **Constantine à la vielle de l'occupation Française** IN les cahiers de Tunisie, Tunis, 1955, p 171-178.

[3] -الحسن الوزان، وصف إفريقيا، **مصدر سابق**، ص 58.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 309.

وإلى جانب الحبوب فإن قسنطينة تنتج عدة أنواع من الخضر والفواكه حيث كانت بها بساتين على ضفاف واد بومرزوق وواد الرمال وفي منطقة الحامة[1].

إن تنوع التضاريس بالتزاوج مع المناخ شبه القاري الذي تتمتع به المدينة قد أدى إلى التعدد في النشاطات والمحاصيل الزراعية التي تتنوع بين زراعة الحبوب وبعض الخضر والفواكه، مما يحقق اكتفاء للمدينة وتمويلا للمناطق المجاورة لها، وعلى هذا الأساس كانت المدينة عبر العصور مكانا لاستقرار السكان وتفاعلهم[2].

6.1. طرق المواصلات:

تربط طرق المواصلات بين المدن لتسهيل هيكلة المجتمعات التي تعيش في مناطق مختلفة وتقريبهم من المراكز الإدارية، وهي بمثابة همزة الوصل بين المدن والمزارع من جهة، وبين المزارع والموانئ لنقل المنتوجات والسلع من جهة أخرى، كما جاء رسم هذه المنافذ والمعابر كذلك لأهداف عسكرية توسعية وأهداف أمنية لإخماد الفتن والثورات التي كانت كثيرا ما تنشب نتيجة لجور الحكام[3].

ويؤدي الموضع الذي تقوم عليه المدينة دورا أساسيا في تحديد شبكة الطرق وأنواعها، وبالتالي في حركة النقل والمواصلات داخلها، ونظرا لما يتصف به الموقع من وعورة وتضاريس لم يسمح بإنشاء شبكة متكاملة، إذ أن الانحدار والتعرج من أهم سمات هذا الموضع حيث توجد هذه الطرق في المناطق المنبسطة والتي تسمح بتوفير السعة للطريق والاستقامة، وبذلك كانت هذه الطرق هي المحاور الرئيسية للمدينة، يرتكز عليها جل نشاط النقل كما كانت شبكة الطرق الداخلية للمدينة المخططة لأغراض المشاة والحيوان تتطابق مع الوضع التخطيطي الروماني السابق، حيث أنها تصل بين أبوابها الرئيسية وتتقاطع عند النواة المركزية (ساحة البطحاء)، ونمت

---

[1] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 57.

[2] –على خلاصي، قسنطينة مدينة الجسور، **مرجع سابق**، ص 19.

[3] – **نفسه**، ص 80.

هذه الطرق في عدة مراحل راسمة شكلا متشعبا للشوارع التجارية والصناعات الحرفية[1]. ولعل الشروط الطبيعية والمناخية هي التي جعلت المدينة تستقطب طرق المواصلات وتتحكم في حركة التبادل التجاري بين تونس والمغرب[2].

ويتفرع من مدينة قسنطينة طريق يؤدي إلى بسكرة ومنها إلى الأراضي التونسية، وهو الطريق الذي كان يسلكه الحجاج الجزائريون من الشمال لينظموا إلى قافلة حجاج المغرب، وكان يسلكه كذلك تجار قسنطينة المتجهون إلى الجنوب الجزائري وبلاد السودان[3].

وعليه فإن خصائص الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة أهلها أن تكون نقطة استقطاب ومحور المبادلات ومركزا تجاريا نشيطا تدب فيه حركة تجارية واسعة.

7.1. الكوارث الطبيعية:

شكلت الكوارث الطبيعية كالزلازل والمجاعات والجفاف وما يصاحبها من انتشار الجراد، والتي انتشرت في الجزائر بصفة عامة وفي مدينة قسنطينة على وجه الخصوص أهم العوامل المؤثرة في الحراك الاجتماعي والتطور العمراني، لما كان لها من تأثير مباشر على الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

1.7.1. الزلازل:

عرفت المدن الجزائرية في العهد العثماني مجموعة من الهزات الأرضية تسببت في خراب وتدمير البنية التحتية وهلاك العديد من الأرواح، كما أحدثت خسائر كبيرة في العمران ودور السكن والممتلكات[4]، وتعرضت المدينة إلى زلازل تسببت في خسائر مادية جسيمة وبالتالي أدت إلى نقص في الإنتاج واضطراب في مختلف أنواع الأنشطة، الأمر الذي أثر تأثيرا سيئا على

---

[1] –محمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 76–318.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 389.

[3] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 16.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، (الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني)، **مجلة الثقافة**، ع 92، الجزائر، مارس–أفريل 1986، ص 105.

سير اقتصادها[1]، حيث كانت الزلازل في أغلب الأحيان تتبع بسلسلة من الفوضى وانتشار اللصوص تدوم عدة أيام، كما تسببت السيول والقحط والجفاف الذي تعرضت له المدينة أواخر العهد العثماني في القضاء على أعداد كبيرة من السكان من مختلف الفئات، بما في ذلك فئات الفلاحين والصناع والتجار، وهو ما كان يضعف العاملين في مختلف الفعاليات والأنشطة الاقتصادية، ويؤثر على الحياة الاجتماعية تأثيرا سلبيا[2]، كما تتسبب في خراب المدن والمساكن وهجرة السكان وانقطاع الماء عن المدن نتيجة تهدم مجاري ومنابع المياه وهو ما يدفع الأهالي إلى الالتجاء إلى البساتين والحدائق[3].

وقد أصاب منطقة قسنطينة في هذه الفترة عدة كوارث أحدثت أضرارا كبيرة خاصة في الفترة الممتدة ما بين (1223هـ/ 1808م-1231هـ/ -1816م) وأثرت سلبا على مستويات السكان وعرقلت مردودهم الاقتصادي وهو ما نتج عنه تمرد بعض العناصر احتجاجا على الأوضاع[4].

8.1. المجاعات والجراد:

من خصائص المناخ الجزائري قلة الأمطار وسوء توزيعها خلال مواسم الزراعة فغالبا ما تنعدم الأمطار في فصل الخريف فيقل بذلك الحرث والزرع، وعادة ما يكون الجفاف مصحوبا بآفة غزو الجراد الذي يلحق في الكثير من الأحيان أضرارا على الإنتاج الفلاحي[5].

1.8.1. المجاعات:

شهدت المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة مجاعات عديدة خلفت خسائر كبيرة في صفوف السكان لأنهم كانوا لا يتخذون احتياطاتهم الضرورية، ولأن السلطة المحلية لم تقم بدورها في التخفيف منها، وعادة ما يسبق المجاعات قحط أو جفاف أو يتعرض المحصول الزراعي لآفة

---

[1] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 56.

[2] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 45.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **الأحوال الصحية**، مرجع سابق، ص 105.

[4] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 55.

[5] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 56.

من الآفات كالجراد[1]، ومن هذه المجاعات مجاعة سنة(1223هـ/ 1808م) التي استمرت سنتين كاملتين نتج عنها نزوح الفلاحين نحو قسنطينة جماعات وفرادى كما وصفهم صالح العنتري "فالطرق بهم ممتلئة يمينا وشمالا وجوههم مقشعرة بالية وأرجلهم حافية وظهورهم عارية"، وصاحب ذلك تفشي الأوبئة والأمراض وخاصة الكوليرا والتيفوس، كما تميزت هذه الفترة بتقلب أوضاع الملكية في المدينة بعد أن باع السكان أملاكهم العقارية وأراضيهم تحت الضغوط المختلفة التي أحاطت بهم، ومنها تراكم الديون وارتفاع الضرائب، ويذكر في هذا الصدد ابن العنتري في كتابه مجاعات "أنه وقعت مجاعة شديدة وقحط مهول سنة 1219هـ/1804م، أضر بأهل بلد قسنطينة ووطنها ودام الحال كذلك ثلاث سنوات متوالية[2].

وسبب هذه المجاعة مرض أصاب الزرع فأفسده ثم جاء الجراد فأتم ما بقي، بالإضافة إلى الاضطرابات الناتجة عن الحروب المتتالية وانعدام الأمن الذي لم يشجع الناس على الحراثة ولا على الاهتمام بالأرض[3]، وفي سنة 1235هـ/ 1822م تضررت المدينة جراء مجاعة أخرى كبيرة نتج عنها انعدام السلع والمؤونة في أسواق المدينة، ونقص القمح والشعير الذي يمثل الغذاء الأساسي للسكان فأعطت الأوامر للشواش بالخروج إلى البادية لأخذ الحبوب المدخرة في المطامير طوعا أو كراهية من عند أصحابها[4].

وفي السنة الثانية لاحتلال المدينة أي سنة 1254هـ/ 1838م وقع قحط شديد أدى إلى نقص في الحبوب والزرع، ومما زاد الأمر تعقيدا مضايقات الضرائب التي كانت تفرضها الإدارة الفرنسية على الأهالي، وفي ذلك الوقت اضطر بعض الناس إلى رهن أو بيع وكراء أملاكهم، فاستغل اليهود الفرصة واستولوا على جميعها بثمن بخس، فالدار التي كانت قيمتها عشرة آلاف

---

[1] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 46.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 8–11، والهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 86.

[3] –محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 55.

[4] –أوجين فايسيت، **تاريخ بايات قسنطينة**، ج2، مصدر سابق، ص 229.

مثلا بيعت في ذلك الزمان بألف وألفين، ومن أكثر الفئات تضررا جراء هذا القحط غير الملاك من الضعفاء وأصحاب الحرف[1].

2.8.1. الجراد:

يعد الجراد من الظواهر الاجتماعية ذات الأثر البالغ في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد اعتاد سكان الجزائر خلال فترات اجتياحه نقص الأقوات وهلاك الأرواح وحدوث مجاعة في أعقابه، فهو عادة ما يكون مصحوبا بمجاعة عامة وانتشار للأمراض والأوبئة[2].

في الفترة الممتدة من سنة(1220هـ/ 1805م حتى سنة1230هـ/ 1815م)، عانت الإيالة من المجاعات المزمنة الناتجة عن اجتياح الجراد الذي تسبب في نقص الإنتاج الفلاحي وانعدامه في مناطق متعددة منها قسنطينة وضواحيها[3]، يذكر صالح العنتري أن في هذه الفترة أنزل الله القحط على الخاص والعام حتى اضطر إلى أكل أي شيء من شدة الجوع وانقطاع الطعام واستمر ذلك مدة سنة كاملة ثم عفي الله تعالى وزالت تلك المجاعة الواقعة[4]، أما في سنة1231هـ/ 1816م فقد أصاب منطقة التل جراد أدى إلى اتلاف الإنتاج الفلاحي، وللحد من هذه الأزمة أصدر الداي قرارا بمنع تصدير الحبوب في قسنطينة[5].

وهكذا تسببت الكوارث الطبيعية المختلفة في قسنطينة في الحد من النشاط الاقتصادي واستقرار السكان وهو ما أدى بدوره إلى هجرتهم إلى مناطق أخرى.

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 42 –49.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، **الأحوال الصحية**، مرجع سابق، ص 106.

[3] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518م–1871م)، دراسة أكاديمية معتمدة على وثائق الأرشيف الصحي والديمغرافي للمجتمع الجزائري**، د. ط، الجزائر، 1978، 132.

[4] – محمد صالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 73.

[5] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية في الشرق الجزائري**، مرجع سابق، ص 24.

2. العوامل الصحية :

عرفت مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي انتشار مجموعة من الأمراض والأوبئة التي كانت سببا في العديد من الوفيات، وقد تعددت أسبابها منها ما هو مستوطن ومنها ما هو وافد من جهات متعددة، وسنحاول في هذا العنصر التطرق إلى أهم الأمراض التي ظهرت بالمدينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال استنادا إلى ما وثقه سجل الوفيات المؤرخ سنة (1256هـ-1257هـ/1840م-1841م).

1.2. الأمراض:

تعرضت مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني للعديد من الأمراض التي أصابت سكانها مرات متعددة وأحدثت خسائر كبيرة مادية وبشرية[1]، وكان بعضها ناتج عن سوء التغذية والبؤس، أما بعضها الأخر فهو مرتبط بعدم الالتزام بالقواعد الصحية، وقد مست هذه الأمراض كل الفئات العمرية من الأطفال والنساء والمسنين[2]، ومن خلال تصاريح الوفاة المسجلة سنة(1840م-1841م) في سجل الوفيات الصادر عن المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة رصدنا مجموعة من الأمراض صنفناها حسب أنواعها إلى:

1.1.2. الأمراض الصدرية والتنفسية:

تعد الأمراض الصدرية والتنفسية من أكثر الأمراض المسببة للوفاة في الفترة المدروسة، حيث راح ضحيتها الصغار والكبار وذلك راجع لطبيعة المناخ وسوء التغذية ونقص الوقاية وتدني الأحوال المعيشية.

---

[1] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية في الشرق الجزائري**، مرجع سابق، ص 49.

[2] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 253.

2.1.2. البرد:

هو مرض مرتبط بالبيئة الصحية في الجزائر، وهو أنفلونزا حادة تصيب الأشخاص عادة الذين ليس لديهم مناعة كالصغار وكبار السن، وهو الزكام الذي يجلب الرطوبة إلى الأنف من الرأس وينتج من حر أو برد[1]، وهو نقيض الحر ويأتي بمعنى النوم ويطلق على التخم ويقال إن أصل كل داء البرد[2]، وجاء ذكر هذا المرض في سجل الوفيات وأصاب كل الفئات العمرية، ونذكر مثال على ذلك "**الحمد لله...حضر حسين شاوش يوم...وذكر أن أخته ملوكة المريضة بالبرد التي عمرها ثلاثة أشهر هلكت بالمرض المذكور شطر ليلة يوم التاريخ...**"[3].

ويأتي هذا المرض حسب عينة الدراسة على رأس الأمراض التي تسببت في عدد كبير من الوفيات من مختلف الشرائح كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (2) الوفيات بمرض البرد من إعداد الطالبة[4]

سبب الوفاة	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
البرد	54 حالة وفاة	65 حالة وفاة	54 حالة وفاة	173 حالة وفاة

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن عدد الوفيات بمرض البرد في الفئات الثلاث متقارب، ويأتي هذا المرض على رأس الأمراض الأخرى من حيث عدد الوفيات وهو مرتبط بالواقع المعيشي من سوء التغذية ونقص اللباس والمسكن وكثرة البرودة وخاصة في فصل الشتاء.

---

[1] –أبي المنصور بن نوح القمري، **التنوير في الاصطلاحات الطبية**، د. ط، تح: غادة حسن الكومي، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، دبي (الإمارات العربية المتحدة)، 1991، ص 57.

[2] –محمد ياسر بن جميل زكور، **اصطلاحات الطب القديم**، د. ط، دار الكتب العلمي، بيروت، 1971، ص 91.

[3] –**سجل الوفيات**، و31، ع 1، أ. و. ق.

[4] –**سجل الوفيات**، المحكمة المالكية بمدينة قسنطينة.

3.1.2. السعال:

هو اضطراب في الرئة يبدأ بزكام ورشح بسيط مع إفرازات وارتفاع في درجة حرارة الجسم، يصاحبها سعال جاف يزداد أثناء الليل يؤدي في بعض الأحيان للاختناق والوفاة[1]، وهو كذلك العمل المنعكس الذي يحدث كمحاولة لتنظيف الشعب الهوائية من المخاط من أي جسم غريب أو مهيجات أخرى وعندما يكون جافا يسبب تهيجا مزدوجا[2].

وقد ظهر مرض السعال في مدينة قسنطينة بشكل حاد سنة1255 هـ/ 1839م، وخاصة في فصل الشتاء[3]، ورصد لنا سجل الوفيات عديد الحالات التي توفيت نتيجة الإصابة بهذا المرض، نذكر منها ما ورد في التصريح رقم 2 وثيقة رقم 82" **الحمد لله ... حضر بلقاسم ...وقت الضحى وذكر أن ابنته ... المريضة بالسعال والتي عمرها عامان هلكت شطر ليلة يوم التاريخ ...**"، وفيما يلي جدول يوضح عدد المتوفين بسبب هذا المرض من مختلف الفئات:

جدول رقم (3) عدد المتوفين بمرض السعال من إعداد الطالبة[4]

سبب المرض	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
مرض السعال	66 حالة وفاة	01 حالة وفاة	01 حالة وفاة	68 حالة وفاة

نلاحظ من خلال الجدول أن معظم حالات الوفاة بمرض السعال مست فئة الأطفال ويعود ذلك بالدرجة الأولى لنقص الرعاية الصحية وبرودة الجو خاصة في فصل الشتاء.

[1] –حنين ولي ومصري خليفة، **أطلس دائرة المعارف الطبية وصيدلية مبسطة**، ج1، ط12، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2005، ص201.

[2]- Dorling Kindersley, **London Dictionary Medical**, Illustrated, D- A Burns and Terry Hamblin, p 148-149.

[3] –جمال الدين سعيدان، **(الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830م–1919م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة،2017، ص 123.

[4] –**سجل الوفيات**، المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة

4.1.2. السل:

من أشهر الأمراض التي عرفتها المدن الجزائرية خلال الفترة الحديثة، ظهر ما بين سنة (1552م وسنة 1782م) حوالي 26 مرة[1]، وهذا المرض متأصل في البيئة الجزائرية، وهو ناتج عن مجموعة من الأسباب منها طبيعة المساكن واكتظاظ الأفراد داخل المسكن الواحد ورطوبة الهواء، بالإضافة لغياب النظافة ونقص التغذية التي تعد سببا رئيسيا لكل الأمراض، وظهر هذا المرض في السجل بتصريحين فقط، حيث سجلنا في التصريح رقم 03 وثيقة 29 " **الحمد لله ... حضر أحمد ... وذكر أن ابن أخيه بلقاسم المريض بالسل هلك فجر ليلة التاريخ...**"

5.1.2. الحمى:

كانت الحمى بمختلف أنواعها من أخطر الأمراض التي مست المجتمع الجزائري في العهد العثماني، حيث أصيب بها السكان من مختلف الأعمار، ولها أنواع مختلفة منها حمى الربيع والتي تعرف كذلك بالحمى الصفراء وهي من أشهر أنواع الحمى، وحمى الصيف والتي تتسبب في نسبة كبيرة من الوفيات[2]، بالإضافة إلى حمى المستنقعات والمعروفة بالملاريا بالمناطق التي تتراكم فيها المياه الملوثة، ورغم أن الحمى كانت منتشرة بكثرة في الأوساط الجزائرية غير أننا لم نرصد في سجل الوفيات سوى حالتي وفاة سببها مرض الحمى نذكر منها إحدى التصاريح" **الحمد لله...حضر الحاج مصطفى ... وذكر أن أخاه العربي بن محمد المريض بالحمى هلك بالمرض المذكور...**".

---

[1] –عثمان بوحجرة، **(الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م–1830م (مقاربة اجتماعية)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014–2015، ص 50.

[2] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 253.

6.1.2. الأمراض النفسية:

وتصنف كذلك ضمن الأمراض العصبية التي كانت منتشرة من كآبة وقلق وعقم وأمراض مزمنة، وكان يعتقد أن المرض غالبا ما يكون نتيجة العين أو الحسد أو بفعل مس من الجن[1].

1.6.1.2. مرض الجنون وأم الصبيان:

وهو التغيرات العقلية التي تطرأ على بعض الناس فتخرجهم من دائرة العقل[2]، ويظهر هذا المرض في سجل الوفيات بخمس تقاييد لأشخاص توفوا نتيجة هذا المرض نذكر مثال منها: التصريح رقم 03 وثيقة 71 " **الحمد لله حضر أحمد بن الحسين ...وذكر أن ولده محمد الصغير المريض بالجنون والذي عمره سنتان هلك وقت الزوال...**".

وبالإضافة إلى مرض الجنون هناك مرض أخر هو مرض أم الصبيان الذي يمس شريحة الأطفال ومن أعراضه التنفس المتقطع بعسر وشدة، ويكون مصحوبا بحمى وبدون حمى وهو يشبه إلى حد كبير مرض الصرع[3]، ورد هذا المرض في سجل الوفيات سبع مرات ومعظم حالات الوفاة كانت لأطفال نذكر منها تصريح رقم 02 وثيقة 89 " **الحمد لله ... حضر أحمد بن علي ...وذكر أن ولده محمد توفي بأم الصبيان والذي عمره عام واحد هلك شطر ليلة التاريخ...**"

الجدول رقم (4) عدد الوفيات بمرض الجنون وأم الصبيان من إعداد الطالبة[4]

سبب الوفاة	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
مرض الجنون	05 وفيات	00 حالة وفاة	00 حالة وفاة	05 وفيات
مرض أم الصبيان	07 وفيات	00 حالة	00 حالة	07 وفيات

[1] –عثمان بوحجرة، **مرجع سابق**، ص 71.
[2] –حنين ولي ومصري خليفة، **مرجع سابق**، ص 230.
[3] –أبي الحسن بن نوح القمري، **مصدر سابق**، ص 52.
[4] -سجل الوفيات، المحكمة المالكية بمدينة قسنطينة

من خلال الجدول نلاحظ أن كل المتوفين بالمرضين هم أطفال وعليه نستنتج أن هذه الفئة كانت معرضة إلى الإهمال وعدم البحث عن أدوية ناجعة والاعتماد على السحر والشعوذة في معالجة هذا النوع من الأمراض غير العضوية.

كما وثق السجل عدة أمراض أخرى منها الأمراض الباطنية كمرض الكبد، وهو ما جاء في التصريح رقم 1 من السجل وثيقة 82 م" **الحمد...حضر الطيب الغرابلي ...وذكر أن والدته فاطمة المريضة بالكبد والتي عمرها تسعون عاما هلكت شطر ليلة اليوم التالي بالمرض المذكور** ..."، كما رصد السجل نوعا آخر من الأمراض أطلق عليه مرض الباسور «**الحمد لله ... حضر محمد بن الجودي المزيتي... وقت الضحى وذكر أن ابن عمه حسن بن عمر المريض بالباسور الذي عمره خمسون عاما هلك شطر ليلة التاريخ** ..."[1].

بالإضافة إلى أمراض أخرى خاصة بالنساء ومتعلقة بالحمل والنفاس منها مرض السقية الذي ذكر عدة مرات في الوثائق ومثال ذلك التصريح رقم 1 وثيقة 102م من سجل الوفيات جاء فيه" **الحمد ... حضر الزواوي بن سعد ...وذكر أن أخته الزهراء المريضة بالسقية والتي عمرها أربعون عاما هلكت شطر ليلة التاريخ**...".

كما ذكر مرض النفاس الذي كان يحصد الكثير من أرواح النساء في تلك الفترة لعدم توفر الشروط الضرورية للحمل والولادة التي كانت تتم بالطرق التقليدية وهو ما نتج عنه العديد من الوفيات رصدها السجل منها تصريح رقم 01 وثيقة 89، جاء فيه "...**حضر سليمان... وذكر أن زوجته عايشة بنت ...هلكت بسبب النفاس شطر يوم التاريخ**...".

بالإضافة لأمراض القلب، حيث رصدنا هذا المرض في تصريح رقم 03 وثيقة 100، جاء فيه" **الحمد لله حضر أحمد بن الثليجي وذكر أن زوجته آمنة بنت بكر المريض بقلبها هلكت وقت الضحى**...". بالإضافة إلى أمراض أخرى ناتجة عن كبر السن منها الهرم حيث ورد في

[1] –**سجل الوفيات**، و102 م، ع 3، أ. و. ق.

أحد التصاريح وفاة شخص بسبب كبر سنه "**الحمد لله حضر دحمان بن الزين...وذكر أن محمد بن مبارك المريض بالهرم الذي عمره اثنان وتسعون عاما قد هلك بالمرض المذكور...**"[1]، كما جاء في التصريح رقم 1 وثيقة 96م وفاة امرأة كبيرة السن" **الحمد لله حضر المكي بن ...وذكر أن فطوم بنت صالح الكبيرة السن هلكت بسبب ذلك...**".

وهكذا فإن الاضطرابات الصحية الواقعة في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، وارتفاع عدد الوفيات التي تسببها مختلف الأمراض كان مرتبط ارتباطا وثيقا بالوضع الاجتماعي ونقص الغذاء واللباس، والاعتماد في التداوي على الطرق التقليدية.

2.2. الأوبئة:

كان من أثار المجاعات وانتشار الجراد والجفاف أثارا سلبية على الأوضاع في المدينة أدت بدورها إلى ظهور العديد من الأوبئة منها الطاعون الذي يحتل المرتبة الأولى، بالإضافة إلى الجذري والكوليرا والتيفوس والسالمة والتي أثرت سلبا على أوضاع سكان المدينة.

1.2.2. الطاعون:

عانت مدينة قسنطينة من عديد الأوبئة أهمها الطاعون الذي كان يختفي في منطقة ليعود في منطقة أخرى[2]، وهو من أخطر الأوبئة التي عانى منها الجزائريون خلال العهد العثماني، وقد تكرر ظهوره بشكل متواتر ومتعاقب مع الأوبئة المستوطنة في المنطقة وتسبب في انهيار ديمغرافي وأدى إلى تدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على الأنشطة الاقتصادية، كما أحدث تشوهات خطيرة في البيئة الاجتماعية[3]، ويحدث هذا الوباء المعدي نتيجة تلوث الهواء وينتقل عبره أو عن طرق اللعاب والعطس والملابس البالية، وهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان

---

[1] –**سجل الوفيات**، و46م، ع 2، أ. و. ق.

[2] – محمد صالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 27-28.

[3] –محمد أمين، (الطاعون بمدينة الجزائر وأثره على الديمغرافية والأنشطة الاقتصادية خلال القرن الثامن عشر)، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع 17-18 سبتمبر 1998، ص 27.

والحيوان ويكون في ثلاثة أصناف؛ الطاعون العقدي أو الدملي، والطاعون الرئوي والطاعون الدموي[1].

يعتبر هذا الوباء مرضا مزمنا وهو مرتبط بعدة عوامل أخرى مؤثرة على الصحة منها الاضطرابات الجوية والتذبذبات المناخية، وفترات الجفاف والفيضانات واجتياح الجراد وما نتج عنه من قحط ومجاعات دورية[2]، وهو ينتقل عادة من بلدان المشرق والبلاد الأوروبية عن طريق البحر، ويصيب بالدرجة الأولى عمال الموانئ ثم ينتشر في باقي أنحاء البلاد، كما ينتقل من طرف الحجاج والجنود المجندين والتجار القادمين من المشرق[3]، ويصاحب الطاعون والكوليرا دائما سوء الأحوال الجوية والمجاعات، وقد يعود كذلك إلى قلة الملابس التي لا تضمن برد الشتاء، بالإضافة إلى سوء النظام الغذائي[4]، وفي كثيرا من الأحيان عندما تحدث الأوبئة المعدية السريعة الانتشار كالتيفوس والكوليرا والطاعون لا يملك السكان علاجا ناجعا ووقاية صحية مفيدة فيموتون بالآلاف[5]، وكان سكان المنطقة الشرقية من البلاد يعانون من مرض الطاعون باستمرار، ويعود ذلك إلى غياب وسائل الوقاية ونقص إمكانيات مقاومته، كما أن القوانين الصحية القاضية بعزل المناطق المتضررة بفعل انتشار العدوى فيها لم تكن موجودة مثل الحجر الصحي المعمول به في البلدان الأوروبية والذي لم يطبق بالجزائر، ولذلك بقي الطاعون يحصد الكثير من الأرواح خاصة بين سنتي (1783م و1829م)[6]، حيث ظلت الأوبئة تجتاح البلاد الجزائرية طيلة العقد

---

[1] -عثمان بوحجرة، **مرجع سابق**، ص 52-53.

[2] -فلة موساوي قشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 220.

[3] -أحمد الشريف الزهار، **مذكرات**، مصدر سابق، ص 78.

[4] -André Nouschi, **enquête sur le niveau de vie**, op cit, p 38.

[5] -يحيى بوعزيز، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 341.

[6] -كمال شاعو، **(بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171هـ/1757م-1207هـ/1792م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 65.

الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي والربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وشهدت مدينة قسنطينة سلسلة متعاقبة من وباء الطاعون نحاول من خلال هذا الجدول التعرف على السنوات التي ظهر فيها الطاعون في مدينة قسنطينة ومصدره وأهم النتائج المترتبة عليه:

جدول رقم (5) سنوات الطاعون وأثاره في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

سنة الوباء	مصدره	نتائجه
1785م	انتقل عن طريق سفينة حجاج قدمت إلى تونس ومنها إلى بايلك قسنطينة	أحدث هذا الطاعون كارثة في قسنطينة وأريافها فقد سجل بمدينة قسنطينة يوميا مع منتصف فصل الصيف أكثر من خمسون ضحية، وانتشرت العدوى في صفوف المحلة المتكونة من 4000 فرد والمكلفة باستخلاص الضرائب في الجنوب[1].
1787م	//	انتشر في مدينة قسنطينة والمناطق المجاورة.
1793م	انتقل عن طريق بحارة قدموا من القسطنطينية إلى الجزائر ومنها إلى قسنطينة والمناطق المجاورة[2].	وقد تراوح عدد الوفيات بقسنطينة وضواحيها من 80 إلى 100 فرد يوميا[3]
1794م	//	تواصل وباء سنة 1793م طوال شهر ماي وكان من المتعارف عليه أن الوباء تنقص حدته وينخفض في شهر جويلية غير أن تساقط الأمطار والرطوبة جعلته يستمر إلى غاية شهر سبتمبر وقد مات من خمسين إلى مائة وخمسين شخصا يوميا[4].
1797م	//	انتشر في مدينة قسنطينة وكان يموت حوالي ثلاثة أو أربعة أشخاص يوميا[5].

[1] -Jean Marchika, (**La peste en Afrique septentrionale histoire de la peste en Afrique de 1363-1830),** Thèse pour doctorat, p 121.

[2]- Ibid, p141.

[3] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 129.

[4]- Jean Marchika, **op cit**, p145.

[5] - Jean Marchika, Ibid, p145.

1799م	//	حل بمقاطعة قسنطينة وانتشر حتى وصل إلى الجنوب حيث صار الموت يحصد يوميا ما بين مائة ومائة وعشرين شخصا[1].
1816م	انتقلت العدوى من الإسكندرية، عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة في الثامن من شهر جوان وعلى متنها جماعة من المصابين بهذا الوباء[2]	أصاب الشرق وانتشر في كامل أنحائه بسبب التنقلات، وألحق اضرارا كبيرة بالمنطقة وكان في مدينة قسنطينة يحصد يوميا أرواح حوالي ثلاثين شخصا كما أنه جعل سكان بجاية وجيجل يهربون إلى قمم الجبال[3].
1817م	انتقل إلى قسنطينة عن طريق جماعة البساكرة الذين كانوا المصابين الأوائل بهذا الطاعون.	هلكت نسبة كبيرة منهم قدرت بحوالي 400 إلى 450 ضحية[4].
1819م	انتشر هذا الوباء عن طريق تجار الزيت القادمين من مدينة الجزائر إلى بجاية ومنها إلى قسنطينة[5] .	سبب خسائر بشرية كبيرة استمر الوباء بالانتشار في مدينة قسنطينة حيث تضاءل في بداية أفريل واستؤنف في نوفمبر وأودى بحياة حوالي ما بين 20 و25 شخص يموتون يوميا[6].
1820م	//	ظهر في مدينة قسنطينة مرتين متتاليتين الأولى في شهر مارس والثانية في شهر أوت وكان يقتل من خمسة وعشرين إلى ثلاثين شخص يوميا[7].
1822م	كان أخر طاعون يظهر في الفترة العثمانية وبعده تحسنت الأوضاع الصحية.	وانطلاقا من شهر فيفري من نفس السنة عرفت قسنطينة حالات نادرة من الطاعون[8].

'

[1] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 52.

[2] – **نفسه**، ص 53.

[3] **نفسه**، ص 54.

[4] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 141.

[5] – **نفسه**، ص 149.

[6] - Jean Marchika, **op cit,** p 176.

[7]- Jean Marchika, Ibid, p 177.

[8] –فلة القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 156.

نستنتج من خلال هذا الجدول أن وباء الطاعون من أخطر الأوبئة المتأصلة في البيئة الجزائرية وخاصة المنطقة الشرقية، حيث انتقل خلال سنوات متتالية وكان يظهر ويختفي بتواتر وينتقل عن طريق الحجيج والسفن التجارية من ميناء عنابة، وهو كذلك مرتبط بالمجاعات والجفاف، كما يعود إلى الأوضاع الاجتماعية من قلة الملابس وسوء التغذية وعدم وجود علاجات مناسبة لهذا الوباء في تلك الفترة.

2.2.2. الجدري:

عرفت مدينة قسنطينة بالإضافة إلى الطاعون نوع أخر من الأوبئة الفتاكة وهو وباء الجدري، ويتمثل في بثور تظهر على جميع البدن وتصاحبه حمى حادة، وقد تمتلئ ماء ثم يتحول قيحا ثم ييبس ويتناثر[1]، ويترك أثارا محفورة على الوجه، وقد يسبب عاهات العمى والصم والوفاة، ويعد هذا الوباء متأصلا في البيئة الجزائرية منذ أقدم العصور، وكان يخمد من حين لآخر ثم يعود بشدة وتواتر كبير، وقد عانى منه سكان الجزائر أثناء الفترة العثمانية وكذلك خلال السنوات الأولى للاحتلال[2]، انتشر الجدري ما بين سنوات(1244هـ/1831م- 1246هـ/1833م) ثم عاد سنوات(1837م و1841م)، وانتشر بسرعة مذهلة من منطقة إلى أخرى وكان يزهق الكثير من الأرواح، ورصد لنا سجل الوفيات عدة حالات للوفاة سببها وباء الجدري الذي انتشر بين سنتي(1840م- 1841م)، نذكر منها التصريح رقم 3 وثيقة 95م " **الحمد لله ... حضر سي الطاهر الساكن بداره ...وذكر أن ابنة أخيه سي سعيد المسماة زينب المريضة بالجدري عمرها عشر سنوات هلكت شطر ليلة يوم التاريخ...**"

---

[1] -أبو المنصور الحسن بن نوح القمري، **مرجع سابق**، ص 67.

[2] -فلة القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 211.

جدول رقم (6) عدد الوفيات بوباء الجدري من إعداد الطالبة[1]

سبب الوفاة	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
وباء الجدري	127 حالة وفاة	06 حالة وفاة	13 حالة وفاة	146 حالة وفاة

نلاحظ من خلال الجدول أن فئة الأطفال كانت الأكثر تعرضا لهذا الوباء ويعود ذلك لضعف بنيتهم الجسدية ولسوء التغذية، وقد لاحظ الفرنسيون قلة الأطفال في أرياف قسنطينة ولعل هذا ينطبق كذلك على المدينة في هذه الفترة، أما فيما يخص سنوات انتشار هذا الوباء في المدينة فقد وضحناها في الجدول التالي:

جدول رقم (7) سنوات انتشار وباء الجدري في مدينة قسنطينة

الفترة	انتشار الجدري
الفترة العثمانية (1789م- 1803م-1804م)	انتقل هذا الوباء من أوروبا أواخر القرن الثامن عشر الميلادي إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي.
فترة الاحتلال (1836م-1837م-1840م-1841م)	عاد هذا الوباء سنة 1837م وانتشر بسرعة كبيرة، وفي سنة 1840م ظهر بحدة في قسنطينة وأصاب أكثر من 2000 شخص داخل أسوار المدينة[2].

نلاحظ من خلال الجدول أن ظهور وباء الجدري في مدينة قسنطينة يعود إلى فترات أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، واستمر هذا الوباء في الظهور في سنوات متعاقبة وأودى بحياة الكثير من الأشخاص خاصة في الفترة الاستعمارية.

3.2.2. وباء السالمة:

يعرف كذلك باسم التيفوئيد، وهو حمى معدية يسببها ميكروب داخل أمعاء المريض، يتكاثر ويؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم وانخفاض معدل ضربات القلب وظهور طفح جلدي، ويزداد

---

[1] – على سجل الوفيات، المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة

[2] –مصطفى خياطي، **الأوبئة والمجاعات في الجزائر**، د. ط، تر: حضرية يوسفي، المؤسسة الوطنية الاتصال والاشهار، الجزائر، 2013، ص 76-77.

انتشاره في فصل الصيف، وتعود أسبابه إلى تلوث المياه والظروف الاقتصادية المزرية، إضافة إلى المجاعات والكوارث الطبيعية والكثافة السكانية المرتفعة، وظهر هذا الوباء سنة 1840م في المدينة[1]، وقد رصد لنا سجل الوفيات تصاريحا لأشخاص توفوا بسبب بهذا الوباء، نذكر منها العقد المؤرخ في سنة 1840م وثيقة 31 تصريح رقم 3 " **الحمد لله حضر ... وذكر أن ابنته المريضة بالسالمة والتي عمرها عام واحد هلكت بذلك شطر ليلة يوم التاريخ...**"[2]. ونوضح عدد حالات الوفاة بهذا الوباء في الجدول التالي:

جدول رقم (8) عدد الوفيات بوباء السالمة من إعداد الطالبة[3]

سبب الوفاة	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
وباء السالمة	28 وفاة	23 وفاة	20 وفاة	71 وفاة

نلاحظ من خلال الجدول أن وباء السالمة المنتشر في مدينة قسنطينة كان يصيب كل الفئات حيث نجد نسب الوفاة متقاربة بين الفئات العمرية الثلاث وتعود أسبابه إلى تلوث المياه وسوء الأوضاع الاجتماعية.

4.2.2. وباء الكوليرا:

جاء ذكر وباء الكوليرا في سجل الوفيات باسم مرض "البطن"، وهو وباء معدي يصيب الأمعاء مسببا حدوث إسهال مائي شديد مع التقيؤ، وتقلصات عضلية وجفاف الجسم نتيجة بكتيريا الكوليرا، وهو ناتج عن عوامل مناخية، ظهر هذا الوباء ناحية قسنطينة وضواحيها في شهر أكتوبر 1837م مع بداية الحملة الفرنسية على المدينة وراح ضحيته عدد كبير من سكان المدينة[4].

ويذكر أحمد باي حادثة أنه عندما كان في منزل الربيع أصاب قسنطينة مرض الكوليرا وهو مرض يجعل الصحيح جثة هامدة وظل يخرب المدينة مدة 17 يوما، وذكر حادثة طفلين

---

[1] -جمال سعيدان، **مرجع سابق**، ص 123.

[2] -**سجل الوفيات**، و31، ع 3، أ. و. ق.

[3] - سجل الوفيات، المحكمة المالكية بقسنطينة.

[4] -فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، **مرجع سابق**، ص 191-197.

كانا يلعبان على ركبته وفجأة وجدهما جثتين هامدتين[1]، وقد عثرنا في سجل الوفيات على 15 تصريحا لوفاة سببها وباء البطن منها "**الحمد لله.. حضر سي عمر بن المغلاوي ... الساكن بداره وذكر أن عبد الرحمان المريض ببطنه الذي عمره عشرون عاما هلك شطر ليلة يوم التاريخ...**"[2].

نحاول من خلال سجل الوفيات رصد عدد الوفيات بسبب وباء الكوليرا بالنسبة للفئات الثلاث الأطفال والنساء كما يلي:

جدول رقم (9) عدد الوفيات بوباء الكوليرا من إعداد الطالبة[3]

سبب الوفاة	الأطفال	النساء	الرجال	المجموع
الكوليرا	06 حالة وفاة	02 حالة وفاة	07 حالة وفاة	15 حالة وفاة

نلاحظ من خلال الجدول أن وباء الكوليرا الذي ذكر باسم البطن انتشر في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وأودى بحياة الأطفال والرجال، أما بالنسبة للنساء لم نسجل سوى حالتي وفاة فقط، وعليه فإن الإصابة بهذا الوباء قليلة مقارنة مع الأوبئة الأخرى وقد يكون سبب ظهوره هو بداية الحملة الفرنسية على المدينة وما صاحبها من اضطرابات.

3. دور السلطة البايلكية بقسنطينة في الرعاية الصحية:

إن اختلاف الأمراض والأوبئة في تلك الفترة بقسنطينة ومحدودية التطور الطبي فيها جعل معظم الأطباء ينسبون كل هذه الظواهر إلى وباء الطاعون الذي وقفت السلطة البايلكية عاجزة أمامه في كل مرة، نتيجة الخلاف القائم بين شيوخ المدينة وأعيانها فيما يخص التدابير الوقائية الخاصة بمعالجة المصابين[4]، وكان البايات لا يهتمون بالحياة الصحية للسكان وذلك أن معظمهم كان لهم أطباء أجانب يختارونهم من الأسرى الأوروبيين، ولكن لم يفعلوا شيئا من ذلك للتخفيف

---

[1] –محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي**، مصدر سابق، ص 39-40.

[2] –**سجل الوفيات**، و102م، ع 2، أ. و. ق.

[3] –سجل الوفيات، المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة

[4] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 50.

على السكان من الألآم والأمراض، وكان للجيش جراحه الخاص من المسلمين يدعى "الباش جراح"[1]، فكبار المسؤولين في الدولة يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة ويجلبون لهم الأطباء كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وقد عرف عن "صالح باي" أنه اشترى طبيبا إيطاليا يدعى "باسكال قاميزو" "Pascual Gamizo" ، كما أن الباي حسين بوكمية كان له طبيب هولندي يدعى "سانسون" " Sanson" وهو على صلة بالطبيب الإنجليزي الرحالة" توماس شو" وهو الذي قدم له معلومات جغرافية عن المدينة عندما زارها، كما تشير وثائق المجموعة 1641 في رسالة مؤرخة عام 1189هـ/1775م، أن "صالح باي" أمر وكيل الشركة الملكية الفرنسية أن يرسل إليه الطبيب الفرنسي "ميلان" Milan " المقيم بالقالة لعلاجه من الالتهاب الرئوي[2]، ويظهر أن الحكام اهتموا بصحتهم الخاصة بينما تركوا العامة للطب التقليدي[3]، ونظرا لقلة الأطباء وأهميتهم في المدينة فإن صالح باي امتنع عن معاقبة طبيب فرنسي في القالة كان قد ارتكب مخالفة الزنا مع امرأة عام 1719م، حيث اكتفى بإرسال رسالة إلى وكيل الشركة الملكية يأمر الفرنسيين بالعدول عن دخول بيوت الأهالي من المسلمين[4]، ويجمع المؤرخون على أن الجزائر لم تكن لها سياسة صحية خلال العهد العثماني، كما أن الإجراءات الصحية التي اعتمدتها السلطة العثمانية لم تكن ناجعة، وهو ما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة المعدية التي تأتي في الغالب من خارج البلاد[5].

---

[1] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 167.

[2] - **و. أ. ش**، المجموعة 1641، و56، الأرشيف الوطني.

[3] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، مرجع سابق، ص 419.

[4] - كمال شاعو، **مرجع سابق**، ص 37.

[5] -روابحي العياشي، (السياسة الصحية للسلطة العثمانية بالجزائر موقف النخب المثقفة منها: حمدان خوجة أنموذجا)، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع 59-60، تونس، ص 117.

غير أنه ورغم هذا هناك بعض المحاولات التي طبقها الحكام العثمانيون للحماية من الأوبئة وهي الحجر الصحي المعروفة باسم الكرنتينة[1]، ففي حالة ثبوت انتشار الوباء كانوا يحجزون السفن القادمة فترة معلومة قبل أن يسمح لهم بالدخول إلى الميناء ولركابها بالنزول، سواء كانت هذه السفينة قادمة من بلاد إسلامية أو من بلاد أوروبية[2]، كما فعل "صالح باي" الذي لجأ لنظام الحجر الصحي إذ يرى ناصر الدين سعيدوني أنه حسب المعلومات المتوفرة لم يفرض أي حاكم في الجزائر في العهد العثماني الحجر الصحي على السفن أو الأشخاص باستثناء محاولة "صالح باي" عام 1787م، حيث فرض حزام صحي حول مدينة عنابة ومنطقتها لمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة[3].

كما استعمل في مدينة قسنطينة "التجديرة" وهي إحدى التدابير لمكافحة وباء الجدري أي عزل الفيروس بقص من بثرات الجدري الموجودة على جلد انسان مصاب وإدخاله بالخدش في جسم غير ممنع ضده[4]، وبعد الاحتلال الفرنسي أكتشف الفرنسيون أن السكان يستعملون تقنية الجديرة وهي شائعة بينهم سنة(1253هـ/ 1837م)، كما وجدوا أن التطعيم ممارس عند عامة الناس في عهد أخر البايات الذين تعاقبوا عليها[5]، هذا فيما يخص التدابير الوقائية للحد من الأمراض والأوبئة المنتشرة في المدينة أما إذا بحثنا عن الطرق المتبعة في التداوي من هذه الأمراض والأوبئة فهي كثيرة ومختلفة موروثة في المجتمع الجزائري كما في المجتمع القسنطيني.

---

[1] – كلمة إيطالية " Quaranta" أو الحجر الصحي، يعود هذا المصطلح إلى القرن الرابع عشر ميلادي ويقصد به عزلة الناس عن المناطق الموبوءة بالطاعون، وتم تحديد مدة هذه العزلة بأربعين يوما ينظر:

Margaret Chan et David Heyman, **(La sécurité sanitaire, évolution au XXI siècles), Rapport sur la santé dans le monde 2007**, Paris, 2007, p 02.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص 167.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 560.

[4] –أنطونيو ألكا سي وآخرون، **الاستعراض العلمي لبحوث فيروس الجدري**، د. ط، شركة بيوتكس للنشر، منظمة الصحة العالمية، جنيف (سويسرا)، 2010، ص 3.

[5] –مصطفى خياطي، **الأوبئة والمجاعات في الجزائر**، مرجع سابق، ص 80.

1.3. طرق التداوي والعلاج:

كانت الأمراض والأوبئة التي يعاني منها سكان الجزائر تفسر بالقدر والإرادة الإلهية فالاعتقاد الشائع في تلك الفترة أن الله كان يعطي المرض ويشفي مريضه بمشيئته تعالى[1]، ونظرا لعدم وجود مستشفيات ولا مصحات فقد اعتمد الناس على وسائلهم الخاصة واستعملوا الطب التقليدي في أدويتهم، بما في ذلك الأدعية والأحجبة وبصاق الأولياء وتمائم السحرة والمشعوذين[2]، فالتكفل بصحة السكان كان محصورا بين أيدي الطلبة والمرابطين الذين كانوا يمارسون العلاج بالطرق التقليدية المعتمدة على التجربة وتوارث طرق التداوي عن طريق الأجداد، إضافة إلى السحر والشعوذة في الأوساط الشعبية[3]، وكان الأطباء العرب يستخدمون علاجات بسيطة مثل التمائم والحروز[4] أو ممارسة بعض القواعد الصحية البدائية[5].

2.3 العلاج بالأعشاب:

يتمثل هذا النوع من العلاج في استعمال بعض الأعشاب والنباتات المعروفة بفوائدها، بدل التطبيب لأن السكان لا يعرفون مبادئه، وبالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها هي التي تصنع المعجزات، ومن العادة أنهم في مثل هذه الحالات يلجؤون إلى الحمية[6]، ويعتمد سكان بايلك الشرق بصفة عامة ومنهم سكان قسنطينة على طب الأعشاب في التداوي سواء للأمراض الباطنية أو الجروح، ولهم تجارب مهمة وناجحة في كثير من الأحيان، ومن ضمن الأدوية العشبية الشائعة المرهم الذي يصنعونه من عصارة شجر الصنوبر والقطران والبصل وزيت الزيتون والعرعار والزعتر

---

[1] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 269.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 167.

[3] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 269.

[4] – هي عبارة عن كتابات غير مفهومة توضع في قطعة قماش، يعتقد بعض الناس أن لها القدرة السحرية على حماية ومساعدة حاملها من أمور كثيرة مثل الشر والمرض وإبقاء حب الزوج والزوجة والمساعدة على الإنجاب، ينظر: عائشة حنفي، **الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، ج1، د. ط، مطبعة السفر، الجزائر، 2013، ص 205.

[5] -André Nouschi, **Enquête sur le niveau de vie**, op-cit, p 38.

[6] –حمدان بن عثمان خوجة، **مصدر سابق**، ص 36.

والعسل والكمون وعروق الطيب وورق الصفصاف وقشور الرمان والجوز والكروية وأوراق نبات تاسلغة الشديدة المرارة ونبات أم قرمان والرتمة وغيرها[1].

غير أن معظم الأدوية كانت تتناول الجانب الخارجي من الجسم وكانت كلمة حكيم هي الشائعة عند الناس، حيث كان الطبيب محل احترام وتقدير الجميع، وكان بعض العارفين بالطب وأشباههم يركبون الأدوية من النباتات المتوفرة في البلاد ويصنعون المعاجين والأشربة للأمراض الشائعة كوجع الرأس والمعدة والحروق والاصابات الجلدية، كما عينوا أدوية خاصة للتغلب على السموم والتأثيرات الخارجية كالإصابة بحرارة الشمس، ويستعملون وسائل الكي والحجامة[2]، ومن نماذج التداوي بالأعشاب كتاب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب"، وهو كتاب مهم جدا يصف فيه طرق التداوي بالأعشاب لمختلف الأمراض.

واشتهر سكان الشرق الجزائري بمجموعة مختلفة من الأعشاب الطبية وخاصة منطقة القبائل، والتي يستفيد منها المريض عن طريق شربها بعد غليها أو نقعها أو استعمالها كبخور[3]، وكان لهم في هذا المجال عدة تجارب ناجحة، غير أنهم يقفون عاجزين عن ذلك أمام الأوبئة الفتاكة السريعة الانتشار كالطاعون والتيفوس والكوليرا[4].

3.3. العلاج بالسحر والشعوذة والبخور:

انتشر السحر كوسيلة للتداوي في الأوساط الشعبية الجزائرية، ورغم تحريمه الصريح في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلا أنه كان يستعمل بكثرة[5]، وكانت العامة من الناس تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بتعليق تميمة أو بزيارة ولي صالح، وكانت النسوة خصوصا يؤمن

---

[1] -يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، مرجع سابق، ص 341.

[2] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، مرجع سابق، ص 417.

[3] -عثمان بوحجرة، **مرجع سابق**، ص 67.

[4] -يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 341.

[5] -فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 321-322

ببعض الأسباب غير الطبية للتداوي من العقم وحفظ الولاء بين الزوجين وغيرها[1]، كما يلجؤون في حالات الأمراض النفسية والحمى إلى التمائم والرقية لدى بعض الشيوخ والمرابطين الذين يمارسون هذه المهنة، وفي بعض الأحيان يبالغ البعض فيها فيخلط بين العلاج والشعوذة، كوسيلة للربح وكسب الأموال[2].

كما انتشر في المجتمع القسنطيني بعض الخرافات والاعتقادات في القوة الروحية للأولياء والصالحين لعلاج بعض الأمراض المستعصية، وأصبحت زيارة بعض المقابر والأضرحة مقصد الناس للتداوي من مختلف الأمراض بغرض الحصول على البركة، وذلك بوضع أغراض شخصية داخل الضريح ثم الرجوع وأخذها بعد أيام، أو أخذ بعض من التراب المحيط بالضريح والمخلوط بالماء لابتلاعه، أو جمع بعض الأعشاب من محيط الضريح وأخذ بعض البخور[3]، ومن أمثلة ذلك زيارة نبع "سيدي مسيد" الذي تقصده النسوة عندما يصبن بالحمى أو أي مرض أخر[4]، كما انتشر في الأوساط الشعبية زيارة سيدي "محمد لغراب"[5] بالقرية المعروفة اليوم بقرية "صالح باي"، حيث أصبح مزارا للعائلات القسنطينية وتسمى هذه الزيارة بالنشرة، فيقوم أهل المريض بشراء ديك فيه المواصفات التي يشترطها كاتب التمائم، ثم يذبح بالقرب من القبة ويطهى ثم يطعم الحاضرون المجتمعون ويقومون ببعض الحركات تشبه حركات العيساوة أو التهوال بالعامية، ثم يقوم المريض بالاستحمام في بركة ماء ساخن موجود بالمكان وتعرف بالبرمة[6]، والظاهر أن هذه العادة التي

---

[1] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، مرجع سابق، ص 417.

[2] –يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 341.

[3] –عثمان بوحجرة، **مرجع سابق**، ص 67-71.

[4] –أحمد بن المبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 43.

[5] – اشتهر هذا الثائر بتصوفه وورعه بمدينة قسنطينة، وعرف بكرهه للأتراك وبغضه الشديد لهم، وهو ما جعل صالح باي ينفذ فيه حكم الإعدام، واختلطت قصة إعدامه بالقصة والرواية الشعبية أنه بعد مقتله تحولت جثته إلى غراب أسود، وهو ما جعل صالح باي يخاف من هذه الحادثة لذلك جعل له ضريحا بقبة بيضاء في ناحية سيدي غراب وهي قرية صغيرة قرب قسنطينة، وأصبح مزارا منذ ذلك الوقت. ينظر: محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 89.

[6] – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 168.

انتشرت في البيوتات القسنطينية هي من التقاليد النوميدية القديمة متأثرة بالديانة اليهودية وعادات اليهود التي تقدس الديك، ولا يزال بعضهم يحتفلون بدفن عظام الديك في بعض المواسم[1].

كما كانت السلطة تشجع الزوايا على التكفل بالصحة العمومية، فقد كانت تقوم مقام المرافق الصحية وتستقبل الحجيج والمسافرين الفقراء وتقدم لهم الاسعافات[2]، حيث تخصصت زاوية "أولاد الفكون" وزاوية "رضوان خوجة" في استقبال أبناء الكراغلة والعثمانيين بمدينة قسنطينة للتداوي.

4.3. العلاج بالمياه المعدنية:

يلجأ المرضى كذلك لمواجهة الأمراض بالمياه المعدنية، والتي كانت منتشرة في المدن الجزائرية خاصة الغنية بالكبريت[3]، ومن الملاحظات التي سجلها جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر فيما يتعلق بالحمامات العلاجية أنها كثيرة، ولكن يبدو أنها كانت مهملة وأن السكان نادرا ما يلجِؤون إليها للعلاج من الأمراض المزمنة، وأن الجنود يستفيدون منها للعلاج وتكثر في شرق الجزائر خاصة بقسنطينة التي توجد بها ينابيع حرارية ومعدنية كثيرة[4].

5.3. تأثير الوضع الصحي على النشاط الاقتصادي والديمغرافي:

يعد العنصر البشري المحرك الأساسي للحياة الاقتصادية، في حين تكون الكوارث الطبيعية وما يتبعها من أمراض وأوبئة أحد معوقات النشاط البشري[5]، فالأوضاع المعيشية الصعبة والفقر الذي شهده مجتمع مدينة قسنطينة وخاصة في زمن الجوائح وما يترتب عليها من انتشار للأمراض والأوبئة، إضافة إلى كثرة الضرائب من الأسباب الأساسية لهجرة سكان الضواحي إلى المدينة طمعا في حياة أفضل[6]، فأغلب النازحين إلى المدينة كانوا من المصنفين ضمن الفارين من

---

[1] – محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 90.

[2] –عائشة غطاس، (الوضع الصحي للجزائر في العهد العثماني)، **مجلة الثقافة**، ع 76، الجزائر، 1983، ص 128.

[3] –فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي**، مرجع سابق، ص 293-294.

[4]- J.A. N. Perier, **De l'hygiène en Algérie**, Science médicale, 02 Imprimerie Royale, Paris, p 59-60.

[5] – صرهودة يوسفي، (**الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700م-1830م**)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2017-2018، ص 241.

[6] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 109.

المجاعات التي اجتاحت البلاد في تلك الفترة[1]، فالأمراض والأوبئة التي أصابت سكانها مرات متعددة أحدثت خسائر بشرية كثيرة، كما ألحقت أضرارا كبيرة بالمنطقة وهو ما منع الناس من العمل وتأمين سبل الحياة، حيث تسببت في خسائر كبيرة أدت إلى نقصان في الإنتاج وتقهقر مختلف أنواع الأنشطة الاقتصادية[2]، إذ شهدت المدينة سنة 1838م حالة من تقهقر الاقتصاد بمحصول رديء أنذر بكارثة وهو ما أثر سلبا على الاقتصاد المعيشي وكانت من أسوأ سنوات الحصاد[3].

كما أثر الوباء على اليد العاملة في الحرف وعلى الأنشطة المرتبطة بها وفي مقدمتها التجارة[4]، وكان لتدهور الحالة الصحية في المدينة بعد الاحتلال وقيام الجيش الفرنسي بطرد السكان ومصادرة أملاكهم وإرهاقهم بالضرائب دورا كبيرا في نقص المواد الغذائية وانخفاض مستوى المعيشة وتدهور الوضع الصحي، بالإضافة إلى التعرض إلى المجاعات القاسية[5]، ومن الأثار السلبية للأمراض والأوبئة على الحياة الاجتماعية هو تناقص عدد السكان بشكل محسوس، وهو ما أدى إلى تحولات جذرية في نمط حياة السكان فاندثرت بعض الأسر والقبائل على مستوى المدينة والريف[6].

وعليه فإن النمو الديموغرافي والنشاط الاقتصادي مرتبطان ارتباطا وثيقا بالأوضاع الصحية فكلما تحسنت الأوضاع الصحية قلت الوفيات ونشطت التجارة وازدهرت الصناعة والزراعة، وكلما ساءت الأحوال الصحية انكمش النشاط الاقتصادي وقل عدد السكان.

---

[1] -جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق**، مرجع سابق، ص 282.

[2] -محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 49-56.

[3] - محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 45.

[4] - صرهودة يوسفي، **الاقتصاد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 241.

[5] -يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 342.

[6] -أرزقي شويتام، **مرجع سابق**، ص 291-294.

4. العوامل البشرية:

أثرت العوامل البشرية بشكل مباشر في مختلف التطورات بين الأفراد والمجتمعات، فالإنسان هو المحرك الأساسي للأحداث التاريخية ومنها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وله دور كبير في التأثير الإيجابي والسلبي على مختلف الأصعدة.

1.4. التوترات الداخلية والخارجية:

أثرت الظروف السياسية على مر العصور في تكوين المدن، فكثرة الخلافات والمنازعات بين الحكام جعل كل حاكم يطمح في تحقيق طابع معين خلال فترة حكمه، وما تبع ذلك من تنشيط لحركة العمران والبناء[1]، ولعبت العديد من المدن التي أنشئت في الفترة الإسلامية دورا في تسيير أقاليمها وإدارتها، ومنها مدينة قسنطينة التي كانت مركزا مهما في تطوير العمران وإعطائه صفته الإسلامية، حيث تأثرت تأثرا كبيرا بالنشاط السياسي الذي ميز المراحل التاريخية الأولى وبما كان ينتظر منها من وظيفة عسكرية وإستراتيجية[2]، وكان للتطورات السياسية التي عرفتها المدينة أواخر العهد العثماني تأثير بالغ الأهمية في تغيير ملامح الحياة الاجتماعية والعمرانية بها، وكانت هذه التطورات على مستويين الأول داخلي تمثل في الاضطرابات المحلية، والثاني خارجي تمثل بالدرجة الأولى بالتوترات مع إيالة تونس[3]، وتعددت أسباب هذه الانتفاضات والثورات وتنوعت دوافعها واختلفت أهدافها فمنها من كانت لأسباب دينية ومنها ما كانت لأسباب سياسية أو شخصية[4].

---

[1] – زياد محمد شحادة، **مرجع سابق**، ص 27.

[2] –بوطارن مبارك، **مرجع سابق**، ص 11-12.

[3] –أحمد بحري، **مرجع سابق**، ص 197.

[4] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 87.

1.1.4. التوترات الداخلية:

إن التباين داخل الهرم الاجتماعي في إيالة الجزائر وبوجه خاص في مدينة قسنطينة ولد صراعات بين فئات السكان من جهة، وبين فئات السكان والنظام من جهة أخرى، وهو ما نتج عنه تمردات وثورات محلية[1].

2.1.1.4. ثورة ابن الأحرش وتأثيرها:

رغم تطور الأوضاع في مدينة قسنطينة في فترة حكم "صالح باي"، غير أنه سرعان ما تغيرت الأوضاع بعد رحيله، إذ كانت فترة حكم البايات بعده قصيرة تدوم أشهر فقط، وبالتالي أدى ذلك إلى نشوب الفوضى والانقلابات والتوترات والخيانات داخل المدينة، وهذا نتيجة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية[2]، فقد شهدت المدينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي وخاصة في فترة ما بين(1219هـ/1804م-1253هـ/1837م) تصارع أصحاب السلطة فيما بينهم، وظهور العديد من الثورات والتي عملت إلى جانب استفحال القحط في إقليم المدينة إلى تفشي المجاعات ونزوح سكان الأرياف إلى المدينة[3]، فانطلاقا من نهاية حكم "صالح باي" بدأت الفوضى تعم البلاد فبعد عزل ومقتل هذا الأخير تولى حكم البايلك 17 بايا بعضهم لم يحكم إلا بضعة أشهر وبعضهم الأخر لم يحكم سوى أياما معدودات، وكانوا في مجملهم حكام قساة على الرعية، وقد عان سكان المدينة الكثير من ويلاتهم، وأدى ذلك إلى حدوث ثورات بعض القبائل المجاورة وأولها ثورة "ابن الأحرش" الذي وصل إلى أسوار المدينة سنة1219هـ/ 1804م[4].

وهو رجل كان يزعم أنه من شرفاء فاس كان يقود ركب الحج عندما وقعت الحملة الفرنسية على مصر، فتوقف بالقرب من الإسكندرية وشارك في القتال ضد الفرنسيين، وقد اشتهر في

---

[1] -أحميدة عميراوي، **علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال**، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 22.

[2] -أوجين فايسيت، **تاريخ بايات قسنطينة**، مصدر سابق، ص 4.

[3] -محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 86.

[4] - Eugene Vayssette, **Histories de Constantine sous la domination turque ,op cit**, p 257.

جميع المعارك التي خاضها بالشجاعة والإقدام على قيادة المحاربين، وبعد النصر تحالف مع الإنجليز فأعادوه ومن معه إلى مدينة عنابة ثم انتقل إلى قسنطينة ومنها التحق بالجبل واستقر بمدينة جيجل، حيث بدأ يجمع الأنصار تحضيرا للتمرد[1]، ودخل وسط القبائل ووعد الناس بالاستيلاء على مدينة قسنطينة، وكان لباي تونس "حمودة باشا"[2] دورا في هذه التوترات، حيث استقدمه وحرضه على إشعال نار الثورة في بايلك قسنطينة لتهديد المدينة[3]، وذكر ذلك صالح العنتري أنه أخر سنة 1218هـ/1803م وقع هول بالوطن سببه رجل يدعي الشريف ناحية أعراش وادي الزهور اسمه "سي محمد بن عبد الله الشريف"، وزعم أنه صاحب الزمان وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيث ما يتوجه، وبارود عدوه لا يضره، ولا يصيب أتباعه بل يرجع لديهم ماء إلى غير ذلك من الأكاذيب، فألتف حوله جمع من الأتباع الذين صدقوا ادعاءه فاتجه بهم نحو مدينة قسنطينة قاصدا الاستيلاء عليها[4]، في محاولة إقامة دولة له تمتد من قسنطينة وتشمل كل القطر الجزائري وبذلك يكون مشروعه هو إقامة دولة، وبلغ اتباع "ابن الأحرش" حوالي عشرة ألاف رجل انتقل بهم من القبائل التي توجد بها مضاربهم ما بين جيجل وميلة إلى وادي الزهور وعلى الخصوص القبائل القاطنة بالمناطق الجبلية والتي عانت الكثير من اضطهاد الحكام[5].

ومن نتائج هذه الثورة اضطراب في الأحوال الاقتصادية، حيث أهمل الجانب الفلاحي وتخلى الناس عن الحرث بسبب الهول والاضطرابات، فنزل جراء ذلك قحط شديد أضر بسكان قسنطينة فيبس الزرع ونقصت الحبوب، وتسبب في عدم قدرة السكان في الخروج للأسواق لانعدام الأمن

---

[1] –أحمد الشريف الزهار، مذكرات، **مصدر سابق،** ص 132.

[2] – هو ابن علي باي ولد حوالي 1752 واعتلى العرش الحسيني عام 1782 وصف باللياقة البدنية والصرامة في إصدار الأحكام، وأجاد اللغتين العربية والتركية، ومن أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ العلاقات بين البلدين. للاطلاع ينظر: حسام صورية، **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مرجع سابق، ص 87.

[3] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 271.

[4] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 29.

[5] – مؤلف مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة**، تح: حساني مختار، د. ط، منشورات دحلب، الجزائر، 1999، ص 25.

في الطرقات[1]، كما كانت من أهم أسباب هروب بعض القبائل والعناصر السكانية من مواطنهم الأصلية إلى المدن الكبرى[2]، إضافة إلى الصراعات الداخلية وكثرة النزاعات بين السكان حول موطن الكلأ والزرع، وخاصة سكان الجنوب الشرقي الذين يوصفون بالبداوة، ويعتمدون على نشاطين أساسيين؛ هما الزراعة وتربية الماشية، وهذا ما أدى إلى نتائج سلبية وهجرة الكثير منهم إلى المدينة وتغيير نشاطهم[3].

ومن نتائجها كذلك موت الباي عثمان سنة1217هـ/ 1802م، وتلف خزائنه وكل ما احتوت عليه محلته من أموال وذخائر، وهو ما أدى بدوره إلى انقلاب أهل الأعراش عن بعضهم البعض بالنهب والفساد[4]، وتركت ثورة ابن الأحرش أثارا سلبية على المدينة وسكانها، كما ساهمت بشكل واضح في ضعف الحكم العثماني في الجزائر الذي تعرض لهزات عنيفة كانت إحدى أهم الأسباب في سقوط الإيالة.

2.1.4. التوترات الخارجية:

مثلت التوترات الخارجية، وخاصة مع إيالة تونس بحكم القرب الجغرافي أثرا بالغا في مختلف الأحداث والتطورات في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

1.2.1.4. التوتر مع إيالة تونس

يعد التنافس الحاد بين إيالة الجزائر وإيالة تونس من أسباب الصراع الحاد بين البلدين، وقد تمكن خلال هذا الصراع بعض دايات الجزائر وبايات قسنطينة من تحقيق انتصارات على بايات تونس، ونتج عنه فرض إتاوة مالية وضريبة عينية على حكومتها، وهو ما أدى إلى انتهاز بايات

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 33.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 36.

[3] – أحميدة عميرا وي، **علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 23.

[4] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 33.

تونس الفرصة للتخلص من التبعية لإيالة الجزائر من خلال محاولات الاستيلاء على مدينة قسنطينة[1].

ففي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بدأت العلاقات بين الإيالتين تتأزم بشكل واضح وذلك راجع إلى عدة عوامل، فبالنسبة للجزائر تدهورت الأوضاع الداخلية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، فتفشت المجاعات وثارت الصراعات الداخلية بين الحكام، أضف إلى ذلك اندلاع الثورات المحلية في الشرق والغرب وتمرد القبائل المختلفة مما خلف مصاعب كثيرة للنظام الحاكم[2]. وكما كان لمقتل صالح باي(1771م-1792م) وتعويضه ببايات أقل شئنا منه وعدم استقرار كل واحد منهم لفترة طويلة في حكم بايلك الشرق كان في صالح باي تونس "حمودة باشا"، إذ لم يزعجه أحد مثل صالح باي، وذلك بسبب انشغالهم بتهدئة الأوضاع الداخلية من تمردات القبائل والأفراد وهو ما أعطاه الفرصة لتنمية إمكانياته العسكرية دون اضطراب استعداد للتحرر من هيمنة الجزائر[3].

في حين نجد أن تونس في تلك الفترة مرت بازدهار نسبي فهي كانت أكثر استقرارا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا من الجزائر، استطاع "حمودة باشا" أن يوفر هذا الاستقرار لتونس حتى يقف في وجه حكام الجزائر ففي سنة (1219هـ/ 1802م) أعلن صراحة عن معاداته للجزائر وتنصله من كافة الالتزامات تجاههم، وتعكرت العلاقات من جديد بعد أن أعلن باي قسنطينة وأدعى فجأة وعلانية حقه في ملكية منطقة الجريد جنوب إيالة تونس[4].

وبعد أن تولى "حسين بن صالح باي حكم قسنطينة سنة 1802م، قدم جيش من بلد تونس يبلغ حوالي العشرين ألف مقاتل بآلات حربية من أسلحة ومدافع قصد الاستيلاء على قسنطينة

---

[1] -ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، مرجع سابق، ص 42.

[2] -فيلالي السايح، **(العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830)**، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، 1982-1983، ص 63.

[3] -عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 266.

[4] -فيلالي السايح، **مرجع سابق**، ص 63-66.

طمعا فيها بعد ما بلغهم عنها ما أصابها من الشر والهول الذي أحاط بها[1]، واغتنم حاكم تونس "سليمان كوهية" جو الفوضى والاضطرابات واستولى على مدينة قسنطينة سنة 1222هـ/1807م، حيث قام بحصار المدينة لمدة شهرين كاملين وقام بقصفها ولكن أتت النجدة إلى المدينة وأنهت هذا الحصار[2].

كان لهذه الصراعات نتائج مختلفة، منها الهجرة القسرية للقبائل التي كان لها موقف من هذه الصراعات كجماعة الوسلاتية، الذين نزحوا واستقر عدد كبير منهم في مدينة قسنطينة، نتيجة ما لحقهم من قهر وتشريد في موطنهم الأصلي[3].

وقد أدى تهديد الأمن والاستقرار الناتج عن الاضطرابات الداخلية والخارجية إلى هجرة الفلاحين من حقولهم وبساتينهم وتركها بورا أو تقليص نشاطهم الفلاحي فيها[4].

وعليه فإن التوترات الداخلية كثورة ابن الأحرش والخارجية مع إيالة تونس كان له الأثر السلبي على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المدينة.

5. العوامل الاجتماعية:

تعد العوامل الاجتماعية والروابط الأسرية إحدى أهم العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي للتجمعات السكانية عبر مختلف العصور، وكان للمصاهرة في العهد العثماني وزن كبير لدى فئات المجتمع الجزائري بصفة عامة ومجتمع مدينة قسنطينة بصفة خاصة.

1.5. المصاهرة وجه من أوجه التفاعل الاجتماعي في مجتمع المدينة:

مثلت المصاهرة إحدى أهم العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي بين مختلف الفئات الاجتماعية المكونة لمجتمع مدينة قسنطينة، فروابط الولاء والانتساب والمصاهرة هي النواة

---

[1] –محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 37.

[2] -Eugene Vayssettse, **Histoire de Constantine**, op-cit, p 257.

[3] – فاطمة الزهراء قشي، **الزواج والأسرة**، مرجع سابق، ص 23.

[4] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 13.

المركزية التي تشكلت حولها التجمعات والتحالفات السياسية، وهذه الروابط تقوم بدور مهم كوسيلة اندماج اجتماعي للفئات المختلفة في المدينة[1]، وكما تعد من بين عمليات التماسك الاجتماعي والحرص على مميزات الجماعة، فهي كذلك توطد الروابط الأسرية بوضع الفرد في شبكة متينة من العلاقات الراسخة حرفيا واجتماعيا[2]، ورغم أن هذه الفئات من جهات مختلفة غير أنه ربطتهم عدة روابط اجتماعية ودينية وكان أهمها الزواج، الذي يعد عند الأسر الجزائرية من المقدسات الدينية والاجتماعية، ولا يمكن أن نلاحظ أسرة جزائرية لا تقيم الاحتفالات بمناسبة تزويج أحد أبنائها أو بناتها، لأن العقيدة الإسلامية لا تقبل بغير الزواج الذي يعتبر الواقي الوحيد من الانحرافات الأخلاقية، وفي آن واحد استجابة لضرورة بيولوجية فهو يعتبر الوسيلة الشرعية للإنجاب وبناء أسرة تستمر وتحافظ على النسل في العائلة والقبيلة والمجتمع، كما يساهم في التقارب بين العائلات الجزائرية[3].

واختلف الشكل والصورة التي كانت تتم بها تلك المصاهرات في مدينة قسنطينة بين الانغلاق والانفتاح، كما عبر عن ذلك الأستاذ خليفة حماش، حيث تجلى المظهر الأول منها في بعض الزوجات اللاتي تزوجن من رجال من نفس المناطق التي قدموا منها[4]، أما مظهر الانفتاح يمثلها بشكل واسع الزوجات الوافدات من المناطق الداخلية للإيالة والتي تزوجن من رجال أتراك، وتعد دائرة المصاهرات في دائرة الحضر ضيقة ومحدودة وربما تنحصر في عائلات العلماء مثل العنابي والورتيلاني أو العنتري أو الفكون وابن محجوبة، لذلك لا يمكن قياس درجة الانفتاح، إلا بمعرفة

---

[1] –المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني–القرصنة –الأساطير والواقع**، ج2، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 182.

[2] – يحيى أحمد، **مرجع سابق**، ص 188.

[3]- Louis Regis, **Constantine et sa région, voyage et séjour, 1879**, Dar el- Houda, Ain Mlila (Algérie), 2005, p 88.

[4] –خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر، **مرجع سابق**، ص 174–175.

المكانة الاجتماعية للوافدين الجدد على المدينة والمصاهرات التي تظهر من جديد[1]، كما كان للقوانيين التي فرضها الحكام الأتراك الأثر الأساسي في تحديد السلوك بين الجماعات[2].

2.5. المصاهرة بين العناصر التركية والأهالي:

تعد المصاهرة بين العناصر التركية والأعيان في مدينة قسنطينة محاولة للارتقاء في السلم الاجتماعي بالتآزر المتبادل من حيث المنبت الشريف والعراقة في الحضارة والمدينة، أو من حيث الوجاهة والانتماء إلى الطبقة الحاكمة[3]، وتميزت الفترة الأخيرة من العهد العثماني بظهور علاقات المصاهرة بين البايات والأسر الريفية الكبرى في بايلك الشرق، وسعى بعض البايات إلى رفع مقام بعض هذه الأسر على حساب الأسر أخرى حسب المصالح التي تربطهم، فأسرة بن قانة مثلا ظهرت كأسرة جديدة منذ عهد الباي أحمد القلي (1170هـ-1185هـ/1756م-1771م) بعد ما تزوج من هذه الأسرة والحاج أحمد باي هو ابن أخت ابن قانة أحد كبار رؤساء هؤلاء العرب[4].

لم تقتصر المصاهرة بين العناصر التركية والأهالي على المصاهرة السياسية التي انتهجها بايات قسنطينة والموظفون السامون في البايلك لكسب ولاء الأسر ذات النفوذ بالمدينة أو ريفها، بل تجاوز ذلك لتصبح اندماجا حقيقيا بين الفئتين العربية والتركية، فالعلاقة بين الطرفين كانت أوسع من ذلك[5]، ومثال على ذلك ما ورد في السجل السادس وثيقة 105 المؤرخة في جمادى الأولى لعام 1234هـ " **الحمد لله وفي أواسطه تزوج محمد بن حسين الانجشاري عايشة بنت أحمد بن الأبيض ثيبا متوفى عنها منقضية العدة...**" وهو عقد يثبت زواج أحد عناصر الإنكشارية من إحدى الأسرة الحضرية وهي أسرة "ابن الأبيض" والتي كانت لها مكانة كبيرة في مجتمع المدينة، كما تزوج الأتراك من العناصر الأندلسية منها ما ورد في وثائق عينة الدراسة

---

[1] -يحي أحمد، **مرجع سابق**، ص 188.

[2] -وليام سبنسر ، **مرجع سابق**، ص 99.

[3] -فاطمة الزهراء قشي، **الزواج والأسرة**، مرجع سابق، ص 152.

[4] -رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 34.

[5] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 266.

نذكر منها عقد طلاق جاء فيه طلاق مصطفى بن إبراهيم الانجشاري زوجته بية بنت حسان الكريتلي طلقة أولى[1]، كما تزوجت العناصر التركية من بعضها البعض بطبيعة الحال، حيث رصدت لنا الوثائق العديد من عقود الزواج والطلاق لأتراك من بعضهم البعض منها ما جاء في السجل الخامس وثيقة 517 المؤرخة في ربيع الثاني عام 1232هـ"**الحمد لله تزوج حسين بن عثمان الانجشاري بآمة الله وريدة بنت سي علي الصغير الانجشاري...**".

3.5. المصاهرة بين العناصر التركية والبرانية:

تعد المصاهرة من أهم مظاهر الاندماج للعناصر البرانية التي راحت تبحث عن الزواج من نساء المدينة لعل ذلك يساعدها في تحسين ظروفها أو على الأقل الاستقرار، ورغم محاولة تجنب البلدية من أتراك وأهالي للبرانية وابتعادهم عنهم في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، غير أن عددا كبيرا من عقود وثائق عينة الدراسة تظهر أن الإنكشاري تزوج من فئة البرانية، وهو ما يتضح من خلال نسب أصهاره كوالد زوجته أو زوج ابنته، ولم تتراجع مصاهرة البرانية بعد استقرار الإنكشارية بالمدينة بل استمرت حتى نهاية الحكم العثماني، وكان الإقبال على المصاهرة من الطرفين[2]، وقد تعدى ذلك إلى العناصر الوافدة من خارج الإيالة كتونس والمغرب ويتضح ذلك على سبيل المثال لا الحصر من العقد الذي يرصد زواج الحاج يوسف بن عمار الإنكشاري من فاطمة بنت إبراهيم التونسي[3].

4.5. زواج العائلات المحلية من بعضها البعض:

كانت العائلات المحلية الكبرى تتصاهر مع بعضها لعد اعتبارات وهو ما يتضح من خلال وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة التي ترصد لنا عدة عقود زواج وطلاق لهذه العناصر مع بعضها البعض ومثال ذلك عقد طلاق الحاج إبراهيم بن نعمون من وريدة بنت الحاج محمد

---

[1] – **و. م. ش**، السجل 5، و324، 1228هـ، أ. و. ق.

[2] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 265–266.

[3] – **و. م. ش**، السجل 5، و520، 1232هـ، أ. و. ق.

البجاوي[1]، وكذلك عقد من السجل الرابع وثيقة 273 المؤرخة في جمادى الأخيرة 1222هـ الذي يشير لزواج سي محمد بن شريف بن أحمد بوعكاز أمة الله عايشة بنت سي حسن العطار ..."، كما كان للعناصر الأندلسية نصيب من هذه المصاهرات منها ما وثقه السجل الثالث وثيقة 105 المؤرخة في شهر ذي القعدة من عام 1212هـ، أين راجع صالح بن سليمان المرواني زوجته رحمونة بنت رجب القشتولي من طلقة أولى...".

كما كانت هناك مصاهرات كثيرة بين الوافدين من خارج الإيالة والسكان المحليين من مختلف الفئات ومن غير الحكام، فهي مصاهرة خالية من الأطماع السياسية وإن كانت لا تخلو من أغراض كتوثيق الأواصر بين الأسرتين وبين القبائل التي ينتمون إليها[2]، وهناك أمثلة عديدة من وثائق عينة الدراسة (350) وثيقة حول دوائر هذه المصاهرات لمختلف الفئات، منها ما ورد في السجل الأول وثيقة 4 المؤرخة في عام 1202هـ" **الحمد لله وفيه تزوج أحمد بن عمار الوسلاتي مسعودة بنت سعد بن الشحات...**".

5.5. المصاهرة بين السكان المحليين والبرانية:

تظهر وثائق عينة الدراسة المصاهرة بين السكان المحليين وعناصر البرانية، ومثال ذلك ما وثقه السجل الأول وثيقة 14 المؤرخة عام 1202هـ" **الحمد لله وفيه تزوج السيد مصطفى بن المسبح رحمونة بنت أحمد المسيلي ...للتاريخ**"، حيث يوضح العقد زواج إحدى أعيان المدينة من ابنة أحمد المسيلي أحد عناصر البرانية.

6.5. المصاهرة بين الفئات البرانية:

إن تشابه الظروف بالنسبة لفئات البرانية في المدينة جعلها تتحد مع بعضها البعض عن طريق المصاهرة، حيث نجد العديد من العقود التي توثق لزواج فئة البرانية مع بعضهم البعض منها ما ورد في السجل الثاني وثيقة 605 التي تظهر زواج علي بن عبد الرحمان الميلي مسعودة

[1] – **و. م. ش**، السجل 1، و53، 1202هـ، أ. و. ق.

[2] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 130.

بنت أحمد الزموري، كما تشير وثائق عينة الدراسة (350) وثيقة أيضا لزواج عناصر البرانية مع العناصر القادمة من خارج الإيالة نذكر منها على سبيل المثال عقد "**طلاق الحاج سعيد بن محمد المراكشي زوجه فاطمة بنت علي المسيلي**"[1]، كما كانت هناك علاقات مصاهرة بين فئات الأهالي والعتقاء، نذكر منها ما جاء في السجل الثاني وثيقة 600 "**وفي التاسع منه تزوج سالم التونسي ياسمينة بنت عبد الله عتيقة الدايخة بنت السيد حسين باي ...**"، كذلك عقد من السجل الخامس يشير لزواج "**سعيد بن محمد الدباغ بنت عبد الله عتيق السيد محمد باي...**"[2].

من خلال هذا العرض لأهم دوائر المصاهرات في مجتمع المدينة نجد أن كل عناصر المجتمع قد ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع بعضها البعض، وشكلت هذه المصاهرات أهمية كبيرة لفئات المجتمع وخاصة فئة البرانية التي كانت تبحث لنفسها عن الاستقرار والاندماج في مجتمع المدينة، أين استطاع بعضها أن يتمتع بمكانة مرموقة بعد أن تحسنت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية نتيجة هذه المصاهرة، كما ساهمت المصاهرة بين فئات المجتمع في تشكيل مجتمع موحد في عاداته وتقاليده.

7.5. العادات والتقاليد الموروثة في المجتمع القسنطيني:

شكلت العادات والتقاليد إرثا ثقافيا متوارثا في المجتمع القسنطيني الذي احتضن مجموعة من العادات والتقاليد المستمدة من الثقافات المتعاقبة على المدينة عبر العصور، وخاصة الفترة الإسلامية والعثمانية التي مثلت أهم هذه المحطات التاريخية، حيث تتأثر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات بالعادات والتقاليد من خلال عملية التلاقي والتعامل التي توثق الترابط الاجتماعي، وتقاسم المجتمع القسنطيني في العهد العثماني العديد من المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد الموروثة مع المجتمع الجزائري عامة، كما تميز ببعض العادات التي اختص بها المجتمع القسيطيني وحده والتي ما زال بعضها إلى يومنا هذا شاهدا على عراقة المدينة

[1] – و. م. ش، السجل 2، و536، 1210هـ، أ. و. ق.

[2] – و. م. ش، السجل 5، و315، 1228هـ، أ. و. ق.

والمجتمع، ويجدر بنا في هذا المقام أن نقف على بعض العادات والتقاليد التي اختصت بها مدينة قسنطينة.

تحكمت مجموعة من العادات والتقاليد في سكان مدينة قسنطينة الذين جمعتهم الحضارة الإسلامية بما فيها من دين وثقافة وقوانين وأحكام، ومثلت عنصر انسجام بين مجموع السكان ومصدرا للثقافة والنظم القانونية والعلاقات الاجتماعية والتقاليد وهي أهم عنصر من مقومات الشخصية الجزائرية[1].

8.5. اللغة:

تعتبر لهجة المجال القسنطيني إحدى اللهجات الجزائرية التي تنتمي إلى اللهجات العربية، التي تأثرت كغيرها من اللهجات الأخرى بمتغيرات مختلفة منها تواجد الأمازيغية كلغة أصلية في المنطقة، ومع قدوم العرب في بداية الفتح ثم القبائل الهلالية ومنهم بنو سليم وعرب المعقل، إضافة إلى اللاجئين من الأندلس في فترة التحرش الاسباني على شواطئ جيجل والقل، ثم الحكم العثماني إلى بداية الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة، فكل هذه المعطيات جعلت اللهجة القسنطينية تأخذ وتهذب الكلمة على حسب الحاجة والبيئة، وهي ما يطلق عليها لهجة الشرق الجزائري[2]، أما فيما يخص الخط الذي يكتب به فهو الخط الأندلسي الذي طغى على الخطوط الأخرى وتغلب عليها في بلاد المغرب الإسلامي وهو الخط المعروف بالخط المغربي[3].

9.5. اللباس والمأكل:

رغم تباعد المجتمعات المغاربية عن العاصمة العثمانية غير أنها كانت بالنسبة لهم مركزا حضاريا وثقافيا، لذلك تأثر المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع القسنطيني تحديدا بكل المؤثرات العثمانية التركية والأندلسية، وعلى وجه الخصوص اللباس وتجهيز المنازل والتقاليد

---

[1] –عبد الله شريط ومحمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1، مكتبة البعث للطباعة والنشر، 1965، قسنطينة، ص 155.

[2] –التواتي بومهلة، **قسنطينة معالم حضارة وتاريخ، ج1**، مرجع سابق، ص 176-177.

[3] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 81.

البيتية والموسيقى[1]، أما فيما يخص الملابس فهي تختلف في المجتمع الجزائري باختلاف فئات المجتمع وثروة الأفراد وفصول السنة، وقد كان لباس الحكام الأتراك صورة طبق الأصل ابتداء من المستوى الخاص بالنخبة إلى أدني عضو فيه، وكان هذا النوع من اللباس يعكس الأذواق العثمانية في أطرزة مغربية، أما لباس الحضر فيتكون عادة من عدة قطع بعضها بأكمام والآخر بدون أكمام مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف، ومن سراويل فضفاضة حتى الساق[2]، أما نساء المدينة فكن أكثر أناقة من نساء الأرياف، وذلك راجع للتأثيرات الناتجة عن الاحتكاك بالنساء القادمات من الأندلس سواء في اللباس أو العطور، وكان لباسهن الشائع هو الفارملة وهي لباس ذو حزام مفتوح عند الصدر، بالإضافة إلى الحايك الأبيض الذي تضعه المرأة عند الخروج[3].

أما فيما يخص اليهود فإن الأمر يختلف من حيث اللباس وحتى السكن مقارنة مع باقي الفئات، فاليهودي يلبس معطفا ذا أكمام عريضة بشكل لا يمنع من غسل الأطراف العليا، وكذلك حزاما عريضا وخناجر كبيرة جميلة على الجانب الأيسر، أما في فصل الشتاء فيلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعل الإسبان، وأحذية ملونة توضع في الرجل وتخلع بسهولة دون أن تلمسها اليد، كما يضع اليهود على رؤوسهم دائما غطاء على الرأس يكون عادة من قطعة قماش[4]، أما نساء اليهود فقد سمح لها بحرية بين العامة أكثر من أخواتها المسلمات، ولذلك نجد المرأة اليهودية تجلس على باب منزلها على الحصير أو على الزربية تتبادل أطراف الحديث طوال اليوم، ما عدا حين تذهب إلى الحمامات أو تنعزل للتدين أو تذهب إلى السحرة أو إلى المدافن أو إلى الحدائق أو للاحتفال بالأعياد العامة، كما أن المرأة اليهودية لها عناية قليلة بأولادها[5].

---

[1] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 102.

[2] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 83.

[3] – وليم سبنسر، **مرجع سابق**، ص 107.

[4] – **نفسه**، ص 101–103.

[5] – **نفسه**، ص 101.

أما فيما يخص العادات الشعبية المتعلقة بالأكل والشرب، فقد شكل الخبز وطبق الكسكسي الأغذية الرئيسية لسكان الجزائر في العهد العثماني، وهو مغذي جدا ويطبخ باللحم أو بالخضراوات وزيت الزيتون أو الزبدة بالنسبة للطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم[1]، والذي كان لا يأكله الجزائريون كثيرا رغم امتلاكهم للمواشي، وأنهم لا يذبحون منها إلا في حالة قدوم الضيف أين يذبحون له تكريما وتقديرا له، فاللحم يكاد يقتصر على طبقة الأثرياء فقط[2]، بالإضافة إلى مواد أخرى تدخل في الطبخ الجزائري مثل العسل والزبدة وزيت الزيتون وغيرها من الخضر والفواكه المنتشرة في الجزائر، كما انتشر في المجتمع القسنطيني عادة شرب القهوة والتي تعتبر مشروب الترف للأفراد[3].

10.5. المناسبات الاجتماعية والأعياد:

يشترك المجتمع القسنطيني مع غيره من المجتمعات العربية والإسلامية في بعض العادات الدينية كالاحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف، مع وجود بعض الاختلافات البسيطة التي تعود لتأثير عنصر الأتراك والأندلسيين التي أضفت بعض التميز على المجتمع القسنطيني.

ففي شهر رمضان الذي يعتبر أهم ظاهرة اجتماعية في المجتمعات العربية الإسلامية، يشترك سكان مدينة قسنطينة مع كل الجزائريين في مظاهر الاحتفال، منها أنهم يخرجون للسهر خلافا لباقي الشهور الأخرى، بالإضافة إلى ختم القرآن وصحيح البخاري[4]، كما يحتفلون بقدومه ويحيون ليلة القدر في السابع والعشرين منه والتي تفوق غيرها من الليالي[5].

---

[1] – وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 87-88.

[2] –حمدان بن عثمان خوجة، **مصدر سابق**، ص 49.

[3] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 88.

[4] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 160.

[5] – أحمد بحري، **مرجع سابق**، ص 124.

وبعد نهاية شهر رمضان يستقبل سكان المدينة عيد الفطر أو ما يسمى بالعيد الصغير بتحضير أنواع مختلفة من الحلويات التقليدية ويلبسون أحسن الثياب خاصة الأطفال، كما يخرجون لزيارة الأهل والأقارب والأضرحة، ويذكر في هذا الصدد "فندلين شلوصر" أنه في ليلة العيد ينظم الباي حفلة عشاء تعزف من خلالها الموسيقى، وفي هذا اليوم يستطيع أي انسان دخول قصر الباي لتقديم التهاني[1]، أما فيما يخص الاحتفال بعيد الأضحى فيكون بعد شهرين وعشرة أيام من رمضان في العاشر من ذي الحجة، حيث يؤدي المسلمون مناسك الحج ويبدأ بالخروج للصلاة ثم النحر أو الذبح وهو ما يميزه عن عيد الفطر[2].

كما أولى المجتمع القسنطيني اهتماما كبيرا للاحتفال بيوم مولد الرسول "صلى الله عليه وسلم"، ويحيون ليلته في المساجد يتلون القرآن الكريم، كما تحتفل النساء بإعداد أكلات مختلفة شبيهة بتلك التي تعد أثناء الاحتفال بمولود جديد[3]، ويعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مميزا لأنه يوم مولد أعظم خلق الله محمد "صلى الله عليه وسلم"، ولذلك تستقبله العائلات القسنطينية بإعداد مختلف الأطباق والحلويات والمأكولات، كما تستعمل مختلف أنواع الشموع والحناء[4]. أما بالنسبة لعادات الزواج فإن القاعدة المتبعة في المجتمع الجزائري عامة وهي نفس القاعدة التي يسير عليها المسلمون في كل مكان، ويجري تخطيط الزواج بواسطة الأمهات والعلاقات النسوية بواسطة الزيارات المتبادلة في المنازل أو الحمامات العمومية[5].

كما انتشر في المجتمع الجزائري والقسنطيني على وجه الخصوص عادات كثيرة أخرى منها طريقة الفصل في النزاعات والخصومات بين الأفراد، فكان إذا وقعت معركة كلامية أو عراك، يحاول الفصل فيه عن طريق أول القادمين وإعادة الأمور إلى نصابها ويخاطبهم القادم عادة

---

[1] -فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 86.

[2] -أحمد بحري، **مرجع سابق**، ص 118-119.

[3] -**نفسه**، ص 122.

[4] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 156.

[5] -وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 87.

بقوله: "هل أنتم يهود أو مسيحيون حتى يتعذر عليكم أن تتصالحوا فيما بينكم"، ويكون جوابهم في العادة "لعنة الله على الكفار نحن مسلمون وإخوة"، وبذلك ينتهي النزاع والخلاف دون اللجوء إلى القضاء[1]، ويختص المجتمع القسنطيني بالإضافة إلى هذا بعادات أخرى مرتبطة بالولادة والسبوع وتقديم الهدايا للعروس في المناسبات المختلفة كالأعياد وكذلك العادات المتعلقة بالوفاة وطرق دفن الموتى، كما حافظ المجتمع القسنطيني على تخليد أسماء الأسلاف بالمحافظة على التراث العائلي، وهذا بإبعاد الأسماء الجديدة والغريبة وغير المتداولة[2].

11.5. الموسيقى:

كانت الموسيقى موجودة في حفلات الزواج ومواكب الأعراس في الشوارع مثل الغيطة ودقات الطبول، ورغم تجدد عادات الزواج فإن المواكب الاحتفالية والموسيقى بقيت محافظة على التقاليد القديمة[3]، واشتهرت مدينة قسنطينة بالموسيقى المحلية والأندلسية وبعد مجيء العثمانيين أدخلوا بعض آلاتهم وأدواتهم الموسيقية على الطرب القسنطيني، وكانوا يقيمون الحفلات الشعبية والرسمية بالمدينة، وخاصة في المقاهي[4].

كما اشتهرت المدينة بنوع من الغناء يسمى "الزنداني" وهو المعروف بالمالوف[5]، وهي تتأثر بالحياة شعبية وتأثيرات أخرى مختلفة، وكانت تستعمل في الحفلات النسائية، بالإضافة إلى نوع

---

[1] – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 216.

[2] –فاطمة الزهراء قشي، **المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 179.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 456.

[4] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 83.

[5] – هو أحد أنواع موسيقى الطرب الأندلسي، وهو مصطلح يطلق على كل الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي، نشأ هذا النوع في الأندلس، وارتبط في بعض الأحيان بالمديح، وهو لا يتقيد بالأوزان والقوافي، للاطلاع ينظر: عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 368–373.

أخر من الموسيقى الشعبية يسمى "المهزوز" وهو يستعمل مثل الزنداني في كامل منطقة قسنطينة[1].

وأخيرا نجد أن المجتمع القسنطيني حافظ على أصالته وعاداته وتراثه الثقافي والشعبي حتى بعد الاحتلال الفرنسي، وكل ما يتصل اتصالا وثيقا بحياة المجتمع من لهجات وعادات وأزياء وطقوس مختلفة في المناسبات كطقوس الزواج والميلاد والسبوع والختان، بل شمل كذلك علاقة الفرد بالأخرين وسلوكياته في حياته اليومية[2].

تعد العوامل الطبيعية والبشرية من أهم المؤثرات على الحراك الاجتماعي والتطور العمراني في مدينة قسنطينة لما لها من تأثير على البيئة الاجتماعية والنسيج العمراني.

بالإضافة إلى العوامل الصحية المتمثلة في انتشار الأمراض والأوبئة في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال وانعكاساتها السلبية على الجوانب المختلفة، حيث كانت إحدى العوامل التي تسببت في تأخر المجتمع وضعفه لما ألحقته من أضرار بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية والنمو الديمغرافي، ونتج عنها ركود تجاري وصناعي وذلك أنها تهلك عدد كبيرا من الصناع والتجار وتترك السوق مفتوحة للتجار الأجانب لتصدير الإنتاج المحلي.

كان للثورات الشعبية والتوترات الخارجية الأثر السلبي في ضعف المجتمع والمدينة.

كما مثلت المصاهرات إحدى أهم الروابط الاجتماعية التي جمعت المجتمع القسنطيني على اختلاف أصولهم وثقافتهم، وهو ما شكل مجتمع متماسك في العادات والتقاليد المتوارثة.

---

[1] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 461.

[2] -محمد العيد تاورته، **مرجع سابق**، ص 9-10.



الفصل الثالث

تفاعل المجتمع القسنطيني في المجال الاقتصادي أواخر العهد العثماني.

1. ملكية الأراضي وعقود الإنتاج.
2. عقود الإنتاج في فحص المدينة.
3. حركية الصنائع في مجتمع مدينة قسنطينة.
4. مراكز النشاط التجاري.
5. طرق إيصال السلع للمدينة.

يعد النشاط الاقتصادي المحرك الأساسي للأحداث التاريخية في المجتمعات التقليدية عبر العصور المختلفة وذلك لما له من علاقة وثيقة بالمجتمع، وكان النشاط الاقتصادي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني على الرغم من بساطته واعتماده على الصناعات المحلية والحرف اليدوية وما تنتجه الأرياف من الزراعة، غير أن المدينة كانت أهم مركز اقتصادي وتجاري، وللتعرف على الأوضاع الاقتصادية للمدينة في هذه الفترة كان لا بد من التطرق إلى أنواع الملكيات السائدة وطرق ووسائل استغلال الأراضي، وأنواع الحرف والصنائع التي مارسها سكانها، وكيفية توزيع وتسويق المنتوجات داخل وخارج المدينة، بالإضافة إلى أهم العملات والمكاييل التي كانت متداولة في تلك الفترة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نطرح التساؤل التالي: كيف تفاعل المجتمع القسنطيني في المجال الاقتصادي أواخر العهد العثماني؟

1. ملكية الأراضي وعقود الإنتاج:

شكلت الأرض المصدر الأساسي لتلبية حاجيات الأفراد والدعامة التي يقوم عليها النشاط الاقتصادي بالمدن الجزائرية في العهد العثماني على غرار مدينة قسنطينة، التي ظلت محافظة على ازدهارها الاقتصادي رغم العراقيل التي حدثت في تلك الفترة لما شهدته من حركة اقتصادية وتجارية واسعة[1]، وتعتمد الحياة الاقتصادية في المدينة بالدرجة الأولى على الفلاحة وتربية المواشي، ثم النشاط التجاري والصناعات التقليدية التي كانت تدر على أصحابها مردودا لا بأس به[2]، ومن هذا المنطلق جاء الاهتمام بملكيات الأراضي التي عرفت عدة أنواع نحاول التعرف على أهمها:

1.1. ملكيات البايلك:

تعرف أراضي البايلك بأراضي "العزل" أو بالمروج الحكومية وتتمثل في الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة مباشرة، ويحق للحكام التصرف فيها وأغلبها تم إلحاقه بسجلات البايلك عن طريق

---

[1]–محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 89.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 26.

المصادرة مثلما حدث في عهد "أحمد باي" الذي صادر أملاك أولاد عبد النور، أو بالشراء ووضع اليد في حالة الشغور أو عند ترحيل السكان المقيمين عليها عند امتناعهم عن دفع المطالب المخزنية، أو نتيجة عصيانهم أوامر القياد ورجال الدولة[1]، أو عن طريق التركات التي تعود لبيت المال في حال عدم وجود ورثة، ويخصص هذا النوع من الأراضي للباي وأسرته وهي تزرع من خلال عملية "التويزا" أو عن طرق الخماسة[2] المفروضة على القبائل المجاورة، وعلاوة على ذلك يدفع كل محراث رسوما رمزية لصالح القايد، وفي وقت الحصاد والدرس تعود القبائل مرة أخرى للعمل في مزارع البايلك، وبعد الانتهاء يتم نقل المحاصيل إلى المخازن المخصصة لذلك[3].

انتشر هذا النوع من الأراضي على مساحة شاسعة تقدر في مدينة قسنطينة لوحدها بحوالي 60 ألف هكتار يستغل السكان منها 48 ألف هكتارا في زراعة الحبوب و12 ألف لإنتاج الخضر والفواكه، وتعد من أجود الأراضي من حيث الإنتاج كما خصص جزء منها للرعي بخيول الباي التي كانت تحت إشراف قائد الدار[4].

ولقد اهتم الحكام بتوزيع هذا النوع من الأراضي لصالحهم الخاص مثل ما فعل كل من "صالح باي" و"أحمد باي" اللذين تمكنا من توسيع هذه الأراضي حول المدينة، وأهتم بعضهم بامتلاكها له ولأسرته[5]، ومثل ما فعل سابقهما الباي "أحمد القلي" (1756م-1771م) الذي استولى على أراضي عائلة ابن باديس وهو ما كان سببا في عزله، حيث يذكر أحمد الشريف الزهار أن كل من يتولى بايا يجمع مالا ويخفيه لعواقبه ولذريته، وإذا قرب وقت الدنوش يأخذ

---

[1]- Eugene Vayssettes, **Histoire de Constantine sous la domination Turque**، **op cit**، p 155-159.

[2] – هي بمثابة أعمال سخرة مجانية تفرض على القبائل التي تكلف بخدمة الأرض، وسوف يأتي تفصيلها في الجزء الموالي الخاص بعقود الإنتاج.

[3]- André Nouschi**, Enquête sur le niveau de vie,** op cit, P 80.

[4] –ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 52.

[5] – عبد الرزاق قشوان، (الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري 1219-1282هـ/1804-1871م دراسة مقارنة)، **أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2017-2018، ص 60.

أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب وتوالت تسمية البايات وعزلهم، وهكذا اضطر الحكام الأتراك لتولية الكرغلي "أحمد باي" على قسنطينة[1].

2.1. الملكيات الخاصة:

تقع أغلب الملكيات الخاصة في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان أو بجوار المدن، ويكثر الإقبال على امتلاكها من طرف السكان الحضر وموظفي الدولة الذين تميزوا بوضع اقتصادي مميز، ومثال ذلك الملكيات الواقعة بالقرب من مدينة قسنطينة[2]، كما كان بعض الحضر يملكون البساتين والأحواش بضواحي المدينة، وكانوا يستغلونها بواسطة الخماسين[3]، وينتقل هذا النوع من الأراضي من شخص لآخر إما بالبيع أو بالإرث ولا يتوجب على أصحابها اتجاه الدولة سوى فريضة العشر والزكاة[4]، وكانت تتميز بعدم الاستقرار وبصغر المساحة ويعود ذلك لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء، بالإضافة إلى تعرضها في الكثير من الأحيان إلى المصادرة والحيازة من طرف الحكام[5]، وقدرت مساحة هذا النوع من الأراضي حوالي 946 هكتارا من المزارع والبساتين المنتشرة في وادي الرمال وروافده، ويتولى الإشراف عليها العائلات ذات النفوذ مثل فحص القماص والذي كان من نصيب "عائلة الفكون"[6]، وفحص الحامة الذي كانت تستغله أسرة "صالح باي" وأسرة "ابن جلول" و"باش تارزي"، أما أراضي واد بومرزوق فكانت من نصيب عائلة "ابن تشيكو"، وكذلك أراضي عين الباي التي كانت بمثابة جنائن الباي وإقامته الفصلية يستغلونها

---

[1] –أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص 160.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، **مرجع سابق**، ص 51.

[3] –أرزقي شويتام، **مرجع سابق**، ص 308.

[4] - تستخلص فريضة العشر من الإنتاج الفلاحي من قمح وشعير وغيره، وهي الجباية الأساسية في البايلك، وتمثل مدخولا أساسيا للبايلك بحوالي 396.80 فرنك، في حين تأخذ الزكاة على قطعان المواشي من أغنام وماعز وأبقار للاطلاع ينظر: فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771م–1837م**، د. ط، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 102–104.

[5] –ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 51.

[6] –فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي**، مرجع سابق، ص 109.

عادة في فصل الصيف[1]. كما حاز "صالح باي" ملك الأراضي بالقرب من عين سيدي "محمد الغراب" الغزيرة بالماء[2]، كما تملك كذلك جميع الأراضي الموجودة خارج قسنطينة بالناحية الجوفية المعروفة بكدية جمال[3].

ونتيجة اهتمام الأتراك والأعيان بامتلاك الأراضي تقلصت الملكيات الصغيرة وظهرت الملكيات الواسعة، وبذلك تحول فحص قسنطينة الذي كان يقدر بنصف مليون هكتار من الأراضي المزروعة إلى ملكيات خاصة لكبار أغنياء المدينة من الحضرية الأهالي والأتراك، وكانت العلاقات الاجتماعية في مدينة قسنطينة تقوم على أساس المكانة الاقتصادية لذلك كانت فئة الأعيان بالمدينة تتكون من كبار الملاك والتجار وهم على الأغلب من الأتراك والعرب، وكانت العلاقة بين هؤلاء تبنى على مقدار الثروة التي يملكها الفرد وليس على انتمائه العرقي أو الديني[4]، كما تنامت ثروات القضاة بفضل المكانة الاجتماعية المعتبرة والوضع الاقتصادي المريح، فنجد لهم أملاكا وأراضي وبساتين وضياع ودور في الحواضر يشار لها بالجنان لسعة مساحتها أو لخصبها مثل "ولجة القاضي" بقسنطينة على الطريق المؤدي إلى ميلة[5]، وكذلك "ولجة قورصو" وجنة المرعي "سيدي إبراهيم" قايد المقصورة[6]، كما تملك عائلة "كوجك علي" جميع الأراضي الموجودة خارج ميلة بالناحية الشرقية[7].

---

[1] -كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث، من فتح القسطنطينية على سقوط قسنطينة (1453هـ/1837م)، أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات**، ط1، ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 237-238.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 51.

[3] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف 1185-1207هـ/1771-1792م**، تق وتح: فاطمة الزهراء قشي، ط2، دار مداد يون يفارسيتي براس، قسنطينة، 2013، ص 24.

[4] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 276-280.

[5] -سعيد شريدي، **مرجع سابق**، ص 253.

[6] – هو الحاجب المشرف على الشؤون الشخصية للباي، للاطلاع ينظر: فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي**، مرجع سابق، ص 89.

[7] -فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي**، مرجع سابق، ص99.

وتنتقل ملكية هذا النوع من الأراضي بالميراث أو التبرع بالنسبة للورثة العاديين، كما تنتقل الملكية عند وفاة الأب إلى الابن الأكبر للعائلة المسؤول الوحيد تجاه إخوته حتى بلوغ سن الرشد وإدارة الأرض، وقد تشارك النساء في عمليات نقل الملكية[1]، مثل تنازل المرأة عن نصيبها بالأرض أو وهبه لأخيها أو زوجها، مثل ما يوضح أحد العقود وهو عقد وصية جاء فيه" **الحمد لله وفيه أوصت كلثوم بنت القايد وابنتها آمنة بنت سي عبد الله بثلثي مخلفها... للسيد الشيخ البركة سي سليمان المجذوب ينفذ ذلك له بعد وفاتهما ...قصدتا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه ...**"[2].

وكانت الملكيات الخاصة تمتد على مساحة خمسة مراحل من مدينة قسنطينة وتشمل على 11.250 هكتارا يستغل منها تسعة ألاف هكتارا في زراعة الحبوب وأربعة آلاف هكتار لإنتاج الفواكه والخضر، وكانت تأخذ الدولة منها 20.762 قيمة حبوب في شكل ضريبة العشر والزكاة[3].

3.1. أراضي الأعراش أو الأراضي المشاعة:

يصطلح على تسميتها في بايلك الشرق بأراضي العرض أو العرش أو العشيرة أو القبيلة، وتخضع طريقة استغلالها لحاجة أفراد القبيلة حسب مقدرتهم وامكاناتهم، بينما تترك الأجزاء الغير مستغلة للرعي[4]، وعليه فهي أراضي مشتركة بين أفراد القبيلة كل حسب إمكاناته، ويتم تقسيمها من قبل الشيوخ أو مجلس الجماعة، حيث يمكن لكل فرد أن يملك نفس مساحة الأرض التي يمتلكها الأخر أو بقدر ما تسمح له ثروته الخاصة وهي بمثابة جمعية لاستغلال الأرض يشارك

---

[1] -Andrée Nouschi, **Enquête sur le niveau de vie**, op.cit., p 90.

[2] –**و. م. ش**، سجل 1، و67، 23 محرم سنة 1203هـ، أ. و. ق.

[3] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 51.

[4] – عبد الرزاق قشوان، **مرجع سابق**، ص 161.

فيها الجميع[1]، وسواء كان المالكين من عائلة واحدة أو غرباء تماما فإن كل واحد منهم يملك جزءا معينا ولكن مشاعا من الكل[2].

سمح هذا النوع من الملكيات بظهور العمل التضامني (التويزة)، وهو ما يسمح للعائلات التي لا تملك يد عاملة من استغلال قطعة الأرض، وانتشر هذا النوع من الأراضي في فحوص المدينة نتيجة ضعف وسائل الإنتاج والظروف الطبيعية القاسية التي تحد من المردود الفلاحي الذي يحتم تكتل وتضامن أفراد العائلة والعشيرة، وكانت هذه الأراضي واسعة وغير مسيجة[3] بسياج أو سور أو أحجار أو ما شابه ذلك لأن فيه إعاقة للاستغلال الجماعي كونها معدة أساسا لزراعة الحبوب والرعي وكونها تعود بالفائدة على أفراد القبيلة كلها، بذلك تكون أهم خصائص هذا النوع من الأراضي أنها حقل مفتوح وعمل جماعي كما كانت تعرف بالشهرة، ولم يكن أصحابها يملكون أي عقود ولم تكن أيضا محدودة[4].

4.1. أراضي الأوقاف:

تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بكثرة الأوقاف وانتشارها في مختلف المدن ومنها مدينة قسنطينة[5]، ويعد الوقف أحد أنواع حيازة الأرض والذي يلعب دورا اجتماعيا واقتصاديا في تلبية حاجيات طوائف عديدة من المجتمع وللحفاظ على الثروة وتنميتها[6]، ويسمى هذا النوع من الملكية بأراضي الحبوس أو الأوقاف وهي أراضي فقدت مالكها أو أعطيت هبة لمؤسسة دينية أو خيرية أو شخصية من الأعيان أو الحكام، ففي قسنطينة وهي منطقة حضرية كانت الأحباس يتقاسمها

---

[1] -André Noushi**, Enquête sur le niveau de vie**, op-cit, p 86.

[2] –سامي البرقاوي، **الملكية العقارية وعلاقات الإنتاج بجهة تونس من 1875 إلى 1914**، د. ط، جامعة الوسط، دار المعلمين العليا بسوسة (تونس)، 1989، ص 34.

[3] –صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 580.

[4] - André Nouschi**, Enquête sur le niveau de vie**, Ibid., p 88.

[5] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 153.

[6] –ناصر الدين سعيدوني، **(الوقف في الجزائر أثناء القرنيين 12 و13 هـ/18 و19م معالجة مصادره وإشكالية البحث فيه)**، أعمال ندوة الجزائر العلمية، يومي 6 و7 ربيع الأول 1422هـ/29 و30 ماي 2001م، البصائر للنشر والتوزيع، د. ط، الجزائر، 2014، ص 79.

البايات والأعيان وشيوخ الزوايا، أما خارج المناطق الحضرية والمدن فكانت الحبوس تتوقف على الأراضي وغلاتها فقط، كما كانت تشمل كثيرا من المصالح كالطرق والآبار والعيون والسبالات المخصصة لابن السبيل، وكان الأعيان والحكام يتحايلون على الحبوس ويحولونه بطرق ملتوية مخالفة للشرع إلى أملاك شخصية، فحبوس الزوايا غالبا ما تحول منتجات الأملاك المحبوسة لفائدة الأسرة الحاكمة أو إلى شيخ الزاوية، وكثيرا من المرافق المحبوسة كانت تستغل من قبل أسرة البايات في أغراض شخصية وبعد انقضاء عقد من الزمن تصبح ملكا لها[1].

وكانت أراضي الوقف توزع على أفراد القبيلة ويقوم كل فرد بزراعتها، ويتوارث العمل فيها الأبناء والأحفاد، أما إذا انعدموا فهي لا تنتقل إلى النساء بل تنتقل لأفراد آخرين من القبيلة ليست لهم أرض[2]، وهذه الأراضي لا تخضع لأي ضريبة أو رسم ولم تكن تتعرض لأي مصادرة أو حجز من طرف البايات، وذلك يعود للأحكام الشرعية المتعلقة بها والمعاملات القانونية الخاضعة لها[3]، وهو ما يظهر من خلال سجل صالح باي للأوقاف 1185هـ1207هـ/1771م-1792م، الذي سجل فيه مجموعة من الأوقاف الخاصة به وببعض الشخصيات التي سارت على نهجه.

2.عقود الإنتاج في فحص المدينة:

كانت طريقة استثمار وإنتاج الملكيات تتم عن طريق تولي أفراد الأسرة أنفسهم زراعتها، أو عن طريق نظام الخماسة أو العمل الجماعي الذي يعرف بالتويزة[4]، حيث يلتجئ الحكام إلى تسخير القبائل في هذا العمل التطوعي، وفي حالة ما إذا تعذر الاستغلال المباشر بالطرقتين تعطى الأرض لذوي النفوذ والمكانة مثل المرابطين وشيوخ القبائل والعشائر المتعاملين مع البايلك، وتعرف الأراضي المقطوعة في الشرق الجزائري بأراضي الجوابرية[5]، وفي بعض الأحيان تسلم

---

[1] -كمال فيلالي، تاريخ المغرب، **مرجع سابق**، ص 239.

[2] -André Nouschi**, Enquête sur le niveau de vie**, op-cit, p 86.

[3] – صرهودة يوسفي، **الاقتصاد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 76.

[4] –أحميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية**، مرجع سابق، ص 26-27.

[5] – تعطى هذه الأنواع من الأراضي لكبار الموظفين وذوي النفوذ والمكانة في ضواحي قسنطينة وتعرف بعزل الجبري أو الحكور.

أراضي الدولة إلى عشائر المخزن لتستغلها وتقيم عليها مقابل خدمات عسكرية ومهام إدارية، ولا تدفع عنها سوى فريضة العشر، وقد يلجأ الحكام إلى كراء أراضي البايلك لسكان الدواوير المجاورة ويعرف هذا الكراء بالحكر[1].

1.2. نظام الخماسة:

هو نظام معروف منذ القديم يتم من خلاله استغلال الأرض بصفة مباشرة، حيث يقوم المالك سواء الأفراد أو البايلك بمنح وسائل الزراعة للفلاحين والعمال للقيام بالأنشطة ذات الصلة باستغلال الأرض مثل عملية الحرث والتهيئة وجني المحاصيل الزراعية والمنتجات الفلاحية، مقابل حصول هؤلاء على حصة قدرها جزء من خمسة أجزاء (الخمس) أو ما نسبته خمسة في المئة من المحصول[2].

ويستخدم الملاك وأصحاب المزارع العمال والرعاة الذين ليس لهم أرض ولا أموال ولا مواشي، وتعطى لهم التسبيقات[3] حسب حاجتهم ويسكنون بأزواجهم وأولادهم في بعض الأحيان عند الملاك، ويقوم كل واحد بما يقدر عليه من العمل من زرع الأراضي والأشغال اليدوية مثل جلب الماء ونزع الحشائش، مقابل أن يعطي المالك أو صاحب المزرعة للعامل خمس الغلة مقابل أتعابه ومجهوداته، وإن لم يكفه ذلك فإنه يستقرض الحبوب من القمح والشعير وقبل أن يسلم الخمس لهؤلاء العمال والذي عادة يكون أثناء جمع المحاصيل فإن قائد الدوار يخصم كل ما عليهم من ديون وتسبيقات[4].

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 166.

[2] –العقون محمد الصالح، نظام الأراضي الفلاحية في عهد الدولة العثمانية بالجزائر (1519م–1830م، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، مج 6، ع 3، كلية الحقوق، جامعة الجزائر1، جانفي 2022، ص 5.

[3] – مفردها تسبيقة أو الرهن تعطى لإثبات عملية البيع يعرف عادة بالعربون وهو إيداع شيء مقابل شيء آخر يماثله في القيمة، ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 100.

[4] –حمدان بن عثمان خوجة، **مصدر سابق**، ص 35.

2.2. نظام التويزة:

هي تجمع مهني فني يشترك في إنجازه مجموعة من الأشخاص بطريقة تطوعية لفائدة أحد عناصر المجموعة، وتكون حسب دورات الحياة الفلاحية إذ تتواجد في المواسم الكبرى كالحرث والحصاد وجني الزيتون وإعداد الصوف، وتعرف عادة في المجتمعات ذات الأصول القبلية التي تتوارث جملة من العادات والتقاليد والأعراف التي تتناقل من جيل إلى آخر[1]، فمن العادات أن يتعاون الأشخاص في الحرث والحصاد وغير ذلك كبناء دار أو ترميمها وإصلاحها، كما يجعلون السدود في الأودية لجمع المياه وتقسيمها بينهم للسقي، وهم يتسخرون عن طيب خاطر بلا أجر أو مقابل[2].

ويسمح هذا العمل الجماعي للمالك بالحصول على إنتاج بأقل تكلفة، وقد توسع هذا العمل التطوعي الذي اقتضاه نظام الجماعة وهو فرصة لتقديم الإعانة والمساعدة لينتفع الجميع، غير أن الدولة استغلت هذا النظام وأصبح يفرض على الفلاحين الذين يعيشون على أراضيهم القريبة أو المجاورة لملكيات البايلك، ويتوجب على الفلاحين الخاضعين لهذا النظام القيام بحرث وحصاد أراضي البايلك وجمع محاصيلها في المخازن[3].

3.2. نظام الكراء والبحارون:

يتمثل هذا العقد من الإنتاج في كراء الأراضي بغرض استغلالها واختصت به الفئات ميسورة الحال، حيث يستعين أصحاب الأراضي بالحراثين أو الحراطين[4] الذين يقومون بكراء الأراضي لحرثها وهو عقد يشبه عقد الخماسة[5]، أما البحارون فهم المزارعون الذين يقومون بزراعة الخضر

---

[1] –الزازية برقوقي، (جدلية الفن والعمل في ظاهرة التويزة بمنطقة سيدي بوزيد)، **مجلة الثقافة الشعبية**، ع 17، البحرين، 2023، ص 1.

[2] –نور الدين عبد القادر، **مرجع سابق**، ص 153.

[3] – صرهودة يوسفي، **الاقتصاد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 84.

[4] – مفردها الحرطاني وهي طائفة تتكون عادة من الأرقاء المعتقين الذين يشتغلون بالرعي والزراعة.

[5] –سامي البرقاوي، **مرجع سابق**، ص 149.

والفواكه في البحاير أو البساتين وخلافا للعمال اليوميين في الأشغال العامة عند الخواص، وطبيعة العمل تفرض عليهم نوعا من الاستقرار والدوام لمدة طويلة[1].

4.2. نظام الرعي:

يشكل الرعي المصدر الرئيسي لمعيشة سكان المناطق غير الملائمة للإنتاج الفلاحي مثل الرعي في المناطق السهبية، ويشكل نشاطا اقتصاديا مستقلا بذاته تمارسه عشائر الهضاب العليا والقبائل المتاخمة للصحراء وهو نشاط مكمل للزراعة، حيث كان السكان يقومون بتربية المواشي لسد حاجاتهم من الألبسة الصوفية والزرابي والأغطية والخيام واللحوم[2]، كما يعتبر هذا النشاط من أهم الأنشطة الاقتصادية لسكان الأرياف، حيث يمكنهم من الفرار بمواشيهم لعدم قدرتهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم[3].

5.2. وسائل الإنتاج:

يقوم نمط الإنتاج على توفير الغذاء الأساسي وهو يعتبر نمط اكتفائي يعتمد على الإنتاج والاستهلاك الذاتي، أي أن المجتمع يستهلك ما ينتج دون ادخار أو تصدير، كان المستوى التقني لوسائل الإنتاج الفلاحي بدائيا، ويعود ذلك إلى نمط الإنتاج الذي كان تقليديا يفتقر الوفرة والاستثمار، كما أن مستلزمات استغلال الأرض من حيوانات وبذور ليست في متناول كل الأفراد، وكان الخشب هو المادة الغالبة في هذه الوسائل الإنتاجية كالمحراث والفؤوس الخشبية التي تركب عليها قطع صغيرة من الحديد[4].

واقتصر الفلاح على استخدام هذه الأدوات البسيطة أواخر القرن الثامن عشر الميلادي منها المحراث الخشبي المكون من قطعتين مجتمعتين والمزود بسكة حديدية في طرفه الأسفل

---

[1] -صرهودة يوسفي، **الاقتصاد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 85.

[2] -فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي**، مرجع سابق، ص 48-49.

[3] -عمر بلوط، **الورشات الحرفية في مدينة قسنطينة العثمانية**، -دراسة أثرية-، د. ط، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2022، ص 22.

[4] -كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث**، مرجع سابق، ص 237-240.

والتي تحول دون تعمقه في التربة، واقتصر أثره على ملامسة الأرض وطريقة ربطه في عنق الحيوان التي تحد من قوة الدفع بدل وضعه على جبهة الحيوان حتى يستطيع جره بقوة[1]، كما اعتمدوا في تسميد التربة على فضلات الحيوانات وبقايا الحشائش وجذورها وأوراقها اليابسة، وتفلح الأرض سنة وتترك للراحة في السنة الموالية لتستغل في الأعشاب والحشائش لرعي الحيوانات[2]، أما في عملية الحصاد فيستعمل المنجل البسيط الذي يتلف السنابل أكثر مما يحصدها، كما تستخدم عضلات الإنسان في عملية تصفية المحصول من الحبوب[3]، وعليه فإن المستوى التقني والفني كان ضعيفا لا يتناسب إلا مع الملكيات الصغيرة، وربما يكون نقص الإنتاج وضعف الاستثمار هو ما أدى إلى عدم تطور تلك الوسائل[4]، وبهذه الأساليب البسيطة ظلت الأراضي الخصبة تعاني الإهمال وتحول أغلبها إلى مستنقعات مضرة بالصحة في فصلي الشتاء والصيف[5]، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية من جفاف وجراد وحالات التمرد المحلية التي كانت من أهم العوائق التي تعرقل تطور الإنتاج الفلاحي في تلك الفترة.

أما فيما يخص طرق تخزين الإنتاج فكان المنتوج الزراعي عبر العصور يخزن في مطامير وهي نفس الطريقة التي انتهجها الجزائريون للاحتفاظ بالمحصول لسنوات الجفاف والأزمات[6]، فقد كان سكان مدينة قسنطينة يحتفظون بالحبوب لعدة سنوات دون تلف أو ضرر، وذلك بوضعها في المطامير بعيدة عن الهواء والرطوبة، وقد تجد قمحا مخزونا لأكثر من خمسة عشرة سنة ويدعى هذا النوع من القمح المطمورة[7]. كما أدخل الأندلسيون بعض التقنيات الزراعية كتنظيم ري

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 172.

[2] –يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 324.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 173.

[4] –كمال فيلالي، **مرجع سابق**، ص 240.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 173.

[6] –يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 325.

[7] –حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، **مصدر سابق**، ص 37.

بعض الأراضي مثل الحقول بإنشاء الحنايا والسواقي، وكان الأهالي يقيمون بعض السدود والحواجز البسيطة من الطين والخشب على الأودية لتخزين المياه والانتفاع بها في الزراعة[1].

6.2. المنتوج الزراعي:

عرف النشاط الزراعي بالمدينة تطورا كبيرا لم يسبق له مثيل خلال فترة حكم "صالح باي"، حيث جاءت فترة حكمه في وقت بدأت فيه موارد القرصنة تتقهقر فكان لزاما على الأتراك تشجيع الفلاحة لسد العجز وحتى يحصلوا على تعويض الخسائر، وهذا ما جعله يولي اهتماما كبيرا للمجال الاقتصادي عامة والفلاحة على وجه الخصوص، وعلى هذا الأساس جعل من بايلك الشرق المنطقة الأولى في الإنتاج الزراعي[2]، وقد جاء في مخطوطه أنه "**كان شديد الرغبة في الغرس فغرس جنة بسيدي محمد الغراب وجنات أخرى وبنا أبراجا وصهاريج للخلاعة وأكثر من غرس الزيتون وأكثر الغرس في بر النصارى ويحسن الذي يأتيه بالغرس وأمر المخازنية وأهل بلده بالغرس حتى قيل أن من شدة اعتنائه أن من تنبت عنده شجرة يعطيه ريالا ومن تنبت عنده مابة يعطيه مابة، وأمر بتلقيم الأشجار وتفقدها وعلاجها بالسقي والخدمة لأن ذلك من الصلاح المؤدي للثبات**"[3].

فكانت أراضي البايلك تنتج كميات كبيرة من القمح والشعير والصوف والجلود والشموع[4]، ورغم عدم تطور وسائل الإنتاج غير أن المنتوج كان وفيرا، فالمنطقة الشرقية كانت تنتج القمح الصلب والقطن والحرير وأنواع من الكروم والزيتون[5]، وفي عهد "صالح باي" تحسنت أوضاع الفلاحة ونما الإنتاج الفلاحي، حيث استحدث مزروعات جديدة مثل الأرز واستعمل الري الدائم لتسهيل رفع الماء إلى مستوى مشاتل الخاصة به، كما عمل على تشجيع زراعة الزيتون بمنطقة "سيدي

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 173.

[2] –صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 279.

[3] – **مخطوط صالح باي**، و11، أ. و. ت.

[4] –العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، مرجع سابق، ص 57.

[5] –كمال فيلالي، **مرجع سابق**، ص 240.

محمد الغراب" وتربية المواشي بالضواحي القريبة من مدينة قسنطينة[1]، وانتشرت زراعة الكتان في مناطق متعددة، بالإضافة إلى أنواع التبغ الذي كان يصدر إلى البلدان المجاورة مثل تونس، وفي الأرياف تزرع الكروم والزيتون والأشجار المثمرة والخضروات وكل ما يحتاج إليه، وعلى الرغم من أن السلطات المحلية لم تكن تولي عناية كبيرة بالشؤون الزراعية بعد وفاة "صالح باي"، غير أن منتوجات الشرق الجزائري كانت تحظى بشهرة كبيرة وتعتبر من أكبر المناطق المنتجة للقمح[2].

كما مثلت الثروة الحيوانية مصدرا اقتصاديا هاما إذ تتوفر على أنواع المختلفة منها الماعز والأبقار والأغنام والبغال والجمال، وشكلت اكتفاء ذاتيا لاستهلاك السكان وساهمت في الاستهلاك المحلي فهي تذبح بكثرة في الأعياد والمناسبات، كما كان السكان يبيعون خرفانهم وأصوافها ولحومها وجلودها وألبانها وسمنها ويشترون مقابل ذلك الحبوب ومختلف متطلبات حياتهم اليومية[3]، وقد رصدت لنا وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة عمليات بيع وشراء هذه الأنواع من الحيوانات نذكر منها العقد التالي:" **الحمد لله وفيه اشترى محمد المالوسي بغلا من باكير الإنجشاري وقبض كل واحد منهما ما يجب قبضه...**"[4]. وهو دليل على وفرة الثرة الحيوانية.

3.حركية الصنائع في مجتمع مدينة قسنطينة:

يشمل النشاط الصناعي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني أغلب المهن والصنائع التقليدية والحرف اليدوية التي كانت منتشرة في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوروبية[5]، وتعد من أهم مراكز الصناعة في الجزائر في تلك الفترة، حيث عرفت نهضة كبيرة في أغلب المهن والحرف التي كانت متواجدة بها آنذاك[6]، وبما أن الحرف من الوجهات الأساسية للاقتصاد الحضري، فقد

---

[1] -محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 83.

[2] -العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 59-60.

[3] -عمر بلوط، **مرجع سابق**، ص 22-23.

[4] - **و. م. ش**، السجل1، و12، 1202هـ، أ. و. ق.

[5] -ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 179.

[6] -عمر بلوط، **مرجع سابق**، ص 43.

عرفت المدينة نشاطا حرفيا أكسبها سمعة ومكانة مرموقة في هذا المجال في الفترة الحديثة قبل أن تتغير الموازين وتعرف هذه الحرف والصنائع تراجعا بعد الاحتلال مباشرة[1].

كان المجتمع القسنطيني كباقي مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط مجتمعا حرفيا، وهو عبارة عن مجموعة من المراكز التجارية ونشاطات حرفية التي ترتكز أساسا على الزراعة وكل ما يتعلق بالاستهلاك اليومي للفرد والمجتمع، فهي تلبي متطلبات السكان من مواد غذائية صناعية ومواد أخرى تخص البناء والأواني المنزلية والتفريش والتجميل، ورغم تطور الحرف إلا أن احتكار البايلك لهذه النشاطات لم يسمح بانتشارها فكانت بمثابة حاجز أمام الاستثمارات المحلية[2]، وارتكزت الصناعة في تلك الفترة على الدباغة وما يتصل بها من وصنع الأحذية والسروج ونسج الصوف والقطن والحرير، وصنع الأواني والزجاج ومواد البناء وآلات الطحن والصناعة الخشبية والحدادة والصياغة[3].

ونحاول رصد أهم المهن والصناعات التقليدية التي انتشرت في فضاء المدينة أواخر العهد العثماني، من خلال تقسيمها إلى مهن وحرف فالمهن هي (خدماتية–إدارية –تجارية)، أما الصنائع فهي الصناعة الجلدية وما يتصل بها من صناعة، بالإضافة إلى النسيج وما يتعلق به من حياكة وخياطة، وكذلك الصناعات الغذائية والصناعات التحويلية. فما هي أهم المهن والحرف التي مارسها سكان المدينة؟

1.3. المهن الخدماتية:

تشير وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة للعديد من المهن الخدماتية التي كان يمارسها ساكنة مدينة قسنطينة والتي حاولنا إيجازها في الجدول التالي من خلال التطرق إلى اسم المهنة وتعريفها ثم عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة مع ذكر أمثلة عن بعض الأشخاص الذين مارسوها:

---

[1] –أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج4، مرجع سابق، ص 118.

[2] –كمال فيلالي، **مرجع سابق**، ص 242.

[3] –عبد الله شريط ومحمد الميلي، **مرجع سابق**، ص 152.

جدول رقم (10) المهن الخدماتية المنتشرة في مدينة قسنطينة[1]

المهن الخدماتية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عن بعض من مارسها
البناي	وهو الذي يشتغل في حفر الأساسات وانشاء البيوت والمنازل والأسوار والأدراج ومد السقوف وتركيب الأبواب والنوافذ والقرميد وتلبيس الجدران[2]	19 مرة	سي عيسى أمين البناية– مسعود البناي حرفة
الجباس	هي حرفة تزيين البنايات بمادة الجبس مثل المساجد وحواشي الأبواب والنوافذ وسقوف الغرف[3].	05 مرات	مبارك بن الشوالي الجباس حرفة
الحلاق أو الحجام	وهو الذي يقوم بعمليات ختان الأطفال والحلاقة ويمارس هذه المهنة داخل الحمامات وبالدكاكين والأضرحة والأسواق والمنازل[4].	01 مرة	محمد بن ... الحفاف حرفة
السقاي أو القلال	وهو الذي يقوم بجلب الماء إلى المنازل أو إلى عابري المدينة، وقد مارس بعض الأشخاص مهنة السقاية والطواف بالأزقة مقابل أجر وخاصة في فصل الصيف[5].	09 مرات	أحمد بن علي بن صالح القلال
القهواجي	الذي يعمل على تحضير وتقديم القهوة في المقاهي.	12 مرة	حسين القهواجي.

---

[1] - سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات

[2] – عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي 669هـ-960هـ/1270-1550م**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، ص 229.

[3] – عبد اللطيف الخلابي، **نفسه**، ص 254.

[4] – **نفسه**، ص 223.

[5] – **نفسه**، ص 222.

الفراش	الذي يقوم بعملية تنظيف الشوارع والأحياء داخل أسوار المدينة.	02 مرة	عبد الله بن ...الساكن بدار الفراش
الحمال	الذي يشتغل بحمل البضائع والسلع والمواد المختلفة وكان في الغالب من جماعة البرانية باعتبارها مهنة متواضعة[1].	04 مرات	مسعود البسكري الحمال حرفة
الطبال والغناي	هو الذي يضرب على آلة موسيقية (الطبول) يحصل معه التشهير والاحتفالية وإثارة الحماس[2]، أما الغناي فهو يقوم بالغناء في الأفراح والأعراس والمناسبات.	03 مرات	عمار بن محمد الغناي
البراح أو الشياد	كلمة عامية جزائرية يراد بها المنادي الشعبي الذي يخبر الناس في الأسواق بجديد الأخبار والأحداث[3].	06 مرات	القايد سعيد ... الشياد حرفة فرج بن عبد الله الشياد حرفة
المكاس	وهو المكلف بجمع ضريبة الأسواق أي المكوس.	01 مرة	الحاج محمد بوكريم المكاس
الغسال	وهو الذي يقوم بغسل وتصبين الثياب والأصواف وما شابهها من أغطية وأفرشة[4].	07 مرات	الحاج عمر العربي الغسال محمد بن الحاج بلقاسم الغسال
الصبان	الذي يشتغل في صناعة الصابون.	13 مرة	محمد بن يوسف الصبان حرفة
الحمار	//	12 مرة	ابن العربي الحمار
الحمامجي أو الطياب	الذي يقوم على أعمال الحمام بتنظيفه ويقدم الخدمة لزبائنه بتقديم	02 مرة	الحاج لخضر بن سليمان الحمامجي حرفة.

[1] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 70.

[2] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 45.

[3] – أحمد المبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 148.

[4] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 220.

	الماء الساخن لهم وعادة ما يتولى أعمال الدلك[1].		
الشطاب بالأرض والخماس.	الذي يقوم بخدمة الأرض	01 مرة	عبد الله بن عمر الخماس حرفة بلقاسم بن صالح الشطاب حرفة.

نستنتج من خلال الجدول أن المهن الخدماتية قدمت يدا عاملة معتبرة في المدينة وخاصة مهنة البناي التي تعد من أكثر المهن طلبا، بالإضافة لمهنة القهواجي التي كانت مربحة جدا لذلك كانت في الغالب من نصيب العناصر التركية.

2.3. المهن الإدارية:

وهي الوظائف التابعة للدولة وتعد من المهن الرفيعة توكل في غالب الأحيان لأصحاب النفوذ والعائلات الحضرية، كما يمكن أن يعمل بها في بعض الأحيان حتى عناصر البرانية وهو ما ثبت في وثائق عينة الدراسة ونحاول رصد أهم المهن الإدارية التي انتشرت في مدينة قسنطينة في الجدول الموالي:

جدول رقم (11) أهم المهن الإدارية من إعداد الطالبة[2]

المهن الإدارية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عن بعض من مارسها
العالم والقاضي	هو الذي يرأس المحكمة الشرعية وهي نوعان مالكية وحنفية، ويساعد كل قاضي في محكمته عدد من الموظفين منهم العدول الذين يقومون بتحرير العقود[3].	يظهر في كل وثائق المحاكم الشرعية.	محمد بن إسماعيل التبسي كان قاضي السادة الحنفية

[1] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 46.

[2] –سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

[3] –خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر**، مرجع سابق، ص 658.

وكيل بيت المال	موظف من العنصر التركي في مؤسسة بيت المال من مهامه مراقبة تركات جميع الأشخاص المتوفين أو الذين يطول غيابهم، كما يقوم بتقسيم حقوق الورثة[1].	04 مرات	السيد محمد العالم وكيل بيت المال.
المؤدب والمعلم والإمام	من يتولى الإمامة والتدريس.	03 مرات	سي محمد الشريف بن السوكي المؤدب وظهر مرة أخرى باسم الإمام بسيدي الجليس
عون بدار القضاء	العامل بدار القضاء.	02 مرة	علي بن حماش العون بدار القضاء
الكاتب	كاتب سر الباي يوضع خاتم الباي وطابعه على التقارير الرسمية والمراسلات الإدارية داخل وخارج البايلك[2].	02 مرة	السي عمر بن عزوز أحد الكتاب بدار القضاء
المحتسب	موظف يتولى أمور السوق من حيث تطبيق القوانيين وتنفيذ الإجراءات المتعلقة بها ويعرف كذلك بوكيل السوق[3].	//	رغم أن المحتسب من أهم المهن غير أننا لم نعثر في عينة الدراسة على ذكر هذه المهنة
الناظر	تتمثل وظيفته في النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص[4].	//	//

[1] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 124.

[2] –فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي**، مرجع سابق، ص 87.

[3] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 43.

[4] –عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 57.

العسكري أو الجندي	الذي يعمل في مجال الجيش الإنكشاري.	كلمة الانجشاري ظهرت في عدد كبير من الوثائق	إسماعيل بن شعبان الانجشاري
قايد الدار	الرقيب على أمناء الحرف يعينه الباي ويتعرف على مشاكلهم ويلبي حاجاتهم عند الضرورة ويتفهم مطالبهم ويسعى لإيجاد الحلول وفي المقابل يستلم من الضرائب والرسوم[1].	02 مرة	أحمد نعمون قايد الدار
خوجة النوبة	الخوجة رتبة عسكرية ووظيفة إدارية أصبح يلقب بها العديد من الموظفين مثل خوجة النوبة وخوجة السويقة[2].	02 مرة	دار بن عبد الله خوجة السويقة. عمر بن خوجة النوبة الانجشاري
قايد الوصفان	متولي شؤون جماعة الوصفان.	01 مرة	الاسم غير واضح
شاوش شيخ العرب	الشاوش هو القائم بالحراسة والمراقبة وغالبا ما يختار من الجند الذين أنهوا خدمتهم[3].	02 مرة	إبراهيم الميلي شاوش شيخ العرب
الترجمان	الذي يترجم اللغات.	01 مرة	بن عيسى البسكري نسب صنعته ترجمان
باش جراح	الطبيب القائد أو أمين أطباء الذي يحرص على ضمان الاحتياجات الصحية والطبية[4].	01 مرة	الحاج أحمد الباش جراح

[1] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 73.

[2] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 58.

[3] – **نفسه**، ص 121.

[4] –مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، د. ط، منشورات ANEP، الشركة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر، 2013، ص 64.

احتلت المهن الإدارية مكانة كبيرة في مدينة قسنطينة في تلك الفترة حيث كانت تابعة للحكومة ويعتبر صاحبها موظفا له مرتب شهري يقبضه من السلطة الحاكمة، وعادة كانت هذه الوظائف من نصيب المتعلمين والحضر.

3.3. المهن التجارية:

وهي المهن المتعلقة بالتجارة وكل ما يتصل بها من بيع وشراء في الأسواق والرحبات كالتاجر والدلال والجزار وغيرها، وانتشرت هذه المهن في فضاء المدينة حسب ما توصلنا إليه من وثائق عينة الدراسة على النحو التالي:

جدول رقم (12) المهن التجارية في مدينة قسنطينة من إعداد الطالبة[1]

المهن التجارية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عن بعض من مارسها
التاجر أو تاجر الرحبة	الذي يقوم على عملية البيع	38 مرة	أحمد العشي التاجر بالرحبة سي مالك التاجر
القشار بالرحبة	//	14 مرة	محمد بن علي التلغمي القشار بالرحبة
الدلال	وهم الباحة المتجولون الذين ينقلون بضائعهم لعرضها على المشترين في الأسواق ولهم نسبة يأخذونها عن المبيعات[2].	09 مرات	عيسى بن محمد الدلال
الجلاب	الذي يجلب الماشية للأسواق لعرضها للبيع[3].	04 مرات	سي عمر بن الكماد الجلاب حرفة

[1] –سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

[2] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 39.

[3] – **نفسه**، ص 63.

نقرأ من خلال الجدول أن المهن التجارية من المهن المهمة في أسواق المدينة، وتتم عادة على مستوى الأسواق والرحبات والفضاءات التجارية، ومن خلال عينة الدراسة نجد أن مهنة التاجر أكثر المهن التجارية انتشارا مقارنة بالمهن الأخرى.

4.3. الصناعات الجلدية:

تعتبر مدينة قسنطينة من أهم مراكز صناعة الجلود في العهد العثماني، وخاصة الدباغة المنتشرة على أطراف المدينة بالقرب من وادي الرمال، وذلك بسبب حاجتها للماء وكذلك الروائح الكريهة وهي من الحرف المربحة[1]، ولها علاقة مع عدة حرف أخرى تعتمد عليها منها حرفة الخرازة وصناعة السروج، واختصت الحرف الجلدية بتخصصات دقيقة منها الشربلة والبشماق والبلغة، ومنها اشتق اسم الشربلي والبلاغجي والبشماقي والملاخ وهو الذي يصلح الأحذية، ويضاف لهم الذي يصنع المحفظات الجلدية المخصصة لوضع النقود التي تعرف بالدزادني[2]، وكان الدباغون يقومون بدبغ جلود الأبقار والماعز والخرفان ويحتاجون في ذلك إلى قشر البلوط الذي يجلب من غابات الأوراس وبلاد القبائل[3]، وقدر عدد الدباغين في مدينة قسنطينة بعد احتلالها حوالي 150 دباغ موزعين على 33 مدبغة[4]، أي بنسبة أكثر من 15% من اليد العاملة وكذلك 210 عاملا في المشاغل الخمسة والسبعين المعدة لصنع السروج و480 عاملا في مائة وسبعة وستين محلا لصناعة الأحذية[5]، وقدر دخل الدباغين في قسنطينة سنة 1830م بـ 176.400 فرنك، بينما يقدرها تقرير فرنسي استعماري أخر بـ مليون ومائتي ألف فرنك فرنسي[6]. ونحاول من خلال الجدول الموالي رصد أهم الحرف المتعلقة بالدباغة في المدينة.

---

[1] –عمر بلوط، **مرجع سابق**، ص 43.

[2] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 94.

[3] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 265.

[4] -Charles Feraud, **Les corporations de métier à Constantine avant la conquête française**, R.A, V16, Paris, 1872, p 453-454.

[5] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 69.

[6] – كمال فيلالي، **مرجع سابق**، ص 242.

جدول رقم (13) أهم الصناعات المتصلة بالدباغة والجلود من إعداد الطالبة[1]

الصناعات الجلدية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عن بعض من مارسها
الدباغ	حرفة دباغة الجلود وتحويلها لتصبح جاهزة لاستعمالات أخرى هي من المهن المستهجنة بسبب الرائحة الكريهة المتصلة بها [2]	32 مرة	سي عمار بن الحداد الدباغ
الخراز	الذي يشتغل على خرز الجلود بالمخرز وخياطتها لأغراض مختلفة خاصة صناعة الأحذية[3]	50مرة	سي الطاهر بن بركات الخراز
البرادعي	الذي يقوم بصنع البرادع الخاصة للدواب كالحمير والبغال والخيول وإصلاح ما تضرر منها[4]	16 مرة	سي العربي البرادعي
السراج	الذي يقوم بصناعة السروج ولوازم الفرس كاللجام والمحافظ	33 مرة	عمار بن السراج الانجشاري الحاج التهامي بن السراج
البشامقي	الذين يصنع البشمق وهو حذاء خاص بالعلماء والقضاة[5].	02 مرة	عمر البشامقي حرفة

[1] –سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات

[2] – كريم عاتي لعيبي الخزاعي وحارث علي عبد الله، (الحرف في بلاد المغرب من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي المتوفى عام 941م)، **مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، ع 22، أب 2015، جامعة بابل، ص420.

[3] – كريم عاتي لعيبي الخزاعي وحارث علي عبد الله، **مرجع نفسه**، ص 420.

[4] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 193.

[5] –لطفي بوعلي، **(الحرف والحرفيون في الإيالة التونسية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي من خلال وثائق البايلك)**، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تونس، 1992–1993، ص 85.

البلاغجي	صانع البلاغي وهي الأحذية الجلدية البسيطة التي يستعملها الرجال[1].	10 مرات	سي أحمد البلاغجي
الملاخ أو الرقاق	هو الذي يصنع أدوات جلب المياه (القربة) من جلود البقر والماعز ويصلح الأحذية القديمة[2].	10 مرات	محمد بن الحاج الملاخ
الصمار	صانع صفائح حوافر الحيوانات والقائم على تسميرها والمشتغل في تسمير النعال والأحذية العامة[3].	04 مرات	علي بن محمد الصمار حرفة
القزداني	الذي يصنع الحقائب الجلدية.	02 مرة	سي محمد الصغير القزداني

نستنتج من خلال الجدول أن الصناعة المرتبطة بالدباغة عديدة وهي من أشهر الحرف في المدينة، وتقوم على ما تتوفر عليه البلاد من ثروة حيوانية وتتفرع عنها مجموعة كبيرة من الحرف والصناعات الأخرى التي تلبي حاجيات السكان من الأدوات الجلدية التي تستعملها في حياتها اليومية، ومن خلال عينة الدراسة نلاحظ أن حرفة الخرازة كانت في المرتبة الأولى ثم تليها كل من صناعة السروج والدباغة.

5.3. الصناعة النسيجية:

تطورت هذه الصناعة على يد الأندلسيين الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي والأقمشة والشاشية والمخمل أو القطيفة، وكانت هذه الصناعة تعتمد على الإنتاج المحلي من الصوف وتوفر الأغطية والأحزمة والبرانس، أما الزرابي فقد عرفت كل جهة أسلوبها الخاص ورسومها المميزة[4]، وتتوزع على عدة ورشات وتسمى بالمناول وهي مخصصة للحياكة والخياطة[5]،

---

[1] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 95.

[2] –صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 517.

[3] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 87.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 191-192.

[5] –عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن 10-11هـ/16-17م دراسة وتحقيق**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 37.

ونحاول جمع مختلف الصناعات النسيجية وما يتصل بها من خلال ما ورد في وثائق عينة الدراسة في جدول على النحو التالي:

جدول رقم (14) أهم الصناعات النسيجية من إعداد الطالبة[1]

الصناعات النسيجية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عمن مارسها
الخياط	الذي يعمل على خياطة كل أنواع الألبسة والأفرشة من الحرير والصوف للنساء والرجال وهي حرفة يمارسها عاد اليهود ووجد في مدينة قسنطينة بعد الاحتلال حوالي 1200 خياط[2].	25 مرة	عمر بن رجب الخياط حرفة
الحوكي أو النساج	وهو الذي يقوم بالنسيج وغزل الصوف والكتان والقطن[3].	42 مرة	عمر بن سليمان الحوكي حرفة الحاج مسعود الحوكي.
التارزي	تعرف بالطرازين كانوا من فئة الكراغلة، ويطلق على صاحب هذه الحرفة الباش تارزي[4].	05 مرات	الخوجة بن ... التارزي حرفة.
الحرارون	الذي يشتغلون يغزل الخيوط والأنسجة الحريرية وبائعوها في الأسواق[5].	//	//
الصباغ	الذي يشتغل في صبغ الأقمشة وغيرها.	07 مرات	الشريف الصباغ حرفة

[1] – سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

[2]- Lucien Golvin, **Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord**, Presses Universitaires de France, Paris, 1957, p 24.

[3] –عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 209.

[4] –أرزقي شويتام، **مرجع سابق**، ص 324.

[5] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 84.

الحصار أو الحلفاوي	الذي يصنع الحصير التي تفرش على الأرض وتغطى بعض الأنواع منها الجدران ويعتمدون في ذلك عادة على الحلفاء[1].	03 مرات	المولود بن قويدر الحصار علي بن التومي المزيتي الحلفاوي.

يظهر من خلال الجدول أن الصناعة النسيجية أخذت حيزا مهما في مدينة قسنطينة، واشتغل بها العديد من الفئات الاجتماعية لما لها من ضرورة في الحياة الخاصة للأفراد فيما يخص اللباس خاصة البرانس التي يحتاجها في فصل الشتاء أين تكون البرودة الشديدة، بالإضافة إلى الحرف المتصلة بها كصناعة الزرابي التي عرفت بها المدن الجزائرية.

6.3. الصناعات الغذائية:

تتوزع هذه الصناعات على أفران الخبز أو الكوشات ومطاحن الدقيق لرحي الحبوب والمعاصر لعصر زيت الزيتون وتصبير الفواكه، وتضم مدينة قسنطينة العديد من المطاحن والأفران، وتتصل بهذه الصناعات العديد من الصنائع الأخرى نحاول من خلال عينة الدراسة تلخيصها في الجدول التالي:

جدول رقم (15) الصناعات الغذائية من إعداد الطالبة[2]

الصناعة	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عمن مارسها
الرحوي أو الطحان	هو الذي يقوم يطحن الحبوب من قمح وشعير للحصول على الغذاء وتأمين حاجيات السكان[3].	04 مرات	المرابط أحمد القبايلي نسبا الرحوي حرفة

[1] –عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 213.

[2] –سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

[3] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 190.

الغرابلي	هو الذي يقوم بصناعة الغرابيل وهي أداة غربلة الحبوب والدقيق[1].	06 مرات	رمضان بن عمر الغرابلي
الخباز أو الفران أو الكواش	وهو الذي يقوم بصناعة الغذاء الأساسي للسكان وهو الخبز ويعمل في الأفران والكوشات[2].	16 مرة	الحسين بن علي الكواش
صناعة الزيت	الذي يعمل بعصر الزيتون وجلبه من المعاصر.	//	//
الجزار أو القصاب	الذي يختص في ذبح وبيع اللحم وهي حرفة مربحة جدا.	26 مرة	إبراهيم بن الماجري الجزار حسين بن عمار الجزار
الطباخ	الذي يطبخ ويطهي بعض أنواع من الأطعمة في دكاكين خاصة.	02 مرة	الحاج عمر الطباخ بالبطحاء
الكبابجي		مرة واحدة	محمد بن مسعود الكبابجي

نقرأ من خلال معطيات الجدول أن الصناعة الغذائية تتمثل بالدرجة الأول في صناعة الخبز الذي يعتبر أساس الغذاء في الجزائر، بالإضافة إلى بيع اللحوم المختلفة والتي اشتغل بها حسب عينة الدراسة أعداد كبيرة من الأشخاص مقارنة بالمهن الأخرى لما كانت تدره من أرباح.

7.3. الصناعات التحويلية:

تشمل هذه الصناعات تذويب المعادن والحديد والفضة والذهب والزنك واستخراج الملح وصناعة العملة، وورشات صناعة القطع الحديدية كالأقفال وورشات النجارة والأدوات الفخارية

[1] – عبد اللطيف الخلالبي، **مرجع سابق**، ص 188.

[2] –كريم عاتي لعيبي الخزاعي وحارث علي عبد الله، **مرجع سابق**، ص 415.

والأواني الزخرفية وغيرها[1]، وانتشر هذا النوع من الصناعة في مدينة قسنطينة وهو ما رصدناه من خلال وثائق عينة الدراسة المتمثلة في 350 وثيقة على النحو التالي:

جدول رقم (16) أهم الصناعات التحويلية من إعداد الطالبة[2]

الصناعات التحويلية	تعريفها	عدد مرات ظهورها في عينة الدراسة	أمثلة عمن مارسها
الصياغة	الصائغ هو الذي يشتغل بصناعة الحلي من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وكانت هذه الصناعة محتكرة من طرف اليهود لما توفره من أرباح[3].	01 واحدة	محمد الصايغي
الصفارون أو النحاسون	صانعو الأواني والأدوات النحاسية[4].	//	//
النجار	وهو الذي يعمل على تحويل الأخشاب إلى أدوات مثل الأبواب والنوافذ بواسطة آلات وأدوات مختلفة[5].	10 مرات	عمر بن الجودي النجار
الفخارجي	الذي يشتغل بصناعة الأدوات الفخارية.	01 مرة	الاسم غير واضح
الحداد	هو المختص في عمل الصفائح أو المسامير التي توضع في أرجل الخيل والدواب وكذلك صناعة الأدوات الزراعية مثل السكك التي توضع في المحراث والفؤوس[6]	20 مرة	علي بن محمد العمراني نسبا الحداد حرفة

---

[1] –سعيدوني ناصر الدين، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 188–189.

[2] –سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات.

[3] – نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700–1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، د. ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 252.

[4] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 83.

[5] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 255.

[6] – **نفسه**، ص 185.

العطار	وهو الذي يتولى صناعة العطور ويتولى الاشراف عليها عادة الأسر الشريفة وتحتكرها بعض الأسر النافذة من الحواضر ويمارسها اليهود بعد حرفة الصياغة[1]	10 مرات	سي العربي العطار
الدخاخني	الذي يشتغل بمعالجة التبغ وتصفيته[2]	07 مرات	محمد بن مصطفى الدخاخني حرفة

نستخلص من خلال هذا الجدول أن حرفة الحداد من أكثر الحرف التحويلية انتشارا في المدينة، وقد مارسها مجموعة كبيرة من السكان، بالإضافة إلى حرفة صناعة العطور التي تعد من الحرف الهامة والتي احتكرتها العناصر الأندلسية واليهودية، حيث شكل حرفيو هذه الصنعة طبقة على درجة كبيرة من الثراء.

وعلى العموم فإن مدينة قسنطينة عرفت مجموعة من الوظائف والحرف منها المهن الخدماتية والإدارية وبعض الصناعات المتصلة بالدباغة والنسيج والغذاء وغيرها، وقد انقسمت هذه الحرف والصنائع إلى حرف ذات مكانة كبيرة وأرباح كثيرة وهي مطلوبة بكثرة، وبعض المهن المتواضعة والتي لم تلق إقبالا كبيرا خاصة من أهل الحضر، ومنها من اندثر واختفى ومنها ما زال شاهدا على عراقة المدينة كإرث حضاري مثل صناعة التارزي.

هذا ما استطعنا رصده من مهن وحرف في مدينة قسنطينة من خلال ما توفر لدينا من وثائق، والأكيد أن هناك مهن وصنائع أخرى التي تزخر بها المدينة لم نستطع التوصل إليها في هذا البحث.

[1] -عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 304-308.

[2] - عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 112.

8.3. التوزيع السكني للحرفيين في مدينة قسنطينة:

ارتكزت هذه الحرف وسط المدينة بشكل منظم في الحارات التي تشكل الوحدة الاقتصادية الأساسية بالنسبة للصناعات، وكان لكل حرفة أروقتها وتشكل طائفة حرفية لها مجال جغرافي محدد ويرأسها أمين[1]، وتخضع لمعايير حضارية واقتصادية وكانت الوحدات الحرفية تحيط بها أسواق مقسمة إلى أحياء مهنية وكل حي يحمل اسم مهنة معينة[2]. واجتمع هؤلاء الحرفيون في عهد "أحمد باي" في أحياء خاصة بهم باستثناء النساجين الذين كانوا منتشرين في مختلف أنحاء المدينة[3]، ويعود سبب تكتل وتجمع الحرفيين في مكان معلوم لمشاركة الحرفة بين الصناع، فالجماعات الحرفية والمهنية في كل زمان ومكان تعمل على التجمع في مكان واحد لما بينها من روابط حرفية، كما تعد ضرورة الإشراف الحكومي على المهن والحرف دافعا للبايات لإيجاد سوق متخصصة لتسهيل عملية المراقبة، وكان للمنافسة بين المشتركين في الحرفة الواحدة أثره الكبير في التجمع في مكان واحد، بالإضافة إلى التمييز بين الصنائع النفيسة والصنائع الوضيعة مثل الدباغة التي تصدر روائح كريهة والتي يجب أن تكون بعيدة عن السكان[4]، ونحاول التعرف على توزيع الحرفيين على مختلف أحياء المدينة من خلال هذا الجدول.

جدول رقم (17) التوزيع السكني للحرفيين في مدينة قسنطينة حسب الأحياء الحرفية[5]

التجمع الحرفي	مكان الإقامة
الدباغون	باب الجابية- الزلايقة- سيدي عبد الله الشريف-والطابية-والرصيف-الجامع الكبير-رحبة الصوف- صباط ابن فلوس-سيدي علي الطونجي-الأربعين شريف -وسيدي قيس -سيدي ياسمين.

---

[1] -كمال فيلالي، تاريخ المغرب الحديث، **مرجع سابق**، ص 241.

[2] - **نفسه**، ص 141-142..

[3]- Lucien Golvin**, op-cit**, p 24.

[4] -عمر بلوط، **مرجع سابق**، ص 190.

[5] -فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، مرجع سابق، ص 281-282.

الخرازون	باب الجابية–كوشة الزيات–حومة الطبالة.
الحدادون	زقاق البلاط–الجامع الأخضر–حمام السلطان–رحبة الجمال–باب الوادي–الطابية–البطحاء–سيدي بومعزة–سيدي مخلوف–سيدي قيس.
الكواشون	صباط ابن فلوس –زنقة الروامل– زنقة حلموشة– أفران بروا قرب سيدي بومعزة–سيدي خليل.
الخياطون	الطابية–سيدي جليس–حومة المناجل (باب الجابية) –سيدي عفان.
البرادعيون	سيدي الجليس فوق باب القنطرة–كوشة الزيات–سيدي عبد المؤمن بباب الجابية–سيدي الرماح –سوق الرزق–وسوق النجارين.
العسكريون	الطابية–باب الجابية–باب القنطرة–سيدي الجليس–مقعد الحوت–زنقة مقيس–رحبة الجمال.

يتضح من خلال توزيع الحرف على الأحياء أنه لا توجد تفرقة حرفية بين الأحياء فالسكن يخضع للظروف ومنها شروط العرض والطلب، كما كان للحكام في بعض الأحيان دورا مباشرا في الرفع من شأن مكان ما أو إهماله، مثل ما عمل "صالح باي" الذي أعطى مكانة لمحلة سوق العصر والتي كانت خرابا في مجملها، وهذا بعد أن نقل مقر سكناه إليها بعد أن أنشأ مدرسة وجامع للصلاة وزودها بالأوقاف التي عملت على استقرار وازدهار الأسواق التي التف حولها المجتمع الجديد[1].

9.3. النقابات المهنية ودورها في المدينة:

يقصد بها مجموعة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي يعود إليها القرار أو التي تمثل اليد العليا في الحرف، وهي مجموعة الأشخاص الذين لهم الكلمة الفصل في الأمور التي تتعلق بالحرف والحرفيين[2]، فالرابط الذي يوحد الحرفيين ومصالحهم بحاجة إلى جماعة ينتمون إليها تساعدهم حيث لا تنفع قرابة النسب والدم في توفير الأمن، الأمر الذي أدى إلى تجمعهم جنبا إلى جنب في سوق واحد، وهو ما يعبر عنه بمفهوم النقابات أو الطوائف الحرفية، وهي تنظيمات ذات أسس أخلاقية خاصة تنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف وبين الناس، وتضمن مستوى

[1] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 282–283.

[2] –لطفي بوعلي، **مرجع سابق**، ص 13.

مقبولا للحرفة وتحدد أسعار منتوجاتها، وكانت الأمانات الحرفية في مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي تغطي تقريبا كل النشاطات الاقتصادية والقسم الأكبر من السكان المهنيين، ولكل طائفة نظامها الداخلي الخاص الذي يوزع العمال حسب التسلسل الوظيفي[1]، كما أنشأت الإدارة العثمانية أمين الحرفيين على رأس كل نقابة يتولى الإشراف عليها، ويكون من أهل الاختصاص في الحرفة ومسؤولا على مراقبة الاحتيال والغش[2]، وتتمحور السلطة الرئيسية في شخص الأمين الذي يجب أن يكون محل ثقة كل الحرفيين وله حد أدنى من العمر يمكنه من اكتساب خبرة كافية تعينه على القيام بمهامه، وتقع تسميته من بين مجموعة من الحرفيين بعد موافقة شيخ المدينة أو الباي، وله عدة مهام فهو الوسيط بين سلطة المدينة والوحدة الحرفية وهو مكلف بفرض احترام تطبيق القوانين الصادرة عنها، بالإضافة إلى مراقبة جودة المصنوعات وحماية الحرفيين من محاولات الغش والمغالطة كما يقوم بمراقبة الموازين والمكاييل والأسعار وتوزيع المواد الأولية على الحرفيين[3].

وبلغ عدد الوحدات الحرفية في مدينة قسنطينة حوالي عشرين وحدة كان أمين الوحدة هو الذي يراقب الصناعة والإنتاج ويشرف على العمال وله كامل الحق في معاقبة أو مكافئة العمال، ولكل مهنة أمينها كأمين الدباغين مثلا وأمين الخبازين، أما القانون الذي يحكم الوحدة يقوم على العرف وغالبا ما يصبح هذا الأمين صاحب الوحدة[4].

يمكن أن نعود في هذا الجانب إلى عينة الدراسة من الوثائق الأرشيفية التي رصدت لنا معلومات حول بعض أمناء الحرف في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، والتي سوف نلخصها في الجدول الموالي والأكيد أن هذه القائمة لا تمثل كل أمناء الحرف ولكن تعطينا أمثلة على أهمها.

---

[1] –عائشة حنفي، **مرجع سابق**، ص 55–56.

[2]- Lucien Golvin**, op-cit**, p 24.

[3] – لطفي بوعلي، **مرجع سابق**، ص 13–17.

[4] –كمال فيلالي، تاريخ المغرب، **مرجع سابق**، ص 242.

جدول رقم (18) بعض أمناء الحرف من إعداد الطالبة[1]

أمين الحرفة	عدد مرات ظهوره في العينة	أمثلة من الوثائق	المصدر
شيخ البلد[2] أو قايد الدار	03 مرات	أحمد بن نعمون قايد الدار	سجل الوفيات
أمين البناية	02 مرة	سي عيسى أمين البناية	سجل الوفيات ع 1، و96.
قايد السوق	02 مرة	محمد الصغير	سجل الوفيات ع2 و31.
قايد السوافة	01مرة	قدور بن الحاج إسماعيل قايد السوافة	سجل الوفيات ع 1، و32.
أمين الكواشين	01 مرة	الحاج عبد الكريم بن ...أمين الكواشين	س. م. ش السجل 4، و02، عام 1220هـ.
أمين النجارين	01مرة	محمد بن صالح أمين النجارين	س. م ش، السجل 8، و372، عام 1237هـ.
قايد القصبة	01 مرة	الشريف بن خليل بن قايد القصبة	السجل 08، و437، عام 1238هـ.
القايد	01 مرة	القايد أحمد نعمون	السجل 1، و4، 1202هـ.
قايد الوصفان	01 مرة	الاسم غير واضح	سجل الوفيات.

كانت مهنة الأمين مهنة ذات وزن كبير في مجتمع مدينة قسنطينة، لذلك كان لكل حرفة أمين خاص بها يشرف على كل الحرفيين، ومن مهامه توفير كل متطلباتهم بالإضافة إلى مراقبة المنتوج من حيث الدقة والجودة.

---

[1] – سجلات المحاكم الشرعية والسجل والوفيات.

[2] – من الموظفين المهمين الذين يختارون من بين ذوي المكانة والنفوذ، يتولى الإشراف على النقابات المهنية، ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 77.

10.3. الفئات الاجتماعية والحياة الاقتصادية:

أدى تنوع الفئات الاجتماعية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني إلى تنوع أدوارها ونشاطاتها الاقتصادية في مختلف الحرف، فالتركيبة الاجتماعية هي أحد العناصر المؤثرة في تحريك النشاطات التي يقوم بها كل مجتمع من صناعة وتجارة وإنتاج واستهلاك[1]. وقد اختصت كل فئة من الفئات المشكلة لمجتمع المدينة في مجال معين وهو ما سوف نحاول التعرف عليه من خلال هذا العنصر.

يمثل العنصر التركي أهم فئة اجتماعية في مدينة قسنطينة كما سبق وذكرنا، وتتشكل أغلبها أواخر العهد العثماني من جنود الإنكشارية الذين استقروا في الثكنات والقصور، غير أن عملهم في المهام العسكرية لم يمنعهم من ممارسة مختلف الحرف لتنمية ثروتهم، فكانوا يختارون المهن والحرف المربحة مثل صناعة الأسلحة وصناعة البرونز وتصليح الآلات الموسيقية، وبعد تراجع الأعمال الحربية مارس الإنكشارية عدة حرف منها السقاية داخل المحلة وهي وظيفة مربحة ويتقاضى صاحبها حوالي مائة بدقة شيك[2] على كل توصيلة، كما عملوا في حرفة صناعة البلغة وهي حرفة جلبها الأتراك واحتكروها، وكذلك صناعة الصياغة والخرازة والنجارة بالإضافة إلى مهنة والقهواجي والصبايحي وغيرها من الحرف المربحة والأقل ربحا، وكانت حرفة القهواجي أكثر الحرف إغراء لجنود الإنكشارية لما كانت تدر على صاحبها من أموال، فمارسوها لتحسين مستواهم المعيشي ولتنمية ثروتهم[3]، وهذا ما توضحه وثائق عينة الدراسة حيث تظهر ممارسة الإنكشاري لهذه المهنة بكثرة منها "**الحمد لله ...حضر أحمد بن محمد الانجشاري نسبا القهواجي حرفة الساكن بدار بن الأعور قرب سيدي بوعبد الله...** "[4].

---

[1] –خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر، ج1، **مرجع سابق**، ص 475.

[2] – تعني باللغة التركية الدرهم الأبيض، وهو تعريف لكل عملة فضية بيضاء وقد شاع استعمالها في إيالة الجزائر، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 192.

[3] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 169–170.

[4] –**سجل الوفيات**، و17، ع رقم 2، أ. و. ق.

أما فئة الكراغلة فكان لهم حظ كبير في الجانب الصناعي في المدينة، فاختصوا بعدة حرف ومهن وتخصصوا بخياطة وتطريز القفاطين، كما اشتغلوا في مختلف الحرف منها نسيج الأقمشة الحريرية والصوفية، ويطلق على صاحب هذه المهنة الباش تارزي، بالإضافة للنجارة والنحت والبناء وصناعة الفخار [1]، كما مارسوا مهنة البابوجية[2]، وتميزت هذه الفئة بامتلاك الثروات حيث من النادر العثور على فقير بين هذه الفئة، خاصة وأن أباءهم الأتراك كانوا لا يتزوجون قبل أن يتقلدوا وظيفة مربحة، بالإضافة إلى أنهم يتزوجون من النساء الثريات أو بنات العائلات الكبرى[3].

أما العناصر الأندلسية فلعبت دورا إيجابيا في تحريك النمو الاقتصادي وجلبت معها العديد من الحرف سواء في الميدان الفلاحي أو العمراني أو الصناعي وأنشأوا مصانع مختلفة[4]، وكان لمهارتهم دخل كبير في تدعيم النشاط التجاري في مدينة قسنطينة، فقد تمكنوا من الاستحواذ على مقاليد التجارة بفضل رؤوس الأموال التي حملوها معهم من الأندلس، أو التي حصلوا عليها نتيجة مشاركتهم في الغزو البحري وفداء الأسرى أوائل العهد العثماني[5]، كما احتكروا إلى جانب الحضر بعض المهن والحرف المربحة ومنها صناعات الحرير والعطور والشواشي[6]، وكان لهم دورا كبيرا في ترويج العملة الإسبانية الفضية في المدن الجزائرية بين الأهالي وبين المدن الجزائرية والدول الأوروبية[7].

---

[1] – جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 169.

[2] – لفظ فارسي أصله بابوش وهو الحذاء المريح المصنوع من الحرير المزركش بالذهب والألماس تتزين به النساء. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مرجع سابق، ص 62.

[3] –سيمون بفايفر، **مصدر سابق**، ص 184.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية التأثير الإبيري والوجود الأندلسي، مرجع سابق**، ص 31.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 200.

[6] –المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة –النقود–الأسعار**، ج1، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 346.

[7] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 61.

أما بالنسبة لليهود الذين قدر عددهم في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وتحديدا سنة 1833م بتسعة آلاف نسمة[1]، فقد اشتهروا بالمعاملات التجارية وبالمهن الحرة والصنائع الدقيقة والثمينة كالخياطة وصياغة الذهب والفضة واختبار العملة والصرافة، وكانوا يبيعون الدخان والعطور، كما احترفوا أيضا الترجمة في البلاط والجلسات الرسمية، وقد مكنهم وضعهم هذا ومهنتهم هذه أن يكون لهم نفوذ في الحياة السياسية والاقتصادية بالمدينة[2]، فتمكنوا من السيطرة على التجارة الداخلية والخارجية، وخاصة في أواخر العهد العثماني نظرا لاستغلالهم الظروف الدولية ومعرفتهم بالأسواق الأوروبية، كما ساعد في ذلك تواطؤهم مع بعض الحكام وتقريبهم منهم[3]، واختصوا كذلك بحرفة الصياغة التي تعتبر من الصنائع المركبة والدقيقة والمربحة في نفس الوقت، وهي من أهم الحرف التي لها علاقة بالمجوهرات والمعادن الثمينة كالذهب والفضة[4]، وقد احتكر اليهود هذه الحرفة لما لها من أرباح التي وصلت فوائدها في المدينة إلى 30% و50% من الجواهر المصنوعة، وكان لابتعاد المسلمين عن هذه الحرفة سبب من الأسباب التي فتحت المجال أمام اليهود لامتهانها[5]، وشملت هذه الحرفة صناعة الحلي الفضية والذهبية والأساور والخلاخل والرديف (خلخال رقيق مثل الأساور)، والخواتم والأقراط والمشرفات (وهو نوع من الأقراط)[6]، كما امتهن اليهود صناعة الحرير الذي لقي رواجا وإقبالا كبيرا بأوروبا، حيث كان الأوروبيون يشترون المنتوجات الحريرية الجزائرية من أحزمة ومناديل وغيرها[7]، أما النساء اليهوديات فكن يشتغلن بأعمال الخياطة والطرز عند نساء المسلمين عند الضرورة[8]. وعليه، فإن اليهود ساهموا في تطوير الصناعة بمدن الإيالة مثل مدينة قسنطينة، غير أنهم في القرن الثامن

---

[1] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 193.

[2] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 80.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 200.

[4] –نجوى طوبال، **طائفة اليهود**، مرجع سابق، ص 252.

[5] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 246.

[6] –يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات**، مرجع سابق، ص 491.

[7] –نجوى طوبال، طائفة اليهود، **مرجع سابق**، ص 261.

[8] –عبد الرحمان جيلالي، **تاريخ الجزائر العام، ج3**، مرجع سابق، ص 408.

والتاسع عشر الميلادي انصرفوا إلى التجارة بكل فروعها ولعبوا دور الوسطاء والسماسرة وصك وتبديل العملة وأعمال المصارف لكثرة الأرباح التي توفرها وأهملوا الصناعة، وهناك من بقي متشبثا بها على أساس أنها إرث عائلي، وقد اقتصر ذلك على ممارستها كما هي دون محاولات لتطويرها[1]. وتمكنت هذه الفئة من السيطرة على أهم النشاطات الاقتصادية في المدينة واحتلت مركزا اجتماعيا مميزا نظرا لاحتكارها المال والسلطة.

كما شارك أفراد فئة البرانية في النشاط الاقتصادي والتجاري من خلال ممارستهم عدة حرف ومهن باعتبارهم يد عاملة مهمة في المدينة، فعملوا كعمال موسميين غير دائمين في مصانع مدينة قسنطينة والحمامات والمخابز والدكاكين والورشات، واختصوا بالمهن المتواضعة التي لا يقبل عليها الحضر والأتراك والكراغلة، كمهنة الحمال وخلال المجاري والحراسة وغيرها، وهو ما جعل هذه الفئة تجد صعوبات في الارتقاء في السلم الاجتماعي، وأصبحت طبقة الدخلاء من يهود ومسيحيين التي تتميز عن المجتمع والسكان من الناحية الدينية والحضارية أحسن حالا من طبقة البرانية من حيث الأوضاع الاقتصادية ومستوى المعيشة[2].

أما فئة الوصفان فكانوا يسخرون في الأعمال اليدوية والفنية أو يضمون إلى حرس الباي وجيشه[3]، كما اشتغل أغلبهم خدما في المنازل أو باعة للخبز في الشوارع وعمل بعضهم في نسج الحصير والسلال والقليل منهم في الحمامات والمقاهي وفي تنظيف المنازل وطليها بالجبس[4].

وعلى هذا الأساس يتبين أن الأوضاع الاقتصادية للأفراد تختلف من فرد لأخر وحتى بين أصحاب الحرفة الواحدة خاصة أن الصعود الفردي إلى مستويات عالية لم يكن منعدما عند

---

[1] – كمال بن صحراوي، **دور يهود الجزائر**، مرجع سابق، ص 89.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 46.

[3] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 86.

[4] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 68.

الحرفيين الذين انطلقوا من الصفر، لكل البنية الاجتماعية والذهنية وحتى الظروف تجعل هذا الصعود صعبا[1].

ومن خلال ما تم عرضه نخلص إلى أن الأوضاع الاقتصادية لفئات الحرفيين تختلف من فئة إلى أخرى، ومن فرد لأخر حسب أنواع الحرفة ودرجة التفاوت الاجتماعي الذي لعب دورا كبيرا في تحديد مكانة ووضعية الحرفيين ومستوى معيشتهم.

4. مراكز النشاط التجاري:

تنوعت مراكز النشاط التجاري في مدينة قسنطينة منها الأسواق والمحلات والرحبات والفنادق والتربيعات.

1.4. الأسواق:

يعد السوق الوسط الذي يتحرك فيه الإنسان اقتصاديا وهو الإطار الذي تنتظم فيه التركيبة السكانية، فعندما تزداد حاجات الناس وتتطور تصبح بحاجة إلى تجمع يخصص لكل واحد منهم عمل ما، لأن الأعمال متصلة ببعضها البعض وكل يحتاج للأخر[2]، وتعد الأسواق المحلية من ضرورات الحياة الاجتماعية والاقتصادية حيث وجدت في كل العصور وكل اقتصاد[3]. ويذكر الحسن الوزان أن أسواق مدينة قسنطينة عديدة حسنة التنسيق بحيث أن جميع الحرف فيها مفصولة بعضها عن بعض وفيها عدد كبير من التجار الذين يمارسون تجارة الأقمشة الصوفية المصنوعة محليا[4]، وضمت المدينة عدة أسواق عامة ومتخصصة وهي تتوزع على أماكن مختلفة في شكل حوانيت مصطفة تفتح على الشارع[5]، وكانت هذه الأسواق والمرافق التجارية تلبي متطلبات الطبقة الاجتماعية باعتبارها المساحة الأكثر ارتباطا

---

[1] –المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة النقود ولأسعار**، مرجع سابق، ص 346.

[2] –عائشة حنفي، **مرجع سابق**، ص 55.

[3] –جمال حمدان، جغرافية المدن، **مرجع سابق**، ص 47.

[4] –حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، مصدر سابق، ص 56.

[5] – عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 44.

بالسكان أين تتوزع أعمال البيع والشراء[1]، وقد وسع "صالح باي" الأسواق لتصبح 28 سوقا وسويقة و21 سباطا[2] أو سوقا مغطاة و27 مطحنة للحبوب منها خمسة داخل المدينة، كما هيأ سوق العصر والدكاكين والمحلات والفنادق خارج الباب الجديد مقابل كدية عاتي[3].

2.4. الأسواق العامة:

وهي الأسواق غير المتخصصة أي الشاملة التي يباع فيها كل أنواع السلع والمنتوجات دون استثناء، وتميزت مدينة قسنطينة بمجموعة من الأسواق العامة نحاول تلخيص أهمها ومكان تواجدها في الجدول الموالي:

جدول رقم (19) أسواق المدينة العامة[4]

اسم السوق	موقعه
سوق التجار	يقع في قلب المدينة وهو من الأسواق المفتوحة ويتشكل من عدد كبير من الحوانيت تنفتح على الشارع الرئيسي والذي يربط بين باب الواد وباب القنطرة.
سوق العصر ويعرف بسوق السلاح	يقع ضمن المحيط العمراني الذي شهدة حركة عمرانية كبيرة في عهد صالح باي بين القصبة من الشمال ومن الجنوب حي الشارع أو حي اليهود.
سوق الجمعة	يقع في طرف المدينة العامر في اتجاه الجرف نحو الشمال الغربي وهي أكبر وأشهر من سوق العصر التي مازلت قائمة إلى يومنا هذا في حين اندثرت سوق الجمعة بعد الاحتلال.
سوق الغزل	ينفتح على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وسوق العصر وسوق الجمعة بين حي الطابية وحي ميلة الصغيرة.

---

[1]- Bernard Pagand, **La médina de Constantine**, op-cit, p13.

[2] – سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ وهي البناء المستوفي لهواء الطريق كله على جدارين أو السقف يغطي الطريق بين البيتين. للاطلاع ينظر، مصطفى أحمد بن حموش، **فقه العمران**، مرجع سابق، ص 272

[3] –علي خلاصي، قسنطينة مدينة الجسور، **مرجع سابق**، ص 195.

[4] – عبد القادر دحدوح، (توزيع الأسواق والورش الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ع 47، أكتوبر 2013، تونس، ص 450-454

سويقة باب الجابية	تساير الشارع الرئيسي للمدينة الذي يربط بين باب الجابية وباب القنطرة وهي تتوسط حي باب الجابية.
سويقة بن مقالب	تقع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين الباب الجديد والقصبة
سوق الموقف	يقع بالقرب من باب الواد عند مفترق الشارعين الرئيسيين اللذان ينطلقان من هذا الباب باتجاه باب القنطرة وسوق العصر، أي قرب دار الباي.
السوق الكبير	يقع بجوار الجامع الأخضر يتوسط سوق التجار جنوبا ورحبة الصوف شرقا وحي ميلة الصغيرة شمالا وسوق الخلق غربا.
سوق الخلق	يقع ضمن نطاق سوق التجار يتوسط سوق الغزل وسوق التجار وعلى نفس الشارع الذي يوجد به السوق الكبير المؤدي إلى رحبة الصوف.
سوق رحبة الصوف	تقع في الجهة الشرقية من المدينة وهي تتوسط حي الشارع وحي التجار يمر عبرها الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وباب القنطرة.

مثلت الأسواق العامة فضاءات تجارية مهمة في مدينة قسنطينة ويقع معظمها في قلب المدينة لتلبية حاجيات السكان من كل متطلبات الحياة اليومية.

3.4. الأسواق المتخصصة:

هي أسواق ارتبط اسمها باسم حرفة معينة حيث ينسب اسم السوق لنوع التجارة والحرفة التي كانوا يمارسونها فيها، وهي تضم ورشات متخصصة في صناعة أو حرفة واحدة دون غيرها وفيها يتم التصنيع والبيع في آن واحد[1].

جدول رقم (20) الأسواق المتخصصة[2]

السوق	موقعه
سوق العطارين	تقع بالقرب من باب الواد شمال رحبة الصوف وتستمر إلى غاية مسجد سيدي عمر الوزان.

[1] – عبد القادر دحدوح، (توزيع الأسواق والورش الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني)، **مرجع سابق**، ص 448.

[2] – عبد القادر دحدوح، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، مرجع سابق، ص 188–191.

سوق السراجين	يأتي بعد سوق العطارين على نفس الشارع.
سوق الصباغين	يبدأ حيث ينتهي سوق السراجين ومنه ينقسم الشارع الرئيسي الى شطرين شمالي وجنوبي وفي الأول يوجد سوق الصباغين.
سوق الشبارليين	يقع على طريق ثانوي يتفرع عن الشطر الشمالي من الشارع الرئيسي ويتعامد عليه باتجاه الغرب ويربط بين الشارع الرئيسي وسوق الغزل.
سوق الصاغة	يحتل طريقا ثانويا يربط بين سوق التجار وسوق الغزل وحمام سوق الغزل.
سوق الحدادين	يقع بالقرب من سوق الصاغة وهو محصور بين زنقة سيدي ضرار وحمام بن جلول.
سوق القزازين	يبدأ حيث ينتهي سوق الحدادين ويحتل طريقا فرعيا وبشكل متعامد على الشارع الرئيسي في اتجاه الغرب وينفتح في طرفه الغربي على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وسوق العصر اين يوجد زقاق البلاط.
سوق القصاعين	يقابل جانبا من سوق الحدادين وسوق القزازين وفي نفس الاتجاه مع سوق الخلق ويقابل جزءا من السوق الكبير حيث يقع الجامع الأخضر..
سوق الغرابليين	يقع عند مفترق شطري الشارع الرئيسي حيث توجد زاوية الفكون بالناحية الشمالية ومسجد سيدي عبد الرحمان القروي بالناحية الجنوبية.
سوق البرادعيين	يأتي بعد سوق الغرابليين ويحتل طريقا فرعيا يتجه غربا ويربط بين شطري الشارع الريسي وفي بداية هذا الطريق يوجد فندق الزيت.
سوق الخضارين	يأتي بعد سوق البرادعيين وعلى نفس الطريق الفرعي وينتهي عند سوق الجزارين
سوق الجزارين	يتبع سوق الخضارين وعلى نفس الطريق الفرعي وينتهي عند سوق القصاعين حيث يوجد الجامع الأخضر والسوق الكبير.
سوق الخراطين	يقع على الشطر الجنوبي للشارع الرئيسي ويبدأ من أمام فندق الزيت وينتهي عند سوق النجارين.
سوق النجارين	يتبع سوق الخراطين على نفس الشارع وينتهي عند طريق فرعي يتجه إلى الغرب بشكل متعامد على الشارع الرئيسي.

سوق الخراشفيين	يبدأ من دار تشندرلي باي ويساير الطريق الفرعي الذي ينتهي عند سوق النجارين.
سوق الرقاقين	يقع على الشارع الرئيسي في شطره الجنوبي بعد سوق النجارين ويستمر إلى غاية حي ميلة الصغيرة.
سوق الدباغين	يقع في الطرف الجنوبي الشرقي أين تقع المدابغ.

نستنتج من خلال الجدول أن الأسواق المتخصصة تنسب إلى نوع النشاط الذي يقام فيها فكل سوق متخصصة في تجارة معينة وهي موزعة على أحياء المدينة، وبالإضافة إلى هذه الأسواق المتخصصة هناك أسواق أخرى منها سوق العسل وسوق القمح وسوق الجلد وسوق الأقمشة وسوق الخبز وغيرها[1].

4.4. الفضاءات التجارية الأخرى:

بالإضافة إلى الأسواق بنوعيها هناك فضاءات تجارية أخرى لا تقل أهمية عن الأسواق، منها المحلات التجارية والرحبات والدكاكين والفنادق والتربيعات[2] والتي تقوم مقام السوق، فقد مثلت هذه الورشات أهمية كبيرة فهي شاهدا ودليلا على العلاقات التجارية والحرفية في المدينة، وقد شهدت في العهد العثماني تطورا كبيرا خاصة في عهد صالح باي وأحمد باي[3]، وانتشرت في مدينة قسنطينة فضاءات تجارية كثيرة نحاول تلخيصها في الجدول الموالي:

[1] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 192–195.

[2] – يقصد بها حوش مربع به حوانيت أو دورات مياه ذات ميضآت، ومن خلال سجلات المحاكم الشرعية يظهر أن المقصود بالتربيعة في مدينة قسنطينة هي المنشآت التجارية التي تضم مجموعة من الحوانيت والتي كانت مخصصة لبعض الحرف الصناعية. ينظر: عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة، مصدر سابق**، ص 47.

[3] –عمر بلوط، **مرجع سابق**، ص 7.

جدول رقم (21) أهم الفضاءات التجارية في المدينة[1].

الرحبات	التربيعات	الفنادق
رحبة الجمال- رحبة الصوف- رحبة باب القنطرة -رحبة البلد- رحبة الموقف.	تربيعة القوس-تربيعة حومة أفران برو- تربيعة حومة الصباغين-تربيعة الماجن- تربيعة حوكة-تربيعة رحبة الجمال- تربيعة بن الجزار -تربيعة بن قانة- تربيعة الفحامين.	فندق صالح باي-فندق سوق الخرازين-فندق بن نعمون-فندق بني ميزاب-فندق بن نويوة.

لعبت الفضاءات التجارية كالرحبات والتربيعات والفنادق دورا كبيرا في تنشيط التجارة في مدينة قسنطينة حيث مارس فيها السكان عمليات البيع والشراء وهي لا تقل أهمية عن الأسواق.

5.4. الرسوم المرتبطة بالحياة الاقتصادية في مدينة قسنطينة:

شكلت الضرائب المختلفة المفروضة على الحرفيين في أسواق مدينة قسنطينة موردا هاما ومصدرا أساسيا لدخل خزينة الدولة في تلك الفترة، ويستلمها شيخ البلد من طرف أمناء النقابات ويضعها في الخزينة العامة، وكانت الرسوم المفروضة على الأسواق في الغالب تدفع نقدا وفي بعض الأحيان تؤخذ من السلع المتداولة كالحبوب والحيوانات والجلود ويشرف عليها قايد السوق أو خوجة الرحبة[2]، وقد ورد في مخطوط صالح باي أن له " **أعوان يستخلصون له المكس ويعطيهم أجرهم فيأخذون على الكسوة التي تأتي من الصحراء وعلى الصوف التي تباع برحبة البلد وعلى السلع التي تأتي من تونس والسلع التي تمشي إليها من قسنطينة مثل البرنس والقندورة والكساوي، وعلى الحيوان الذي يباع برحبة البلد ويعطي الخرج للمحلة عند خروجها وكذلك يعطي ما يلزم فلاحة المخزن وأما أمر اللزمة فإن الرعية كانت أولا تكسب البقر والغنم وكل عرش يعطي على قدر كسبه فرأس البقر بثمن** ريال **وخمس شياه بثمن ويتعادون بكل واحد يعطي على حسب ما يملك من السعير على القانون المذكور، فالذي عنده عشر رؤوس من**

[1] – عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 195.

[2] –فلة القشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني**، مرجع سابق، ص 114.

البقر فيعطي ثمن على كل رأس والذي عنه ماية شاه يعطي خمسة أريلة على الخمس شياه فيحصل للناس الكسب"[1].

أما فيما بخص مكوس الأسواق في المدينة فكان يأخذ عن قنطار الكتان الصغير خمسة وعشرون درهما، وحمل التمر يتوجب على صاحبه خمسون درهما، وحمل الزيتون يؤخذ عليه خمسون درهما، أما قنطار الأرز فيستخلص عليه عشرون درهم، كما تساهم القوافل القادمة إلى المدينة من مختلف جهات الإيالة بدفع ضريبة محددة، وكان على كل سوق قائد ينصب لاستخلاص الضرائب وتنظيم جبايتها، وعلى كل سلعة موظف يراقب دخولها وخروجها لأسواق المدن يأخذ ما يترتب عليها من مكسب[2]، للتعرف على أهم الرسوم المفروضة على أسواق مدينة قسنطينة وضعنا الجدول التالي:

جدول رقم (22) الرسوم المرتبطة بالأسواق

نوع الضريبة	الجماعة التي فرضت عليها
حقوق الالتزام والتنصيب	هي ضريبة عينية أو نقدية تفرض بغرض تموين الحامية وتزويد النوبة والمساهمة في الدنوش[3].
ضريبة الغرامة	تخص ثمانية وعشرون جماعة حرفية منها جماعة الدلالين –جماعة الكواشين، جماعة الدباغين، جماعة الخياطين، جماعة الصياغين، جماعة العطارين وغيرها من الجماعات الحرفية الأخرى[4].
ضريبة الوطق	خصت هذه الضريبة عددا من الجماعات التي عنيت بالخدمات كجماعات البرادعية والدخاخنية والفحامين والفخارجية ودلالي الحوائج[5].

[1] –**مخطوط صالح باي**، و20–21، أ. و. ت.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 254–255.

[3] –فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني**، مرجع سابق، ص 104.

[4] – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 235.

[5] – **نفسه**، ص 182–185.

مكس الأسواق والدكاكين التجارية	يتكفل شيخ البلد أو قايد الدار بجمعها من أمناء النقابات المهنية. الموجودة بالمدينة وكل دكان ملزم بتقديم رسم شهري مقابل نشاطه التجاري[1].
حقوق الجمارك	//
جزية اليهود والنصارى	أو ما يعرف برسوم الطوائف العرقية وهي مبالغ تدفع لخزينة الدولة يتكفل بدفعها كبيرهم المقدم، وقد بلغت في مدينة قسنطينة عشية الاحتلال 9000 فرنك[2].
ضريبة العسة	مقابل الحراسة الليلية للأسواق والدكاكين.

نستخلص من خلال هذا الجدول أن الدولة فرضت نظام ضريبي عيني ونقدي خاص بنشاط الحرفيين في الأسواق يشرف عليها قايد السوق وتختلف قيمتها من نشاط تجاري إلى أخر.

5.النشاط التجاري وطرق ايصال السلع إلى المدينة:

أدى الموقع الاستراتيجي لمدينة قسنطينة إلى ازدهار الحركة التجارية خاصة في عهد "صالح باي" الذي أدخل عدة تعديلات فأصبحت بذلك المدينة ملتقى القوافل سواء القادمة من الشرق نحو الغرب أو القادمة من الشمال نحو الجنوب أو العكس[3].

1.5. التجارة الداخلية:

شهدت مدينة قسنطينة خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر حركة اقتصادية نشيطة يصفها الورتيلاني في رحلته بقوله "فيها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة... وسعرها رخيص، واسعة الرزاق والخيرات يكثر فيها اللحم والسمن والقمح والتين وتأتيها القوافل من كل النواحي..."[4]، وهذه الحركة التجارية الداخلية تتطلب طرق مواصلات وعليه فإن المدينة كانت مزودة بطرق لم تكن معبدة

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 138.

[2] – **نفسه**، ص 138.

[3] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 83-84.

[4] – الحسن بن محمد الورتيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار– الرحلة الورتيلانية**– د. ط، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 685-686.

بالزفت ولكنها كانت مزودة بالجسور، وهي واضحة ومعروفة المسافة حيث كانت المسافة بين قسنطينة ومدينة الجزائر تسعة أيام، كما كانت هناك قوافل للرحلات مضبوطة المواعيد[1].

وكانت التجارة الداخلية محتكرة من طرف اليهود الذين استغلوا علاقاتهم بالحكومة في السيطرة عليها، فكانوا يشترون المنتوجات المحلية بأسعار منخفضة من الأسواق ثم يبيعونها بأضعاف أسعارها سواء في الداخل أو الخارج، كما كانوا يشترون الصوف من القبائل الصحراوية بسعر زهيد ويبيعونه بسعر مرتفع، وخاصة أوقات المجاعات والكوارث وكان لسيطرة اليهود على الأسواق الداخلية ردود أفعال عنيفة خاصة أيام المجاعات[2].

ورغم أهمية التجارة الداخلية إلا أنها تبقى استهلاكية ومحدودة الربح والنجاح، لو لم تكن هناك تجارة خارجية مكملة لها ولهذا فإن التجارة الجزائرية لم تكن محصورة على المستوى الداخلي بل امتدت إلى ما وراء الحدود[3].

2.5. التجارة الخارجية:

كانت مدينة قسنطينة تحظى إلى جانب التبادل التجاري الداخلي بمبادلات تجارية مع بلدان مختلفة خاصة أواخر العهد العثماني[4]، واكتسبت التجارة في هذه الفترة زخما جديدا عبر منطقة قسنطينة الغنية وتطور النشاط التجاري بين المدينة ومختلف الأقطار العربية وحتى الأوروبية[5]، فارتبطت تجارة المدينة بقوافل تونس والصحراء، فكانت تستورد الأقمشة الحريرية والخيوط المذهبة والشواشي[6] والآلات الحديدية والعقاقير والأدوية والجواهر وماء الورد والسجاد العجمي من أقطار

---

[1] –عبد الله شريط ومحمد الميلي، **مرجع سابق**، ص 151.

[2] –محمد خير فارس، **مرجع سابق**، ص 106.

[3]–أرزقي شويتام، مرجع **سابق**، ص 345.

[4]–محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 81.

[5] - Abdeljalil Temimi**, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837**), Revue d'Histoire Maghrébine, Vo l1, Tunis, 1978, p 72.

[6] – جمع شاشية وهي غطاء الرأس على شكل قلنسوة أو طربوش قصير كان يصنع في الجزائر من الصوف ويصبغ باللون الأحمر ويقتصر استعماله على الطبقات الشعبية لرخص ثمنه ولمنافسة شاشية تونس. ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 50.

المشرق عن طريق تونس، وتصدر مقابلها البرانيس والجلود والحياك والمواشي والحنة وريش النعام ومسحوق البارود الوارد إليها من أقطار السودان وجهات الصحراء الشرقية، مقابل المصنوعات الجلدية والحبوب والأقمشة الصوفية، ورغم النزاعات المتكررة بين بايات تونس وبايات قسنطينة غير أن ذلك لم يمنع خروج القوافل من قسنطينة كل شهر نحو مدينة تونس[1]، وكان ثمن السفر من قسنطينة إلى تونس مائة فرنك أما نقل البضائع فكان يزيد من قيمة البضاعة بنسبة خمسين في المائة[2]. حيث ورد ذلك في مخطوط "صالح باي" "**وقد كان تجار قسنطينة يمشون إلى تونس بالسلع حيوان وغيره فيبيعون هناك ويشترون السلع من تونس ويأتون بها إلى قسنطينة فيبيعونها ويربحون فيها، والبيع والشراء بين العمالتين والمهادنة التامة وما ذاك إلا لصلاح الحال بين السيد صالح بي وسلطان تونس وحصل للناس الغنا بالجملة**"[3]

بما أن قسنطينة كانت مركزا تجاريا هاما في الشرق الجزائري، فقد كانت مبادلاتها مع تونس أكثر من المغرب الأقصى، حيث كانت قافلتها التجارية تتجه إلى تونس وإلى واحات الجنوب والتي من خلالها تتبادل البضائع الواردة من المغرب، كما كان لقسنطينة مبادلات تجارية مع المغرب من خلال قافلة "سلا" والتي كانت مدينة قسنطينة إحدى محطاتها الرئيسية[4].

أما مع الدول الأوروبية فكانت للمدينة علاقات تجارية مع البلدان الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط إذ توفرت على طرق ومواصلات تربطها بهم[5]، وكانت لها اتفاقيات تجارية مع كل من إسبانيا و جنوة ومرسيليا عن طريق موانئ جيجل والقل وسكيكدة وعنابة التابعة لبايلك الشرق[6]، كما كانت المدينة تستورد من أوروبا مباشرة بعض المواد الغذائية كالسكر والقهوة

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **مرجع سابق**، ص 72.

[2] –عبد الله شريط، ومحمد الميلي، **مرجع سابق**، ص 151.

[3] –**مخطوط صالح باي**، و17، أ. و. ت.

[4] –عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 88.

[5] – أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، ج2، د. ط، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص 150.

[6] – الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 80.

والتوابل والمواد الصناعية كالأقمشة والكتان[1]، وزاد من أهميتها التجارية قربها من الشواطئ البحرية والموانئ التابعة لبايلك قسنطينة والتي كانت بها حركة تجارية نشيطة، ويتم منها تصدير مختلف صادرات المنطقة وخاصة من ميناء القالة وعنابة[2].

كان تجار قسنطينة يستعينون بجماعة من المحترفين اليهود للتعبير لبعض السلع وتحديد أسعارها في البيع والشراء، وكانت قافلة قسنطينة تحقق كل مرة أرباحا تزيد عن نصف رأس المال الذي يقدر شهريا بخمسمائة ألف فرنك، وإلى جانب هذه الأرباح كانت تعود بالمواد اللازمة لتشغيل سائر الجمعيات المهنية وتلبية حاجيات السكان، كما يصدر بايلك الشرق الحبوب إلى أوروبا ومعدل ما استوردته مارسيليا سنويا عن موانئ الشرق يتراوح ما بين 230-260 ألف قنطار من القمح [3].

بالإضافة للسلع المحلية هناك منتوجات وسلع تأتي من خارج قسنطينة لتلبي الحاجيات اليومية للسكان ومتطلبات السوق مثل القوافل التي تأتي من الصحراء وتمول أسواق المدينة بغبار الذهب وريش النعام والتمور، وبالعدد المعتبر من العبيد السود الموجهين للأعمال كخدم في المنازل[4]، وفيما يلي جدول يوضح أهم صادرات وواردات مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

جدول رقم (23) أهم صادرات وواردات مدينة قسنطينة

الصادرات	الواردات
المحاصيل الزراعية القمح والشعير -السلع المصنوعة بالمدينة مثل الملابس المطرزة والأقمشة الحريرية.	-المواد الغذائية القهوة السكر والتوابل -المواد الصناعية الأقمشة والكتان.

[1] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 85.

[2] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 85.

[3] –محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، مرجع سابق، ص 153.

[4] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 143.

-البرانس -الحياك- الجلود- المواشي - التمر -الحنة -ريش النعام- مسحوق البارود	-الأقمشة الحريرية- الخيوط المذهبة- الشواشي-الآلات الحديدية- العقاقير- الأدوية -الجواهر- السجاد العجمي. البرنوس التونسي والحايك التونسي.

نستخلص من خلال الجدول أن مدينة قسنطينة كانت تصدر المحاصيل الزراعية والسلع المصنوعة في المدينة، وكذلك المواد والسلع التي كانت تحصل عليها من السودان والصحراء مثل ريش النعام والحنة والتمر، وبالمقابل تستورد السلع الغير متوفرة في المدينة مثل المواد الصناعية وغيرها.

3.5. العملات والموازين وحركية الأسعار في مدينة قسنطينة:

تعد العملات أو النقود من ضروريات المبادلات التجارية الداخلية والخارجية فهي أساس البيع والشراء، وتداول المجتمع الجزائري فصفة عامة ومجتمع مدينة قسنطينة على وجع الخصوص عدة عملات رصدتها لنا وثائق عينة الدراسة في مختلف المعاملات سواء في تحديد قيمة الصداق أوفي عملية البيع والشراء.

1.3.5. العملات:

العملة هي أداة للتبادل الاقتصادي تدل على وجود دخل نقدي وأسعار تنظم توزيع الخيرات بين الأفراد، وتساهم في إعادة الهيكلة الاقتصادية أو إصلاحها، وهي إحدى مظاهر الاستقلال المالي للجزائر خلال العهد العثماني، ومهما كانت أشكالها المادية فهي تمثل الرمز الاجتماعي للثروة بين الأفراد[1]، وبدأ الطراز الخالص للسكة[2] الجزائرية مع بداية العهد العثماني أي منذ عهد

---

[1] - دوبالي خديجة، (رسائل أحمد باي الى حسين باشا 12040-1245هـ/1826-1830م دراسة وتحليل)، **رسالة ماجستير في الحضارة الإسلامية**، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1426-2005/1427-2006، ص 232.

[2] - في اللغة الدينار والدرهم المضروبان يسمى كل واحد منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة وهي القالب الذي تصب فيه العملات النقدية وهذا العمل يتم في مكان مخصوص يسمى دار الضرب أو دار السكة للاطلاع ينظر: مصطفى عبد الكريم

السلطان سليم الأول، واستمر إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر[1]، وحتى سنة 1830م كانت النقود الوحيدة المتداولة في مدينة قسنطينة هي تلك التي تصدر من خزينة الجزائر، أما في الفترة التي تولى فيها "أحمد باي"، واستجابة للوضع الاقتصادي للبايلك أصبح سك العملة أمرا حتميا، وعلى هذا الأساس قرر هذا الأخير وديوانه سك العملة باعتماده على منجم الذهب والفضة في الصحراء، ليثبتوا للجزائر العاصمة الاستقلال المالي والاقتصادي والسياسي التام للبايلك[2].

2.3.5. العملات المحلية:

كانت العملة المحلية تضرب بدار النقود أو دار السكة[3]، من أهم العملات المحلية التي انتشرت في مدينة قسنطينة الريال الفضية، وهي الأكثر تداولا في أسواق المدينة أواخر العهد العثماني وله أجزاء مختلفة، ولكنه ليس العملة الوحيدة فهناك عملات أخرى منها المحبوب والسلطاني ونصف السلطاني وربع السلطاني[4].

يعد تداول النقود الذهبية غير رائج كثيرا في أسواق المدينة في التبادل التجاري، لأن العملة الذهبية كانت لا تستخدم في التبادلات اليومية بل كان يفضل الاحتفاظ بها للادخار وللحفاظ على الثروة الذهبية، وكانت بحوزة الأثرياء وأعيان المدينة[5]، كما سكت نقود من معدن النحاس منها الخروبة وهي قطعة مستديرة تساوي سدس الدرهم[6]، وتخضع هذه العملة لعملية التصفية قبل صبها

الخطيب، **معجم المصطلحات والالقاب التاريخية**، مرجع سابق، ص 254. والسك يرادف الختم أو الضرب وهو أهم عملية في صناعة النقود، وآخرها بعد مرحلتي السبك والتخليص ثم المد والقطع. ينظر: عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق،** ص 57.

[1] –لعرج عبد العزيز، السكة الجزائرية في مرحلة الانتقال **المجلة البحوث التاريخية**، ع 2، طرابلس (ليبيا)، 2011، ص 85.

[2] -- Abdeljalil Temimi**, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837**), op-cit, p 72.

[3] – مقر الخزينة تحفظ بها النقود والودائع الثمينة ويوجد مقرها بقصور الجنينة أسفل المدينة، ثم حولت إلى حصون القصبة على عهد الداي علي خوجة 1817. ينظر، عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق،** ص 40.

[4] – صالح عباد، **مرجع سابق،** ص 527.

[5] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 83.

[6] –منور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة النقود والأسعار**، مرجع سابق، ص 39.

مما جعل كميتها تنقص بحوالي 50بالمائة إذ يستخلص من عشر قناطر من معدن النحاس خمسة قناطر فقط من النحاس الصافي لعمل الدراهم الصغيرة[1].

ويبقى الريال والذي تم سكه في المدينة هو العملة المتداولة في قسنطينة في القرن الثامن عشر الميلادي، ثم حل محله الدينار تدريجيا والذي ساد حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وتشير المعاملات أحيانا إلى الريال الكبير والذي يعرف بدوره عدة تقسيمات النصف والربع والثمن[2].

وفي سنة 1833م أمر "أحمد باي" بضرب سكة جديدة وهي قطعة نحاسية من حجم القطعة الفضية ولها نفس القيمة، وحرص على أن يستعيد القطع الفضية في مقابلها، وبعد أن استعملت هذه العملة الثانية عدة أشهر منع استعمالها واشترى الرطل من السكان بـ 12 قطعة فضية[3]، إن فاعلية النظام النقدي الذي أنشأه "أحمد باي" وعلى الرغم من تنوع العملات في سوق قسنطينة إلا أن العملة التي سكها صمدت في وجه المنافسة بشكل كبير، وهذه العملة المسكوكة في أعوام(1830م-1831م-1832م-1834م-1837م) كانت من النوع العثماني وجيدة الصنع من الذهب والفضة والبرونز والنحاس، وحملت اسم السلطان العثماني محمود الثاني على الوجه الأول، وعلى الوجه الأخر تاريخ ومكان سك العملة قسنطينة[4]، وتعرف هذه القطعة النقدية عادة بسلطاني الجزائر أو سكة الجزائر وفي أواخر العهد العثماني أصبحت يطلق عليها السكة الجديدة[5].
ونحاول جمع هذه العملات المحلية في الجدول التالي:

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 193.

[2]-Isebelle Granguad, **op cit**, p 74.

[3] –فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 80.

[4]-El Tamimi, Le beylik de Constantine, **op-cit**, p 72

[5] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 42.

جدول رقم (24) أهم العملات المحلية المنتشرة بمدينة قسنطينة

العملة	قيمتها
الريال (Real)	كلمة اسبانية تعني ملكي وهي تطلق على النقود وله أصناف عديدة الريال الصغير وريال بوجو وهو الوحدة الأساسية للنقود في الجزائر في العهد العثماني وزنه ما بين تعرف 8.5 و10.2غ[1].
النصف ريال	نصف ريال بوجو عملة من الفضة انخفضت قيمتها بثلاثة أضعاف عندما أعيد ضرب العملة أواخر العهد العثماني وأصبحت تقدر بثلث بوجو أو 8 موزونات أو 62 فرنك[2].
الموزونة	نقود ذات شكل اهليجي ليس له نقوش ولا علامات وتساوي 29 أسبر و0.70 فرنك[3].
السلطاني	قطعة نقدية ذهبية تعرف بسكة الجزائر وزنها في المتوسط 25.3غ وقيمتها 108 موزونة أو 50.4 ريال بوجو أعيد ضربها أواخر العهد العثماني وتعرف بالسكة الجديدة وقيمتها 90.8 فرنك ولها أجزاء نصف سلطاني وربع سلطاني[4].
الخروبة	نسبة لفاكهة الخروب وهي تعتبر الوحدة الأساسية للعملة النحاسية في العهد العثماني، تصنع من خليط من النحاس والفضة أو النحاس الأبيض، وقيمتها تساوي نصف موزونة التي تعد من بين أقل أجزاء العملة الفضية خلال العهد العثماني وكانت قيمتها بالفرنك تقدر ب 0.75 فرنكا[5].
الريال القسنطيني	ظهر لفظ الريال القسنطيني في وثائق المجموعة 1641 بالمكتبة الوطنية وثيقة رقم 71.

[1] –عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 52.

[2] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 44.

[3] –جميلة مشرقي، (الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات 1671م–1830م)، **أطروحة دكتوراه التاريخ**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2017–2018، ص 110.

[4] –عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 42.

[5] –عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 52.

من خلال هذا الجدول الذي يوضح أهم العملات المتداولة في فضاء المدينة، نستخلص أن المدينة كانت سوقا مفتوحا للتبادل الحر وكل العملات جائزة للتعامل دون تمييز وكل عملة تحاول السيطرة على السوق دون تدخل السلطة الحاكمة والتي لم تفرض قوانين تنص على تداول العملات في أسواق المدينة[1].

3.3.5. العملات العربية:

بالإضافة إلى العملات المحلية تداول سكان مدينة قسنطينة بعض العملات العربية، حيث انتشرت العملة التونسية في الجهة الشرقية من إيالة الجزائر، بينما انتشرت العملة المغربية في الجهة الغربية، كما استعملت عملات الدولة العثمانية منها السلطاني أو المحبوب السلطاني والذي كان مطلوبا بكثرة من طرف الحجاج والتجار الذين كانوا ينقلون منه كميات كبيرة إلى بلاد المشرق[2]، ويأتي الريال التونسي في المرتبة الثانية بعد النقود المحلية من حيث درجة التعامل به بحكم روابط الجوار وتواجد التونسيين في مدينة قسنطينة تحديدا، وكذلك القوافل التجارية بين قسنطينة وتونس من جهة، ومن جهة أخرى كان لاستيلاء الجيش الجزائري على ودائع الخزينة التونسية عام 1755م، وفرض ضريبة سنوية على إيالة تونس إحدى العوامل المساعدة على توفر النقود التونسية بالمدن الجزائرية وخاصة مدينة قسنطينة[3]، واشتهرت النقود التونسية في الشرق الجزائري وظهرت في التعاملات باسم سكة تونس.

وإلى جانب العملة التونسية وجدت عملة مغربية تعرف بسكة فاس، نذكر منها السلطاني المغربي والمثقال المغربي والموزونة المغربية والفلس المغربي[4]، ويبدو أن هذه العملة لم تكن

[1] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 106.

[2] –صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 528-529.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 198.

[4] –صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 528-529.

معروفة بالقدر الكافي، فلم تتناولها المصادر والمراجع التي اهتمت بالموضوع[1]. وفيما يلي جدول بأهم العملات العربية التي انتشر استعمالها في فضاء مدينة قسنطينة.

جدول رقم (25) أهم العملات العربية المتداولة في مدينة قسنطينة

العملة	قيمتها
الريال التونسي	ظهر الريال التونسي في أسواق العملة من القرن 17م وظل مقتبسا من الريال الاسباني ولم يتخلص من تبعية الريال الاسباني لا بعد ما تمكنت تونس من سك الربع ريال سنة 1725م بنسبة 65/ من الفضة[2].
المثقال المغربي	//
الموزونة المغربي	//
السلطاني المغربي	//
الدرهم الناصري	يعرف كذلك بالدينار الناصري ضرب على عهد السلطان الحفصي أبو عمر عثمان الذي حكم بين (1435م-1488م)[3].
الفلس أو الأسبر القفصي	يعرف كذلك بالصايمة قطعة نحاسية وزنها 50غ تعرف لدى الأجانب بالأسبر[4].
المحبوب	معناه الذهب أطلق هذا الفظ على عملة ذهبية في العهد العثماني.

من خلال الجدول نقرأ أن النقود العربية كانت تستعمل في المدينة وخاصة النقود التونسية التي كانت أكثر انتشارا مقارنة بالعملة المغربية ويعود ذلك للقرب الجغرافي، ولعل النقود المغربية كانت منتشرة في الجهة الغربية أكثر من الشرق.

[1] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 105.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 199.

[3] –عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 50.

[4] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 45.

4.3.5. العملات الأوروبية:

يعود تواجد العملات الأوروبية في إقليم الشرق بصفة عامة ومدينة قسنطينة بصفة خاصة لتواجد الشركة الإفريقية في الشرق الجزائري، والتي تتعامل مع تجار مدينة قسنطينة بهذه العملات المختلفة رغم عدم شيوعها في المعاملات، وأهمها الفرنك بالإضافة إلى عملات أوروبية أخرى تم تداولها بشكل واسع في المدينة منها الايكوس الإيطالي والايكوس الإسباني[1]. ونتعرف على أهم هذه العملات الأوروبية وقيمتها من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (26) أهم العملات الأوروبية المتداولة في المدينة

العملة	قيمتها
الفرنك	تساوي قيمته الريال في أغلب الأحيان.
الريال أو الكواترو الرباعي	يساوي أربع ريالات وهو الدورو يساوي 5.5 فرنك[2].
الإيكوس الإيطالي	//
الإيكوس الإسباني	يساوي 125 أسبر.
البياستر الإسباني	يساوي 36 موزونة.

تعتبر هذه العملات الأجنبية رغم شيوعها وتنوعها ثانوية مقارنة بالعملات المحلية التي زادت مكانتها في مجال التعامل النقدي ونالت ثقة التجار وإقبال الأهالي[3].

4.5. حركية الأسعار:

تمثل حركة الأسعار وسيلة للكشف عن المؤشرات الظرفية وعلى حركة الإنتاج ووسيلة لدراسة القدرة الشرائية وحركة الدخل التي تمثل العنصر الأساسي في التشكيل الاقتصادي لرأس المال وطرق توزيعه[4]، وكانت الأسعار في مدينة قسنطينة منخفضة على العموم حسب ما ورد ذكره في

[1] -Fray Diego (de) Haedo, **Histoire et topographie**, op-cit, p130.

[2] – صالح عباد، **مرجع سابق**، ص 526.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 191.

[4]– المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة النقود والأسعار**، مرجع سابق، ص 7.

مخطوط "صالح باي" «**أن من الله تعالى عليه أن جعل العافية والهناء في أيامه وصار السعر رخيصا**" وفيما يلي قائمة لبعض أسعار المواد والسلع في عهد صالح باي:

جدول رقم (27) أسعار بعض المواد في عهد صالح باي[1]

السلعة	سعرها
صاع القمح	ربع ريال وخروبة وقد يصل إلى ثلاثة أثمان
صاع الشعير	ثمن ريال وخروبة
رطل السمن	ربع ريال
رطل الزيت	على حسب الأرطال فتارة أربعة ارطال بريال وقد يزيد وينقص
رطل العسل	ربع ريال
التمر	ثمن ريال لثمانية أرطال
الكبش	نصف ريال وقد يصل إلى ريال
النعجة	نصف ريال

مثلت فترة حكم "صالح باي" أزهى المراحل التاريخية لمدينة قسنطينة حيث عرفت المدينة تطورا ملحوظا في جميع المجالات، وأثر ذلك على حركية الأسعار في المدينة فكانت المواد والسلع متوفرة وأسعارها منخفضة.

غير أن هذه الأسعار تأثرت بالأزمات التي تعرضت لها المدينة في سنوات القحط والجفاف والأمراض، مثل ما حدث سنة 1802م أين ارتفعت أسعار الحبوب من القمح والشعير إلى أضعافها، كما نقصت النقود في الأسواق وهو ما عبر عنه العنتري بقوله: "إن دراهم قليلة في أيدي الناس وفي ذلك الزمان شدة وعزيزة للغاية فالبقرة الغالية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات والكبش بخمسة"[2]، أما في سنة 1807م وبعد تحسن الأوضاع الصحية نزل سعر القمح إلى مستويات معقولة إلى أن رجعت الاضطرابات في الأسعار ما بين 1815م-1817م[3].

---

[1] -مخطوط صالح باي، **مصدر سابق**، و15.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **مجاعات**، مصدر سابق، ص 34.

[3] -المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة النقود والأسعار**، مرجع سابق، ص 164.

كما احتلت كذلك أسعار الحيوانات مكانة مهمة في أسواق التبادل، وكانت تباع بمواصفات يحددها المشتري كاللون والسن وكانت تباع بالجملة لكن بأعداد قليلة، أما أسعار الحلي في المدينة فكانت دائمة الارتفاع وخاصة الحلي ذات المعادن الثمينة كالذهب والفضة التي تنال رواجا عند نساء المدينة[1]. ونحاول من خلال الجدول الموالي رصد أسعار بعض السلع في المدينة أواخر العهد العثماني.

جدول رقم (28) أسعار بعض السلع والمنتوجات في مدينة قسنطينة بعد فترة "صالح باي" من إعداد الطالبة[2]

السلعة	سعرها	المصدر
ملحفة كمخه	ما بين 40 و50 ريال	السجل 07 سنة 1237هـ
ملحفة أملس	50 ريال	السجل 08 سنة 1241هـ
ملحفة سكندراني	ما بين 15 و20 ريال	السجل 03 سنة 1216هـ
قمجة	ما بين 5 و10 اريلة	السجل 07 سنة 1237هـ
مقواس فضة	ثمانية أريلة غير ربع ريال	السجل 02 سنة 1205هـ
مقواس ذهبي	74 ريال	//
خلخال	أربعة أريلة	السجل 02 سنة 1205هـ
بقرة	بين 15 و20 ريال	السجل 07 سنة 1237هـ
الدار	ما بين 40 إلى 100 ريال	السجل 01 سنة 1202هـ
القمح	من واحد ريال إلى 15 ريال	العنتري
الشعير	إلى 7 ريال	العنتري
الأحصنة	من 100 إلى 200 ريال	المنور مروش

نخلص من خلال الجدول أن الأسعار في مدينة قسنطينة غير ثابتة بل هي تتغير وفق للأوضاع الاقتصادية والعوامل المؤثرة فيها مثل المجاعات والأمراض، وهو ما نلاحظه من خلال

[1] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 113-117.

[2] –سجلات المحكمة الشرعية.

تغير أسعار القمح والشعير والسلع الأخرى، كما تعود حركية الأسعار إلى استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية فكل ما كان الاستقرار تستقر الأسعار والعكس ترتفع الأسعار أثناء الاضطرابات والثورات والمجاعات والكوارث الطبيعية.

5.5. الموازين والمكاييل:

أما فيما يخص الأوزان والمكاييل، فقد انتشرت في مدينة قسنطينة المكاييل والأوزان المستعملة في المدن الجزائرية على العموم لوزن وقياس السلع والمنتوجات وخاصة الحبوب، غير أن هذه الموازين والمكاييل لم تكن مضبوطة وتختلف من منطقة إلى أخرى. فبالنسبة للمكاييل نجد الصاع وهو المكيال الذي يستعمل لكيل الحبوب بأنواعها أو الملح ويساوي عادة 150 كلغ، حسب المواد التي يقاس بها[1]، كما أستعمل في الشرق الجزائري خاصة في معاملات الشركة الفرنسية القفيز وهو يعادل 300 كلغ ويعرف باسم القيسة، كما عرف بايلك الشرق وحدة كيل تعرف بالحمولة والتي ترفق بوسيلة نقل كأن نقول حمولة حمار أو حمولة زايلة أو حمولة جمل، وتستعمل في الغالب في تعاملات القبائل مع الشركة الفرنسية، بالإضافة إلى المد وهو يستعمل في عملية البيع بالتجزئة[2].

أما فيما يتعلق بالموازين أو وحدات الوزن، فنجد الرطل وهو وحدة أساسية وفيه عدة أنواع منها الرطل الخضاري لوزن الخضر والفواكه، وهو في الجزائر أكبر من الرطل الأوروبي ويساوي 28 أوقية[3]، والرطل الكبير الذي يساوي بالغرامات 921.5 غرام[4]، بالَإضافة إلى الرطل العطاري ويتراوح وزنه ما بين 12 و28 أوقية ومتوسطه 26 أوقية أو حوالي 270غ، يستعمل في وزن التمر والتين والزيتون وغيرها من الفواكه الجافة، كما يستعمل أيضا في وزن العسل والصابون[5].

---

[1] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 43.

[2] – صرهودة يوسفي، **الاقتصاد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 153–154.

[3] – أوقية: مقياس للكيل متوسط وزنه 30 غراما.

[4] –حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، مصدر سابق، ص 32.

[5] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 42.

أما بالنسبة لوحدات قياس الأطوال فنجد الذراع ويقصد به ذراع اليد، وهو مقياس الأطوال الشائع في سوق الأقمشة، وتتعدد أصنافه حسب المواد التي تقاس به، فهناك الذراع العربي (الذراع العادي) للأقمشة القطنية والأغطية والحبال ويساوي 0.52 متر، والذراع التركي (الذراع المتوسط) لقياس أقمشة الكتان والحرير ويساوي 0.67 متر[1].

وبالنسبة لقياس مساحات الأراضي فتستعمل الزويجة وتكون حسب طبيعة التربة والمناطق وتتفاوت ما بين 8 و10 هكتارات، ونصف الزويجة يسمى الفرد أي الذي يحرثه ثورا واحدا ، أما للبساتين فيستعمل الفدان والحبل الذي يساوي عددا معينا من الأذرع[2]، كما يمكن أن تقدر بمقاييس ترتبط بكمية الحبوب التي تزرع فيها مثل الرقعة والتي حددت مساحتها بزرع (عشر أثمان)، وأحيانا ترتبط بالوقت مثل المطيرة والجابدة وهي مصطلحات محلية ما زالت تستعمل إلى يومنا هذا في عدة مناطق من الجزائر[3]، بالإضافة إلى الشبر الذي يستعمل لقياس الأشياء الصغيرة.

نخلص من خلال هذا العرض إلى ما يلي:

يرتكز الاقتصاد التقليدي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني على الزراعة والرعي وما تنتجه الأرياف، ورغم بساطة الوسائل غير أن الإنتاج كان وفيرا وخاصة الحبوب، أما في المجال الصناعي فكانت الصنائع والحرف التقليدية واليدوية منتشرة في المدينة وموزعة على مختلف الأحياء والورشات ومعظمها كان مرتبط بالثروة الحيوانية، كما مارس هذه الحرف كل فئات المجتمع واختصت كل فئة بأعمال معينة، أما التجارة فكانت مزدهرة بنوعيها الداخلية والخارجية خاصة في عهد صالح باي، أين عرفت المدينة تطورا في جميع المجالات مشكلة مركز الثقل الاقتصادي للشرق الجزائري.

---

[1] – عبد الله بن محمد الشويهد، **مصدر سابق**، ص 42.

[2] – المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة النقود والأسعار**، مرجع سابق، ص 410.

[3] – عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 53.

الفصل الرابع

تطور العمران الحضري لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

1. العمارة السكنية.
2. العمارة الدينية.
3. العمارة الخدمية والمرافق الحضرية.
4. العمارة العسكرية أو الدفاعية.
5. المنشآت العمرانية للشبكة المائية

يعد النسيج العمراني مظهرا من المظاهر الحضارية للمدن عبر مختلف العصور التاريخية، ومدينة قسنطينة واحدة من المدن المتميزة بعمرانها الرائع وهندسة شوارعها وجسورها، لذلك وجب التعرف على المكونات العمرانية للمدينة أواخر العهد العثماني بمختلف تشكيلتها السكنية كالبيوت، والعمارة الدينية المتمثلة في المساجد والزوايا، والعمارة الخدمية كالمرافق العامة من حمامات وفنادق وأسواق، بالإضافة إلى العمارة العسكرية المتمثلة في الأبراج والأسوار والحصون، ومنشآت الشبكة المائية، ومدى توافقها مع البنية الاجتماعية لسكان المدينة قبل الاحتلال الفرنسي. وعليه نطرح التساؤل التالي: ماهي أهم المظاهر العمرانية التي ميزت مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني؟

1. العمارة السكنية:

تعد العمارة السكنية مظهرا عمرانيا للتجمع البشري وهي تتكون من مجموعة وحدات عمرانية، والبيوت هي الوحدة الأساسية المكونة لهذا التجمع الحضري في المدن والأحياء[1]، لذلك وجب التعرف على مكوناتها وبعض مرافقها الضرورية للتواجد الإنساني والملجأ الذي يوفر جزءا كبيرا من الاحتياجات الاجتماعية والثقافية والنفسية، والمكان الذي يشعر فيه الإنسان بالخصوصية وفيه يمكنه أن يظهر شخصيته الحقيقية، لأن المسكن هو حلقة الوصل بين الإنسان ومجتمعه[2]، فهو أهم رمز للاستقرار الاجتماعي والاندماج ضمن الجماعة لذا يمكن اعتبار دراسة أماكن سكن الفئات المشكلة للمجتمع القسنطيني هو السبيل الذي يعرفنا على مدى اندماجها مع بعضها البعض[3].

---

[1] – لمين ملاك، (الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية في ضوء فقه الوثائق في الغرب الإسلامي (ق4–10هـ/10–16م)، **أطروحة دكتوراه في تاريخ حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي**، تاريخ وسيط، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2021–2022، ص 286.

[2] – رانية محمد على طه، (التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان –حالة دراسية البلدة القديمة بنابلس)، **رسالة ماجستير**، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010، ص 36.

[3] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 47.

1.1. المسكن مرآة العلاقة بين العمران والإنسان:

يعتبر المسكن من أهم الملامح الرئيسية للنسيج العمراني في المدن وأحد الأسس التي تحدد الحالة الاجتماعية والاقتصادية لساكنيها[1]، ويعرف من الناحية اللغوية على أنه السكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه، ويستعمل في الاستيطان فنقول ذهبت إلى مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه الآن، والسكن هو الإيواء والانتفاع، وهو حفظ النفس وسترها وأيضا حماية الإنسان من الجو والمناخ والناس، وهو يحتاج إلى شروط معمارية وبيئية، ويعني كذلك متانة البيت أو المنزل والدار، وتعرف على أنها مكان الإقامة تهيئ للناس في مجتمع معين وهو الذي يؤمن استقرار الحياة، كما يطلق تعبير البيت كاسم لسقف واحد له دهليز يتخذ مأوى للإنسان والبهائم سواء من حجر أو غيره، وقد اقترن اسم البيت بالعائلة لأن البيت أو المسكن هو رمز العائلة، والمنزل كمصطلح مشابه يعني مكان النزول من ينزل نزولا ومنزلا أي يحل بالمكان، أما مصطلح الدار فيعني البيت كقول بيت فلان[2].

يعد النمط العمراني العربي القديم أهم مميزات مباني المدينة القديمة وهو الوحيد قبل الاحتلال ومزال إلى الآن يشكل معظم البيوت القديمة في الجزء الجنوبي منها، ويتضح ذلك من خلال أشكالها وهندستها المعمارية ومواد بنائها القديمة، وهي في أغلب الأحيان متلاصقة وشوارعها ضيقة متعرجة وغالبا ما تكون هذه المباني مكونة من ثلاث طوابق أو أربعة[3]، وتنقسم مناطق السكن في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية إلى نوعين؛ منطقة السكن الكثيف بجوار الخلية المركزية أين توجد مباني ومنازل الطبقات الميسورة وكان على هذا الشكل بهدف تقريبها من مركز الأعمال، وسعر الأرض بها كان مرتفعا إلا أن هذا النوع من المساكن كان خاليا من الحدائق،

---

[1] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 276.

[2] – العمودي التجاني، (العلاقة بين العمران والإنسان في القصور الصحراوية)، **مجلة الإعلام والمجتمع**، المجلد 3، العدد 2، ديسمبر 2019، ص 24.

[3] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 280.

أما المنطقة الثانية والتي تسمى بمنطقة الضواحي فكان يسكنها الوافدون الجدد إلى المدينة وكان لكل منطقة مسجدها الخاص[1].

ولا يختلف البيت القسنطيني عن منازل المدن الإسلامية والمغاربية الأخرى، فهو يخضع إلى المستوى الاجتماعي والمالي للأسرة، فالطبقة الميسورة تبني منازلها وقصورها من عدة طوابق وبمواد بناء رفيعة، بينما الأسر الفقيرة تكتفي بالطابق الأرضي وبمواد بناء بسيطة[2]، وقد ذكر "الحسن الوزان" أن مدينة قسنطينة ونظرا لحجمها كانت تضم حوالي ثمانية آلاف كانون أي بيت، وهي متحضرة جدا ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالمساجد والمدارس والزوايا[3]، وعلى غرار الدور الحضارية بالمدن المغربية تتميز مساكنها من حيث الموقع بانحصارها وسط الأزقة مديرة ظهرها للشارع الخارجي، ويكون السقف بالقرميد وتتكون من العناصر الأساسية للدار وهي السقيفة بساحة وتختلف حسب الثروة والمساحة، ومن وسط الدار في الطابق الأرضي وغرف في الطابق العلوي[4].

تميزت المنازل في مدينة قسنطينة على اختلاف أنواعها بوجود فناء مكشوف قد تكون فيه أشجار وأحيانا يتوسط كتلة المبنى وتلتف حوله بقية الوحدات المعمارية الرئيسية منها والثانوية كي تستمد منه معظم حاجياتها من الضوء والتهوية، ثم يستمد الباقي من الطرق والشوارع الخارجية، أما الأبواب فكانت صغيرة جانبية[5]، وكانت دور المدينة مبنية بالطوب واشتهرت بأبوابها المؤطر بصفائح وألواح، وكان في كل دار مطمورة أو أكثر لتخزين الحبوب[6].

وكان هذا الفناء مفتوح من أعلى تحيط به بيوت ويجاورها مصدر الماء الوحيد بالمبنى وكذلك المرحاض في أجد أنحاء هذا الفناء الذي يطلق عليه وسط الدار، ويوجد السلم الموصل

---

[1] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 85–86.

[2] –عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 66–68.

[3] –حسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، **مصدر سابق**، ص 56.

[4] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 255.

[5] –بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 90.

[6] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 89.

إلى الدور الثاني ومنه إلى السطح وتطل هذه الأدوار كلها على الفناء وتنقسم إلى غرف، ويعتبر وسط الدار مركز الحياة اليومية للمبنى حيث يلعب دورا هاما في الحياة اليومية للسكان، وتتميز هذه المباني بقلة نوافذها وضيقها وخاصة المطلة على الشارع، وكذلك الأمر بالنسبة لسطوحها وهو ما يشجع على الحياة المنعزلة المغلقة لأن الحفاظ على خصوصية الحياة داخل المبنى كان مطلبا اجتماعيا في ذلك الوقت، كما أدى إلى فصلها عما يدور حولها من نشاط بواسطة الجدران الخارجية لتأمين قدسية الحياة الخاصة وممارسة أفراد الأسرة لها في حرية تامة ولهذا كانت البيوت تنفتح على وسط الدار أو الفناء[1].

إن تصميم المسكن التقليدي على هذا النمط وبإطلالته على الفناء الداخلي يحقق مزايا منها الخصوصية لساكنيه، والبيئة المحلية الألطف جوا وإمكانية التوسع بحسب حجم العائلة، هذا التوجيه إلى الداخل يسمح بتقليل الفتحات الخارجية وبالتالي يؤدي إلى تحقيق الخصوصية البصرية والسمعية، أما من الجانب الاجتماعي يحقق الفناء الأمان للسكان ويساعد على توفير فراغات آمنة كما يحقق إمكانية فصل حركة المشاة وبالتالي يوفر مكانا آمنا لمزاولة الأنشطة الاجتماعية من مقابلات ولقاءات وتعارف كما يسهل علاقات الجيران وبالتالي يعتبر مكان معيشة خارجي للسكان[2].

2.1. المسكن الجماعي:

كانت أغلب المساكن في المدينة ملكية خاصة تنتقل بالبيع والشراء، وبعضها ملك للمؤسسات الدينية والبعض الأخر لموظفي الدولة والبايات والأعيان، كما كانت من أهم العقارات في عمليات البيع والشراء وهو ما يدل عليه أحد عقود عينة الدراسة حيث جاء فيه" " **الحمد لله وفيه باع علي بن أحمد المغاسي ... جميع الربع من الدار الشرقية المفتح التي تقع قرب ...باب الجابية لزوجته أمة الله عزيزة بنت سي عمر.. بمائتي** ريال **وخمسين** ريال **..."**[3].

---

[1] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 280-282.

[2] – العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 18.

[3] – **و. م. ش**، السجل 1، و67، المؤرخة في 23 محرم 1203هـ، أ و. ق.

وتعد العناوين الواردة في تصريحات الشهود في الوثائق العدلية خريطة للمعالم العمرانية والمنشآت العامة في مدينة قسنطينة، فهي توصف أهم البيوتات حجما أو منزلة أو الاثنين معا، وكذلك علاقة السكان بمحيطهم وكيف يتوجهون من بيت لآخر[1]، وحفظا لأملاك الأشخاص في غياب التسجيلات يلجأ العديد من الأفراد إلى تسجيل تفاصيل دقيقة للمحافظة على أملاكهم، كذكر الجيران أو مثلا المحاذية لزاوية أو أي معلم آخر وهو مؤشر مهم يساعد في تشكيل ملمح خريطة الملكيات السكنية وتوزيع الأحياء وتحديد الجوار، وهو ما يسمح بتحديد الملكيات بأسماء أصحابها وجيرانها[2]، ويرتبط المسكن بالطابع الاجتماعي السائد في التركيبة العامة، وتتنوع أشكالها حسب موقعها في الأحياء والملاحظ أنها تتفق في عناصرها المعمارية[3].

إن التقسيم المعماري لهذه المباني الجماعية جاء أساسا لخدمة العائلة الكبيرة، حيث كان لكل عائلة كبيرة دار تحمل اسمها وكان التعايش في هذا الإطار مقبولا ودون مضايقات، إلا أن أزمة السكن وازدحام المباني وكذلك دخول أسر جديدة إلى السكن لا تربطها أي علاقة قرابة بالعائلة الأصلية أدى إلى إعادة تقسيم المباني لتوفير مزيدا من الغرف، وكان لهذه التحولات انعكاس كبير على التوازن الذي كان موجودا بين عدد الأفراد وعدد البيوت[4].

واشتهرت الدور في مدينة قسنطينة بسمعة وشهرة أصحابها أو مالكيها، وقد يلجأ البعض لها للتعريف بموقع أخر يقع بالقرب منها وذلك لرسوخها في أذهان سكان المدينة، وقد تكفي شهرة صاحب الدار ونادرا ما يضاف له معلومات حول الحومة أو الزنقة، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على صغر مساحة المدينة فهي محدودة المجال وتدل كذلك عن التقارب الاجتماعي الذي يكون فيه الجميع يعرف الجميع تقريبا، ومن بين هذه المنازل التي استعملت كمعالم مكانية نجد دار بن جلول، دار الشيخ الراشدي، ودار التباني بيك بالشارع، ودار المصري بالأربعين شريفا،

---

[1] –قشي فاطمة الزهراء، (معالم قسنطينة وأعلامها)، **مجلة انسانيات**، العددان 19–20 جانفي–جوان 2003، ص 9.

[2] – لمين ملاك، **مرجع سابق**، ص 285.

[3] –العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 24.

[4] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 282.

ودار سي علي حجوج، ودار ابن زيان بالزلايقة، ودار سي عمار بن زقوطة ودار أبي الضياف وغيرها...[1]، وكان ملاك البيوت في أغلب الأحيان لا يسكنون وحدهم بل يخصصون شطرا منها للكراء سواء للأجانب أو للخدم والأعوان[2]، ويوجد عدد كبير من الأفراد يسكنون معا في نفس المسكن، ويتضح ذلك من خلال وثائق عينة الدراسة التي تشير إلى أن بعض السكنات أو المباني يسكنها خمسة أشخاص على الأقل مثال دار بن عون ودار العطار، وكان جزء من ساكني هذه المنازل لا يشتركون بالضرورة في الروابط الأسرية[3]، ومثال ذلك ما يشير إليه التصريح رقم 2 الوثيقة 32م من سجل الوفيات الذي جاء فيه: "**الحمد لله ... حضر مبارك بن محمد البدري الساكن بدار بن ثابت بحومة باب الجابية...**".

وللتفصيل في العمران السكني نأخذ بعض النماذج من الدور السكنية بمدينة قسنطينة من خلال ما ورد في سجل الوفيات وهي موزعة كما يلي:

جدول رقم (29) نماذج لبعض الدور وأصحابها من إعداد الطالبة[4]

صاحب الدار	موقعها	المصدر
دار قدور بن الحاج إسماعيل قايد السوافة	قرب سيدي يحي الوصيفي	سجل الوفيات و12 م، ع 1.
دار بن سعيد	قرب سيدي أبي بومعزة	سجل الوفيات و104 م، ع 3.
دار بن العطار	قرب سيدي علي بن مخلوف	سجل الوفيات و70م، ع 1.
دار عمر بن صالح	المواجنة سيدي الرماح	سجل الوفيات و103م، ع 2.
دار بوشناق	حومة سيدي الجليس	سجل الوفيات و103م، ع3.

[1] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 250. وقد تطرقت الأستاذة فاطمة الزهراء قشي في دراستها الموسومة بقسنطينة المدينة والمجتمع إلى هذه التصنيفات، وترتيب هذه المساكن حسب سلم الجاه أو المال أو الحسب والنسب بالتفصيل.

[2] – قشي فاطمة الزهراء، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع نفسه، ص 239.

[3] - Isabelle Granguad, **op.cit.,** p 111-112.

[4] – سجل الوفيات المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة

دار بن ضيف	رحبة الصوف	سجل الوفيات و103م، ع 1.
دار بن شعلال	قرب سيدي عبد الله بحومة باب القنطرة	سجل الوفيات و13، ع 1.
دار سي عبد القادر الونيسي المؤدب	باب الجابية	سجل الوفيات و105، ع 3.
دار العمراني	قرب فندق بن فرجيوة	سجل الوفيات و44م، ع 1.
دار الشيخ الميلي	بتربيعة المناجل	سجل الوفيات و44م، ع 2.
دار بن سليمان	قرب سيدي علي بن مخلوف	سجل الوفيات و32، ع 2.
دار بن ثابت	حومة باب الجابية	سجل الوفيات و32م، ع 2.
دار بن نعمون	بالبطحاء	سجل الوفيات و54م، ع 2.
دار سي التهامي بن الطبال	بالرقاقين	سجل الوفيات و39، ع3.
دار نعمان	زنقة الروامل	سجل الوفيات و96، ع 1.
دار على بودالي	زقاق البلاط	سجل الوفيات و39، ع 3.
دار لحاج محمد الطباخ	البطحاء	سجل الوفيات و58م، ع3.
دار بن جلول	تقع في حي القصبة إلى الجانب الغربي من جامع ومدرسة سيدي الكتاني.	سجل الوفيات

نلاحظ من خلال الجدول أن معظم ملاك الدور والمساكن كانوا من العائلات الحضرية، وكانت هذه البيوت تضم في أغلب الأحيان عائلتين أو أكثر، كما نقرأ من الجدول كذلك أن بعض عناصر البرانية بعد استقراهم بالمدينة أصبحوا من ملاك الدور مثل دار الشيخ الميلي ودار الصفاقسي.

3.1 السكن في المرافق المختلفة:

شكلت المرافق المختلفة كالمساجد والزوايا والمقاهي، بالإضافة إلى دورها الديني والتعليمي مكانا لسكن بعض الفئات التي لا تملك مأوى في مدينة قسنطينة، وخاصة فئة البرانية والإنكشارية الذين يسكنون في أغلب الأحيان في مكان عملهم[1]، وهي الفئات الاجتماعية غير المالكة لسكن، ففئة البرانية التي تأتي من الضواحي للبحث عن العمل ولا تملك مكان للاستقرار مع بداية قدومها لذلك كانت تتخذ أماكن العبادة كالزوايا والمساجد مكانا للإقامة، كما لعبت الحمامات والمقاهي دور الفنادق بالنسبة للأشخاص القادمين من المناطق البعيدة سواء لقضاء الحاجات أو للعمل فقد كانت مأوى للطبقات الفقيرة لانخفاض أسعارها[2].

ومن خلال التصاريح الواردة في سجل الوفيات يظهر أشخاص يسكنون داخل حدود المسجد (تاجر، خياط وحلاق)، كما عثرنا على بناء يعيش في ضريح وزاوية المدينة، حيث كانت الزاوية والضريح والمسجد بمثابة سكن، وآخرين يقيمون في محل عملهم مثل القهواجي أو صاحب المقهى، كذلك النساج في ورشة حياكة وجزار صانع أحذية، وهي كلها أماكن متاحة للإقامة في المدينة[3]، ومن أمثلة ذلك "**عمار بن الحاج عاشور السراج الساكن بزاوية مولاي الطيب**"[4]، وكذلك في التصريح رقم 2 في الوثيقة 54م، جاء فيه ذكر عبد الله الساكن بحمام بسوق الغزل.

وأشار عدد من عقود عينة الدراسة إلى سكن عناصر الإنكشارية مع أصهارهم، وذلك تنفيذا لشروط الزوجة" ألا يخرجها من دار أبيها"، وأن الإنكشاري لا يستقر دائما في منزل واحد فيكتري المنزل ليتزوج به، وإذا حصل الانفصال عن زوجته يترك منزل الزوجية، وكان يلتزم أحيانا بدفع كراءه لصالح مطلقته لفترة معينة، كما مثلت الفنادق أماكن للسكن هذه العناصر فمنهم من كان يكتري غرفا بالفنادق ويستقر بها[5].

---

[1] - Isabelle Grangaud, **op.cit.,** p 113- 120.

[2] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 284.

[3] -Isabelle Grangaud, op **cit.**, p 120.

[4] – **سجل الوفيات**، و 23م، ع3، أ. و. ق.

[5] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 47–48.

ونحاول من خلال هذا الجدول التطرق إلى أمثلة عن المرافق التي اتخذت كمكان للسكن من طرف مختلف فئات مجتمع المدينة.

جدول رقم (30) أمثلة عينة من ساكني المرافق المختلفة من إعداد الطالبة[1]

الشخص	مكان السكن
عمار بن الحاج عاشور السراج	الساكن بزاوية مولاي الطيب
سي محمد بن مصطفى، ومسعود البناي	الساكن بزاوية الشيخ باش تارزي
محمد بن الزواوي	الساكن بزاوية السواري
عمر العباسي	الساكن بفندق بن نعمون
عبد الله	الساكن بحمام بسوق الغزل
علي بن محمد البلاغجي	الساكن في الحانوت براس الخرازين
محمد بن الحاج الحوكي، والحناشي بن محمد العسكري، وسليمان بن صالح العسكري	الساكن بقهوة الرصيف

نقرأ من خلال الجدول أن بعض فئات الاجتماعية في المدينة كانت تلجأ للسكن في مختلف المرافق مثل المقاهي والزوايا والحمامات والحوانيت وهي الفئات الغير مالكة للدور، أما عناصر الإنكشارية فكانت في أغلب الأحيان تسكن مكان عملها كالمقاهي والورشات أو تكتري غرفا في الفنادق.

4.1. السكن في العلو والخراب:

1.4.1. العلو أو الهواء أو السقف: العلو هو الجهة التي تعلو الملكية حيث تنص القاعدة على أن من تملك أرضا ملك ما فوقها من الهواء وما تحتها وهو المتعارف عليه، وقد اشترط الفقهاء في معاملة البيع أو الايجار المتعلق بالهواء أن يتم الوصف الدقيق الذي ينفي الجهل والغرور[2].

---

[1] – **سجل الوفيات**، المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة.

[2] – صرهودة يوسفي، **معاملات ومبادلات**، مرجع سابق، ص 29–30.

ويعد بيع أو كراء الهواء من التشريعات العمرانية في الفقه المالكي، وهو بيع أو كراء الدار العلوية أو السقف للبناء عليه أو للسكن، وهو وجه من وجود التطور العمراني وحماية الملكيات وتحويلها من جهة لأخرى، فقد يضطر الأفراد لدواعي عديدة شراء هواء بيت للبناء عليه، كما قد تدفع الحاجة الاقتصادية للبائع والمشتري، أو ما توفره من مردود يكون في بعض الأحيان أفضل من شراء قطعة أرض للبناء عليها[1].

ولا يجوز لهذا المشتري التصرف في الهواء أو السقف بالبيع والشراء، إلا برضى الطرف الأسفل، وهو ما ينتج عنه التداخل العقاري بين المالك الأسفل والأعلى والعديد من الخلافات المستقبلية بين الطرفين، غير أن الحاجة والضرورة تدفعان الطرفين لهذا النوع من الاتجار في هذا العقار لعدة أسباب منها، الموقع المهم وسط المدينة والقرب من مراكز النشاط التجاري بالإضافة إلى غلاء سعر الأراضي[2]، وقد ظهر هذا النوع في عقود البيع والشراء حيث كان يستغل سواء في البناء مثل ما فعل "صالح باي" أو لأغراض أخرى ونسجل في وثائق عينة الدراسة التي ترصد شراء "صالح باي" العلو الغربي المفتح الملاصق للجامع والذي كان في السابق كوشة غربية الباب "لابن زيان" وجميع الاسطبل الراكب عليه العلو المذكور[3]، ويشكل الطابق العلوي في المدينة في العهد العثماني سواء كان متجرا أو اسطبلا أو ملحقا بالمنزل والجزء المطل على الشرفة والذي يتم الوصول إليه بواسطة السلم المشترك، مكانا يعيش فيه الأفراد خاصة فئات البرانية الذين يسكنون في أغلب الأحيان في مكان عملهم[4]، و نحاول من خلال هذا الجدول رصد بعض الأفراد الذين سكنوا العلو أو الهوا في المدينة.

---

[1] –لمين ملاك، **مرجع سابق**، ص 263–264.

[2] – **نفسه**، ص 264.

[3] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف 1185هـ–1207هـ/1771م–1792م**، مصدر سابق، ص 39.

[4] - Isabelle Grangaud, **op.cit,** p 113- 120.

جدول رقم (31) عينة من ساكني العلو أو الهوى من إعداد الطالبة[1]

بعض الأشخاص الذين سكنوا العلو	مكان تواجده	المصدر
سعيد ابن إبراهيم الساكن بعلو حسين باي	//	سجل الوفيات، ع3، و43.
محمد بن عبد الله السراج الساكن بعلو بوصبع		سجل الوفيات
بوخالفة الحمار الساكن بعلو فرفار محمد	//	سجل الوفيات، ع3، و96.
صالح بن شيخ العرب الساكن بعلو بن سنان	قرب كوشة الجامع	سجل الوفيات
أحمد بن مبارك التاجر برحبة البلد الساكن بعلو الحداد بباب الجابية	باب الجابية	سجل الوفيات
الطاهر بن مكروهة الشباري الساكن بعلو في حومة البرادعيين	حومة البرادعيين	سجل الوفيات، ع1، و27.
عمر بن عزوز الجزار الساكن بعلو بن خنوش	//	سجل الوفيات، ع 2، و28م.
علو بريكة		سجل الوفيات
علو الحملاوي	مواجه لرحبة الجمال	سجل الوفيات
محمد بن إبراهيم الساكن بعلو السيد خليل بن المسبح	//	سجل الوفيات، ع1، و82.
محمد بن ال... البرادعي الساكن بعلو بن الشريف الصباغ	//	سجل الوفيات، ع3، و82.

[1] – سجل الوفيات، المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة.

محمد بن غانم الساسي الساكن بعلو بوشطيبة	بالبطحاء	سجل الوفيات، ع1، و102.
سي محمد الشريف بن السويكي الساكن بعلو بن باديس	قرب سيدي علي بن مخلوف	سجل الوفيات، ع3، و25.

إن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها سكان المدينة جعلت الفئات الغير مستقرة مثل فئة البرانية تبحث عن أماكن للإقامة، وقد شكل العلو أو الهواء مكانا للسكن المؤقت لهذه الفئات كما تم بيع وشراء العلو من طرف الحكام الأعيان وإعادة بنائه واستغلاله في أغراض مختلفة.

2.4.1. الخراب:

يشير مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة وكذلك سجلات المحاكم الشرعية وسجل الوفيات، إلى أن هناك نسبة كبيرة من البنايات في المدينة تعرضت إلى الخراب والاندثار، وذلك راجع إلى أنها تعود لفترات يزيد عمرها عن القرن من الزمن، وهو عاملا أساسيا في اندثارها وتحولها إلى خراب حيث تم إحصاء مسجدين و18 حانوتا و15 دارا وتربيعة تحولت إلى خراب[1].

وكان الخراب كغيره من العقارات الأخرى يباع ويشترى لأغراض مختلفة، وخاصة من طرف الحكام والأعيان، وهو ما يظهر وفي احدى عقود أوقاف "صالح باي" الذي يشير إلى عقد شراءه لخراب وايقافه جاء فيه: "**الحمد لله بعد أن استقر على الملك المعظم الأرفع الفضل الأمنع سيدنا صالح بي أيده الله تعلى جميع الخراب الذي له بابان أحدهما شرقي المفتح والآخر غربي... تملكه بالشراء الصحيح والثمن المقبوض...**"[2].

---

[1] – عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة**، مصدر سابق، ص 132.

[2] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق، ص 26.

كما استعمل الخراب كمسكن للفئات الغير مالكة للسكن وعلى وجه الخصوص فئة البرانية نظرا لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية مثل خربة بن سعيد[1]، ومن خلال الجدول الموالي نحاول رصد لبعض الأماكن التي يوجد بها خراب من خلال ما ورد في وثائق عينة الدراسة.

جدول رقم (32 الخراب ومكان تواجده في المدينة[2]

الخراب	مكان تواجد
الخراب الذي له بابان	بين مسجد الشيخ البركة سيدي البيازري وبيعة اليهود يجب الرجوع لها
الخراب	الكاين بمحلة سوق الجمعة يحده قبلة حوش كان على ملك ابن ناصف
خراب سي محمد بن دربال	//
خراب لابن السراج صار بعده لورثة سي حسين بن دالي	//
خراب شرقي المفتح	قريب من كوشة الشارع الغربي المفتح داخل قسنطينة
قطعة خراب	ملاصقة للخراب الشرقي المذكور
خراب	سوق الجمعة جعله صالح باي فندقا (77 بيتا)
خراب	قرب سوق الجمعة
خراب	محلة شارع الذميين
خراب الجوفي المفتح	الملاصق للدار الكبرى الغربية من الجامع الأعظم داخل القصبة
خربة	ابن أبي عشرة بها أشجار

نستنتج من خلال هذا الجدول، أنه رغم تعرض بعض البنايات في المدينة للخراب والاندثار، غير أنها استعملت كأماكن لسكن بعض الفئات الهشة وهو ما يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي المتدني لها، كما اشترى الأعيان والبايات الخراب لإعادة بنائه واستغلاله مثل ما فعل "صالح باي".

---

[1] - Isabelle Grangaud**, op cit**, p 43.

[2] –فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق.

5.1. التضامن والانسجام الاجتماعي بين الجيران:

رغم الاختلاف في أماكن السكن غير أن أهم ما ميز مجتمع مدينة قسنطينة هو الانسجام الاجتماعي، حيث بلغت هذه الفئات أواخر العهد العثماني أعلى درجات الترابط الاجتماعي، فالاستقرار الداخلي طور وشجع الروابط الثقافية والاجتماعية بين الفئات والعناصر المختلفة المشكلة لمجتمع المدينة[1]، وكان التضامن بين الجيران هو أحد أساليب المميزة للتواصل الاجتماعي في المناطق الحضرية[2]، فالإنسان في المدينة يعيش تبعا لعوامل اجتماعية تعمل على خلق الرغبة في العيش في مكان دون آخر، منها وجود الأقارب، فكثير من الأفراد في بداية سكنهم يبحثون على مكان بالقرب من أقاربهم لتسهيل عمليات التواصل الاجتماعي وربما لطلب العون والمساعدة منهم أثناء الأزمات والصعوبات التي قد تواجههم، كما أن للجار دور كبير في اختيار السكن[3].

ويعتبر مفهوم وحدة الجيرة من أهم المفاهيم التي استند عليها في تخطيط المدينة وذلك تيمنا بأهمية الجار في الإسلام وضرورة الإحسان إليه، لذلك لم تكن العلاقة بين المباني علاقة جامدة، بل دخلت أيضا في تحديد سلوك الساكنين للعقارات وضرورة احترامهم الآداب العامة، وكان من حق الجيران إجبارهم على ذلك عن طريق القضاء[4]. والتعاون المتبادل بين أفراد المجتمع يعتبر ركنا بارزا في الحياة العامة، وبه يظهر مغزى احتياج الفرد إلى أخيه في شؤونه الدنيوية وفروضه الدينية[5].

وتظهر صور التضامن بين الجيران من خلال تصاريح الوفاة، حيث يأتي أشخاص من نفس المنزل للإبلاغ عن الوفاة حتى وإن لم يكونوا من نفس العائلة، ويضعون أنفسهم في المقدمة،

---

[1] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 97–98.

[2]- Isabelle Grangaud, **op.cit.,** p 120.

[3] –صلاح إبراهيم موسى بن دابة، (المتغيرات الاجتماعية ودورها في الحراك السكني بمدينة طبرق)، **مجلة القرطاس**، العدد السادس عشر، ديسمبر 2021، كلية الآداب، جامعة طبرق (ليبيا)، ص 214.

[4] –العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 19.

[5] –محمد بن عبد الكريم، **حمدان خوجة ومذكراته**، مرجع سابق، ص 65.

وتتداخل بذلك الروابط الأسرية مع مجتمع الإقامة، وهذه المساعدة المتبادلة في الحي تتوافق تماما مع العلاقات الحضرية في المدينة[1].

وهكذا كان التضامن يهيمن على المدينة وكانت ظروف السكن تؤدي إلى مداخلات الجوار التي تعد مظهرا من مظاهر التواصل الاجتماعي الحضري.

كما كان مبدأ التسامح والأخوة هو روح الحياة الاجتماعية في البلاد، ومن أبرز علامات هذا التسامح أن كل طائفة تحتكم لدى قاض من مذهبها الحنفية والمالكية وحتى الميزابية، أما اليهود فكانوا يحتكمون لدى "الحبر" وكانت لهم مدارسهم الخاصة، أما العبيد والسود فلهم قايد الوصفان، وكل هذه الفئات لا تشعر بالضغط من طرف الأكثرية مثل الفئة الحاكمة[2]، ونذكر في هذا الصدد عقد صلح من عينة الدراسة جاء فيه: "**الحمد لله وفيه اصطلح سي محمد بن عباس ... مع آمة الله مباركة بنت علي وزوجها عبد الله بن محمد على أن أسقطا على الأول الدعوة التي ادعاها عليه بأنه ضرب مباركة المذكورة فأسقطت جنينها على أن دفع لها ستة أريلة ولم يبق لهما فيه دعوة... للتاريخ**"[3].

وعليه فالطابع الرئيسي لهذا المجتمع هو الانسجام الاجتماعي، حيث بلغ المجتمع القسنطيني درجة عالية من الترابط الاجتماعي، كما أدى حضور الأتراك إلى تزويد المجتمع بلحمة هامة للامتزاج الثقافي الموجود من قبل[4]. فالتماسك الاجتماعي كان يقوى ويضعف وفقا لقوة وضعف العوامل التالية المبادلات التجارية في الأسواق والمناسبات كالأعياد، وكل هذا كان يخفف من حدة الصراعات ويعمل على تقريب القلوب بإحداث علاقات صداقة وتقارب[5].

---

[1]- isabelle Grangaud, **op.cit**, p116-.119

[2] – عبد الله الشريط ومحمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، مرجع سابق، ص 156.

[3] –**و. م. ش**، السجل الأول المؤرخ عام 1203هـ، و64، أ. و. ق

[4] –وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 97.

[5] –أحميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية**، مرجع سابق، ص 32.

2. العمارة الدينية:

أخذت العمارة الدينية في مدينة قسنطينة في العهد العثماني حيزا مهما في الحياة الدينية والثقافية، وخاصة في عهد "صالح باي" الذي أولى اهتماما كبيرا بها، فالمساجد والزوايا بالإضافة إلى دورها في العبادة فهي أماكن لنشر العلم والثقافة إلى جانب المدارس والكتاتيب، ونحاول في هذا الجزء التطرق إلى أهم مساجد وزوايا ومدارس المدينة.

1.2. المساجد

بدأ إنشاء المساجد بمدينة قسنطينة منذ استقرار الإسلام بها، ويرجع ذلك إلى أيام الفتح الأولى في عهد عقبة بن نافع، وأغلب المساجد التي بنيت بعد الفتح الإسلامي كانت بسيطة البنيان ليس لها فخامة ولا ضخامة إذ كان الأصل في الدين هو البساطة وعدم التكلف[1]، وأضفت المساجد على المدينة صبغتها الثقافية والدينية منذ القديم وعرفت عملية بناء المساجد بها استمرارية دائمة[2]، وأصبح بالمدينة عدد كبير من المساجد في العهد العثماني، واحتوى كل مسجد على مقاعد مخصصة لحفظ القرآن الكريم وشيخا لنظارة الأوقاف، وهذا العدد الكبير ازداد، خاصة في عهد "صالح باي" الذي حاول القيام بإصلاح شامل، وأنشأ مدارس عديدة وشجع الطلبة الذين كانوا يأتون من عدة قبائل وجهات للدراسة[3]، واختلف الإحصاءات حول عدد مساجد المدينة ففي عهد صالح باي الذي عنى بإحصاء المساجد وتشيدها وترميمها بلغت خمسة وسبعون مسجدا وجامعا، بالإضافة إلى سبعة مساجد تقع خارج المدينة، بينما جاء في إحصاءات متأخرة أن المدينة كانت تضم قبل الاحتلال خمسة وسبعون مسجدا[4]، ونحاول عرض أبرز وأشهر هذه المساجد.

---

[1]–كمال غربي، **المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2012، ص 92.

[2]– مبروك قارة، **مرجع سابق**، ص 20.

[3] – رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 35.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 248

- **الجامع الكبير:**

من أقدم مساجد المدينة حسبما دلت عليه كتابة عربية بخط كوفي كانت حول المحراب، وهو الجامع المعروف اليوم بهذا الاسم الموجود ببطحاء السويقة بشارع بن مهيدي، على يمين المتوجه نحو القنطرة القديمة الرابطة بين المدينة والسكة الحديدية وحي الأمير عبد القادر[1]، بني الجامع الكبير في العهد الحمادي، وشكل بيت الصلاة مربعا يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.30م والجنوبي الغربي 22.30م والشمالي الشرقي 22.2م، أما الشمالي الغربي فهو الأصغر طولا ويقدر ب 20.60م، ومنبره مصنوع من الخشب يقع على يمين المحراب ويتكون من سبع درجات له باب مزين بزخارف، وللجامع أربعة أبواب خشبية مفتوحة على الجدار الفاصل بين بيت الصلاة والصحن، ومن المشايخ الذين درسوا بالجامع الكبير الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي الذي تولى فيما بعد إدارة مدرسة قسنطينة[2].

- **جامع سيدي الأخضر:**

يعد هذا المسجد من أهم مساجد المدينة في العهد العثماني، بناه حسن بن حسين الملقب "أبو الحنك" الذي تولى حكم المدينة حوالي سنة 1150هـ/1737م إلى عام 1168هـ/1754م[3]، يقع جامع "سيدي الأخضر" بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف وهو يطل على الشارع من ناحية الغرب يعرف باسم شارع "سيدي لخضر" منذ زمن الاستعمار الفرنسي، ومن ناحية الجنوب شارع كان يعرف في نفس الفترة بنهج كامب، سمي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ "سيدي لخضر" الذي كان عالما في المسجد[4]، ومساحة الجامع متواضعة إذ لا يتعدى طوله 15.3 م وعرضه 12.6م ومساحته 192.78 متر مربع وهندسته بسيطة[5]، وله مؤذنة ذات قاعدة ندخل إليها عن طريق باب الصلاة، له سلم من الخشب بعدد درجات قدر ب 85 درجة، وهذا الجامع مازال

---

[1] – محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر**، **ج2**، مصدر سابق، ص 491.

[2] –كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 94– 96.

[3] – محمد المهدي بن علي شغيب، **مصدر سابق**، ص 14.

[4] – كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 96.

[5] –ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ذاكرة قسنطينة**، **ج1**، مرجع سابق، ص 168.

يحافظ على أصالته ولم تمسه تغيرات كثيرة[1]، وتولى التدريس فيه نحو ثمانية مدرسين منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني، وآخرهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي ختم فيه تفسير القرآن، صنف هذا المسجد لارتباطه بتاريخ قسنطينة كمعلم أثري عام 1903م[2].

- **جامع سيدي الكتاني:**

أنشأه "صالح باي" عام 1024هـ/1789م، وألحق به مدرسة نظامية فوق ضريح سيدي الكتاني وموقعه بسوق الجمعة والمعروف اليوم بسوق العصر[3]، يأخذ الجامع شكل مستطيل ويتكون من طابقين يظهر من واجهاته الثلاثة وهي الشرقية الغربية والجنوبية، يقع بيت الصلاة في الطابق العلوي وهو كذلك مستطيل الشكل، أما المنبر فيحتوي على كتابة نقشت على لوحة رخامية وللمحراب قوس دائري[4]، جلب "صالح باي" دعائمه الرخامية وأهم مواد بنائه وزينته المعمارية من إيطاليا، وأوقف عليه أوقافا عظيمة من خالص ماله[5]، أما من حيث هندسته المعمارية فإن مساحة الجامع تبلغ 284.58 متر مربع ، ويعتبر لدقة صنعه تحفة فنية[6]. ووقد جاء ذكر هذا الجامع في مخطوط صالح باي "**وبنا جامع المسهون سيدي الكتاني بناء عجيبا من سوارى رخام وبه منارة عجيبة حتى قيل إنه لم يرى مثلها**"[7].

- **جامع حسن باي:**

يقع جامع "حسن باي" أو جامع سوق الغزل شرق قصر "أحمد باي" إلى الغرب من شارع ديدوش مراد الذي كان يعرف في العهد الاستعماري بشارع كرمان، ويعرف حاليا عند العامة بشارع فرنسا (Rue de France) يطل على ساحة شوشان عبد الباقي من الناحية الشمالية، ومن

---

[1] –كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 110.

[2] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ذاكرة قسنطينة، ج1**، مرجع سابق، ص 167.

[3] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق، ص 10.

[4] –كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 103.

[5] – محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر، ج2**، مصدر سابق، ص 8.

[6] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ذاكرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 166.

[7] – **مخطوط صالح باي**، و7، أ. و. ت.

الغرب على نهج بودشيش بلقاسم، وللجامع عدة واجهات الواجهة الغربية والواجهتين الشرقية والجنوبية[1].

يمتاز جامع سوق الغزل بعناصر الدعم الموجودة به وبمحرابه وبقبابه، ويمتاز بمنبره وبابيه وزخرفة جدرانه، يبلغ طول المنبر 3.34م وارتفاعه 2.78م وعرضه 0.96م، فهو مصنوع من الخشب المنقوش يحتوي على احدى عشرة درجة يساوي عرضها 26 سم وارتفاعه 18 سم[2]، وتولى التدريس به جماعة من العلماء أمثال العالم الجليل في الفقه المالكي مصطفى العجمي القسنطيني الذي توفي عام 1240هـ/1826م ومحمد سالم بن طوبال العالم الحنفي والذي كان له باع طويل في البديع والأصول والمنطق، وقد لازم الشيخ العباسي حتى تخرج على يده وتولى التدريس بمدرسة الجامع الأخضر والخطابة والامامة بجامع سوق الغزل وتوفي عام 1251هـ/1835م[3].

وكانت المساجد تختلف من الناحية العمرانية والجمالية بين المساجد المالكية والحنفية، فمساجد الأحناف من العثمانيين وأتباعهم أكثر منها عند المالكية، وكانت مساجد الأهالي متواضعة من حيث شكلها ومادة بنائها، بينما مساجد الأحناف كانت تبنى بالرخام وتزين بالزليج وتفرش ساحاتها بالزرابي وتضاء بقناديل زيت الإضاءة[4]، وكانت تقوم بأدوار ووظائف دينية واجتماعية إدارية وسياسية فهي مبنى جماعي واجتماعي متعدد الوظائف[5]، ونحاول من خلال هذا الجدول رصد باقي أهم المساجد في المدينة ومكان تواجدها.

---

[1] –كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 122.

[2]– **نفسه**، ص 123.

[3] – **نفسه**، ص 123.

[4] – الحسن الورتيلاني، **نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار**، مصدر سابق، ص 266.

[5] –إبراهيم بن يوسف، **إشكالية العمران**، مرجع سابق، ص 106.

جدول رقم (33) لأهم مساجد مدينة قسنطينة[1]:

المسجد	موقعه
جامع سيدي محمد بن ميمون	يقع بالنجارين وتقام به الصلوات الخمس والجمعة.
جامع سيدي بوعنابة	أسفل بطحاء آل الفكون وهو نفس زاوية عيساوة وتقام فيه الصلوات الخمس ودروس للكبار والصغار
جامع السيدة حفصة	يقع بنهج عبد الله باي وهو جامع صغير تقام فيه الصلوات الخمس وتعليم الصغار
جامع سيدي راشد	أسفل سيدي راشد بالحي العربي العتيق ومن أقدم مساجد المدينة.
جامع سيدي عبد المؤمن	يقع بنهج ملاح السعيد بحي السويقة وكان يعرف باسم الزاوية القادرية.
جامع سيدي محمد بوعبد الله الشريف	يقع بنهج الدباغين بالحي العتيق
جامع سيدي بومعزة	يقع بنهج الأربعين شريفا وهو النهج المسمى الىن نهج عبد الحميد بن باديس
جامع سيدي عبد الرحمان القروي	يقع برحبة الجمال وهو من أقدم المساجد
جامع سيدي عبد الرحمان المناطقي	من أكبر مساجد المدينة واوسعها يقع قبالة فندق الزيت والصاباط المقابل له في اتجاه ناحية الرصيف

بالإضافة إلى هذه المساجد هناك مساجد أخرى كثيرة تقوم بأدوار دينية وتعليمية وثقافية لا يسعنا ذكرها في هذا المقام، فالمدينة كانت بها العديد من المساجد منها ما اندثر وزال بفعل السياسة الاستعمارية وتحويله إلى أغراض أخرى، ومنها مازال يشهد على عراقة عمران المدينة.

1.2. الزوايا والأضرحة:

كانت الزوايا في العهد العثماني تلعب دورا مهما سواء في المدن أو في الأرياف، وقد انتشر في مدينة قسنطينة عدد كبير من الزوايا التعليمية قدر بست عشرة زاوية.

---

[1] – محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر**، **ج2**، مصدر سابق، ص 16-28.

ولعبت الزوايا دورا هاما في تعليم القرآن واللغة العربية، وهي امتداد للمدارس والكتاتيب، وانتشر بمدينة قسنطينة عدة زوايا لتعليم القرآن والدروس العلمية وأداء الصلوات، وقد ورد ذكرها في القرارات البلدية و مازال بعضها إلى اليوم، والبعض الآخر زال واندثر[1]، وقد أثرت الزوايا في التاريخ الاجتماعي والعمراني والديني للمدينة وارتبط أغلبها بالأسر صاحبة المكان في قسنطينة[2]، حيث كانت للعائلات الكبرى بالمدينة زوايا خاصة بها مثل زاوية الفكون وزوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل وزاوية رضوان خوجة الذي كان قائد الدار والذي بنى الزاوية لنفسه ودفن فيها سنة 1220هـ[3].

- **زاوية ابن النعمون:**

تقع هذه الزاوية على نهج السويقة (نهج ملاح سليمان عند رقم 76)، وتعرف اليوم باسم الزاوية التجانية، كانت تتم بها الصلوات الخمس والجمعة والدروس التعليمية وبها مدافن آل النعمون والذين هم من سلالة بيات المدينة، وبها قبر كل من الشريف بن نعمون، وموني وهما من آل بن نعمون[4].

- **زاوية سيدي عبد المؤمن:**

تقع زاوية سيدي عبد المؤمن بشارع ملاح السعيد وقد كانت تنفتح على سويقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية التي كانت بالمدينة خلال العهد العثماني والرابط بين الجابية وباب القنطرة، تأسست الزاوية على يد سيدي عبد المؤمن وتجددت على يد السيد "صالح خوجة بن مصطفى" وهو صهر احدى حفيدات سيدي عبد المؤمن، وهناك اختلاف حول مسالة "سيدي عبد المؤمن" كونه مسجدا أو زاوية ويرجح على أنه زاوية من خلال اللوحة الرخامية في أعلاها التي تؤكد ذلك، وتتكون الزاوية من طابقين رئيسيين طابق أرضي وآخر علوي يقع المدخل الرئيسي في الناحية

---

[1] -كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 159.

[2] - ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان، ج2**، مرجع سابق، ص 191.

[3] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 265.

[4] -محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر، ج2**، مصدر سابق، ص 34.

الغربية للزاوية، وعند الدخول نجد سقيفة مستطيلة الشكل، ويتكون بيت الصلاة من ثلاثة بلاطات أوسعها بلاطة المحراب يبلغ عرضها حوالي 3.15م، وللزاوية محراب مشكلة على شكل نصف دائرة يعلوها نصف قبيبة مزين بخطوط، أما بالنسبة لقبة سيدي عبد المؤمن تميزت بمظهرها المثمن وزخرفتها البسيطة[1].

- **زاوية النجارين (حنصالة):**

تقع زاوية حنصالة في نهج رواق السعيد رقم 19 في موضع وسط الطريق الرابط بين الجامع الكبير ورحبة الصوف، يقع بيت الصلاة إلى الجنوب من الصحن وهي على شكل مستطيل تمتد عموديا على جدار القبلة بها محراب عرف تغيرات بعد الترميمات التي طالت الزاوية[2].

- **زاوية الفكون:**

تقع هذه الزاوية بحي الخرازين، أقيمت على ضريح الولي "أبو محمد عبد الكريم" بن العالم المفتي أبو زكريا يحيى الفكون (ت988هـ/1580م) وهو من أشهر فقهاء المدينة وأبرز أفراد أسرة ابن الفقون التي نجحت في الحصول على الريادة ومنصب شيخ الإسلام[3].

- **زاوية باش تارزي:**

تأسست الزاوية على يد العلامة الأستاذ المربي "عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش" المعروف "بباش تارزي" الذي نشأ في مدينة قسنطينة، وتوفي بها عام 1221هـ/1806م، المدفون بزاويته بالشارع، تقام فيها الصلوات الخمس والدروس الدينية وتعليم القرآن، وقد تم تجديدها فأصبحت من أهم مساجد المدينة[4].

وتقع الزاوية بحومة الشارع من حي باب القنطرة وهي تنفتح على شارع رئيسي كان يربط بين سوق التجار ورحبة الصوف وباب القنطرة ويعرف حاليا باسم شارع الاخوة عرفة، تتكون من

---

[1] -كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 170-171.

[2] - **نفسه**، ص 179.

[3] -ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 191-192.

[4] - محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر ج2**، مصدر سابق، ص 36.

مدخل رئيسي يقع وسط الجدار الغربي ينفتح على صحن حوله رواق من ثلاث جهات، في شماله توجد الميضأة ومن الشرق كان للزاوية بيت الصلاة ذو شكل مربع، بالإضافة إلى محراب وعلى اليسار يوجد ضريح مؤسس الزاوية يحيط به سياج[1].

- **زاوية بن رضوان:**

تنسب الزاوية إلى قايد الدار "رضوان خوجة" حيث ورد في مخطوط "صالح باي" أن رضوان خوجة "**بنا زاوية عظيمة داخل البلد وجعل عليها أوقافا وبنا مكتبا ملاصقا للزاوية المذكورة يقرؤون الصبيان به القرآن بلا ثمن بل جعل مرتبا للمؤدب من أوقافه، تقبل الله منه ذلك وحبس كتبا وضعها في خزانة داخل الزاوية قاصدا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم**"[2]، الذي توفي بقسنطينة عام 1220هـ/1805م، في أيام عبد الله باي، وتقع الزاوية في حي البرادعيين كانت مقر المحكمة الاباضية، وهي اليوم في حوزتها[3].

- **زاوية بن نعمان:**

أنشأت هذه الزاوية على يد الباي "محمد نعمان" الذي حكم قسنطينة من سنة 1226هـ-إلى سنة 1229هـ الموافق (1813م -1811م)، وكان بها عدة مقابر[4].

وساهمت الزوايا كذلك في الحروب والاضطرابات ضد الأعداء، فبالإضافة إلى دورها في التعليم والعبادة فقد كانت تستعمل كربطات يربط فيها المقاومون، فهي المكان الذي يجتمع فيه المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم الأعداء[5].

أما بالنسبة للأضرحة والمقابر فاتخذت مواضع في الجهات الجنوبية أو الغربية من مراكز العمران دون الجهات الشمالية لمراعاة اتجاه الرياح، وكانت تنشأ على حافة الصحراء أو في الجزر الرملية أو بين العمور أو على التلال اليابسة كأثر للمراكز العمرانية القديمة أو كبقايا

---

[1] - كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 179 -180.

[2] - **مخطوط صالح باي**، و20، أ. و. ت.

[3] -محمد المهدي بن علي الشغيب، ج1، **مرجع سابق**، ص 37..

[4] - **نفسه**، ص 40..

[5] -كمال غربي، **مرجع سابق**، ص160.

للمقابر القديمة السابقة، وكانت الأضرحة ذات القباب كثيرة في منطقة المقابر وفي داخل المساجد، وكثيرا ما كان المشيد لهذه الأضرحة والمقابر يقيم لنفسه ولغيره من سكان هذه المؤسسات مقابر خاصة[1].

3.2. المدارس:

انتشر في مدينة قسنطينة عدد كبير من المدارس وكان معظمها ملاصق للمسجد أو الجامع، وكانت من أكثر المدن عناية بالمؤسسات العلمية وهذا راجع لاستقرارها السياسي نسبيا ولقربها من تونس، وقد نهض "صالح باي" بالمدارس ووقف لها الأوقاف[2].

وجاء في تقرير حول التعليم الأهلي بقسنطينة سنة 1848م أن المدينة عند احتلالها كانت تضم سبع مدارس ثانوية، وتسعون مدرسة ابتدائية، وفي سجل صالح باي للأوقاف جاء ذكر خمس مدارس، وهي مدرسة سيدي الكتاني، ومدرسة الجامع الأخضر، ومدرسة جامع سوق الغزل، ومدرسة سيدي أبي قصيعة، وفي خارج أسوار المدينة كانت مدرسة سيدي بومصيبة ومدرسة سيدي هيلوف[3].

- **مدرسة سيدي لخضر:**

تنسب المدرسة لصالح باي فقد أنشأها بجوار مسجد سيدي الأخضر سنة 1789م، **و**تشمل المدرسة مسجدا وخمسة من البيوتات منها بيت للمدرس وأربعة للطلبة وميضأة وبيت لوضع الأمتعة، ويكلف الطلبة الذين يترددون عليها بمهام مختلفة، ويقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيلها ومصاريفها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف وايقاد مصابيح بيت الصلاة[4].

---

[1] – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 92.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 275–284.

[3] – عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 179.

[4] –أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791**، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص 134.

- **المدرسة الكتانية:**

أنشئت المدرسة على يد صالح باي حيث جاء ذكره في مخطوط صالح باي أنه "في عام واحد وتسعين بنا مدرسة بجانب الجامع مشتملة على بيوت ومايضة وجعل فيها أربعا وعشرين طالبا يقرؤون القرآن صباحا ومساء و يختمون القرآن مرتين في الشهر ويقرؤون دلايل الخير الخميس والجمعة يختمون صباحا ومساء، وجعل لكل طالب مرتبا في كل سنة بل في كل ستة أشهر تسعة أريلة ويأخذ الزيت في كل شهر وكل من يتولى من العلماء شيوخية المدرسة يأخذ في العام ماية ريال ويأخذ الزيت، ومن غاب من الطلبة شهرا أرجع مكانه أخر فإذا رجع مكانه فيعطي للطلبة ريالا ونصف يشرون به التمر ويأكلون وبعد الفراغ من الأكل يقرؤون الفاتحة وهكذا مع كل طالب، وشيخ المدرسة يقرأ الدرس في الصباح والمساء، في رجب وشعبان ورمضان يقرأ الحديث وفي ساير الأشهر يقرا الفقه والنحو وعلم الكلام وغير ذلك من العلوم ويعطي للخطيب وإمام الأوقاف وجميع خدمة الجامع في كل جمعة لمداومته على صلاة الجمعة بجامعه، وبنا دورا وحوانيت وحبسها على الجامع قاصدا بذلك النفع الآخروي"[1]

واشتهرت المدرسة منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية، وعمل "صالح باي" على تنظيم العمل بها بكل حرص ودقة إذ حدد شروط الالتحاق بها وقوانيين الإقامة وأجرة المدرسين وغيرها[2]، وكان لهذه المدرسة التي تنشر تعليما في المستوى الثانوي والعالي، نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التدريس والغيابات وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوم وشروط الإقامة في المدرسة[3].

كان طلبة المدرسة الكتانية يتمتعون بالسكن وبمقدار من الخبز يوزع عليهم يوميا، وتقع منازلهم التي تم شراؤها أو تأجيرها من طرف شيخ الزاوية في بطحة سيدي الشيخ، وهو مسكن من أربعة طوابق، وآخر بالقصبة من ثلاث طوابق وتطوعت عائلة "الباش تارزي" بدار للإقامة[4]،

---

[1] –**مخطوط صالح باي**، و7، أ و. ت.

[2] –كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 197.

[3]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 284.

[4] – كمال غربي، **مرجع سابق**، ص 201.

وكانت المدارس الثانوية هي التي يطلق عليها اسم مدرسة بينما المدارس الابتدائية فكانت تعرف بالكتاتيب[1].

وكان للمدارس وظائف هامة فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، وتقوم بتحفيظ القران الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية بالإضافة إلى تعليم مبادئ القراءة والكتابة[2].

مثلت العمارة الدينية دورا محوريا في التطور العمراني والديني والثقافي لمدينة قسنطينة وساهمت في جعلها مدينة العلم والعلماء عبر مراحلها التاريخية والتي مازالت راسخة في المخيلة الجزائرية إلى يومنا هذا[3].

3. العمارة الخدمية والمرافق الحضرية:

1.3. الأحياء والشوارع:

برزت الشوارع والطرق في المدن كمحور رئيسي في التخطيط منذ القديم، وعكس تخطيط الشوارع المستوى الحضاري الذي ساد المراحل التاريخية وتأصلت العلاقة الوظيفية بين الشوارع والطرق، فهي تمثل شرايين اتصال وحركة تربط بين التكوينات المعمارية المختلفة، وارتبطت وظيفتها ارتباطا وثيقا بوسيلة النقل المستخدمة في تلك الفترة وهي الدواب التي كانت تستخدم في الركوب أو حمل الأثقال[4].

وتنقسم المدينة التقليدية إلى أربع أحياء رئيسية تقع على أركان الصخر، حي الطابية الذي يقع في الجنوب الغربي، وحي باب الجابية الذي يقع في الجنوب الشرقي، حي القصبة الذي يقع في شمال المدينة الغربي، وحي القنطرة الذي يقع في شمالها الشرقي[5].

---

[1] – عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 179.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مرجع سابق، ص 179.

[3] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 192.

[4] – محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 153-181.

[5] - Pagand Bernard**, op.cit**, p 1.

وتعد الأبواب التي تربط المدينة بالخارج ويدخل منها كل زائر أفضل منطلق للتعرف على التنظيم العمراني للمدينة وعلى وجه الخصوص شوارعها الرئيسية التي تتفرع عنها الشوارع الثانوية والدروب، فهي تربط أبواب الجنوب الغربي الثلاث من جهة باب القنطرة في الشرق من جهة أخرى، وتشق المدينة من الغرب إلى الشرق، فيما يصل بينها عدد كبير من الشوارع الصغيرة[1].

وتنطلق من أبواب المدينة الأربعة شوارع رئيسية عريضة نسبيا لتشق المدينة من الشمال إلى الجنوب قبل تفرعها والتقائها بشبكة أزقة ضيقة وغير منظمة، أما المنطقة المركزية حيث تتركز أهم النشاطات الاقتصادية فنجد شارعان ينطلقان من باب القنطرة ويلتقيان في رحبة الصوف على مسافة 300 متر[2]، كما تعد الدروب والأزقة بمثابة الشرايين التي تتفرع لربط الطرق الرئيسية مع الأحياء السكنية والتي جاءت وفق معايير معينة احترم فيها أخلاقيات الحرمة والحشمة وتخص بدقة حركة النسوة داخل البيوت دون حرج، وغالبا ما تكون هذه الأزقة مسقوفة وملتوية ومحدودة تنتهي بباب المسكن[3].

وشكلت البطحاء ورحبة الصوف ورحبة الجمال أماكن واسعة ومفتوحة، وهي تفصل بين الأحياء العليا الوظيفية والحرفية والتجارية، وبين الحي السكني بباب الجابية، وكانت البطحاء مركزية الموقع إذ يفتح الجامع الكبير أبوابه عليها وهي الرحبة التي لا ترتبط بالنشاط التجاري والمبادلات لكونها مفترق طرق بين الشط والرصيف وسوق التجار ومختلف الفنادق والمقاهي، وهي حي سكني أيضا بها دار الشيخ الفكون ودار بن نعمون ودار ابن الكريتلي وعلو بوصبع وغيرهم[4]، ونحاول من خلال الجدول التالي رصد أهم أحياء المدينة.

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **قسنطينة التاريخ والعمران والحضارة، ج2**، مرجع سابق، ص 166.

[2] - Pagand Bernard, **op cit.,** p 1.

[3] –العمودي التجاني، **مرجع سابق،** ص 23.

[4] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 245.

جدول رقم (34) أهم الأحياء بمدينة قسنطينة[1]

الحي	موقعه
حي القصبة	يقع بالناحية الشمالية الشرقية حيث الثكنة العسكرية ومازال يعرف بهذا الاسم
حي الطابية	يحتل هذا الحي الزاوية الشمالية الغربية من المدينة ويتألف من خمس حومات صغيرة الطابية الكبيرة- الطابية البرانية- حومة مصاصة- حومة الموقف- حومة صواري.
حي باب الجابية	يشغل هذا الحي الركن الجنوبي الشرقي من المدينة وهو من أكبر أحيائها ويظم خمس حومات وهي حومة سيدي راشد- حومة بير مناجل -حومة الطبالة- حومة الشط- حومة البطحاء
حي القنطرة	يقع في الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة وهو ينحصر بين حي القصبة في الشمال الغربي وحي باب الجابية في الجنوب الشرقي، وتنقسم بدورها إلى خمسة أحياء صغيرة حي ميلة الصغيرة- حومة سيدي أبو معرة- حومة سيدي الجليس- الحارة الحمراء- حومة الشارع

وارتبطت هذه الأحياء بمجموعة من الطرق لأن نظام المواصلات له مكانة هامة وأساسية في تخطيط المدن وأهمها الطرق الرئيسية وهي كما يلي:

الطريق الأول ينطلق من الباب الجديد ليصل إلى حي القصبة التي تضم العديد من المساكن الخاصة، أما الطريق الثاني ويدعى طريق الموقف ويؤدي إلى سوق العصر مرورا بدار الباي مخترقا سوق الغزل، وطريق ثالث هو الشريان الرئيسي للتجارة والحرف حيث ينطلق من باب الوادي ويؤدي إلى رحبة الصوف، والطريق الرابع ينطلق من باب الجابية مرورا بحي السويقة

[1] – عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 164-169.

ويصل إلى باب القنطرة[1]، كما كان بالمدينة شارع خاص باليهود يعرف بحارة أو حومة اليهود وهو من الأحياء التي كان لها وزن كبير في المدينة خاصة في عهد صالح باي.

2.3. شارع اليهود:

يعود ظهور الحارات اليهودية بشكل رسمي بقرار من السلطات في المغرب العربي بمدينة فاس لأول مرة سنة 1438م، وسميت «الملاح" وذلك لأسباب أمنية بحتة لحماية اليهود من غضب الجماهير إثر الاضطرابات الاجتماعية أو السياسية الطارئة، ونفس الظروف أحاطت بظهور حارات اليهود في المدن الجزائرية بصورة رسمية لأن عقد الذمة يفرض على الدولة الإسلامية حماية أمن وممتلكات وحريات اليهود[2].

وتركزت الجالية اليهودية في العهد العثماني في المدن الكبرى مثل مدينة قسنطينة والتي بلغ عددهم بها حوالي سبعة ألاف يهودي، وسكنوا بمختلف أصولهم مختلطين مع المسلمين سواء في نفس الأحياء والمدن أو في الحارات[3] المحاذية لها أو بالقرب من قصور الحكام والأمراء سواء في العهد العثماني أو في الفترة التي سبقته[4].

وكان يهود مدينة قسنطينة يسكنون مختلطين مع المسلمين، وكانت جهة باب القنطرة خالية من البناء فرأى "صالح باي" أن يخصص لهم تلك الناحية على أن يبنوا بها حارتهم، فأقبلوا على

---

[1] –طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، **رسالة ماجستير في الآثار** الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008–2009، ص 58–59.

[2] – فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2004، ص 140.

[3] – **نفسه**، ص 133.

[4] – جمع مفردها حارة وهي مدلول أطلق على جزء من المدينة جرى استعماله مع توسع المدن الإسلامية، يأتي مركب من اسم آخر للدلالة على حارة بعينها مثلا حارة اليهود، كان يرأس الحارة في العهد العثماني في المدن والقرى الكبيرة شخص يعرف بشيخ الحارة، وظيفته مساعدة السلطات الإدارية في الاتصال بالأهالي، أما في القرى يقابله شيخ البلد. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مرجع سابق، ص 134.

تعمير تلك الناحية وبنوا بها مساكنهم وكان سرورهم يعادل سرور المسلمين بذلك[1]، وجاء ذكر ذلك في مخطوط صالح باي " **وبنا فيها الشارع بعد أن كان مراحا وأقام له الدور**"[2].

إن نشأة الحارة بقرار رسمي تزامن في الجزائر مع وجود حكام معروفين بالعدل والحكمة والصلاح، على غرار صالح باي قسنطينة المعروف بسماحته مع اليهود، حيث خصص لهم أرضا واسعة بسيدي الكتاني وقدم لهم مساعدات ومساهمات في انشائها وتزيينها حرصا منه على منحهم الاستقلال الداخلي الكافي والأمن الضروري لقيامهم بنشاطاتهم ومشاركتهم في الحياة العامة بصورة طبيعية[3].

وكانت حومة الشارع أو "شارع الذميين" هو أبعد حي في اتجاه الغرب نحو الجرف والوادي، ويقع بين باب القنطرة جنوبا وسوق الجمعة شمالا ورحبة الصوف وسيدي الجليس نحو الأسواق، وقد وردت تسمية "الشارع" هكذا دون مضاف أحيانا، ومع إضافة "الذميين أحيانا أخرى، ويوصف قبل أن يمسه عمران "صالح باي" بأنه حقير المنظر كئيب لا توجد في أسفله سوى بعض الدور الفقيرة المتواضعة التي اجتمعت حول مسجد أو مصلى مثل سيدي الصفار أو سيدي التلمساني، والباقي كله خال لا نعثر فيه سوى على حفرة أو ربوة، ولم يتناسب هذا الجوار مع البنايات الفاخرة التي أحدثها الباي وأخرجها من الأرض، لذلك عمل على نقل اليهود إليه[4].

واستطاع بذلك "صالح باي" أن يحد من مضايقة اليهود التي نتجت عن اختلاطهم بالمسلمين بحومة باب الجابية وحي سيدي الكتاني، فضلا على أن تجمع اليهود في حي خاص بهم يسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطهم، وبهذا الإجراء أعاد "صالح باي" النشاط إلى جزء من المدينة ظل شبه مهجور وأصبحت هذه الجهة من المدينة والتي تعرف برحبة الصوف مركزا

---

1 – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، مرجع سابق، ص 134.

2 – **مخطوط صالح باي**، و7، أ. و. ت.

3 – فوزي سعد الله، **مرجع سابق**، ص140.

4 –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، مرجع سابق، ص 117.

تجاريا مهما بعد أن سارع اليهود إلى فتح دكاكينهم وإقامة حوانيتهم بالشارع الرئيسي الذي يصل باب الوادي بباب القنطرة مباشرة مما ساعد على تركز النشاط التجاري به فيما بعد[1].

إن الإقامة في الحارات اليهودية لم تكن إجبارية أو عنصرية ولا يوجد ما يدل على ذلك، لكن حرص الحكام على أمن اليهود وحمايتهم من الاعتداءات والتجاوزات في أوقات الأزمات والاضطرابات السياسية والاجتماعية هو سبب وجود هذه الحارات بمحاذاة قصور الحكام ومقرا إقامتهم، والذين فضلوا الإقامة خارج هذه الأحياء اليهودية لم يمنعهم أحد من ذلك، لكن الأغلبية الساحقة منهم بقيت متمسكة بشدة وعناد بالبقاء في الحارة منغلقة عن نفسها بعيدا عن الأعين الفضولية[2].

إذن فمسألة فصل سكن اليهود جاء لضرورة اجتماعية وأمنية لمصلحة اليهود ومصلحة المجتمع ككل، فكثير من القبائل والأعراش كانت تسكن مع بعضها وتسمى الأحياء بأسمائها في مختلف المدن الإسلامية عبر التاريخ[3]، كما أن حارات اليهود ليست لها صفة عنصرية، بل هي عملية إدارية تسهل على الحاكم مراقبة التجاوزات، وحتى لا يتعرض أهل الذمة إلى العقوبة وإلى منعهم من أشياء مرخص لهم فيها، ومنع التعامل بالربا والغش والتلاعب بالأسعار[4].

لم يسكن كل يهود المدينة الشارع الخاص بهم، ولكنهم سكنوا دور وبيوت قريبة منه بسوق الجمعة أو مقعد الزوارة، أو قرب كنيسة أهل الذمة، وهذه الأخيرة لم تكن بالشارع ويدل ذلك على أن اليهود لم يكونوا بعيدين عن الشارع، خلاف لما كتب على أنهم نقلوا من باب الجابية في الطرف الآخر للمدينة، كما لم يتم نقلهم إلى هذه الحارة بعد المعاوضة التي قام بها صالح باي مع أصحاب الدار المقابلة لداره والتي كانت شهيرة بدار الذمي يوسف، بل تركهم في مكانهم[5].

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث**، مرجع سابق، ص 64-65.

[2] – فوزري سعد الله، **مرجع سابق**، ص 140.

[3] – **نفسه**، ص 62-67.

[4] – محمد قويسم، **مدينة قسنطينة ما بين القرنيين 07-10هـ/13-16م**، مرجع سابق، ص 185.

[5] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي**، مرجع سابق، ص 119.

وعاشت هذه الفئة معززة مكرمة في المجتمع القسنطيني في العهد العثماني، فعندما قام "صالح باي" بمشروع توسيع المدينة لم يصادر أملاك هذه الفئة بل قام بشرائها أو تعويضها، كما تم تسجيل بعض المبيعات العقارية أمام قاضي المحكمة المالكية من وإلى اليهود[1]، ورغم اتصافهم بالخبث في معاملاتهم والتحايل غير أنه سمع لهم بالعيش وممارسة النشاط التجاري[2].

إن وجود حي أو حارة خاصة باليهود لا يدل بالضرورة على ظاهرة الانغلاق الاجتماعي التي أشارت إليها أغلب المصادر الأوروبية، والتي تريد أن تجد المبررات لليهود وتشوه صورة الجزائر، حيث نجد بعض المؤرخين المهتمين بدراسة أوضاع هذه الفئة المستقرة ببلاد المغرب يرون عكس ذلك، وأن تجمعهم في أحياء خاصة في مدن المسلمين يدل على مستوى الحرية الذي تمتعوا به، فقد سمح لهم بالتجمع في مكان واحد باعتبارهم مجموعة عرقية، وهذا شبيه بوضع الجماعات الحرفية التي كانت كل واحدة منها تقطن بنفس الحي وهذا لا يعني الانعزال أو الانغلاق عن بقية السكان[3].

3.3. الأسواق والرحبات ودورها الاجتماعي:

مثلت الأسواق بالإضافة إلى دورها التجاري مظهرا من مظاهر التماسك والوحدة بين مختلف فئات المجتمع الجزائري، حيث يلتقي فيها الوافدون من كل الجهات، في تجسيد التكامل القائم بين عناصر المجتمع، كما مثّل السوق ملتقى للشيوخ والقياد وكل المجتمع بمختلف فئاته[4]،

وعرفت المدن الجزائرية الأسواق المنظمة الخاضعة لنسق معين من الارتفاع والاتساع، وعلى الرغم من شدة الحاجة إلى الأسواق في قلب المدينة إلا أن ذلك لم يكن بالضرورة عاما في

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي**، مرجع سابق، ص 81.

[2] – رياض بولحبال، **مرجع سابق**، ص 33.

[3] –نجوى طوبال، **مرجع سابق**، ص 82–83.

[4] –جيلالي بن فرج حسين، (الأسواق والاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات(1671م–1830م)، **أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 2021–2022، ص 333.

كل المدن ولا في كل أنواع التجارة والحرف والصناعات، فهنالك حرف قد خصصت لها أماكن خارج المدن، وسلع لا تعرض إلا خارجه[1].

ومثال ذلك بناء "صالح باي" لمجمع خارج البلد كبيرا جدا مشتمل على حوانيت عديدة معدة لبيع الثياب وأن جميع من يأتي من بعيد ينزل به، وعانده في البناء أهل حاشيته فيها فبنا كل واحد منهم دورا وشيدها اقتداء بسيدهم[2].

وكانت الأسواق في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني بالإضافة إلى دورها التجاري، مكانا لانتشار الأفكار وتبادل الآراء ومناقشة القضايا، وفيها يتم الإعلان عن الرأي العام ومن السوق تتسرب الأخبار والأسرار والاشاعات[3]، كما ارتبطت الأسواق بالمرافق العامة من عيون وحمامات وأفران.

أما الرحبات والميادين فهي تلك الفراغات الغير مبنية والتي غالبا ما تأخذ اسم الرحبة وتكون مقابلة للمساجد الجامعة تتعدد وظائفها حسب الفصول والأوقات والمناسبات، وهي تشكل جزءا هاما في المدن على الصعيد المعماري وعلى المستوى الوظيفي يسمح فيها بممارسات ذات طابع اجتماعي فهي تشكل أهم مجالات التقاء وتبادل الإعلام[4].

4.3. الحمامات ودورها الاجتماعي:

تعد الحمامات من بين أهم المنشآت العمرانية لما لها من أهمية داخل المدينة، فهي من المعالم العمرانية المكونة للنسيج العمراني والتي غالبا ما تتخذ موقعا استراتيجيا داخل الفضاء الحضري وذلك بجوار المساجد والأسواق المركزية والفنادق والمدارس، وهي من التقاليد المحلية التي اختصت بها المدن الجزائرية وقد حفظ الحمام عناصر مختلفة من ذاكرتنا الوطنية الجماعية معماريا واجتماعيا وحضاريا[5].

---

[1] – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 91.

[2] –**مخطوط صالح باي**، و11، أ. و. ت.

[3] –جيلالي بن فرج حسين، **مرجع سابق**، ص 333.

[4] –العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 24.

[5] –بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 43-48.

أنشئت الحمامات لخدمة العامة من السكان لحاجات وظيفية مرتبطة بالنظافة والتطور وعدم قدرة العامة على انشاء حمامات خاصة داخل منازلهم[1]، لذلك انتشرت في مختلف المدن الجزائرية باعتبارها مؤسسة ضرورية في النسيج العمراني، فوجود المسجد يتطلب وجود الحمام الذي يعتبر ملحقة للنظافة والطهارة، ويساهم في تنشيط التجارة وتوسيعها[2]، ولم تكن الحمامات أماكن للنظافة فقط بل تعددت أدوارها فهي محلا اجتماعيا يلتقي فيه الناس لتبادل الأخبار كما تتم فيه المعاملات التجارية والخطبة، كما تعد مكان لعلاج الكثير من الأمراض أو الحيلولة دون وقوعها خاصة الحمامات المعدنية التي تنبع من منابع طبيعية حارة[3].

والحمام هو المكان الذي يغتسل فيه السكان دينيا وصحيا وملتقى الرجال والنساء الحضر كل في قسمه المنفصل أو حجراته، وفيه يتفق على الزواج أو بداية مبادراته الأولى، وفيه يتحدث عن مراسيم الدفن والأعمال التجارية وتحكى فيه الحوادث العائلية بين الأصدقاء[4].

ويرجع أصل الحمامات إلى حضارات قديمة كالحضارة المصرية والاغريقية، كما اهتم المسلمون بتشييد الحمامات بنوعيها الخاص والعام لحاجاتهم الصحية والدينية والاجتماعية لمثل هذه المرافق، وقد تشابهت هذه الحمامات في بناءها وأدوارها وعماراتها ويتكون الحمام عادة من ثلاث غرف (الغرفة الباردة، الغرفة الدافئة والغرفة الساخنة)[5].

وشكلت الحمامات مكانا مهما بالنسبة للنساء فهي مكان للتلاقي وتبادل الأحاديث تزوره مرة أو مرتين في الأسبوع لإظهار الأزياء والحلي وللتعرف على الفتيات قصد الخطبة[6]، ووصف وليام سبنسر الحمامات الخاصة بالنساء وإقبالهن عليها إذ أنها تشبه الخاصة بالرجال إلى حد كبير، غير أن النساء يتلقين خدمات أفضل من الرجال بحيث تقوم بعض الخادمات من النسوة باستعمال

---

[1] – محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، **مرجع سابق**، ص 221.

[2] –فتيحة الوليش، **مرجع سابق**، ص 154.

[3] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة، **مصدر سابق**، ص 14.

[4] – وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 115.

[5] – بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 43.

[6] – وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 108.

البخور والعطور ورش النساء المستحمات بماء الزهر والمسك والعطور، أما في فصل الشتاء يتناولن المشروبات والفاكهة وحلويات أخرى كحلوة الحلقوم وأصابع العروس وعزف الموسيقى[1]، بالإضافة إلى عادة أخرى هي حجز الحمام لمدة 15 يوما بغرض تحميم العروس التي تخرج من بيت أهلها رفقة الكثير من النساء وجيرانها مصحوبين بفرقة موسيقية (الزرنة والدفوف)[2].

وتبعا لطبيعة المجتمع العربي الإسلامي كان للنساء حمامات خاصة، لها مواصفات منها أنها تتوسط المدينة، وأن تكون مصارف الماء فيها واسعة مستقلة، ليؤمن عليها من الاختناق وأن تكون بيوتها متوسطة[3].

وتضم مدينة قسنطينة في جزئها الجنوبي إحدى عشر دوشا وتسع حمامات مخصصة للنساء والرجال حيث تخصص الفترة الصباحية للنساء والمسائية للرجال، وهي تتوزع على جانبي الشارع الرئيسي الذي يسلكه السكان يوميا، أما الجزء الشمالي فيضم سبع حمامات[4]، من أمثلة هذه الحمامات، نذكر حمام "سيدي مسيد" ويقع على مسافة نحو ثلاث رميات حجر من المدينة، وهو مكون من عين ماء ساخنة يتدفق بين أحجار ضخمة، يقصده الناس للتداوي من مختلف الأمراض[5]، ونحاول من خلال هذا الجدول رصد أهم أسماء الحمامات المنتشرة بالمدينة في العهد العثماني من خلال وثائق عينة الدراسة.

جدول رقم (35) أسماء الحمامات بمدينة قسنطينة[6]

اسم الحمام	موقعه	المصدر
حمام باب الوادي	مواجه لزاوية بن مناد بالقرب من باب الوادي	سجلات المحكمة الشرعية

[1] – وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 115.

[2] – بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 47.

[3] – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 91.

[4] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 283.

[5] – حسن الوزان، وصف إفريقيا، **مصدر سابق**، ص 59.

[6] - عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية**، مرجع سابق، ص 195-196.

حمام بحومة أقواس بن نجدة	حومة أقواس بن نجدة	//
حمام بن نعمان	حي باب الجابية	قائمة مارسييه
حمام أبي بعاية	//	//
جمام دقوج	حومة الشارع	//
حمام الهوة	أسفل دار قلال	//
حمام قاع العطارين	بسوق العطارين	//
حمام سوق الغزل	بالقرب من جامع سوق الغزل	//
حمام السلطان	بالقرب من دار صالح باي	سجل الوفيات، و32، ع 1.
الحمام الصغير	بالقرب من الجامع الكبير	//
حمام بن شريف	أسفل رحبة الجمال	//
حمام بن جلول	حي الطابية	//

انتشر في مدينة قسنطينة عدد من الحمامات التي أدت أدوار مختلفة فبالإضافة إلى دورها في التنظيف، استعملت كذلك في أغراض أخرى كالتداوي وأماكن للسكن.

وهكذا يظهر جليا أن للحمامات دور هام في حياة السكان باعتبارها بديلا أو مكملا لنقص التجهيزات داخل المباني في المدينة القديمة، كما أن ارتباطهم بها يعطي لها بعدا اجتماعيا هاما في حياتهم اليومية[1]، فقد كان للحمام أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية في المجتمع القسنطيني، فعادة الاستحمام متأصلة في سلوك المسلمين، وكانت من المرافق العمرانية الهامة وهي التي تعطي المدينة صفتها الحضرية[2].

وزيادة على أهميتها للنظافة تعتبر نقط التقاء بالدرجة الأولى ومركزا للكثير من العلاقات الاجتماعية إذ أن الحمام بالنسبة للمرأة في المدينة القديمة يشكل إلى جانب زيارة المقبرة البعد

---

[1]- محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 284.

[2]- بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 91.

الوحيد لأفقها الاجتماعي، حيث تقتصر عندها فرص الالتقاء والتحدث إلى الأقارب والمعارف وتبادل الأخبار، أما بالنسبة للرجال فهو مكان للراحة وقضاء الأعمال والصفاقات[1].

ويبقى الحمام دليلا يشهد على مدى التحول الكبير الذي عرفته مدينة قسنطينة عبر تاريخها الطويل القديم والحديث وحتى في العهد الاستعماري ومازال إلى يومنا هذا يعبر عن موروث ثقافي وحضاري جزائري أصيل[2].

4.3. الفنادق والمقاهي:

كانت المدينة تضم عدة فنادق وتربيعات ومقاهي تمارس فيها التجارة والصناعة فضلا عن كونها مكانا لإقامة التجار وتخزين سلعهم، أما بالنسبة للفنادق فقد اشتهرت بها المدينة منها تلك التي جاء ذكرها في مخطط مرسييه، وأخرى ذكرت في دفتر أوقاف صالح باي.

- **الفنادق:**

لعبت الفنادق دورا هاما في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، وتركزت في الأحياء المركزية والأسواق وهي متخصصة في التجارة الكبرى والبيع بالجملة، وغالبا ما تكون متخصصة في بيع مادة بعينها، وعرفت تسميات قد لا تعكس النشاط الممارس فيها مثل فندق الزيت، كما اختلف حجمها من فندق لآخر فبعضها يحتوي على عدة غرف وبيوت والبعض الآخر احتوى على حوانيت علوية وسفلية وهي منظمة وعلى رأسها شيخ[3]، كما كانت مخصصة لإيواء المسافرين ويحط بها التجار رحالهم ويتخذون بعض غرفها مستودعات لتخزين بضائعهم وسلعهم[4]، ومن خلال الجدول الموالي نحاول التعرف على أهم الفنادق التي كانت منتشرة في المدينة.

---

[1]– محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 283.

[2] – بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 48.

[3] – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 270.

[4] – عبد الله الشويهد، **مصدر سابق**، ص 31.

جدول رقم (36) يمثل أهم الفنادق في مدينة قسنطينة[1]

اسم الفندق	المصدر
فندق صالح باي	دفتر أوقاف صالح باي
فندق سوق الخرازين	//
فندق بن نعمون	//
فندق بني مزاب	سجل الوفيات
فندق بن نويوة	أرنست مرسييه
فندق الزيت	//
فندق قيسارلي	//

مثلت الفنادق أهم المنشآت العمرانية التي ظهرت في العهد العثماني في مدينة قسنطينة، ولعبت عدة أدوار فقد كانت أماكن للإقامة وتخزين السلع والمحاصيل الزراعية كما كان لها أدوارا تجارية، وبالإضافة إلى الفنادق عرفت المدينة التربيعات، والتي كانت تلعب نفس الدور الذي تلعبه الفنادق، غير أنها مخصصة للحرفيين والصناع أكثر من كونها مكانا لإقامة التجار وتخزين سلعهم وبضائعهم وقد أحصى مارسييه ست تربيعات وأضاف لها الأستاذ دحدوح ثلاث تربيعات جاء ذكرها في سجلات المحاكم الشرعية، والتي تم التطرق لها في الفصل السابق.

- **المقاهي:**

تعد المقاهي إحدى الرموز الاجتماعية والاقتصادية التي تبرز الطابع العمراني والوجه الشرقي للمجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع القسنطيني بصفة خاصة، من خلال ما توفره من عمليات التواصل والتلاقي بين أفراد هذا المجتمع، فهي تمثل مجال مشترك يتم عبره تمرير الأحاسيس والانطباعات وآلام وأفراح المجتمع عبر مختلف مراحل حياته[2]، كما كانت مكانا مهما للتلاقي بين أفراد المجتمع القسنطيني وحتى الأجانب الذين تعلموا لغة البلد وتفاصيل معيشته

---

[1] - عبد القادر دحدوح، **مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن 10-11هـ/16-17م**، مصدر سابق، ص 46.

[2] –بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 49.

اليومية بفضل المقاهي[1]، واعتبرت هذه المنشآت في العهد العثماني وغيرها من الفترات الأخرى أماكن للترفيه والتسلية فكانت تقدم فيها مشروب القهوة والشاي[2]، كما كان للمقاهي أدوارا سياسية تتمثل في حماية كل لاجئ قد يقصدها حتى وأن كان هذا الأخير قد ارتكب جرما[3].

وأصبحت المقاهي التقليدية في المدينة مكانا للتسلية والاستراحة، وسوقا للعمل وعقد الصفقات التجارية وللوساطة في النزاعات الاجتماعية وللزواج والطلاق والخطبة، مثلما تضاعفت وتنوعت الشرائح الاجتماعية التي أصبحت تتعامل مع المقهى حيث يلتقي فيه كل شرائح المجتمع القسنطيني من الزنجي والعربي والقبايلي والمزابي والبسكري[4].

كما كان للمقاهي دورا هاما في إثراء الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية فالكثير منها ينتشر في مناطق وشوارع وأزقة المدينة ببساطتها وأشكالها ومظاهرها[5]، وشكلت هذه المرافق المختلفة على المستوى الوظيفي فضاءات جماعية صالحة للممارسات الاجتماعية، وعليه فهي ذات طابع جماعي واجتماعي، وهي تشكل أهم مجالات اللقاء وتبادل الأفكار والآراء[6].

4. العمارة العسكرية أو الدفاعية:

يمثل الأمن والاستقرار قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر، وانطلاقا من هذا كان لابد من تحصين المدن على غرار مدينة قسنطينة، وكان موقع قسنطينة المنيع مناسبا لإقامة معسكر دفاعي منذ العهود القديمة فهو يشكل سور طبيعي، وقد اعتمدت عبر تاريخها على حصانتها الطبيعية، غير أن ذلك لم يمنع حكامها من إقامة دفاعات وتحصينات تتمثل في الأسوار والأبراج التي كانت قائمة قبل الاحتلال الفرنسي[7]، وأشار الحاج أحمد بن مبارك القسنطيني

---

[1] –أبو العيد دودو، **مصدر سابق**، ص 63.

[2] –حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، **مصدر سابق**، ص 60

[3] – خديجة دوبالي، رسائل أحمد باي، **مرجع سابق**، ص 74.

[4] – بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 41–42.

[5] – **نفسه**، ص 40.

[6] –إبراهيم يوسف، **إشكالية العمران**، مرجع سابق، ص 99.

[7] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 96.

العطار لما تتمتع به المدينة من حصانة ومناعة فقال" إن قسنطينة من زمن إبراهيم عليه السلام، وهي عامرة لم تطفأ لها نار ولا دخلها عدو قهرا، وكانت في سالف الزمان تسمى بالحصن الإفريقي يضرب بها المثل في التحصين لكونها مبنية على جبل ووادي محيط بها من كل جهة كدوران الخاتم في الأصبع"[1]، كما وصفها الحسن الوزان بأنها مدينة ذات أسوار عالية وسميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية، يمر عند قدميها نهر ويقصد به وادي الرمال، والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضا بصخور، وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة الجبل، بحيث أن الصعود إلى قسنطينة لا يمكن إلا من طريقين صغيرين ضيقين، أحدهما إلى الشرق والآخر إلى الغرب[2].

1.4. الأبراج والأسوار:

تعد الأبراج والأسوار والخنادق والحصون من المباني الدفاعية، فقد ظهرت بوادر العمارة الدفاعية في العمارة الإسلامية، كضرورة عمرانية أساسية وهي توفير عنصر الأمن والاستقرار وحماية المدينة، وتعد من جهة أخرى رسما حدوديا للفراغ القابل لتعمير، وبرز السور كستار للمدينة يلتف حولها، ومن خلالها يمكن المراقبة والحراسة وتختلف أشكالها وغالبا ما يحتل البرج موقع زاوية في السور[3].

وتعد الأبراج جزءا هاما من الأسوار لها وظيفة المراقبة بفعل علوها واشراف القائمين فيها على داخل وخارج المدينة، وتمثل الأبواب مداخل وفتحات بالأسوار يلجأ لها الداخلون إلى المدينة والخارجون منها[4]، واعتبرت الأسوار والأبراج من المعايير الحضرية التي تميز المدن العربية،

---

[1] – أحمد مبارك ابن العطار، **مصدر سابق**، ص 87.

[2] –حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ص 55–56.

[3] –العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 23 –24.

[4] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 50.

وكان بناؤها من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، وعكست عناصر العمارة العسكرية تطور أساليب الدفاع والحراسة والاستطلاع[1].

وكان للمدينة أبراج حجرية تشمل حجرات مخصصة للحراسة وموظفي الجهاز المالي وأهل الجباية القائمين على مراقبة البضائع والسلع الصادرة منها والواردة إليها[2].

- **حصن القصبة:**

كانت المدينة محمية بأربعة حصون تقع جميعها بالجهة الشمالية للمدينة وكان أعلاها وأهمها حصن القصبة، الذي بني في عهد الحاج "أحمد باي" لحماية المدينة من الغزو الفرنسي سنة 1836م، ويقع على بعد حوالي 1000 خطوة من باب القنطرة وكان مجهز بمدفعين[3]، وهي من أهم المنشآت الدفاعية في تاريخ المدينة فهو مقام في موضع استراتيجي، وهي بناء قديم في شكل قلعة صغيرة وكانت تستعمل كثكنة للحامية، كما حافظت على وظيفتها الدفاعية من العهود القديمة، ولم تفقد دورها كمعلم دفاعي حتى الفترة العثمانية أين قام الحكام الأتراك بإصلاحها وتحديثها واتخذت لفترة مقرا لسكن باي قسنطينة ولعبت دور القلعة في عهد "أحمد باي" وهي آخر معاقل الدفاع ضد الاحتلال الفرنسي[4].

- **برج المنصورة:**

بعد استقرار الأتراك بمدينة قسنطينة في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي أقاموا أبراجا في البداية خارج المدينة منها برج المنصورة الذي شيد على مشارف المدينة عند قدوم الأتراك أول مرة[5].

---

[1] – محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، **مرجع سابق**، ص 121–122.

[2] – حسن الوزان، وصف افريقيا، **مصدر سابق**، ص 427.

[3] – فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 74.

[4] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني**، ج2، مرجع سابق، ص 100.

[5] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 65.

- **برج سوس:**

يقع في جهة الغرب وقد ذكره أحمد مبارك العطار " كان في جهة الغرب برج بقيت منه بقية إلى اليوم يعرف ببرج سوس[1]، وكان غاية في العلو والارتفاع فإذا صعدوا إلى أعلاه بفنار[2]، وهو أهم وأعلى منشأة دفاعية يرتفع داخل السور من جهته الغربية بين الزاوية الشمالية والشرقية وباب الوادي، وهو في الأصل برج بيزنطي مربع كان يعزز دور القصبة الدفاعي[3].

- **برج كدية عاتي:**

بني سنة 1037هـ/ 1628م بكدية عاتي جنوب غرب المدينة، وهي ربوة قدرت مساحتها ب 900 قدم و300 عرضا، تقع قبالة أبواب المدينة باب الجابية باب الواد وباب الرحبة[4]، وهدم هذا البرج على يد القوات التونسية عند هجومها على المدينة سنة 1112هـ/1700م، وأعاد بناؤه الباي "أحمد بن فرحات"[5] سنة 1700م/ 1703م، وهو من أمتن الأسوار ويقارب سمكه مترا ونصف، وتوجد خلفه مخابئ تخزن بها ذخيرة المدفعية وكان لهذا السور ثلاثة أبواب باب الجابية في الشرق وباب الرحبة أو باب الوادي في الوسط والباب الجديد في الغرب ، كما كانت له زاوية

---

[1] – من الأسماء التي تم ترجمتها خطأ في النصوص الفرنسية من صيغته برج عسوس إلى برج السوس. ينظر: فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 242.

[2] – أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 36–37.

[3] –ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني**، ج2، مرجع سابق، ص 98.

[4] – فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 76.

[5] – ابن فرحات باي شقيق محمد باي وحفيد رجب باي أصله عربي ينتمي إلى أسرة تولى منها ثلاث رجال منصب الباي في البايلك وهو رابعهم، حكم حوالي عام ونصف ثم أمر الباشا بسجنه وإعدامه، ينظر، محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية، **مصدر سابق**، ص 63.

متقدمة في وسطه[1]، بالإضافة إلى برج الفسقية الذي بدأ بناؤه الباي "أحمد القلي" (1756م-1771م)[2]، وأتمه خليفته "صالح باي" 1771م-1792م[3].

وتزيد الأبراج عن الأسوار بكونها تشكل بناية تحتوي أحيانا على طابقين، فهي ترتفع عن مستويات الأسوار العادية[4]، وقدمت التقارير الفرنسية بعد احتلال المدينة وصفا للحصون التي تحميها، حيث ذكرت أنها قد يصل سمكها بين 1.5 و3 أمتار بنيت من بقايا البنايات الرومانية ووراءها توجد مخازن الذخيرة الحربية، وفوقها تقع منصات المدافع الموجهة نحو كدية عاتي[5].

ونصبت قرب مسجد "سيدي راشد" بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة بطارية قادرة على حمل مدفعين، وبين باب الجابية وباب الرحبة يوجد سور به سبعون فتحة للإطلاق، وقد جهزت بتسعة وعشرين قطعة سلاح من مختلف الأحجام، كما بنى "أحمد باي" بعد معركة قسنطينة الأولى سنة 1836م قرب أبواب المدينة سورا عرضه ثلاثة أمتار، ورمم باب القنطرة وجعل من الضاحية المقابلة لها ساحة واسعة لتجمع قواته، وحفر حولها خندقا أحاطه بمتاريس من التراب، بالإضافة إلى المداخل وهي فتحة في السور وغالبا ما تكون محصنة بواسطة دعامتين بارزتين من الخارج، ويتم الوصول إلى المدخل عبر تحقيق الكثير من المتطلبات البيئية والحضارية والجمالية والاجتماعية مثل الخصوصية والتوجه نحو الداخل[6]، وكانت دفاعات مدينة قسنطينة تعزز أو تقل وتتغير حسب الظروف وإمكانيات السلطة الحاكمة، فعشية الاحتلال الفرنسي (1830م-1837م) كانت تقتصر على بطارية واحدة تدافع عن منفذها إلى طريق الجزائر[7].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 99.

[2] - أحمد القلي، هو جد الحاج أحمد باي بن محمد الشريف آخر بايات قسنطينة كانت ولايته سنة 1170هـ-1185هـ/ 1756م-1771م وهو من أصل تركي ونسب إلى مدينة القل لإقامته بها مدة طويلة في وظيفة آغا للاطلاع ينظر: محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر، ج2**، مصدر سابق، ص 294-295.

[3] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 67.

[4] - عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 50-51.

[5] -جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 66.

[6] -العمودي التجاني، **مرجع سابق**، ص 18.

[7] - ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 99.

2.4. الثكنات والحاميات:

تعرف الحاميات أو النوبات[1] بأنها الفرقة العسكرية التي تقوم بحراسة الحصون والقلاع والأبراج، ويسمى الجندي الذي يقوم بعملية الحراسة فيها بالنوباتجي، وتتكون النوبة من مجموعة صفرات[2]، وكل سفرة تحتوي على مجموعة من الجند[3].

وكانت مهمة الجنود داخل النوبة بالإضافة للحراسة فرض الأمن والاستقرار وتثبيت الحكم التركي فهي وسيلة القوة الوحيدة التي كانت السلطة العثمانية تعتمد عليها في بسط نفوذها داخل البلاد، كما تقوم بجمع الضرائب من القبائل المستعصية وإخماد الثورات الداخلية، وكان العمل في الحاميات إجباريا ولا أحد يستطيع التنصل منه ويدوم سنة واحدة[4]، واعتمد العثمانيون في عواصم البايلكات على غرار مدينة قسنطينة وفي النقاط الاستراتيجية على حاميات ارتكز معظمها في القيادات المحاذية للقبائل لتأمين جمع الضرائب وضمان الولاء والطاعة[5]، وانتشر في بايلك قسنطينة عدة حاميات نذكر منها:

جدول رقم (37) حاميات بايلك قسنطينة[6].

النوبة أو الحامية	عدد السفرات	عدد الرجال
حامية قسنطينة	05 صفرات	75 رجلا
حامية عنابة	05 صفرات	72 رجلا
حامية بسكرة	04 صفرات	73 رجلا
حامية جيجل	02 صفرات	29 رجلا

[1] – النوباتجي مفردها نوبة أي دورة الحراسة وهي الوقت المحدد لكل واحد للقيام بالحراسة المتوجبة عليه. ينظر عبد الله الشويهد، **مصدر سابق**، ص 111.

[2] – صفرات مفردها صفرة تعني المائدة التي يجتمع حولها الإنكشارية للأكل أو مناقشة أمور الدولة، وتطلق أيضا على الكتيبة التي تتكون عادة من 16 إلى 21 مجند، ينظر: جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 9.

[3] –عائشة غطاس وآخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ط خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 81.

[4]- Devoulx, **Tachrifet, Recueil de notes historique de l'ancienne régence d'Alger**, imprimerie du Gouvernement, Alger 1852, p 50.

[5] – أحمد سيساوي، البعد البايلكي، **مرجع سابق**، ص 22.

[6] - Devoulx, op **cit.,** p 34-35.

حامية تبسة	02 صفرات	20 رجلا
حامية برج حمزة (البويرة)	01 صفرة	26 رجلا

انتشرت في مدينة قسنطينة بالإضافة إلى الأبراج والحصون مجموعة من الحاميات في المدن الكبرى بالبايلك أهمها حامية قسنطينة وعنابة والتي كانت تضم أكبر عدد من السفرات والرجال وذلك للضرورة السياسية والدفاعية للمدينتين.

5. المنشآت العمرانية للشبكة المائية:

تعد المنشآت العمرانية للشبكة المائية من أبار وعيون وسبالات وصهاريج من أهم المرافق التي لها دور أساسي في تزويد المدينة بالمياه سواء للشرب أو للأغراض المختلفة.

1.5. طرق جلب الماء إلى المدينة:

يشكل الماء أهمية كبيرة للسكان باعتباره من الموارد الحيوية والاقتصادية التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال[1]، وتعد مشكلة توفير مياه الشرب في مدينة قسنطينة قديمة تعود للفترة الرومانية، حيث كان السكان يجلبون مياه الشرب من منابع بومرزوق والتي تبعد بحوالي 15 كلم من المدينة، وذلك بواسطة قنوات عبر سهل الرمال حتى المدينة[2]، ويذكر الحاج "أحمد بن مبارك العطار"، أن الماء بالمدينة يجلب من رأس عين وادي بومزوق بصنعة عظيمة وساقية بديعة تحت الأرض[3]، في حين يذكر الورتيلاني في رحلته أن أهل قسنطينة كانوا يستسقون من ماء وادي الرمال، حيث يقول: "**...وتحتها واد كبير وماؤه عذب منه يشربون إذ ينقلون ماؤه إلى الديار وفيه يسقون ويستسقون ويغسلون ويغتسلون، وعليه بنيت المدينة من قديم الزمان...**"[4].

---

[1] -أحمد البوزيدي، **(قضايا توزيع الماء بواحة درعة (من خلال الوثائق المحلية)، ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، أيام 10-11-12-ديسمبر 1996، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص 79.

[2] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 59.

[3] -أحمد بن مبارك العطار، **مصدر سابق**، ص 8-9.

[4] -الحسن بن محمد الورتيلاني، **الرحلة الورتيلانية**، مصدر سابق، ص 686.

وظل هذان الوادان المورد الأساسي للماء في المدينة، بالإضافة إلى روافد بعض الينابيع التي تتجمع بوادي الرمال وتنحدر من نواحي المدينة من قبيل السبع عيون، ونبع أم دياب الأتية من هضبة المسيلة، ومياه عين الغدير المنحدرة من حواجز الجرف نواحي "سيدي راشد" بالزاوية الجنوبية الشمالية للمدينة، وتصب في الوادي من علو ثلاثين مترا، وروافد الرمال الأخرى هي عين اللوزات على الضفة اليمنى بين معبر مجاز الغنم والجسر، وينابيع "سيدي مبروك" على سطح المنصورة، ونبع الصفصاف الذي قام "صالح باي" بتوجيهه عبر قنوات تحت الأرض ليربطه مع "عين العرب" الواقعة بأعلى سوق الغزل بحوض بالقرب من الجسر، وذلك حتى يوفر على السكان جلب الماء من أسفل الوادي عند باب الجابية، ثم مياه "عين اليهود" المنحدرة من مقبرة اليهود وأسفل القصبة بأعماق الوادي على عمق مائتي متر تقريبا يوجد نبع ذو ماء معدني ساخن تحت كهف نحته الرومان قديما في الصخر وبه الآن ضريح الولي الصالح "سيدي ميمون"[1]، ومعروف اليوم بعين سيدي ميمون[2]، وقد تطرقت مصادر الحملة الفرنسية هي الأخرى إلى الحديث عن صلاحية هذا الوادي للشرب، حيث جاء في رسالة حول قسنطينة بأن المدينة لا يوجد فيها أي منبع للماء، ويجب البحث عنه في الجانب العلوي منها أو السفلي بالوادي، الذي يستسقون منه عبر طريق محمي، كما كان بالمدينة خزانات وصهاريج[3].

إن مسألة تزويد المدينة بالماء كان من الانشغالات الأساسية لحكام المدينة، وقد أدت الشبكة المائية دورا خاصا في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والعمراني للمدينة نظرا لتلبية حاجات الأفران والحمامات والفنادق والدكاكين[4]، لذلك ربطوا عمارتهم بمصادر الماء لما له من أهمية بالغة في حياة الأفراد[5].

---

1 – سيدي ميمون، شخصية علمية ودينية وولي صالح يشاع أنه يشفي جميع المرضى.

2 – بورايو عبد الحفيظ، **مرجع سابق**، ص 188–189.

3 –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 53.

4 – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 117.

5 – بن الشيخ حكيم، **مرجع سابق**، ص 48.

وعلى هذا الأساس فقد أولى الحكام أهمية كبيرة لمسألة توفير المياه بالمدينة في العهد العثماني، إذ يعود لهم الفضل في تنظيم الشبكة المائية وتسخيرها للاستغلال الزراعي وتلبية حاجات السكان، حيث حرص العديد من البايات الذي حكموا البايلك على القيام بأعمال خيرية في مجال المنشآت العمرانية الخاصة بالمياه، مثل الآبار والعيون والحنايا والسواقي والأحواض والصهاريج والقنوات التي تشكل في مجموعها شبكة مائية كثيفة تقوم عليها الزراعة، ويعتمد عليها السكان في تلبية حاجاتهم الضرورية من المياه[1]. كما اتخذت الاحتياطات اللازمة بشأن تزويد المدينة بالمياه في الفترات الصعبة أيضا كحدوث الزلازل أو الجفاف والهجومات الخارجية على المدينة[2].

2.5. الآبار والعيون:

لم تكن كل المنازل مزودة بالقنوات المائية، وكان الكثير منها تحتوي على العيون والآبار، ويتزود عدد منها بالماء بسقيه من السقايات الموجودة في محيط المدينة[3]، توجد في كل مبنى بئر عذبة وهي مصدر الماء الوحيد لسكان ولهذا يتطلب استخدامه نظاما دقيقا يعرف بنظام الدالة أو الدور، حيث يخصص لكل عائلة يوم من أيام الأسبوع لاستخدامه في غسل الملابس وتنظيف المسكن، وهو بذلك يطرح صورة للحياة الجماعية داخل هذه المباني[4]، ومن الملاحظ أن هذه العيون التي اشتهرت بها المدينة، كانت محل رعاية واهتمام من طرف الحكام الذين أحدثوا لمراقبتها وصيانتها جهازا إداريا أوكلوا الإشراف عليه إلى أمين الصندوق أو "خوجة العيون"، ووضعوا تحت تصرفه مجموعة من الموظفين (الكتاب والشواش)، وأوقفوا عليه العديد من الأملاك لينفق مردودها على ما يتوجب من إصلاح وترميم وصيانة، وهذا الجهاز الإداري الذي أوكل له أمر الإشراف على عيون المدينة لم يكن يقوم على تدخل الدولة ومساهمة الحكام فقط، بل كان

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 372.

[2] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 115.

[3] – عبد اللطيف الخلابي، **مرجع سابق**، ص 233.

[4] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 282.

يعتمد كذلك على المؤسسات الخيرية والهبات الفردية التي كانت تخضع في تنظيمها لأحكام الشرع والأعراف المحلية المعمول بها، وهذا ما ساعد على تسير هذا الجهاز بدقة وكفاءة أشاد بها موظفو الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال، بعد أن عجزوا عن تعويضها واستبدالها بجهاز إداري على النمط الأوروبي[1].

3.5. الأحواض والصهاريج:

تطلبت شبكة العيون إقامة مجموعة من الأحواض والصهاريج دعت إلى بنائها الحاجة إلى الاحتفاظ بكمية كافية من المياه واستخدامها أثناء فترات الجفاف أو عند حدوث الزلازل التي تتسبب في اتلاف القنوات الموصلة للمياه خارج المدينة، فالخوف من انقطاع الماء جراء الجفاف أو الحروب والاضطرابات أدى إلى حث السكان على احداث أحواض وصهاريج صغيرة داخل المنازل لحفظ الماء أو لتخزين مياه السواقي، وقد أدت هذه السياسة التي انتهجها الحكام إلى ارتفاع عدد هذه الأحواض المنزلية[2]، وكانت المنازل والقصور مزودة بالصهاريج تستعمل لتخزين المياه الواردة من العيون التجارية داخل المدينة أو خارجها، كما تحصل بها العائلة في موسم الأمطار على ما يكفي الحاجة العادية من الماء[3]، وكان الماء من دون شك يجمع في هذه صهاريج ومنها يصب في ساقية كانت تساير سور المدينة يستغله السكان في حالة الحصار والجفاف[4].

4.5. السبالات:

إن عدم إمكانية إقامة عيون ماء داخل مدينة قسنطينة دفع الحكام منذ زمن قديم إلى إنشاء سبالات أو خزانات الماء، وتوجد منها سبع، ولكن لا يستعمل منها لحفظ الماء سوى أربعة، وهذه الخزانات التي تقدر سعتها بثلاث أمتار تقريبا وبعمق متر واحد موزعة على مختلف أحياء المدينة

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 380.

[2] –**نفسه**، ص 380.

[3] –وليام شالر، **مصدر سابق**، ص 95.

[4] –عبد القادر دحدوح، **قسنطينة محطات تاريخية**، مرجع سابق، ص 89.

وهي تزود يوميا بماء العيون الموجود خارج المدينة، ويحمل إليها الماء على ظهور البغال ولا يستعمل السكان ماءها إلا للشرب، ويتوجب عليهم في هذه الحالة عدم التبذير ويكون الاستعمال محدود، كما خصص لمخازن الماء هذه أوقافا توفر مداخيل تصرف على صيانتها وجلب الماء إليها[1].

قدر عدد الأسبلة بمدينة قسنطينة عند دخول الاستعمار الفرنسي للمدينة بسبعة، وكانت في شكل خزانات مقاساتها حوالي ثلاثة متر مربع، وعمقها واحد متر، وهي تتوزع على مختلف أحياء المدينة، وربما يعود وجود هذه الأسبلة إلى غياب منابع الماء بالمدينة، وهي من المعالم التي جاء ذكرها في الوثائق منها دفتر أوقاف مدينة قسنطينة، حيث جاء ذكر كل من سبالة الموقف، سبالة سوق الحدادين، سبالة رحبة الصوف، سبالة أسفل العطارين، سبالة باب الوادي، سبالة باب الجابية وسبالة سيدي سعيد الصفروي، كما حازت هي الأخرى على أوقاف، وما يلاحظ أن هذه المنشآت الخيرية التي ساهم بها الحكام المصلحون لها أوقاف من الأملاك والأراضي الزراعية التي يخصص مردودها لسد النفقات المترتبة على صيانتها، هذا بالإضافة إلى المنشآت الخاصة التي أقامها ملاك الأراضي لري أراضيهم وتوفير المياه لمنازلهم الريفية، وكان حفر الآبار وسط المنازل الريفية والحدائق بحيث أصبح لكل منزل بئر خاص به[2].

ومن أمثلة اهتمام الأعيان بتوفير الماء الصالح للشرب في الأماكن العمومية، أن مصطفى قيسارلي[3]، خص سبالة كان قد بناها سنة 1195هـ، بأوقاف لمدة أربعة عشر سنة كاملة، حيث أوقف دار قرب سيدي السبعيني عليها، كما أوقف الثمن الواحد على الشياع من الفندق الموجود في سوق الخرازين على السبالة ليصب فيها ماء الشرب، وحبس في نفس السنة أرض كان يملكها في وطن الحامة على نفس السبالة، وفي سنة 1203هـ حبس ربع حانوتين على نفس السبالة

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف –مراسلات وتقاييد ومذكرات وتقارير**، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 226.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 372.

[3] – مصطفى قيسارلي، ناظر أوقاف جامع سيدي السبعيني.

وشطر دار قرب سيدي البيازري، وهو ما يدل على حرص الأعيان والحكام على ضمان مياه الشرب للمارة في سوق الجمعة والقاصدين الجامع الأعظم[1].

ونرصد من خلال وثائق عينة الدراسة المتمثلة في (350) وثيقة أحد العقود الذي يدل على ذلك جاء فيه ما يلي: "**وفي مفتح هذا الشهر حضر المكرم محمد بن سي حمد البجاوي أمام الشيخ القاضي في التاريخ وأمام شاهديه وقبض واحد** ريال **بتقديم الماء الجوفية على السنين التي كانت ...** "[2].

وعليه فالأسبلة من المجالات التي حازت حظها من الأوقاف، ويرجع وجود هذه المنشآت الخيرية إلى قلة الماء بالمدينة حيث كان الماء يجلب من وادي الرمال، كما تقوم شبكة العيون والأحواض بالمدينة بتلبية حاجة الأفران والحمامات والفنادق والدكاكين، والتي تستهلك كمية كبيرة من المياه، وهو ما يؤكد أهمية هذه الشبكة المائية في النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمدينة[3].

5.5. دور السقاءين:

شكلت عملية جلب الماء إلى المدينة حرفة ومهنة عند بعض السكان، وكانوا يلقبون بالسقائين، وهم الذين يبيعون الماء من الوادي لأهل البلد[4]، ويتولى هذه المهمة حرفيون امتهنوا حرفة السقاية بأجر، وكان هذا الأجر يدفع من غلة الأوقاف المحبسة على كل سبالة أو عين، وبما أن المهنة جزء لا يتجزأ من الهوية الفردية، فقد ورد ذكر لمهنة السقاية في وثائق عينة الدراسة منها احدى العقود في سجل الوفيات، حيث جاء ذكر إبراهيم السقاي (أي الناقل للمياه)[5]، وشكلت تنظيمات جماعة السقاءين والحمالين عنصرا أساسيا من عناصر المظهر الاجتماعي، وبحكم ذهابهم من منزل إلى آخر هيئ لهم أن ينفذوا إلى أعماق البيوت، لذلك لعبوا دورا مهما

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مرجع سابق، ص 76.

[2] –**و. م. ش**، السجل 4، و215، 1222هـ، أ. و. ق.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 381.

[4] –عبد الكريم الفكون، **منشور الهدايا**، **مصدر سابق**، ص 177.

[5] -Isabelle Grangaud, **op.cit**, p 40.

في نقل الأخبار ونشرها وساهموا بطريقة مباشرة في الحياة اليومية للأهالي في المدن حيث كان السقاءين يستخدمون كوسطاء لنقل الأخبار[1].

6.5. طرق اخراج الفضلات من المدينة:

خضع تنظيف المدن الجزائرية في العهد العثماني إلى تنظيم محكم ودقيق، وهو تحت الإشراف المباشر لقايد الزبل[2]، ويعاونه في مهمته عدد من الموظفين وكان هذا النظام يقضي بإلزام السكان قواعد وضوابط محددة للنظافة، وتشير المصادر الغربية أن لقايد الزبل في الفترة المتأخرة فريق مساعد يتكون من ثلاثين شخصا، مكلف بمهمة تنظيف شوارع المدن الكبرى، وكانت عملية التنظيف يومية إذ يمر المكلفون بالتنظيف كل صباح[3]، كانت القمامات تلقى من أعلى الأسوار بجوار ضريح "سيدي ميمون"[4]، بواسطة البغال أو الحمير وعلى ظهرها الشواري ويحملون ما جمعوه من قمامات إلى خارج المدينة وقد اكتسبت عملية تنظيف الشوارع أهمية بالغة حيث تميزت بالصرامة، فقد فرض على السكان الالتزام بقواعد وضوابط معينة مثل وضع القمامات في أماكن أعدت لهذا الغرض لتسهيل جمعها من طرف الأعوان وقد كان يسلط على كل متهاون عقوبات صارمة[5].

وتقدم المصادر "قايد الزبل" أو "قايد الشوارع" على أنه الموظف الذي يتولى مهاما خدماتية اجتماعية في مدينة قسنطينة تحت مسميين يبدوان أنهما لموظفين يختلفان في المهام، ولكن مجرد مقارنة المادة الخبرية في سياقاتها الزمنية نعرف أن هاتين اللفظتين تدل على الموظف نفسه، إذ يسمى "قايد الشوار" أو "قايد الزبل"، وفي بعض المصادر وردت لفظة "الزوبية" المرادفة لكلمة

---

[1]– عبد العظيم عباس نصار، (التنظيمات الحرفية والصناعية المحلية في العهد العثماني)، **مجلة مركز دراسات الكوفة**، العدد 43، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2016، ص 213.

[2]– يعرف كذلك بقايد الزوبية وهو ضابط شرطة يتولى مهام نظافة المدينة. ينظر: Venture de Paradis, **Topographie et histoire**, op.cit, p 161.

[3] –عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 113.

[4] – ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 96.

[5] – عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون**، مرجع سابق، ص 113.

الزبل، وهي اللفظة الأكثر تداولا في مدينة الجزائر، ولا تتوقف مهام "قايد الزبل" على مجرد أعمال النظافة بل تتعداها إلى تبليط شوارع المدينة وترصيص مجاريها وأرصفتها[1]، كما أن لقايد الزبل مهام أخرى منها مرافقة الوزراء والبايات في تنقلاتهم أثناء المحلة أو الدنوش، وهو ما ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكراته، حين قال: "... ثم يأتي الرجل الذي يتقدم أمام الوزراء ويسمونه قايد الزبل..."، وعلى هذا الأساس فإن مهام قايد الزبل أو قايد الشوارع تختلف وتتنوع داخل المدينة[2]، كما يحصل هذا القايد بحكم وظيفته على العوائد في كل دخول وخروج، بالإضافة إلى ترضيات قياد الأوطان في المناسبات السعيدة والأعياد، ورغم وضاعة المهنة كما يبدو من خلال لفظها أو مهامها غير أنها كانت محل منافسة بين الأتراك رغم أن بعض المصادر تشير أن البرانية هم من تقلد هذه الوظيفة، غير أن الوثائق رصدت كذلك أسماء للأتراك تقلدوا الوظيفة في مدينة الجزائر، في حين أن أغلب أعوان هذا الموظف في أعمال النظافة من فئة البرانية وعلى وجه الخصوص البساكرة، المزودين بالبغال والسلال المصنوعة من الحلفاء، والذين ينتدبهم أمين البساكرة لهذه الأشغال، وهو المسؤول عن ممارساتهم المخالفة للعادة وأخلاقيات المهنة، مثل سرقة المنازل والحدائق أو التعدي على الحريم في أحياء المدينة أثناء التنظيف أو الحراسة الليلية[3].

ومنه نستنتج أن مهمة تنظيف المدينة وإخراج الفضلات منها كانت توكل لعامل يعرف بقايد الزبل والتي كانت في الأغلب من نصيب الأتراك أما الأعوان أو المساعدين فكانوا من عناصر البرانية.

7.5. التأثير العثماني والأندلسي في عمران المدينة:

اتخذ الشكل العمراني لمدينة قسنطينة عبر العصور أشكالا مختلفة متأثرا بالعناصر المشكلة للمجتمع القسنطيني خاصة الأتراك والأندلسيين، ففي الفترة الأخيرة من العهد العثماني عرفت

---

[1] – سعيد شريدي، **مرجع سابق**، ص 362.

[2] – أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف، **مصدر سابق**، ص 42.

[3] – سعيد شريدي، **مرجع سابق**، ص 363–364.

المدينة تطورا ملحوظا في الجانب العمراني خاصة في عهد "صالح باي" الذي أعطى أولوية للجوانب الحضارية والعمارية.

حكم "صالح باي" الغني عن التعريف والذي يعد من أشهر بايات قسنطينة بايلك الشرق لمدة واحد وعشرين سنة من 1185هـ-1771م إلى 1027هـ-1792م، وتميز بالإقدام والمثابرة في مشاريعه السياسية والعمرانية فخلدته الكتابات التاريخية بالتركيز على أهم منشآته وتنظيماته[1]، وارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بتاريخ المدينة، وقد برز ذلك جليا في الجانب العمراني[2]، ومن سياسته العمرانية هو تجهيز الأمكنة دون مخطط مثل التي أنشأ فيها الجامع الأعظم والدار والمدرسة والفندق ودار المرضى، بالإضافة إلى اقتناء الأراضي الشاسعة وجناتها وأوقف البعض منها على الجامع والمدرسة والبعض الآخر على نفسه وأولاده[3]، ففي عام 1202هـ/ 1787م أنشأ صالح باي المدرسة الكتانية الملاصقة لمسجد سيدي الكتاني من الجانب الشرقي بحي سوق العصر أشهر أحياء قسنطينة، والتي اشتهرت باسم المدرسة الكتانية أو مدرسة سيدي الكتاني نسبة إلى الولي الصالح سيدي الكتاني المدفون بتلك البقعة[4]، كما نقل صالح باي المركز الرسمي للحكم من باب الواد حيث دار الباي إلى سوق الجمعة حيث بيته الجديد والجامع الذي يصلي فيه، وأحدث في الطابق الأسفل لبيته ستة عشر حنوتا كلها مسخرة لرعاية الجامع والمدرسة[5]، ومن مآثره تشجيعه للمشاريع العمرانية وانشاؤه للجسور منها جسر القنطرة بطرف قسنطينة فوق الهوى وأتقن بنيانها وكانت فيها منفعة للعباد وحصنا للبلد[6]، حيث ورد ذكرها في مخطوط صالح باي على أنه "**بنا قنطرة بديعة حسنة خارج باب القنطرة أحد أبواب بلد قسنطينة وأمر بإخراج أهل البلد جماعة وحفروا الساس ...فبناها رجل من الجنويين له المعرفة التامة بنيانا أمثل، والسيد**

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق، ص 11.

[2] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 80.

[3] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق، ص 14-15.

[4] – محمد المهدي بن علي الشغيب، **أم الحواضر**، **ج2**، مصدر سابق، ص 319.

[5] – فاطمة الزهراء قشي، **سجل صالح باي للأوقاف**، مصدر سابق، ص 15.

[6] – محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر**، **ج2**، مصدر سابق، ص 315.

صالح باي يتفقده كل يوم وينظر بناءه فيجده غاية ويخرج معه إلى اللهو وغير ذلك وبناها بحجر أوتي به من جبل المنصورة المقابل للبلد، ومع ذلك فأهل البلد يجدون في الخدمة ومداومون عليها وهو أحد منهم"[1].

وكان "صالح باي" ينوي تزويد المدينة بالماء من "عين العرب" الواقعة في أعالي سوق الغزل، غير أن مقتله حال دون تحقيق مشروعه الضخم لجلب الماء للمدينة، وهو المشروع الذي اتهم بسببه أنه يرمي إلى الاستقلال والانفصال مما أنجر عليه غضب الداي وأمر بالتخلص منه[2].

وعليه انعكس الطراز والتأثيرات التركية في الناحية العمرانية من خلال هندسة البيوت والمساجد وغيرها من المنشآت الأخرى.

كما شكلت الهجرة الأندلسية عامل ازدهار اقتصادي وتطور عمراني ونمو بشري، حيث عمل الأندلسيون على بعث بعض المدن وتطوير مدن قديمة، وكان تأثيرهم في مجتمع المدن عميقا جدا ومس مختلف أوجه الحياة[3]، وجاء الأندلسيون إلى البلاد المغاربية حاملين معهم أموالهم وأذواقهم الأندلسية وميولهم، فدعموا ذلك اللون الأندلسي للعمارة والحضارة الغربية والذي كان مكسبا للبلاد من الناحية الحضارية[4].

أما بالنسبة للمجال العمراني فقد تطورت العمارة في المدن الجزائرية وامتزج فيها الذوق المحلي بالذوق الأندلسي، وظهر ذلك جليا في المساجد والقباب والقلاع، في حين ظهر الذوق المحلي في القصور والمنازل والمساجد أيضا، وكانت أدوات البناء تجلب في بعض الأحيان من الخارج خاصة من تونس وإيطاليا[5].

---

[1] –**مخطوط صالح باي**، و12، أ. و. ت.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، **الشرق الجزائري**، مرجع سابق، ص 145.

[3] –ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص 233.

[4] – يحيى جلال، تاريخ المغرب الكبير، ج3، **مرجع سابق**، ص 19.

[5] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج2**، مرجع سابق، ص 196.

وبذلك مثلت الهجرة الأندلسية انعكاس إيجابي على الحالة العمرانية التي شهدت نموا ملحوظا بفضل استقرار العنصر الأندلسي الوافد وتطورا لم تعرفه المدن الجزائرية منذ العهد الحمادي، وهذه النهضة العمرانية بدأ ترتسم ملامحها ابتداء من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، وتتمثل بالخصوص في إنشاء مراكز حضارية جديدة وإعادة بناء المدن والقرى التي أصابها الاضمحلال منذ مدة طويلة والنهوض بها اقتصاديا وعمرانيا بعد استقرار الأندلسيين بها[1]، حيث أضفوا بصمتهم المتميزة على هذه المدن من خلال طريقة البناء والزخرفة وجلب المياه وانشاء العيون وأسلوب العمارة، وذلك بما كسبوه من مهارات توارثوها عن أسلافهم في الأندلس[2].

وتميزت أماكن تجمعات الأندلسيين بالمدن الجزائرية بطابع عمراني خاص حيث أدخلوا استعمال القرميد الأحمر المائل إلى الزرقة في تغطية سقوف المنازل بدل السطوح التي كانت شائعة قبل مجيئهم، أما المنظر الخارجي للمنازل فكانت تتميز بطلائها الأبيض الناصح بمادة الجير التي اشتهرت بها مدينة الجزائر، كما اشتهر الأندلسيون باستخدام الزخارف المختلفة في بناياتهم[3].

وعلى الرغم من ازدهار المدينة وسيطرتها حضاريا وعمرانيا أيام "صالح باي"، إلا أن الشكل الحضري ظل مجهولا خلال الفترة العثمانية إلى غاية السيطرة على المدينة من طرف الاحتلال الفرنسي، والذي أخذ يضفي على المدينة الطابع العمراني الأوروبي بعد ادخال عدة تعديلات في مختلف المجالات[4]. وهو ما سوف نتطرق له في الفصل الموالي.

نخلص من خلال هذا الفصل إلى مجموعة من نتائج منها:

مثل الشكل العمراني لمدينة قسنطينة صبغة مميزة للمدينة منذ القديم، وقد تطور في الفترة العثمانية خاصة في عهد "صالح باي" الذي أولى عناية كبيرة بالناحية العمرانية.

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث**، مرجع سابق، ص 136–137.

[2] – صالح فركوس، **تاريخ الجزائر فيما قبل التاريخ**، مرجع سابق، ص 116.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية**، مرجع سابق، ص 65.

[4] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص82.

وشكلت العمارة السكنية أهم سمات عمران المدينة الحضرية، كما كان للعمارة الدينية المتمثلة في المساجد والزوايا دورا هاما في الهوية الاجتماعية لسكان المدينة.

كما مثلت العمارة العسكرية حيز هام في المدينة بما احتوته من أبراج وحصون مخصصة للوظيفة الدفاعية.

كان التواجد العثماني والأندلسي من أهم العوامل التي أسهمت في تطور عمران المدينة من خلال ما أدخلوه من زخارف على البنايات والمساجد والتأثير المتبادل بين الواقع العمراني والهوية الاجتماعية لسكان المدينة.

اهتم الحكام بإيصال الماء إلى المدينة من خلال انشاء العيون والآبار والأسبلة والصهاريج التي تستخدم لتخزين المياه، كما أولوا عناية بنظافة المدينة من خلال اخراج الفضلات منها.

يعكس عمران مدينة قسنطينة الثقافة العربية الإسلامية، كما تطور هذا العمران وأخذ تأثيرات العثمانيون والأندلسيون ويتجلى ذلك في العمارة السكنية والدينية والعسكرية وباقي المرافق الأخرى.
إن تفاعل الفئات المشكلة للمدينة مع التطور العمراني خلال أواخر العهد العثماني، ساهم في تشكيل الهوية الحضرية والاجتماعية للمدينة والتي مازالت أثارها شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

الفصل الخامس

التحولات الاجتماعية والعمرانية في مدينة قسنطينة بداية الاحتلال.

1. التحولات الاجتماعية وانعكاساتها على مجتمع قسنطينة.
2. التحولات العمرانية في قسنطينة من العمران التقليدي إلى العمران الأوروبي.
3. التحولات الاقتصادية في مدينة قسنطينة بداية الاحتلال.
4. التحولات الثقافية.

عرفت مدينة قسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي تحولات طارئة مست الجوانب المختلفة الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والثقافية، فالحركية التي شهدها المجتمع أحدثت تغيرا في بنيته التقليدية، ومس هذا التغيير عاداته وتقاليده وخلق مزيجا من النمط الحضري الطارئ، كما غير الوظائف الحضرية والاقتصادية التي كانت قائمة طيلة العهد العثماني، وجاءت هذه التغيرات كنتيجة حتمية فرضتها ظروف الاحتلال الفرنسي لبايليك الشرق بعد سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837م والتي حاولت من خلالها السلطة الاستعمارية القضاء على العرق العربي المسلم وإحلال العنصر الأوروبي محله ودمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي وتجريده من مقوماته.

ونحاول من خلال هذا الفصل إلقاء الضوء على مجموع التحولات التي طرأت على النسيج الاجتماعي والعمراني خلال بداية الاحتلال والتي مست طرق العيش التقليدي كهجرة الأسر والعائلات من مكان إلى أخر أو من مسكن إلى أخر بعد استيلاء المعمرين على أملاك الأهالي والبايلك. وعليه يمكن طرح التساؤل التالي: ما هي أهم التحولات التي طرأت على مدينة قسنطينة بداية الاحتلال؟ وكيف انعكست هذه التحولات على العلاقات الاجتماعية المتوارثة والنسيج العمراني التقليدي؟

1. التحولات الاجتماعية وانعكاساتها على مجتمع قسنطينة:

كان للاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة دور في تغيير البنى الاجتماعية والاقتصادية، بفعل التأثير العميق للاستعمار في عديد المجالات، ويقصد بالتغيرات كل ما طرأ على هياكل المجتمع في كل مجالاته، والمقصود بالتغير الاجتماعي الاختلافات التي حدثت في بناء المجتمع خلال بداية الاحتلال.

يشمل مفهوم التحول مجموع التغيرات الواسعة التي طرأت على النسيج الاجتماعي والعمراني والثقافي والاقتصادي للمجتمع، وقد مست هذه التحولات مختلف العلاقات الاجتماعية بتفاعلاتها السياسية والثقافية، كما أنها مست سلوك الأشخاص وطرق عيشهم وتصوراتهم للحياة والمجتمع

والدين، وكان لها أثر كبير في إعادة توزيع الوظائف الاجتماعية التقليدية وخلق وظائف جديدة على مستوى المدينة[1].

كان سقوط مدينة قسنطينة في يد الجيش الفرنسي سنة 1837م بداية تغيير للحياة القديمة المتوارثة الذي ارتبطت بها المدينة على مدى قرون من تاريخها، وبدأت عهدا جديدا طارئا أقحمها بعنف في التجديد الذي دخلته مرغمة مثلها مثل باقي المدن الجزائرية بداية الاحتلال[2]، الذي وضع حدا للفترة الزاهرة من الرخاء والتعليم، وأجبر قسما كبيرا من الميسورين والعلماء وأصحاب الجاه والمال على مغادرة المدينة[3].

كان المجتمع في مدينة قسنطينة قبل الاحتلال مجتمعا تقليديا كما سبق وذكرنا، ينشط في جميع مجالات الحياة ويتفاعل أفراده وفق أساليب ووسائل تحددها الأعراف والتقاليد[4]، غير أن كل هذا المشهد تغير منذ دخول الاحتلال الفرنسي، حيث شهدت المدينة عدة تحولات في جميع الأصعدة، سواء كانت سياسية، اقتصادية أو اجتماعية وثقافية، وهذا نتيجة عامل التأثر الناتج عن وجود حضارة دخيلة مفروضة من طرف المستعمر الذي حاول أن يفرض نمط حياته على المسلمين الجزائريين تارة بالترغيب وأكثرها بالترهيب[5]، فقد عملت إدارة الاحتلال الفرنسي منذ سنة 1830م على تغيير البنى الاجتماعية التقليدية، ولعب الاستيطان دورا هاما في هذا التغيير الذي أدى بدوره إلى التأثير المباشر والجوهري على المجتمع ووضعه الديمغرافي وتشكيله الطبقي[6].

---

[1] –مصطفى يحياوي وآخرون، **التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المغرب**، تنسيق: آمنة بوغالبي عبد الرحمان علال، ط1، د. ن، الرباط (المغرب)، 2022، ص 4.

[2] –ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ذاكرة مدينة قسنطينة من خلال النصوص التاريخية**، الكتاب الثالث، **مرجع سابق**، ص 209.

[3] –عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830–1850)**، د. ط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د.ت، ص 65.

[4] – عداد محمد الشريف وسمير بشارة، (التحولات العمرانية في مدينة بسكرة وتأثيراتها على المحيط، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع)**، مج 9، ع 5، جامعة أم البواقي، ديسمبر 2020، ص 147.

[5] –عمار بوطبة، **المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919–1956**، مرجع سابق، ص 355.

[6] –عبد المالك خلف التميمي، **أضواء على المغرب العربي–رؤية عربية مشرقية**، ط. خ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 17.

1.1. تفكيك البنية الاجتماعية لمجتمع قسنطينة:

شكلت الجزائر عامة وإقليم قسنطينة بحواضرها المختلفة، وخاصة بداية الاحتلال الفرنسي نموذجا للتحول الاجتماعي بأدواره السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، ومساحة لتطبيق أنواع الممارسات الاستعمارية التي اندرجت في إطار السياسة العامة لفرنسا التي استهدفت فرنسة المجتمع والاقتصاد الأهلي[1]، وترك المشروع الاستعماري الفرنسي بالمدن الجزائرية جروحا عميقة سواء في المجتمع أو العمران؛ حيث استطاعت الآلة الاستعمارية أن توقف لفترة نمو المجتمع الجزائري المتكامل والمتوارث في الإطار الحضاري العربي الإسلامي[2]، وخطط الاحتلال الفرنسي منذ توسعاته الأولى ضرب التماسك الاجتماعي بمجموعة من الوسائل، والسياسات التي أراد من خلالها تفكيك الوحدة القبلية التقليدية وجعلها أداة في خدمة المجتمع والاقتصاد الكولونيالي[3].

وبدأ النسيج السكاني يتغير منذ سقوط مدينة قسنطينة في أكتوبر سنة 1837م بعد إخماد مقاومة أحمد باي والتي كانت تداعيات كارثية؛ سواء على السكان أو العمران، ومنذ ذلك الحين أصبح سكان المدينة يتكون من عنصرين رئيستين هما: السكان المسلمون أو ما بعرف بالأهالي، المستوطنين الأوربيين القادمين مع الحملة الفرنسية من مختلف البلدان الأوروبية، وخاصة من الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى فئة ثالثة وهم اليهود الذين وفدوا إلى الجزائر منذ سقوط الأندلس[4].

2.1. الأقلية الأوروبية وعلاقاتها بساكنة قسنطينة

بعد سقوط مدينة قسنطينة تغير الكثير في فترة وجيزة، حيث لجأت الإدارة الاستعمارية إلى سياسة استيطانية واسعة تتمثل في تشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر وذلك بتقديمها للمعونات

---

[1] –كمال بيرم، تاريخ حاضرة قسنطينة (من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني الحضنة نموذجا)، **مجلة الثقافة الإسلامية**، ع 13، الجزائر، 1437هـ/2015، ص 29.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص 74.

[3] كمال بيرم، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 28.

[4] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث، ج2**، مرجع سابق، ص 287.

المادية والفنية للمهاجرين لكي يستقروا بها، كما نظموا الإدارة وفق النمط الأوروبي مع الاحتفاظ ببعض التنظيمات العثمانية للمحافظة على طاعة السكان ومنها تكليف القياد والآغوات والباشاغوات والخلفاء من ساكنة بمهام تثبيت الاحتلال ومراقبة المقاومة الشعبية[1]، وزادت الهجرة الأوروبية إلى المدن الجزائرية الأمر تعقيدا، حيث وفدت في هذه الفترة أعداد من الأوروبيين أغلبهم من ذوي جنسية فرنسية، وظلوا إلى غاية سنة 1839م محصورين في الشريط الساحلي الجزائري بغض النظر عن مدينة قسنطينة التي تم احتلالها سنة 1837م، غير أن الفراغ السكاني قد سهل على المستعمر التوغل إلى مجتمع مدينة قسنطينة[2]، وجيء بالأوروبيين ليعمروها وليتنعموا في خيراتها وحدهم وليفرضوا فيها قوانينهم[3].

بعد سقوط المدينة استيلاء المعمرين عليها طرح لأول مرة في تاريخ المدينة مشكل السكن والمرافق، وأدى هذا بدوره إلى ظهور الكثافات العالية والتزاحم الشديد فاهتزت الحياة الحضرية في المدينة من أساسها[4]، وشكل هذا التوافد على المدينة منذ احتلالها سنة 1837م فسيفساء من الجنسيات الأوروبية، ويختلف هؤلاء في انتماءاتهم فمنهم الفرنسي والإيطالي الإسباني الألماني والمالطي السويسري والإنجليزي، وقد تمتع هؤلاء بنفوذ سياسي واقتصادي بسبب سيطرتهم على مراكز القرار في الأجهزة الإدارية والمالية والاقتصادية، ولذلك كانت الفوارق واضحة بينهم وبين المسلمين في المدارس والعمل والإدارة وغيرها [5]، وعمل المعمرون بدعم من سلطات الاحتلال بكل الطرق الوصول إلى مكانة مرموقة في المجتمع بما توفر لهم من إمكانيات وامتيازات وحرية مطلقة في التصرف والقيام بما يشاؤون من أعمال[6]، وبدأ يظهر في هذه المرحلة مجتمع ذو فئتين

---

[1] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 39.

[2] –الطاهر عمري، (دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار (1830–1900)، **مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر**، معهد الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999، ص 87.

[3] –مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 228.

[4]– محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 86–87.

[5] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 379.

[6] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 288.

متنافرتين؛ فئة المعمرين وفئة السكان الأصليين، ويرجع ذلك إلى نظرة الفئة الأولى إلى الجزائريين كفئة يجب استغلالها إلى أقصى حد ممكن[1].

وإذا حاولنا أن نقارن بين العهد العثماني وبداية الاحتلال نجد أن الأتراك قد أبقوا على البنية الاجتماعية المحلية واستخدموها واستفادوا منها؛ حيث كانوا يستمدون منها دخلهم وقوتهم، أما سلطات الاحتلال الفرنسي فلم تستطع استغلال المنطقة، إلا بتحطيم الأسس الذاتية للسكان انطلاقا من عملية الاستيطان[2]. وتضاعف عدد السكان الأوروبيين سنة 1843م، حيث وصل عددهم إلى 840 شخص بعد أن تم ربط المنطقة بهجرة أوروبية فرنسية مفاجئة[3].

وفي الوقت الذي بدأ فيه الأوروبيون يستقرون في مدينة قسنطينة، سيطرت الأجهزة الإدارية العسكرية والمدنية الفرنسية على أهم مباني ومعالم المدينة القديمة (القصور والديار الكبيرة مثل قصر أحمد باي)، وقد وجد الجيش الفرنسي أول عهده بالمدينة التقليدية ومبانيها الموروثة من العهد العثماني مجالا واسعا لإيواء الجنود الذين بلغ عددهم بداية الاحتلال حوالي 180 ألف جندي[4]، وأصبح الفرنسيون يكونون أكبر مجموعة سكانية طارئة على المدن الجزائرية، فقد كان الاستعمار الفرنسي ينمو في هذه الفترة وكان عدد الجنود يزيد على عدد المهاجرين الأوربيين[5].

جدول رقم (38) عدد الأوربيين في مدينة قسنطينة بداية الاحتلال

السنة	عدد الأوربيين
1839م	200 فرد
1840م	حوالي 200
1842م	615 فرد
1843م	840 فرد

[1] -الطاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، **مرجع سابق**، ص 86.

[2] -عبد الملك خلف الله التميمي، أضواء على المغرب العربي، **مرجع سابق**، ص 17.

[3]-Isabelle Grangaud, **op cit,** p 20.

[4]- ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، **ذاكرة مدينة قسنطينة من خلال النصوص التاريخية**، الكتاب الثالث، **مرجع سابق**، ص 213-214.

[5] -جلال يحيى، تاريخ المغرب الكبير، ج3، **مرجع سابق**، ص 159.

نلاحظ من خلال هذا الجدول، أن عدد الأوروبيين في مدينة قسنطينة كان في تزايد مستمر بعد الاحتلال وذلك راجع للتسهيلات والامتيازات التي منحتها لهم الإدارة الفرنسية، مثل تمليكهم الأراضي والمنازل، غير أن أعدادهم لم تكن كبيرة خلال هذه المرحلة نتيجة عدم استقرار الأوضاع والمقاومة.

أما علاقة الجزائريين بالمستوطنين فهي علاقة الغالب بالمغلوب، فقد ساد الاحتقار للعنصر الجزائري باعتباره عنصرا تافها في نظر المعمرين، لا يصلح إلا للعمل الشاق ولا يرقى إلى المستوى الأوروبي، ولا فرق بين أحد مهما كان وحتى هؤلاء المتجنسين فهم يمثلون عنصرا وانتماء مهما بدليل أن هؤلاء المستوطنين وقفوا ضد الساكنة مهما كلفهم ذلك، فالعلاقات كانت محددة ومحدودة بنقاط لا يمكن في أي حال من الأحوال تجاوزها، لأن العقل الأوروبي لا يسمح بذلك، كما كانت هذه العلاقات محكومة بظروف تاريخية استعمارية طارئة لا تسمح بقيام تعاون، لأن ذلك في نظرهم يعتبر انتقاصا لكرامتهم وقد يكون هذا أمرا إيجابيا لساكنة المدينة، والذي بالتأكيد سيزيد في كراهية هؤلاء الوافدين المستعمرين وسيبقى صامدا حتى تمكنه الظروف من استرجاع سيادته المسلوبة[1].

3.1. الحضر في مدينة قسنطينة وتحولاتها بداية الاحتلال:

كان المجتمع الجزائري قبل الاحتلال يتشكل من القبائل والعروش التي كانت متماسكة من الناحية الاجتماعية بتأطير داخلي من طرف أسر وعائلات برزت بقياداتها وزعاماتها، ولعبت دورا قياديا داخليا سواء على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني، غير أنه مع بداية الاحتلال عرف المجتمع الجزائري تحولات جوهرية في نسقه التقليدي الاجتماعي والاقتصادي[2]، حيث صنف الأوروبيون الحضر على أنها طبقة منافسة وساخطة على الأتراك ووجهوا أنظارهم نحوها، وكانت هذه الفئة بدورها مستعدة للاستعانة بسلطات الاحتلال، ولكن بشروط فأسندت لهم بعض المناصب لكسب ودهم مثل أغا العرب، ولكن هذه الفئة سرعان ما

---

[1] -عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 379-380.

[2] -كمال بيرم، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 28.

تداركت الأمر واكتشفت أنها مخطئة في اعتقادها أن فرنسا ستعوض حكم الأتراك بحكم محلي تكون طبقة الحضر على رأسه، وبعد فترة قليلة من الاحتلال، تأكدت هذه الفئة أن فرنسا جاءت لتبقى وأن أموال الجزائريين وأراضيهم صودرت، وأصبحت ملكا للدولة الجديدة، وأن مساجدهم وزواياهم ومساكنهم، قد احتلت من الجيش الفرنسي أو هدمت لتفسح المجال أمام ساحات عمومية ومسارح ومستشفيات عسكرية أو تحولت إلى كنائس[1].

وفي مدينة قسنطينة سلبت السياسة التوسعية الفرنسية الأعيان والعائلات الدينية أو العسكرية سلطتها الاقتصادية والاجتماعية، فقد أدى الاستعمار إلى انهيار ثرواتهم وتراجع دور عائلاتهم، وأمام هذا الأمر حاول الأعيان الاحتكام إلى ما ورثوه من عادات وتقاليد في محاولة منهم للمحافظة على الشخصية الجزائرية فاقتربوا من بقايا المفتيين وطلبة القرآن وشاهدوا قيام فئة جديدة محلهم تشكلت في غالبها من النازحين من بلاد القبائل[2]، ورغم حرص الكثير من العائلات الحفاظ على تقاليدهم الموروثة عن آبائهم وأجدادهم، وذلك من خلال التحول التدريجي لبعضهم من المجتمع التقليدي، من حيث اللباس والسكن ونمط المعيشة، وهذا دون أن يتخلى كليا على تقاليده التي بقيت تنتقل عبر الأجيال، إذ حاول سكان قسنطينة الحفاظ على أصالتهم مع التفتح على الحضارة الوافدة خاصة جوانبها المادية[3]، وعلى هذا الأساس برزت منهم عائلات احتلت مراكز اجتماعية مرموقة، ودخلت المدارس الفرنسية وتأثرت بالحضارة والمفاهيم الغربية، وكان أغلب هؤلاء الحضر يعيشون على الصناعات التقليدية والتجارة[4].

وحاول الجنرال "بيجو" " Bugeaud " القضاء على فئة الحضر في المدن الجزائرية عن طريق الترهيب والنفي والتغيير وإحلال الأوروبيين محلهم، وهو ما أدى إلى ظهور مجتمعيين متناقضين: قبائل تسكن أكواخا غير لائقة ومباني فرنسية كثيرة توجد إلى جانبها ورشات تمثل النشاط

---

[1] –أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، مرجع سابق، ص 66.

[2]– ليلى تيتة، (تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر)، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع 17، جامعة الحاج لخضر باتنة، ديسمبر 2014، ص 141.

[3] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص355.

[4] –كريمة بن حسين، الحياة السياسية في قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 11.

الأوروبي[1]، غير أن بعض الحضر من سكان مدينة قسنطينة وظفوا لخدمة الفرنسيين فقد استفادوا من الثقة التي منحتها لهم الإدارة الفرنسية والتي من مظاهرها تعيين حاكم قسنطينة من بين الأهالي ليكون نائبا عن الحاكم العام العسكري في الجزائر[2]، وهذا محاولة لبسط نفوذها على السكان.

أما رؤساء العائلات الكبيرة الذين بقوا أحياء من تداعيات سياسة الاحتواء عن طريق المكاتب العربية، فقد تم اختزال وظائفهم من قبل الإدارة الفرنسية إلى مسؤوليات إدارية وقضائية جعلت منهم أنصاف موظفين فأفقدهم بذلك مكانتهم التقليدية المتوارثة، وبالمقابل حافظت عائلات أخرى على عدة ألقاب مثل عون أهلي (Adjoint indigène) ، ثم قايد، آغا وباشاغا، وأصبحوا مجرد موظفين عند السلطة الاستعمارية ووسطاء بينها وبين السكان يشاركهم في هذا الاسم من السكان الأصليين المتعاونين مع السلطات الاستعمارية والمجندون، أما الشخصيات الدينية من مرابطين وشيوخ الزوايا فقد بقوا يسيطرون على الوضع الاجتماعي بدرجة قليلة إلى غاية الربع الأول من القرن العشرين باعتبارهم ممثلين للسلطة الدينية عبر الطرق الصوفية[3].

وهكذا كان لمدينة قسنطينة تقاليد عريقة ظهرت في طبقتها البرجوازية ونخبتها من المثقفين وأصحاب الصنائع والتي كان من الممكن لولا الاحتلال الفرنسي أن تمضي على طريقها التقليدي أو أن تنهج منهجا جديدا بالاعتماد على الإمكانيات المتاحة لها، غير أنه قد توقف تطورها فجأة فلم تجد أمامها أي فرصة للتطور والازدهار[4].

4.1. مشروع فالي تجاه العائلات الكبيرة سنة 1838م:

يعد هذا مشروع الماريشال "فالي"Valée"أول خطوة في السياسة الفرنسية لترسيم العلاقة بين الإدارة الفرنسية والعائلات الكبيرة ذات النفوذ الواسع، وهذا من خلال ما عرف بمشروع الماريشال

[1] –الطاهر عمري، **دور بنى المجتمع الجزائري**، مرجع سابق، ص 87.

[2] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 234.

[3]– ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية، **مرجع سابق**، ص 141–142.

[4] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 228.

"فالي" "Valée " المؤرخ في 30 سبتمبر1838م، حيث تعامل الفرنسيون مع هذه العائلات حسب مصالحهم وأهوائهم في التسلط والاستغلال، وخلقوا نزاعات وخلافات بينهم وذلك لضرب الروابط القوية بينهم، ولكي يتسنى لهم السيطرة على زمام الأمور، وبالفعل نجحوا في ذلك وحققوا هدفهم من خلال هذه السياسة الاستعمارية التي أحدثت فجوة بين هذه العائلات وبالمقابل سمحت للمستوطنين بالسيطرة على مفاصل البلاد[1].

وهو ما أدى إلى تراجع دور هذه الفئة وهجرة العديد منها إلى المناطق التي لم تحتل بعد، إضافة إلى ما تعرضت له فئة التجار من تهجير والعمل على هدم محلاتهم ودكاكينهم[2]، فقد تمكنت الإدارة الاستعمارية الفرنسية من القضاء على أعيان مدينة قسنطينة وأهل الحضر إلى حد بعيد، وقد حصل ذلك عن طريق الهجرة والتهجير والنفي والتفقير المقصود عن طريق هدم الأسواق والقضاء على الحرف والصنائع وإغراق الأسواق بالسلع الأوروبية، وبناء المدينة الأوروبية على أنقاض المدينة العربية في مختلف المدن[3]، وجراء هذه السياسة اختفت العديد من العناصر بعدما تربعت على الهرم السكاني لفترة طويلة قبل الاحتلال، وخاصة طبقة الحضر[4].

2.4.1. فئة الحضر:

نجح سلطات الاحتلال الفرنسي في القضاء على أغلب الأعيان والنخبة التقليدية، رغم تعاون معظمها مع الاحتلال في بدايته[5]، مثل بعض العائلات التي كانت مشهورة قبيل سنة 1837م وبعدها كعائلة ابن باديس وابن الفكون، والتي كانت تتمتع بنفوذ كبير وكان أفرادها في تلك الفترة يتعاونون مع فرنسا سواء طواعية أو بالإكراه، ومكنت هذه السياسة فئة الحضر من البقاء والمحافظة على الكثير من قيمها وتقاليدها، فقد تشكلت هذه النخبة من جديد واحتفظت

---

[1]– العياشي روابحي، (الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837–1871م)، **رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2014–2015م، ص 80.

[2]- Pagand Bernand, La médina de Constantine**, op.cit**, p 202.

[3] –ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع، **مرجع سابق**، ص 141.

[4]- Pagand Bernand,**op.cit,** p 202.

[5] –خنوف علي، **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال**، منشورات الأنيس، د. ط، د.ت. ن، الجزائر، ص 105.

بأملاكها أو على الأقل بجزء من تراثها الثقافي، لأنها حظيت بمعاملة خاصة نتيجة تعاونهم مع الفرنسيين، وهناك عوامل أخرى ساهمت في بقاء هذه الفئة، منها أصلها العريق وتقاليدها الثقافية واتصالها بدواخل البلاد وكونها استطاعت أن تتغلب وتسيطر في بعض الأحيان على الطبقة الحاكمة[1]. وعليه فقد كان المجتمع الجزائري عرضة لعمليات التفكيك والتهميش من دور الحياة أو المشاركة في الحضارة من جهة، ومن جهة أخرى تحول إلى وسيلة في خدمة المعمرين والسوق الفرنسية قانونا وواقعا[2]. وقد تعايش المجتمع الحضري مع الأوروبيين الذين تكاثر عددهم وأصبح لهم جاه وسلطان وتنوعت مصالحهم، وصاروا يتمتعون بالسلطة والأمن واستطاعوا بفضل ذلك أن يفرضوا على الجميع بما في ذلك الأهالي نمطا معينا في الحياة وميلا إلى الرغد من العيش[3].

3.4.1. فئة البرانية:

أما فئة البرانية أو الوافدين على المدينة للبحث عن العمل الذين قدر عددهم سنة 1846م بحوالي 17394 نسمة، وبحكم أن المستعمر قد استولى على أراضيها أو على الأقل على الأراضي التي كانت تعمل عند أصحابها فقد توزعوا على عدة مناطق، ووجدوا صعوبات في التكيف مع الحياة الجديدة ونظم العمل الفرنسي، واكتفت بالخضوع لنشاطات مهنية أجنبية عنها تماما ، كما اضطرت في أغلب الأحيان بسبب احتياجها الشديد لتقبل أي عمل، وذلك عندما تحرمها أزمة اقتصادية أو تحول تقني ما من العمل الذي كانت قد تعودت عليه، وتمثل هذه الفئة طبقة كادحة وتشمل كل العمال اليدويين الذين كانوا يعيشون في ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية جدا، من حيث المسكن والعمل والمستوى المعيشي[4]، بعد أن تحولت إلى يد عاملة غير حرفية، ولم يبق لهم من خيار إلا الرجوع إلى مناطقهم الأصلية وقراهم بعد أن فقدوا أرزاقهم

---

[1] -مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 235-236.

[2] -كمال بيرم، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 29.

[3] -مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 37.

[4] -كريمة بن حسين، الحياة السياسية في قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 10-11.

وجردوا من حقوقهم السياسية[1]، ليشاهدوا من بعيد حركة التطور الشامل الذي حرموا من جميع وسائله[2].

حاول السكان المسلمون المحافظة على الروابط مع بعضهم البعض، رغم الظروف القاسية التي عاشوها من حرمان وفقر وأزمات طبيعية واقتصادية وجور سياسي من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي التي تحاول كلما اتيحت لها الفرصة أن تزيد من معاناة الجزائريين، ورغم هذه الصعاب فإن الجزائريين تمسكوا بحياة الجماعة والتآزر المتوارث، لأن العادات والتقاليد الموروثة عن السلف الصالح جعلت المجتمع القسنطيني أكثر تماسكا[3].

5.4.1. فئة اليهود:

يعتبر العنصر اليهودي من العناصر التي طبعت مكونات المجتمع في مدينة قسنطينة فهو يرتبط بطائفة يهود الجزائر التي تعيش في المدينة منذ قرون في مجموعات متماسكة، ويرجع وجودها إلى الفترات القديمة منذ الفتح الإسلامي وسقوط الأندلس كما سبق وذكرنا، وشهدت هذه فئة تطورا كبيرا منذ بداية الاحتلال الفرنسي، ويعود ذلك لطبيعة اليهودي الذي يستغل كل صغيرة وكبيرة ويعرف كيف يستغل الفرص ويكسب الطرف الأخر أو الطرف الأقوى[4]، وكانت إدارة البايلك تفرض على يهود قسنطينة ضريبة الجزية والتي قدرت ما بين 25 و50 ألف فرنك، في حين تمتع هؤلاء اليهود بحق ممارسة طقوسهم الدينية وبحماية البايلك مقابل تسديد ضريبة الجزية كل يوم خميس بمعدل قرش واحد على كل فرد يشكل الطائفة اليهودية[5]، كما كانت لهم حرية

---

[1] –الطاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري، **مرجع سابق**، ص 88.

[2] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 228.

[3] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 369–370.

[4] –أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان**، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 40.

[5] –فلة موساوي القشاعي، **النظام الضريبي**، مرجع سابق، ص 60.

ممارسة أي حرفة في أي مكان ويخضعون لقوانين خاصة في الأموال الشخصية برئاسة أمين الطائفة الذي يعينه الباي، وهذا طبعا بعد تسديد الجزية التي أشرنا إليها[1].

واجتمع هؤلاء في حارة سميت بحارة اليهود ووجود هذه الحارة لا يعني بالضرورة الانغلاق الاجتماعي[2]، فهم كانوا اجتماعيين مع سكان المدينة وهو أمر طبيعي لا تعوقه الحواجز الدينية. وقد كان اليهود أقرب إلى السكان الحضر اجتماعيا من البرانية خاصة النساء، لما كان يجمعهم من عادات وتقاليد، ولا يحدث التنافر بين البلدية العرب واليهود سوى إذا تعلق الأمر بمسألة دينية، حيث يصبح العربي المسلم ألد أعداء اليهودي[3].

واستغل اليهود سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837م، وخاصة فترة الفوضى حين تعرضت للنهب فجمعوا غنائم مختلفة، وكانوا يقبلون أيادي الغزاة ويساعدوهم على النهب وذلك بحكم معرفتهم لمحلات المسلمين، ثم عرضوا هذه الغنائم للبيع بعد ذلك[4]، فبمجرد تأكد اليهود من بقاء الاحتلال تعلم لغته وتفتح على الحضارة الغربية، وتبنى ثقافته وبعث أبناءه إلى المدارس الفرنسية، وهكذا تخلوا على من عاشوا معهم مئات السنيين واختاروا وتخندقوا مع سلطات الاحتلال، أين تكمن مصالحهم المادية وهؤلاء هم اليهود بطبعهم عبر العصور[5].

وتتكر اليهود للمدينة الجزائرية التي عاشوا فيها، وهذا ليس بغريب على هذه الطائفة، فبعد الاحتلال الفرنسي اندمجوا في الوسط الفرنسي اندماجا كليا من أجل أطماعهم الدنياوية ومصالحهم الاقتصادية، ضاربين عرض الحائط البلاد التي استقبلتهم، وتبرأوا من مجتمعهم العربي الأصلي، ولم تكتفي الطوائف اليهودية بذلك بل مارست العداء والمكر والإساءة متناسية كل ما كان من فضل وحماية طيلة قرون عاشتها في كنف المدن الإسلامية[6]. وقد تفوق هؤلاء اليهود على السكان

---

[1] – جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 193.

[2] –نجوى طوبال، **مرجع سابق**، ص 128.

[3] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 193.

[4] –أبو العيد دودو، **مرجع سابق**، ص 40.

[5] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 376.

[6] – محمد الهادي الشغيب، أم الحواضر، ج1، **مصدر سابق**، ص 471.

المسلمين وأصبحوا يتمتعون بكل الامتيازات والحقوق التي يتمتع بها الأوربيون، وكانوا كذلك يشعرون بانتمائهم للحضارة الأوروبية بدليل أنهم أصبحوا يلبسون لباسهم ويشربون مشربهم ويأكلون مأكلهم[1].

وكان عدد اليهود في مدينة قسنطينة خلال القرن الثامن عشر الميلادي حوالي خمسة آلاف من أصل 60 ألف نسمة[2]، أما في سنة 1833م وحسب تقديرات شلوصر، فقد بلغ عددهم بحوالي 9 آلاف نسمة، منهم الأغنياء والفقراء، وإن كان معظمهم يسكن بيوتا متواضعة، حتى يظهروا بمظهر الفقر كحيلة وبالتالي لا تفرض عليهم الضرائب، وإن كانت هذه الظاهرة منتشرة بين جميع السكان عربا وأتراكا، هروبا من نهب الباي لأموالهم[3]، ثم ازداد عدد أفراد فئة اليهود في المدينة حتى بلغ حوالي 3.456 نسمة سنة 1849م في المدينة[4]، أما فيما يخص علاقتهم مع السكان المسلمين فكانت علاقة متقلبة بين الود تارة والعداء تارة أخرى، يغلب عليها الطابع التجاري في معظم فتراتها بحكم سيطرة اليهود على جل التعاملات المالية[5].

وأدت هذه التحولات في البنية الاجتماعية التي حدثت بالمدينة بعد الاحتلال إلى تمايز واضح بين مكوناتها السكانية الأصلية، وصارت المدينة عبارة عن تجمعات حضرية مكونة من سكان جدد، أما الذين كانوا يقيمون بها من زمن طويل فقد تراجع عددهم قليلا مع بداية الاحتلال[6].

5.1. تراجع عدد السكان والنمو الديمغرافي

كانت مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1837م مركزا حضاريا وتجاريا هاما، تجذب إليها فئات عديدة من أصول مختلفة منهم البلدية والوافدين من الضواحي كأهل المدن

---

[1] –عمار بوطبة، المجتمع القسنطيني، **مرجع سابق**، ص 377.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص 152.

[3] – فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 56.

[4] –كريمة بن حسين، الحياة السياسية في قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 8.

[5] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 376.

[6] –الطاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، **مرجع سابق**، ص 102.

المجاورة والصحراء[1]. كما كان بالمدينة عدد كبير من البيوتات من السكان ذوي الأصول العريقة الميسورة وطائفة من التجار الأغنياء من العرب واليهود[2]، حيث بلغ عدد سكان مدينة قسنطينة قبيل الاحتلال ما بين 15 ألف و30 ألف نسمة، والأرجح أن عدد السكان كان 25 ألف عند احتلال المدينة[3]، وقدر الفرنسيون في بداية الاحتلال الفرنسي عدد سكان بايلك الشرق بحوالي مليون ونصف، من العدد الإجمالي لسكان الجزائر، البالغ عددهم حوالي ثلاث ملايين نسمة تقريبا، وهذا العدد يتميز بتنوع الفئات كبقية المدن الجزائرية الأخرى[4]. ولكن بعد الاحتلال تراجع عدد السكان، حيث قدر بحوالي 20.430 نسمة بعد الاحتلال بسنة أي سنة 1838م[5]، ويعود تراجع عدد سكان المدينة إلى سقوط العديد من الضحايا أثناء مقاومتهم للاحتلال الفرنسي[6]، إضافة إلى هجرة الكثير من السكان فور احتلال المدينة وبعد سقوطها خاصة في أوساط الفاعلين من الأعيان وشيوخ الطرق الصوفية والزوايا[7].

وشهدت هذه المرحلة تراجع سكان المدينة بنسبة معتبرة نتيجة تواجد البرانية من مناطق المجاورة بعد استيلاء السلطات الفرنسية على أراضيهم وارهاقهم بالضرائب[8]، فعدد السكان الذي بلغ قبيل الاستيلاء على المدينة حوالي 40 ألفا لم يتجاوز في 1846م ثلاثين ألفا بما فيهم الأوروبيين الذين كانوا مع جنود الحامية، في حين أن المؤرخ الفرنسي "أرنست مارسييه" "Ernest mercier"، يرى أن قسنطينة لم يكن عدد الجزائريين المسلمين فيها يتجاوز 15.5 ألف في أواخر سنة 1843م[9].

---

[1] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 356.

[2] –عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي**، مرجع سابق، ص 63.

[3] –كريمة بن الحسين، **مرجع سابق**، ص 11.

[4] – رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 32.

[5]- Pagand Bernard, **op .cit,** p 198.

[6] – أبو العيد دودو، **مرجع سابق**، ص 89.

[7] –أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج4، مرجع سابق، ص193.

[8] - Pagand Bernard, **op cit.,** p 202.

[9] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 219.

وقامت السلطات الفرنسية الاستعمارية بنفي الكثير من ساكنة قسنطينة بدون سبب وفصلوا الزوج عن زوجته وأولاده، واستولوا على أملاكهم وعملوا على محاربة الدين الإسلامي والاستيلاء على أملاك الأوقاف التي أوقفها المسلمون على الفقراء والمساكين، ثم وضعوا أيديهم على المساجد، واتخذوا من بعضها مساكن والبعض الأخر قاموا بتأجيرها للتجار، كما قاموا بهدم المنازل وقتلوا أناسا بدون سبب وسجنوا أخرين وانتهكوا حرمة المقابر بتجريفها لطمس هوية المدينة وأفقروا كل سكان المدينة[1].

وفي هذه الأثناء تفشى الفقر في مدينة قسنطينة، ونقص بالتالي عدد سكانها وهذا ما يخبرنا به المعتمد العسكري دانيال ونائب المدير المدني للمقاطعة دو سارت في مراسلاتهما في شهري أفريل وماي 1845م، فيقول الأول: "إن المشهد في قسنطينة رهيب، فجميع المباني في خراب، ونصف الديار التي كانت قائمة منذ خمس سنوات قد انهارت، والأهالي في حالة يرثى لها من البؤس والحرمان...". أما الثاني والذي لم يتهرب من تحديد المسؤوليات واتهم نظام بيجو بأنه خرب البلاد، فقد عبر عن رأيه هذا بلهجة لا تخلو من الصرامة، جاء فيه: "ليس من الحكمة استعمال القوة خبط عشواء بل يجب استعمالها بذكاء، ولا يسعني إلا أن ألاحظ بأن السلطات بطردها للتجار... واتخاذها للعديد من الإجراءات الشديدة، قد نشرت البؤس والشقاء في كل مكان وعطلت البلاد خمس سنوات"[2].

وهكذا فإن تراجع عدد سكان المدينة يعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع السياسية والمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، والهجرة سواء الداخلية أو الخارجية، بالإضافة إلى غياب الرعاية الصحية وانتشار الأمراض والأوبئة وهو ما نتج عنه نسبة الوفيات الكبيرة. ورغم ذلك فقد حافظ مجتمع قسنطينة على خصوصيته وتفرده وعدم الذوبان في مجتمع وافد ودخيل، ولم يغير من عاداته

---

[1] -عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي**، مرجع سابق، ص 72.

[2] -مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 219.

وتقاليده خلال الحقبة الاستعمارية، بل كان محافظا حريصا على الاستمرارية بعيدا عن المجتمع الاستيطاني الطارئ[1].

2. التحولات العمرانية في قسنطينة من العمران التقليدي إلى العمران الأوروبي:

يعتبر النمط العمراني التقليدي في مدينة قسنطينة مثالا رائعا عن توافق الإنسان مع محيطه الطبيعي فهو يعكس واقع ساكنتها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، وهذا من خلال الخطة العمرانية المتبعة للتجمع والهندسة المعمارية للسكن، آخذا بعين الاعتبار كل العوامل الخارجية المؤثرة وخاصة الطبيعية، وعلى الرغم من بساطتها، إلا أنها تحمل مدلولا كبيرا في قيمة المجال الحسي للمكان لارتباط أهلها الوثيق بالمنطقة، وأهم ما يميز النمط التقليدي هو التراص أو نظام المباني والشوارع الضيقة[2].

أما بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1837م فظهر التعمير في المدينة بوجهين: الأول فوضوي وفردي أخذ طابعا حضريا، والثاني أخذ طابعا زراعيا، وكان العنصر الأوروبي هو الغالب فيه وهو ما أدى إلى اختلال التوازن السكاني التقليدي[3].

بدأت تأثير التدخلات العسكرية على النسيج العمراني التقليدي في قسنطينة بالأعمال الأولى في تخصيص البنايات الموجودة للوظائف العسكرية التي تؤكد الوجود الاستعماري، ونظرا لأولوية الهدف العسكري فإنه تجسد في احتلال القصبة بسبب الميزات العمرانية التي تحتويها، حيث يبلغ علوها 643م وهي أعلى نقطة في الصخرة، وتسمح لها بالسيطرة على المدينة، وما يجاورها إلى غاية جبال القبائل، أما مساحتها المقدرة بخمسة هكتارات فيمكنها إيواء عدد كبير من المؤسسات الاستعمارية الفرنسية[4].

---

[1] –دبوز محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 94.

[2] –عداد محمد الشريف وسمير بشارة، **مرجع سابق**، ص 144.

[3] –الطاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري، **مرجع سابق**، ص 86.

[4] – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مر: عياش سلمان، د. ط، نوميديا– بلوس، قسنطينة، 2009، ص 145.

وبعد استيلاء الفرنسيين إلى مدينة قسنطينة سنة 1837م، تعرفوا على المدينة المعزولة الواقعة بمضيق وادي الرمال على صخرة ذات منظر حضري يحمل أثار المبادئ الأساسية للتنظيم العربي الإسلامي للمدن، والذي يرتكز على تسلسل الفضاءات وفصل الوظائف السكنية والاقتصادية وتجمع الحرفيين حسب المهن، والتموضع الصائب للتجهيزات الدينية والاجتماعية والدراسية[1]، لقد قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بقلب النظام التقليدي القائم بالمدينة، وتشكيل المكان على صورة الوطن الأم Métropole، وتحويره بشكل يتناسب مع احتياجات الوافدين الجدد له، ومست هذه التغيرات البيئة الحضرية وكانت مدعمة بترسانة من الأوامر والمراسيم والقرارات، حيث اتخذت التدخلات ثلاثة أشكال للتغيير؛ تخصيص البنايات الموجودة، وعمليات ظرفية تمثلت في تشيد البنايات الرسمية، ثم تعميم العمليات التي أفضت إلى تشويه النسيج العمراني التقليدي[2].

وكانت أول خطوة قام بها الفرنسيون هي الشروع في عملية مسح وطمس كل ما كان يذكرهم بالعهد الإسلامي من العربي إلى التركي عقابا وانتقاما من الجزائر وأهلها[3]، وكان للمقاومة العنيفة التي قوبلت بها الحملة الفرنسية على المدينة، انعكاس كبير على عمرانها، فقد قسمت سلطات الاحتلال المدينة إلى قسمين: قسم مخصص للسكان المحليين يخضع للإدارة العسكرية، وقسم مخصص للمعمرين تتم إدارته طبقا للتشريعات الخاضعة للحكم المدني الفرنسي[4].

1.2. التحولات على مستوى القصبة وقصر الباي:

إن التحولات العمرانية الأولى في مدينة قسنطينة هي تلك التي تم إدخالها على مستوى القصبة وقصر الباي، بينما أثرت التركيبات الداخلية والخارجية على الهيكل العام للمدينة من

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 143.

[2]- Ernest Mercier, Constantine avant la conquête**, op.cit**, p 4.

[3] –على حجيج وسعيدة مفتاح، **المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1251هـ-1420هـ/ 1830م-1999م-دراسة نظرية تطبيقية حول التنظيم العمراني**، د. ط، دار عرار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 68.

[4] –محمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 88.

خلال إنشاء قنوات اتصال جديدة وتحويل المربعات والبوابات[1]. وكانت القصبة تضم بنايات هامة تعود للعائلات العريقة مثل عائلة بن حسين وبن كشك علي، وفيها توجد عدة مساجد منها جامع القصبة وسيدي عبد القادر وجامع سيدي علي بن مخلوف، ويوجد بها كذلك سجن، ومن الأحياء الهامة يوجد حي الطابية المقسم إلى الطابية الكبيرة والطابية البرانية، والمسماة كذلك بطابية البراني، وكذلك شارع الموفق المؤدي إلى سوق العصر مرورا بدار الباي وسوق الغزل، كما يوجد بها مسجد ومدرسة صالح باي وبالقرب منها يوجد سوق الجمعة، وهناك طريق باب الوادي إلى رحبة الصوف التي تضم أهم الحرف والدكاكين التجارية[2].

وبعد الاحتلال الفرنسي بادرت الإدارة الاستعمارية بإزالة كل ما يحيط بالقصبة وعزلها تماما عن المدينة لأسباب عسكرية دفاعية، وأصبحت تضم ثلاث ثكنات عسكرية (المشاة والهندسة والمدفعية)، بالإضافة إلى مستشفى عسكري يتسع لـ 1500 سرير وترسانة ومخزن أسلحة[3]، ولم يعد يظهر أي أثر للمبنى القديم، كما تم تحويل الصهاريج الرومانية الموجودة في الطابق السفلي إلى مخازن، وقد رأى المهندسون أن المباني الموجودة على مستوى القصبة غير كافية وغير مناسبة لعمل الجيش الحديث وبالتالي فإن تدميرها أصبح أمرا حتميا[4].

ومع بداية الاحتلال الفرنسي أصبحت مدينة قسنطينة مركز حامية عسكرية، إلى أن صدر مرسوم 9 جوان 1844م، والذي نص على إنشاء الضاحية الأوروبية، فانقسمت على إثره الصخرة إلى حيين رئيسيين: حي للأهالي وحي للأوروبيين، وقد منع هذا المرسوم كلا من الأوروبيين واليهود والأجانب من الإقامة في حي الأهالي[5]. وأصبح مخطط المدينة يبرز مجموعة من المعالم العمرانية لم تكن موجودة من قبل، وظهرت كتلة سكنية جديدة هي الحي الأوروبي الذي أقيم في

[1]- Khadija Boufenara, **(Le rôle genie militaire dans** la **production des villes coloniales en Algérie, Annaba et Constantine)**، These pour l’obtention du diplôme de doctorat es-sciences, option urbanism, Faculte des sciences de la terre de géographie et du management du territoire, Department d’architecture et d’urbanisme Université Mentouri, p 280.

[2] - Ernest Mercier, **Constantine avant la conquête**, **op.cit.**, pp 9-10.

[3] – ناصر الدين سعيدوني معاوية سعيدوني، **في عبقرية المكان القسنطيني، ج2**، مرجع سابق، ص 102.

[4] - Khedidja Boufenara**, op.cit.**, p 283.

[5]– كريمة بن حسين، الحياة السياسية في قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 4.

منطقة القصبة ببناياتها الحديثة التي تشير بوضوح إلى تأثيرات العمران الأوروبي، وكتلة سكنية قديمة هي الجزء المخصص للسكان المحليين والذي احتفظ بطابعه المميز للعهد العثماني بشوارعه وحاراته التقليدية التي تنضح بروح الشرق، حيث الأسواق الشعبية والدروب الملتوية، وكان الحي الأوروبي يغطي مساحة 15 هكتارا، منها خمس هكتارات مخصصة للثكنة العسكرية، والحي العربي يحتل هو الآخر مساحة 15 هكتارا من ضمنها أربعة هكتارات مخصصة لحارة اليهود، وبينما كان الحي الأوروبي يسكنه حوالي 840 نسمة باستثناء أفراد الجيش، كان الحي العربي يكتظ بحوالي 15550 نسمة منها 3105 يهودي[1].

إن التحولات العمرانية التي أجريت في القصبة لم تكن فقط من حيث ترتيب التحصينات، بل أثرت أيضا على الأبنية التي تضمها في عمقها، فالمباني المكونة للقصبة تتلاءم مع بعضها البعض مثل المنازل مما يخلق ممرات غير منتظمة[2]، وأعاد الفرنسيون بناء المركز الأول القصبة وأعلى المدينة واختفت مساكن السكان الأصليين لإفساح المجال للمنازل الأوروبية[3]، ويمكن استخلاص أهم التغيرات التي وقعت على النسيج العمراني لمدينة قسنطينة ابتداء من سنة 1837م والتي تميزت بتركيز واضح في ميدان الانشاءات العسكرية، حيث قام الفرنسيون بتهديم القصبة وتحويلها إلى ثكنة عسكرية على مساحة 5 هكتارات سنة 1840م، وكان لبناء هذه الثكنة أثر على جذب السكان الأوربيين حولها نظرا لتوفر عامل الأمن والحماية، من جهة، وبحثا عن فرص الربح عن طريق التعامل مع الجيش، من جهة أخرى، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تحويل منطقة القصبة التي كانت في العهد العثماني منطقة إقامة السلطات البايلكية الحاكمة، إلى حي أوروبي يضم لأول مرة مبان مركبة ذات عدة طوابق لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المعمرين الجدد الذين بلغ عددهم سنة 1842م حوالي 615 أوروبيا، بالإضافة إلى أفراد القوات المسلحة، وكانت المباني المركبة أولى سمات العمران الحديث بالمدينة، وإن كانت تمت على حساب السكان

[1] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 89.

[2] - Khadija Boufenara, **op cit,** p 281.
[3]- Ernest Mercier, Constantine avant la conquête, **op.cit.,** p 4.

المحليين الذين طردوا إلى الجهات الجنوبية للمدينة المتميزة بصعوبة طوبوغرافيتها، وهو ما زاد في كثافة وازدحام هذا الجزء، وظهرت لأول مرة الأكواخ والأعشاش على مشارف وادي الرمال[1].

أما على مستوى قصر أحمد الباي الذي كان من أبرز المعالم العمرانية لمدينة قسنطينة ومصدر التباهي والرفاهية تحت حكم الأتراك، فقد تغير مباشرة منذ الاحتلال الفرنسي[2]، وكان أول مبنى يتم اختراقه، حيث أدرك الغزاة الفرنسيون منذ دخولهم المدينة أهمية القصر وتم اختياره لتكيفه للمهام الجديدة ذات طابع معماري جديد من خلال ادخال تحويلات وتغيرات عميقة في هياكله[3]، وتم الاستيلاء على قصر أحمد باي لإيواء الوظائف العسكرية الأساسية مثل إسكان الضباط، ولاحتواء وظائف إضافية لا تتطلب مساحات كبيرة ولكنها تتطلب أن تكون قريبة من القلعة[4].

وتعرض القصر في بداية الاحتلال إلى عدة محاولات تغيير وتعديل، وحاولت الإدارة الفرنسية إضفاء الطابع الأوروبي عليه بطمس معالم الزخرفة الإسلامية والقشاني (سيراميك)، أما الشكل المعماري للقصر فقد حورت عن أصله الإسلامي بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة، وأصبحت عبارة عن خليط من الريازات المعمارية، ومع ذلك فإن الهوية الأصلية للقصر ظلت هي السائدة والمهيمنة على كل أجزائه وفضاءاته الرائعة، وأن الزائر له يستمتع بنقوشه وزخرفته وتلوينات مواده التي تعود إلى مرجعية معمارية ضاربة في الأصالة والقدم[5].

2.2. التحولات على مستوى الطرقات والجسور والأبواب:

دفعت احتياجات التوسع الاستعماري سلطات الاحتلال الفرنسي إلى شق أهم وأطول الطرق العصرية بمدينة قسنطينة، ويربط بين المدخلين الرئيسيين لمدينة وهو شارع "جورج كليمنصو" George Clemenceau " سابقا و (ابن مهيدي حاليا) ليصل بين ساحة "لا بريش" la Brèche"وباب

---

[1] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 88.

[2]- Charles Féraud, **Visite au palais de Constantine**, Libraire Hachette et Cie Paris Boulevard Saint-Germain 79, Paris, 1877, p1.

[3] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 218.

[4]- Khadija Boufenara, **op.cit**- p260.

[5] –قارة مبروك، مسار المدن، **مرجع سابق**، ص 19.

القنطرة، التي بني بجوارها مخزن للحبوب، وبدأ التفكير فيها لإقامة محطة للسكة الحديدية[1]. وأكبر تشويه تعرضت له مدينة قسنطينة هو شق طريق يقسم المدينة إلى قسمين، وحمل هذا الطريق اسم شارع فرنسا" Rue de France" الذي يمر بجانب الجامع الكبير[2].

وكانت هذه التحولات الطارئة نتيجة حتمية وصعبة لفتح بعض الطرق وتوسيع الشوارع وأثناء حركة القوات العسكرية كان حجم الشوارع يعيق ويؤثر على الأعمال التي تتم داخل أسوار المدينة، وعلى هذا الأساس تم فتح الطريق بين القصبة وبوابة فاليValée [3]، نظرا أن قصبة مدينة قسنطينة كانت تمثل أهم المنشآت العسكرية فقد كان فتح طرق الاتصال المؤدية إليها أمرا ملحا بشكل أساسي في وقت مبكر منذ سنة 1839م، ثم تقديم مشروع لفتح طريق اتصال يربط القصبة ببوابة فالي من قبل مديرية التحصينات، ونص هذا الأخير على أن يكون الاتصال بين بوابة فالي والقصبة عبر شارع "دامريمون"" Amèrement "[4]، وفي عام 1840م، تم هدم الكنيسة المسيحية الموجودة شمال القلعة، لاستيعاب المستشفى العسكري الجديد، الذي كان من المقرر أن يستوعب ثمانية مئة سرير[5].

إن فتح الطريق المعروف بالطريق الوطني بداية الاحتلال، قد أدى إلى هدم العديد من المباني الدينية ومنها المساجد وغير الدينية كالمنازل والأسواق، كما هدم الفرنسيون المساجد والمنازل التي كانت بقرب قصر أحمد باي بعد تحويله إلى ثكنة عسكرية وأطلقوا عليها ثكنة الإنكشارية، وعملية الهدم والتصرف الذي وقع من سنة 1837م إلى غاية سنة 1878م لا توجد حولها أي وثائق[6]، ويتخذ فضاء الثغرة شكله من الثغرة التي أحدثها الفرنسيين في الأسوار أثناء

---

[1] –الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 89.

[2] –طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي، **مرجع سابق**، ص 60.

[3] – هي البناء الفرنسي الذي حل محل باب الواد والذي دمر أثناء الاستيلاء، وهو موجود بنفس طريقة الباب القديم، هذا هو المكان الذي تم فيه الاحتراق وتمثل هذه البوابة المدخل الرئيسي للمدينة، وهي الأكثر أهمية للدفاع عنها، لأنها تقع على الجهة الأكثر ضعف، ينظر Khadija Boufenara, le role, **op.cit,** P 275

[4]- Khadija Boufenara**, Ibid.**, P 293.

[5]- **Ibid**, P 283.

[6] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 90.

غزو المدينة، ولم يستطع الأوربيون عند قدومهم الإقامة في مدينة قسنطينة على الصخرة نفسها، بل احتلوا الضواحي مبكرا، وللخروج من المدينة كان بإمكانهم سلوك طريقين فقط، المضيق الذي يربط المدينة بكدية عطية من الجنوب، وجسر القنطرة الذي يربطها بالمنصورة من الشمال الشرقي، وأنشأ الأوربيون الضواحي في هذين الاتجاهين[1]. وقام السكان الأصليون بإعادة بناء البيوت التي بقيت لهم والتي خربت أثناء الحملة الفرنسية أو أجبروا على النزوح لضرورة إنشاء وشق الطرقات[2].

أما بالنسبة للجسور فيعد جسر باب القنطرة من أقدم الجسور يربط بين محطة القطار والمدينة كان معروفا منذ الفترة الرومانية، وأعاد بايات قسنطينة بناءه على عهد صالح باي، وخلال الحملة الفرنسية على المدينة أحدثت المدفعية أضرارا كبيرة به[3]. وقد تأكدت تهيئة الكدية لتنمية المدينة الفرنسية، وأصبح فضاء الثغرة قطبا تنمويا ليكون مكانا لاستقبال عناصر المركزية الجديدة، وفرض عليها الدوق دي نمور (duc de Nemours) اسم ساحة نمور (Place Nemours)، لكن ساحة الثغرة بقيت، إذ لا يمكن أن تليق بها أية تسمية إلا هذه التسمية التي تذكر بماضيها[4].

في مجال الإنشاء والتعمير شهد المؤرخون الفرنسيون أنفسهم على أن المدن الجزائرية الكبرى مثل قسنطينة كانت مكتظة بالدور والقصور والقلاع والحصون والمساجد والمدارس والأسواق، وأنهم وجدوا بقسنطينة خمسة وتسعين معهدا دينيا[5].

وعلى مستوى الأبواب فقد كان لمدينة قسنطينة أربعة أبواب، تم غلق باب الجديد الذي دمر من طرف الفرنسيين سنة 1840م والذي كان يربط المدينة بكدية عاتي عن طريق سلسلة من الدكاكين والفنادق الصغيرة التي دمرت هي الأخرى أثناء سقوط المدينة، وباب الوادي الذي كان يؤدي إلى رحبة الصوف، وكان به حي تجاري كبير يضم مختلف الحرف والصناعات، وباب الجابية عند مدخل السويقة في الجنوب الشرقي والذي توجد به الخزانات، وباب القنطرة عند مدخل

---

[1]– فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 160.

[2] -Ernest Mercier, Constantine avant la conquête, **op.cit**, p 5.

[3] –علي خلاصي، **قسنطينة مدينة الجسور**، مرجع سابق، ص 328.

[4]– فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 160.

[5] –عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، مرجع سابق، ص 157.

القنطرة في الجنوب الغربي، وكان حي الحرفيين بين باب الوادي وباب القنطرة بمثابة مقر هام أي عابر[1]، وأعيد فتح باب الوادي فيما بعد بحيث لم يعد للمدينة سوى ثلاثة أبواب[2]، باب الرحبة والذي يقع في الناحية الغربية، وقد أصبح سكان قسنطينة يطلقون عليه منذ سنة 1836م باب الجديد، لأنه كان في السابق بابا بسيطا ولكنه الآن بقوس وباب[3].

وشهد نسيج المدينة القديمة تشويها كبيرا، حيث شرع بداية الاحتلال مباشرة في البتر والخرق والقطع بلا مبالاة في نسيج أصبح عائقا في سبيل مشروع مجتمعي فرنسي دخيل يفرض نفسه ويفرض أحكامه، فالمباني الوحيدة التي بقيت قائمة في ذلك الوقت هي التي وقع عليها اختيار كبار الضباط والقادة أو التي عينت لإيواء الجنود سواء كانت مخصصة لذلك في الأصل أو كانت حصون دينية مقدسة كالمساجد[4].

وشهد المعمرين أنفسهم على الدمار الذي تسببت فيه سياسة التعمير الفرنسية في بداية الاحتلال فوق نفس الموقع، حيث تغير وجه المدينة التقليدي، وخاصة جزئه العلوي بحي القصبة والطابية، نظرا لإحداث مسالك أخرى وتشييد بنايات جديدة، وتجدر الإشارة إلى أن جزءا كبيرا من أثار مدينة قسنطينة دمر قبل الاحتلال الفرنسي، وكان قدر هذه المدينة في أن تعاقبت فيها كل الفترات على نفس الموقع إلى حد الآن[5]، وفي سنة 1837م كان لمدينة قسنطينة ثلاثة أبواب على الوجه الغربي، بالإضافة إلى الباب الجديد الذي كان فوق بوابة فالي، وخلف هذا الموقع يوجد مخزن الشعير، وكانت هذه هي المداخل الوحيدة للمدينة والتي تحتل مساحة تزيد عن ثلاثين هكتارا[6]، فباب الجديد وباب الوادي مثلا تم ردمهما بأمر حاكم المدينة، وأنشئ باب جديد حمل اسم استعماري باب فالي، كذلك باب الجابية وباب القنطرة تم ترميمها، وأطلقت عليها أسماء

---

[1] – جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 137.

[2] –طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ، **مرجع سابق**، ص 60.

[3] – فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 73–74.

[4] –على حجيج وسعيدة مفتاح، المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر، **مرجع سابق**، ص 46.

[5] – جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 137.

[6]-Ernest mercier, **Constantine Avant la conquête**, op cit, p 7.

فرنسية، وأحدثت طرق جديدة في مكان الطريق القديمة، وسميت هي الأخرى أسماء غربية منها سيتوس وساسي ولوبلان ودي سموايان وروشي وليون ودامريمون وسالوست وفرانس.

كما دمرت المساجد والمنازل المحيطة بقصر الباي أحمد وتم إنشاء ساحة المسرح وسوقا للخضر مكانه[1]. وكانت توجد بها حدائق كثيرة خرب معظمها من طرف الجنود الفرنسيين الذين كانوا يبحثون عن الخشب للتدفئة خلال الحملة التي كانت في فصل الشتاء[2]، وتم هدم الكثير من هذه الأثار وأعيد ردم العديد منها، وسرق وأتلف جزء كبير منها واحتفظ بجزء أخر منها بمتحف المدينة وهربت أخرى إلى متحف اللوفر بفرنسا[3].

3.2. التحولات على مستوى الأحياء والشوارع:

كان مشروع توسيع الشوارع في مدينة شديدة الكثافة كمدينة قسنطينة من أوائل المشاريع التي تعاملت معها الهندسة العسكرية بداية الاحتلال، حيث تعرضت الأحياء هي الأخرى لتغيرات كثيرة فأعيد البناء الكلي للقصبة والطابية ابتداء من سنة 1837م، وذلك بعد تهديم كامل للمنطقة المرتفعة وتعويضها بمساكن، كما قسم حي الطابية طوليا، أما حي القصبة فقد أحيط كما سبق وذكرنا بحزام متصل وهو جدار مرتفع طويل، كما وسع سوق العصر وأصبح يسمى بساحة العبيد وسوق الجمعة الذي تم تعويضه بمدرسة[4]. وتم اختراق الشوارع ومجمع سيدي الأخضر، وتشويه مكان رحبة الصوف وأكبر ضربة كانت اختراق الشارع الوطني جبل بوابة فالي لربطها مع بوابة الخان[5].

أما حي الجابية فقد حافظ على طابعه المعماري الأصيل ولم يتعرض لتغيرات بحكم موقعه[6]، أما باقي الأحياء الأخرى فقد عملت السلطات الفرنسية على تجزئتها بحيث أصبح لا يوجد لمدينة

---

[1]-Ernest Mercier, **Constantine Avant la conquête**, op **cit.**, p14-15.

[2] Ernest Mercier, Ibid, p44.

[3] –جهيدة مهنتل، **مرجع سابق**، ص 143.

[4]- Khadija Boufenara, le rôle Génie militaire dans la production**, op cit,** p 292.

[5] - Ernest mercier, **Constantine Avant la conquête**، op cit., p 15.

[6] – طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته، **مرجع سابق**، ص 60.

قسنطينة القديمة غير منطقة الجابية وجزئا من القنطرة، وبالتالي فإن ملامح البلدة العميقة قد تغيرت كليا[1]، كما استبدلت أسماء الشوارع القديمة بأسماء أخرى لقادة وضباط عسكريين فرنسيين قتلوا أثناء احتلال المدينة، وهو ما أثر بشكل واضح على طابعها التقليدي الأصيل، إضافة إلى أن هذه التغيرات أتلفت الطابع العمراني الإسلامي للمدينة، وكانت انطلاقة التدمير الاستعماري الأولى للإنشاءات العمرانية بداية الاحتلال من المساجد، حيث قامت السلطات الاستعمارية بتحويلها إلى ثكنات واسطبلات ولم تكتفي بهذا فراحت تهدم المنازل والبيوت وشقت بدلها ممرات وطرقات[2].

وعليه فقد عانى المجال في مدينة قسنطينة من تغيير استعماري تعسفي بإلباسه أسماء أوروبية دخيلة فرضت في التداول الرسمي ورسخت رموزها فوق اللوحات الجدارية على الأزقة واستدلت بها مصالح البريد والإدارة، ورسخ بعضها في التداول اليومي للمواطنين، وإذا كانت الأحياء الرئيسية بالمدينة العتيقة مازالت تعرف بمسمياتها الأصلية أو القديمة مثل رحبة الصوف وباب القنطرة وزنقة مقيس، فإن مصطلح لا بريش (La brèche) على سبيل المثال الدخيل لفظا، قد حل محل باب الواد، وفقد بالتداول شحنة مدلوله التاريخي الذي يذكر بالثغرة أو الفتحة التي أحدثتها المدفعية الفرنسية في سور المدينة لاختراق حصونها وترمز لا بريش إلى بداية الاحتلال على المدينة[3].

وتوسعت المدينة الجديدة نحو كدية عاتي وتغيرت معالم المدينة التقليدية، وبقيت هذه الأعلام شاهدة على تاريخ اندثرت معالمه بفعل الزمن أو بفعل الإنسان، ومست هذه التغيرات التي أدخلت على النسيج العمراني للمدينة منشآت، وهدمت بنايات وحولت أخرى عن مهامها بحجة المصلحة العامة[4]. وهو ما أدى إلى تشويه وجه المدينة القديمة.

---

[1]- Ernest mercier, Constantine Avant la conquête, **op cit,** p 4.

[2] – طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته، **مرجع سابق،** ص 60.

[3]– فاطمة الزهراء قشي، **معالم قسنطينة وأعلامها**، مرجع سابق، ص 7.

[4] – **نفسه،** ص 8.

4.2. التحولات على مستوى البنايات والمنازل وتحويل الدور عن وظيفتها:

بعد احتلال المدينة تغيرت وظيفة المساكن التقليدية تدريجيا بسبب النزوح الريفي وكذلك استيلاء الفرنسيين على بعضها، وتغير نمط المعيشة وكيفية توظيف أجنحة الدار التقليدية، وقد لا يظهر هذا التغيير بصورة واضحة خلال ثلاث أو أربع سنوات من الاحتلال، فمهما كانت طرق التجديد، فإنها لا تقلب كل الموازين في مدة وجيزة، فالسكن الجماعي كان ميزة الدور القسنطينية، لأنها مدينة ذات كثافة عالية قياسا بمساحتها إذا ما قورنت بالمدن الأخرى في نفس الفترة، فقد كانت قسنطينة توازي من حيث عدد السكان مدينة الجزائر مع صغر مساحتها[1].

وعملت السلطات الفرنسية على تدمير أو تغيير المنازل التي كانت تعرقل عمل الجنود الفرنسيين، وذلك بتغير حجم بعضها عن طريق رفع جدران الواجهات المسننة، أي تمدير الأسطح واستبدال المدرجات بسور مرتفع أو بشق ممرات وطرقات مكانها، وما بين سنة 1838م/1840م قامت السلطات الفرنسية بهدم جميع المباني القائمة من أجل إفساح المجال للإنشاءات المستقبلية[2]، فقد عرفت الدور في المدينة قسنطينة تحولات حسب ظروف السكن والساكنين والأوضاع القائمة، إذا كان مسكن عائلة واحدة أو كانت تضم عدة عائلات تحت سقف واحد، وتغيرت معها وظائف السقيفة ووسط الدار وغيرها[3].

ونحاول من خلال هذا الجدول التعرف على أهم المساكن والدور التي تم تحويلها بعد الاحتلال مباشرة.

جدول رقم (39) التحولات على مستوى بعض الدور[4]

الدار	موقعها	مصيرها بعد الاحتلال
دار الخليفة بن عيسى	بين باب الرحبة وباب الجديد بمحاذاة الحائط الخارجي	أول منزل استولى عليه الفرنسيون

[1] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 255.

[2]- Khadija Boufenara, **op.cit**, P283-290.

[3] –فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع**، مرجع سابق، ص 255.

[4] –جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع**، مرجع سابق، ص 49.

سكن الخليفة أمين خوجة	قرب القصبة يطل على كامل المدينة	استولت عليه السلطات الفرنسية
قبة بشير	قرب القصبة	استولت عليه السلطات الفرنسية
دار محمود بن شاكر باي		سعت حوالي 1000 جندي من الجيش الفرنسي
دار الحاج أحمد باي	الباب الجديد	500 جندي
قصر الباي		حوالي 5000 رجل ثم تحولت إلى مقر سكن الحاكم العام لقسنطينة
دار الباي القديمة		ضمت 1500 جندي
الدريبة		2000 عسكري
ثكنة الإنكشارية العزاب	حي القصبة	1000 جندي
دار الأغا (الثكنة القديمة للأتراك	القصبة	ضمت 1000 رجل

عملت الإدارة الفرنسية على تحويل بعض الدور والمنازل، وخاصة الواقعة في حي القصبة عن وظائفها الأساسية واستعمالها لأغراض عسكرية وإسكان الجنود الفرنسيين.

5.2. التحولات على مستوى المساجد والزوايا:

تنفيذا للسياسة الفرنسية شرعت الإدارة الاستعمارية في القضاء على دور العبادة التي لم تستثنى من التدخلات الفرنسية فبعضها حولته إلى معاهد الثقافة الفرنسية وبعضها الأخر سلمته إلى الإرساليات التبشيرية المسيحية والتي اتخذته بدورها كمراكز لنشاطاتها، والبعض الأخر قامت بهدمه تحت دعاوى إعادة تخطيط المدينة[1]، كما استولت الإدارة الفرنسية على أوقاف كل هذه المساجد ومن ثم حدث الإهمال والاندثار للمباني الدينية[2].

[1] –سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة، **مرجع سابق**، ص 56.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 90.

- **المساجد:**

قدر الفرنسيون عدد المساجد وأماكن تعليم القرآن بمدينة قسنطينة سنة 1837م بستة وثمانين، وبينوا توفر التعليم وأنه ليس هناك حواجز لتحديد طلب المعرفة وكان نظام التعليم في متناول الأغلبية، كما ذكروا كثرة أملاك الأوقاف[1]. ولا توجد هناك دراسات مفصلة عن مساجد مدينة قسنطينة بداية الاحتلال، غير أن المهتمين بتاريخ المدينة أمثال شيربونو ومرسييه وفيرو وفايست، كانوا يعتمدون على علماء المسلمين وعلى السماع، والنقوش المكتوبة التي وجدوها على البنايات وعلى بعض الوثائق الرسمية، وقدموا لنا أوصافا عن البنايات الدينية التي كانت تضم كل من المسجد والمدرسة والزاوية والضريح في آن واحد، حيث كانت تمثل مؤسسة دينية متكاملة[2].

وقد أعجب الفرنسيون بهندسة بنائها من زخرفة فسيفسائية وأعمدة مرمرية ونقوش عربية وأفرشة فخمة كالزرابي والحرير المطرز، وهذا ما جعلهم يختارون أجمل وأفتن هذه المساجد وحولوها إلى كنائس مثل جامع سوق الغزل، وبعضها الأخر تعرض للهدم النهائي[3]، حيث وقع تعمد الوافدون الجدد ممارسة ديانتهم في مسجد سوق الغزل الذي بناه حسن باي ليحول إلى كنيسة، ثم إلى كاتدرائية طوال الفترة الاستعمارية[4].

واعتبر "شيربونو" "Charbonneau "أن عدد المساجد كان كثيرا مقارنة بعدد سكانها والذي كان حسبه حوالي عشرين ألف نسمة على أضعف تقدير، ولكن سرعان ما لاحظ وهو الخبير الذي أقام في قسنطينة زمنا طويلا، وعرف علمائها وطلبتها عندما كان أستاذا لحلقة دراسات اللغة العربية، إن أهل قسنطينة متدينون جدا، كما لاحظ أن الناس أخذوا يتحولون في وقته أي سنة 1857م من المساجد إلى الزوايا والطرق الصوفية[5]، وقد أفسد الطابع العمراني الإسلامي للمدينة،

---

[1] –جيلالي صاري، (مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة في سنة 1837)، **مجلة الثقافة السنة الرابعة عشر**، ع8، جمادى الثانية–رجب 1408هـ/مارس –أفريل 1984، ص 18.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 79.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص 251.

[4] –فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة **مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 145.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 79.

وكانت البداية الأولى من المساجد، حيث قامت فرنسا بتحويلها إلى ثكنات عسكرية واسطبلات ومستشفيات وكنائس[1]، ونحاول من خلال هذا الجدول التعرف على المساجد التي تم تحويلها عن وظيفتها الدينية والتعليمية لأغراض استعمارية.

جدول رقم (40) التحولات على مستوى المساجد[2].

المسجد	موقعه	مصيره
مسجد سيدي الرماح	//	أصبح تابعا للإدارة الفرنسية التي أعطته لإحدى السيدات الفرنسيات فأقامت فيه ورشة لتعليم الخياطة والتطريز لخدمة السياحة والاقتصاد الفرنسي، وليس طبعا لتعليم المسلمات.
جامع "سيدي علي التلمساني	//	تحولت البناية كلها إلى أيدي الفرنسيين ثم احتلتها سيدات بون باستور ثم هدمت.
جامع "رحبة الصوف"	يقع شرقي رحبة الصوف	يعد من أقدم مساجد المدينة حولته السلطة المحتلة إلى مخزن للشعير ثم ملجأ لضحايا المجاعة ثم إلى مستشفى عسكري ثم أعطته للراهبات المسيحيات.
جامع الأربعين شريف	يقع بنهج الأربعين شريفا (نهج الشيخ عبد الحميد بن باديس)	أن السلطات الفرنسية حولته إلى محكمة للأحوال الشخصية الإسلامية.

1- طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته، **مرجع سابق**، ص 60.

2 - محمد المهدي الشغيب، **أم الحواضر**، **ج2**، مصدر سابق، ص 22-33.

جامع القصبة	حي القصبة	عطل وحول إلى بناية عسكرية تضم الأسلحة والأدوية، وفي عهد "شيربونو" كان الجامع مخزنا لعتاد الهندسة، ثم حول إلى مستشفى عسكري.
جامع ومدرسة سيدي الكتاني	يقع في سوق العصر	حولت المدرسة في العهد الفرنسي هي المدرسة الشرعية الرسمية منذ حوالي 1850م، كما فصلوا الجامع والمدرسة عن السوق.
مسجد سيدي بن مخلوف	حي القصبة	استغل بداية الاحتلال لإيواء فرق الصبايحية ثم حول مكانه لدار البلدية.
جامع الشيخ" عمر الوزان"[1]	يقع برحبة الجمال وكان بقربه عين ماء ومدرسة	أزالت السلطات الفرنسية الجامع لإقامة منشآت استعمارية على أنقاضه.
جامع سيدي الجليس	يقع بساحة سيدي الجليس	هدمته السلطة الفرنسية وأقامت على أنقاضه مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية والعربية وبعض الأعمال المهنية.
جامع سيدي عبد الرحمان المناطقي	يقع مقابل فندق الزيت ناحية الرصيف	ازالته سلطة الاحتلال وحلت محله البنايات القائمة هناك مع فندق الزيت.
جامع سيدي بوقصعة	كان موقعه بشارع أول نوفمبر بين الحديقتين العموميتين	هو أول مسجد دخله جيش الاحتلال الفرنسي أثناء الزحف على المدينة لم يبقى له أثر اليوم.

[1] – أرغمت السلطات الفرنسية ورثة الشيخ عمر الوزان بالتنازل لها عن مسجد جدهم مقابل جامع آخر بدله، ونقلت على إثر ذلك رفاة الشيخ من مسجده الأصلي إلى جامع سيدي عبد الرحمان القروي الموجود أيضا برحبة الجمال، ينظر: محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر**، ج2، مصدر سابق، ص 22.

	الواقعتين وراء دار البريد ووراء قصر العدالة	
جامع سيدي الهواري	يقع في اتجاه رحبة الصوف جنوب مقعد الحوت	اختلسه اليهود وحولوه إلى مراكز يهودية.
الجامع الأعظم يسمى اليوم جامع الباي	يقع بسوق الغزل	حول بعد الاحتلال إلى مهام عسكرية ثم إلى كنسية.
جامع الجوزة	يقع نحو صاباط صالح باي	حولته السلطات الاستعمارية إلى مدرسة للبنات.

نستخلص من هذا الجدول أن المساجد في مدينة قسنطينة كانت كثيرة، وقد اندثرت جراء الحملة الفرنسية على المدينة، وحول بعضها إلى منشآت فرنسية لخدمة أغراض استعمارية. وبالإضافة إلى هذه المساجد التي حولت إلى منشئات أخرى لخدمة الاحتلال الفرنسي، هناك مساجد أزيلت نهائيا ولم يبق لها أثر منها مسجد سيدي الشاذلي، سيدي علي الطنجي، سيدي بوشداد، سيدي عفان، سيدي بن عيناس، سيدي محمد بن ميمون، سيدي علي القفصي، سيدي إبراهيم الراشدي، سيدي فتح الله، سيدي قيس، سيدي مفرج، سيدي محمد عبد الله الشريف، سيدي نقاش وغيرها[1]. كما أصبحت مساجد المدينة فارغة لا تملك أي وثيقة في سنة 1845م، ومنها المسجد الكبير ومسجد عبد الرحيم ومسجد سيدي عبد القادر ومسجد الباي ومسجد سيدي الكتاني ومسجد سوق الصوف ومسجد القصبة ومسجد القنطرة وغيرها[2].

- **الزوايا:**

أدركت السلطات الفرنسية أن للزوايا دور أساسي ومهم في المقاومة الشعبية الجزائرية، وأنها مكان يجتمع فيه المسلمون للجهاد ضد الفرنسيين، وعليه قامت السلطات الفرنسية بإحصاء عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر وعدد الزوايا، لقد كان للزوايا دور كبير في تعليم اللغة العربية،

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 89.

[2] –جيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 155.

كما وقفت هذه الزوايا في وجه الاحتلال الفرنسي وتولت الجهاد دفاعا عن الإسلام[1]. وفيما يلي جدول لأهم التحولات التي مست زوايا المدينة بداية الاحتلال.

جدول رقم (41) أهم التحولات على مستوى الزوايا[2].

اسم الزاوية	الموقع	أهم التحولات
زاوية ابن نعمون	على نهج السويقة	مازلت بموضعها
زاوية النجارين أو زاوية حنصالة	بحي النجارين وسط الطريق الجامع الكبير ورحبة الصوف	مازلت بموضعها
زاوية الفكون	حي الخرازين	//
زاوية باش تارزي	تقع بحومة الشارع بالدرب المقابل لرحبة الصوف	//
زاوية ابن رضوان	حي البرادعيين	استولت عليها السلطة الفرنسية
زاوية نعمان	سوق الحدادين	هدمها المستعمرون وأقاموا على أنقاضها دار الإسعاف الصحي
زاوية التلمساني	نهج قسطنطين	استولت عليها السلطة الفرنسية وأصبحت تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، ثم أجرت للراهبات وبعدها استولى عليها اليهود

نخلص من خلال الجدول إلى أن السلطات الفرنسية حولت عدد كبير من زوايا المدينة إلى منشئات عسكرية، كما بقيت زوايا أخرى في موضعها الأصلي، غير أنها تعرضت لتحولات كثيرة على مراحل مختلفة.

---

[1] –سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة، **مرجع سابق**، ص 61.

[2] - كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 169–183.

6.2. أثار التحولات العمرانية على المدينة التقليدية:

لم تكن عمليات التغيير هذه، إلا تمهيدا للتجديد الحقيقي لبنية مدينة قسنطينة عن طريق إدخال أنماط حضرية ومعمارية جديدة فقسمت المدينة إلى كيانين، وتم التنازل عن القسم الأعلى من هذه المساحة لصالح الأوروبيين، في حين يخصص القسم السفلي للسكان من الأهالي، ويسلك الخط الفاصل المحور الحالي ديدوش مراد[1]. وتسببت هذه التحولات العمرانية الجديدة التي قسمت المدينة إلى كيانين في ضياع العديد من البنايات الدينية والسكنات، وتوسيع المجال الاستعماري على حساب الإقليم المخصص للسكان الأصليين عند فتح الشوارع الرئيسية، مما أدى إلى ظهور واجهات استعمارية تحجب النسيج المعماري التقليدي القديم[2].

بعد تثبيت الاحتلال بقصد توفير الأمن والاستقرار، ازدادت هجرة الأوروبيين إلى مدينة قسنطينة وهو ما تطلب تشييد مبان على النمط المناسب لهؤلاء المهاجرين، وما تمتاز به من شروط تتعلق بالنظافة والتهوية والإضاءة، نظرا لتقدم الوعي الصحي والاجتماعي وارتفاع المستوى المعيشي للأوروبيين[3]. ولقد رافق التدخلات الطارئة على المساحات وضع مؤسسات جديدة حلت محل التنظيم الأصلي بتغير نظام جديد للإدارة يخدم المحتلين[4].

وتخضع إدارة الحي الأوروبي إلى تشريع مدني يسمح بالمعاملات العقارية، في حين يخضع الحي الذي يقطنه السكان من الأهالي إلى تشريع خاص وتمنع إقامة الأوروبيين فيه، غير أنه يمكن إقامة مؤسسات ذات منفعة عمومية بموافقة وزارة الحرب الفرنسية[5].

وخلال الفترة الاستعمارية أنشأت ضواحي جديدة أخرى للمدينة القديمة في المنصورة، وسيدي مبروك والمنظر الجميل، وكل هذا الامتداد كان وسط طبوغرافي صعب، يتشكل من منحدرات وتلال وهضاب، وكحل أولي لهذه الصعوبة قام الفرنسيون بتصميم طبوغرافية المدينة، وذلك

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 145.

[2]– **نفسه**، ص 144.

[3] – مجمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 284.

[4] – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة مدينة وموروثات**، مرجع سابق، ص 144.

[5] – **نفسه**، ص 145.

بترسيب منحدر باب الواد مثلا الذي مكن الاستعمار من بناء موقع La brèche ساحة الشهداء حاليا كفضاء بين المدينة القديمة والمدينة الاستعمارية والمواقع الرومانية التي وجدت تحت الموقع تشهد على عملية الترسيب[1].

وقد نمت مدينة قسنطينة أكثر مما كانت عليه منذ نشأتها، حيث خرج العمران خارج حدود النواة القديمة، وبدأ التوسع على حساب الأراضي الزراعية لبناء الأحياء الجديدة بعد أن عاشت طيلة فترة إنشائها حتى الاحتلال الفرنسي داخل الأسوار القديمة الممتدة على طول الحدود الطبيعية للصخرة الموضع الأصلي، وهذا يعني أن النمو الحضري لمدينة قسنطينة في هذه الفترة اتجه إلى الاطراد في معدله بنسب تفوق إلى حد بعيد معدل نموها في القرون السابقة[2]. ولقد بقيت المعالم العمرانية شاهدة على ما كانت عليه قسنطينة من نهضة فكرية وعمرانية، رغم أن فرنسا بمجرد احتلالها للمنطقة غيرت معالمها الحضارية[3].

يمكن القول إن أهم ما يميز مدينة قسنطينة في هذه الفترة، هو حجمها بين القديم والجديد في نفس الوقت، بحيث يمكن التمييز داخلها بين مدينتين متباينتين في تركيبهما المورفولوجي والاجتماعي والسكاني، وهما الحي الأوروبي، والمدينة أو ما يعرف بالحي العربي وظاهرة الازدواجية، وهي من الظواهر الخاصة بالمدن التي عانت من الاستعمار ومن صور الاستغلال، وهي ظاهرة تكاد تكون عامة في كل المدن الجزائرية القديمة ومدن شمال إفريقيا[4].

وخلال بداية الاحتلال الفرنسي أعيد هيكلة المدينة جزئيا والتي كانت تتمتع بوظيفة مركزية في المجموعة الحضارية، وهذه الخاصية انفردت بها مدينة قسنطينة دون غيرها من المدن الأخرى، وأصبحت بعد ذلك المركز التقليدي مهمشا بشكل عام، وتحولت جزئيا عن وظيفتها التقليدية، ورغم ذلك يبقى القطاع التقليدي والحديث يكمل كل منهما الآخر لإنشاء مساحة تروق للجميع أي

---

[1] –مهنتل جهيدة، حاضرة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 15.

[2] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 87.

[3] –بوعزة بوضرساية، **أحمد باي رجل دولة**، مرجع سابق، ص 123.

[4] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 91.

السكان الأصليين والأوروبيين، وبدأت بعد ذلك المنافسة بين القطاع التقليدي والحديث[1]. ولم يضع الفرنسيون مخططات للأثار التي كانت موجودة في ذلك الوقت، حيث دمروا أثار المدينة الرومانية ليبنوا قلاعهم، فبسبب التعمير الذي عرفته المدينة في كل الفترات بما فيها الفترة المعاصرة، وخاصة الفترة الاستعمارية فوق نفس الموقع أدى إلى اندثار الأثار الرومانية[2].

وبدأت السياسة الفرنسية في المجال العمراني مع بداية الاحتلال ومست التحولات العمرانية المساكن والمدارس والأحياء، وأرادت فرنسا إحلال العمران الأوروبي محل العمراني العربي الإسلامي المتوارث دون مبررات واضحة، غير محو الثقافة العربية الإسلامية والقضاء على الهوية الوطنية بكل أشكالها. ولا يمكن أن تظهر هذه التغيرات بشكل واضح خلال فترة وجيزة من الاحتلال، ولكنها كانت تمهيدا لإحلال المدينة الأوروبية محل المدينة العربية التقليدية لخدمة أغراضها الاستعمارية.

3. التحولات الاقتصادية في مدينة قسنطينة بداية الاحتلال:

كانت مدينة قسنطينة إلى غاية بداية الاحتلال من المدن الداخلية الهامة ومركز استقطاب وهمزة وصل بين الأرياف والمدن، وملتقى طرق القوافل وكانت تجارتها مزدهرة وسوقا لتصدير المنتوجات الجزائرية إلى تونس واستيراد الفرش والأقمشة من بلاد المشرق، وكانت فئة الريف تتعايش بانسجام مع فئة المدينة، غير أن ذلك تغير واضمحل وصارت المدينة يخيم عليها البؤس والظلم بفعل سياسة الاستيطان الأوروبي[3]. وذلك من خلال السياسية الاقتصادية التي فرضها المستعمر الفرنسي على الوضع الذي كان سائدا من خلال مصادرة الأراضي وفرض الضرائب وتهديم المنشئات التجارية.

---

[1] -Pagand Bernard, La Medina de Constantine, **op cit**, p4.

[2] –مهنتل جهيدة، حاضرة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 136.

[3] –عبد العزيز فيلالي، **جرائم الاستعمار الفرنسي**، مرجع سابق، ص 63–65.

1.3. مصادرة الأراضي والعقارات:

عمل الاستعمار الفرنسي منذ سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837م على تغيير البنى الاقتصادية التقليدية بطريقة عنيفة، ولعب الاستيطان دورا هاما في هذا التغيير الذي أدى بدوره إلى التأثير المباشر على المجتمع ووضعه الديمغرافي وتشكيله الطبقي، من خلال مصادرة الأراضي والطرد التعسفي للسكان إلى المناطق القاحلة والوعرة وتهجيرهم خارج الوطن[1]، وزادت مساحة الأراضي التي انتقلت ملكيتها إلى الفرنسيين، وانتشر عدد كبير من أكواخ العمال الزراعيين وصغار التجار المتعاملين مع قوات الاحتلال، وكانت هناك اقطاعات تصل مساحتها إلى ثلاثة أو أربعة ألاف هكتار تمنح للأثرياء وذوي الألقاب، وأخرى من أربعة ألاف هكتارات تمنح للمحاربين القدماء والمهاجرين من فرنسا[2].

وجاءت قرارات الحكام العامين العسكريين الفرنسيين ومراسيم السلطات الاستعمارية فأباحت اغتصاب أراضي الجزائر الخصبة الشاسعة، بسبب مشاركة أصحابها في الانتفاضات الشعبية المختلفة وتسليمها بالمجان إلى المعمرين الأوروبيين، وهو ما حول الفلاحين الجزائريين الذين كانوا قبل الاحتلال يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان إلى مجرد خماسين أو أجراء موسميين أو أناس عاطلين تماما عن العمل[3]، وتعقد الحياة الاقتصادية بعد الاحتلال جعل البحث عن العمل، هو الشغل الشاغل لمعظم سكان المدينة بعد أن فقدوا وظائفهم التقليدية[4]، كما عملت الإدارة الفرنسية على تحديد مناطق السكان للأهالي بدعوى أن لهم من الأرض أكثر من اللازم، فنزع منهم الفائض لتدعيم التعمير الفرنسي وتسهيل العلاقة بين العنصرين من السكان الأصليين والأوروبيين[5].

---

[1] –كمال بيرم، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 29.

[2] –جلال يحيى، تاريخ المغرب الكبير، ج3، **مرجع سابق**، ص 158.

[3] –التواتي بومهلة، قسنطينة معالم حضارة وتاريخ، ج1، **مرجع سابق**، ص 126.

[4] –فندلين شلوصر، **مصدر سابق**، ص 95-96.

[5] – محفوظ سماتي، **الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها**، تر، محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، د. ط، الجزائر، 2007، ص 152.

وتأثرت البنية الاقتصادية لمدينة قسنطينة بعد الاحتلال، فالاقتصاد الذي كان معظمه يقوم على الزراعة والرعي والمبادلات التجارية بين الأرياف والمدن، قد تعرض إلى شبه توقف نتيجة الحرب الاستعمارية، ونقل السكان من بيئاتهم الأصلية إلى بيئات جديدة خططها العدو الفرنسي في ظرف طارئ لأغراض استعمارية[1]، وعرفت بذلك المدينة نوعا من الركود والتراجع في مختلف الصناعات والنشاطات الحرفية التي تميزت بها قبل الاحتلال واكسبتها سمعة ومكانة مرموقة في هذا المجال[2]، حيث كانت الصناعة المحلية قبل الاحتلال أكثر تقدما وأحسن تنظيما وتشهد على ذلك مختلف المصادر، فقد كانت مدينة قسنطينة تهتم بالصناعات المختلفة إلى جانب الصناعة التقليدية، وبعد الغزو الفرنسي أهملت هذه الصناعات بالتدريج، حيث خنق الاحتلال التجارة الخارجية بعد أن كانت قبل سنة 1837م، تقيم علاقات تجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء والبلاد العربية والغرب الأوروبي[3]، وهو ما نتج عنه القضاء على الصناعات التقليدية التي كانت تشكل محور النشاطات الاقتصادية بالمدينة بداية الاحتلال، نتيجة عدم قدرتها على منافسة منتجات الصناعة الحديثة، فأدى ذلك إلى تفشي ظاهرة البطالة بين السكان العرب[4]. كما تغير كذلك الوضع الاقتصادي للبايلك عموما بعد الاحتلال، حيث قامت السلطات الفرنسية بالسيطرة على موانئ الشرق الجزائري التي كانت سابقا مراكز رئيسية للتجارة مع العالم الخارجي[5].

كما استولى الاحتلال الفرنسي كذلك على وسائل التجارة الداخلية وراقب طرقها وحولها لفائدة المعمرين واحتكر لصالحه التجارة الخارجية، وتتوقف اقتصاد المدينة جزئيا على الأقل بسبب الهجرة وخروج الرأسمال المحلي وتوقف الصناعات والحرف، وافتقر السكان نتيجة الاستيلاء على أملاكهم دون تعويض، وزيادة على ذلك المضاربات المالية واستيلاء اليهود والتجار الأوروبيين

---

[1] –طاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، **مرجع سابق**، ص 87.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **أراء وأبحاث في تاريخ**، ج4، مرجع سابق، ص 118.

[3] – يحيى أحمد، **مرجع سابق**، ص 142.

[4] – محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 86.

[5] -Abdaljalil Atemimi, **Le beylik de Constantine**, op.cit, p 73.

على وسائل الإنتاج والبنوك، كما سيطر الفرنسيون على النقابات الحرفية وأفلسوها وتولوا مهامها وهو ما نتج عنه عجز السكان الحضر عن المنافسة[1].

ومع هذه الاضطرابات التي أحدثها الاحتلال على النشاط الاقتصادي، ونتيجة لتحديد أرض الإقامة والمصادرة وحجز الأراضي، استمر الغلاء في الأسعار ومعه غلاء المعيشة وضعف القدرة الشرائية للأفراد[2]. وهذا نتيجة عمليات الهدم التي تعرضت لها الأحياء القديمة وبالتالي القضاء على المحلات والورشات، إضافة إلى منافسة المنتوجات الصناعية الأوروبية الحديثة الأمر الذي أدى إلى انتشار البطالة في المجتمع[3]. غير أن حرص المجتمع القسنطيني على الاستمرارية وعدم الذوبان في المجتمع الاستيطاني الضاغط، أدى إلى تعقد الحياة الاقتصادية والتي أصبحت الشغل الشاغل لغالبية السكان وهي البحث عن لقمة العيش مهما كانت الظروف[4].

2.3. فرض الضرائب:

يعتبر النظام الضريبي جزء من النظام المالي، وهذا الأخير جزء من النظام الاقتصادي للمجتمع وبالتالي هناك علاقة وثيقة بين النظام الضريبي والنظام الاقتصادي[5]، وتعددت مصادر الضرائب في المرحلة العثمانية وانتشر تأثيرها على كل الأنشطة الاقتصادية، ونتج عن هذا التوسع في تحصيل الموارد أن أصبحت أغلب الضرائب والرسوم تمس المهن والحرف وتطبق على الملكيات والجماعات الحرفية[6]، كما سعى الحكام إلى استمالة المرابطين وشيوخ القبائل باستخدام نفوذهم الروحي في الأوساط الشعبية عند تحصيل الموارد، بالإضافة إلى اختصاص كل منطقة بضريبة تتلاءم وطبيعة تضاريسها ومناخها[7].

---

[1] –الطاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، **مرجع سابق**، ص 88.

[2] – جمال سعيدان، الأحوال المعيشية في الريف القسنطيني، **مرجع سابق**، ص 70.

[3] –محمد الهادي العروق، **مرجع سابق**، ص 86.

[4] –عمار بوطبة، **مرجع سابق**، ص 382.

[5] –كليل صالح، (التنظيمات الإدارية والاقتصادية في الجزائر 1830–1871)، **أطروحة دكتوراه**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2017–2018، ص 351.

[6] –ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، مرجع سابق، ص 109–111.

[7] –كليل صالح، **مرجع سابق**، ص 351.

أما بداية الاحتلال مباشرة فأنشأ الجيش الفرنسي المكاتب العربية في كل مدينة يحتلها، وعين على رأسها ضابطا تعطى له صلاحيات تنظيم الشرطة، وجمع أنواع الضرائب والإشراف الكلي على تسيير الحياة اليومية للأهالي بمساعدة الرؤساء الذين كانوا في العهد العثماني السابق، وغيرهم من الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للاحتلال[1]، وقام الماريشال "فالي" "Valée" بعد عام من الاحتلال بإنشاء مجلس من شيوخ القبائل يرأسه القائد العسكري للمقاطعة، كما عين "حمودة بن الفقون" حاكما على أهالي قسنطينة وأسند إليه مهمة استخلاص الضرائب من الأهالي، وطبق هذا الأخير النظام الذي كان سائدا في عهد أحمد باي[2]، **وحافظت بذلك فرنسا على النظام** الضريبي التقليدي وزادته بعض الإجراءات الضريبية إذ ظل عدد الضرائب مرتفع رغم محاولات الدمج[3]، ومن الضرائب المفروضة على سكان قسنطينة أوائل الاحتلال الفرنسي سواء على الأراضي المدنية أو العسكرية ضريبة الزكاة والعشر والحكر واللزمة ولزمة النخيل[4].

وكانت الضرائب تضغط على الفلاحين بالدرجة الأولى الذين تأثروا بإطلاق يد الشيوخ في جمع الضريبة، وهو ما ترتب عنه نتائج مدمرة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، حيث فقدت القبائل الكثير من ثروتها الأساسية خاصة الماشية، كما ترك الفلاحون أراضيهم والتي انتقلت إلى طبقة الأغنياء واليهود[5].

4.التحولات الثقافية:

بمجرد أن تمكنت الحملة الفرنسية من تحقيق هدفها باحتلال مدينة قسنطينة، تغيرت الأحوال الخاصة بالجوانب الثقافية، فالفرنسيون لم يأتوا حاملي السلاح فقط، إنما جاؤوا حاملين وسائل الإعلام والكتاب والمدرسة والمطبعة، ولكن بروح وعقل أوروبي، يهدف من خلالها إلى تكوين

---

[1] –خنوف علي، **السلطة في الأرياف**، مرجع سابق، ص 104.

[2] – أحمد سيساوي، **مرجع سابق**، ص 120.

[3]–كليل صالح، التنظيمات الإدارية، **مرجع سابق**، ص 347.

[4]– عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900**، طبعة منقحة ومزيدة، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 125.

[5]– أحمد سيساوي، **مرجع سابق**، ص 245.

جسم أوروبي في الجزائر، وإحلاله محل الجسم الجزائري العربي المسلم[1]، وحاولت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى القضاء على آثار الثقافة العربية الإسلامية، وطمس كل ما هو عربي إسلامي أو مسخه للابتعاد به عن أصله ليسهل زواله وحلول تعاليم الاستعمار والثقافة الأوروبية مكانه[2].

1.4. التحولات على مستوى المؤسسات التعليمية والثقافية:

كانت مدينة قسنطينة في الفترة الحديثة تحتوي على العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية منها المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات، ولكن بعد الاحتلال تقلص دورها نتيجة السياسة الفرنسية الرامية إلى القضاء على الهوية العربية الاسلامية.

1.1.4. المدارس:

شغلت مدينة قسنطينة مكانة جعلتها مركز إشعاع ثقافي طيلة ثلاث قرون من الزمن، وواصلت محافظتها على هذه المكانة رغم ما تعرضت له في تاريخها من تحديات ومنافسة الحواضر الثقافية في إيالة الجزائر وتونس، وبقيت محافظة على استمرارية حراكها الثقافي في أصعب الأوقات[3]، وبلغ المستوى الثقافي درجة عالية في المدينة بداية الاحتلال وذلك بشهادة الأجانب أنفسهم، فقد كانت كل قرية قبل الاحتلال مزودة بمدرستها، وأن جميع الجزائريين قبل سنة 1830م كانوا يحسنون القراءة والكتابة، وكانت مدينة قسنطينة وحدها تشمل على ست وثمانين مدرسة[4]. وذكر حاكم المقاطعة في تقرير بعث به إلى الحكومة الفرنسية، بأن مدينة قسنطينة كانت تتميز بالثقافة والعلم، حيث كانت في سنة 1837م قبيل سقوطها، تحتوي على الكثير من المدارس الخاصة بالتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، وكانت تستقبل ما بين 600 إلى 700 طالب علم، يدرسون العلوم النقلية الدينية والشرعية والعلوم العقلية، وهي مؤسسات تربوية

---

[1] – أحميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية**، مرجع سابق، ص 43.

[2] –محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر، ج2، **مصدر سابق**، ص 48.

[3] –المهدي البوعبدلي، **تاريخ المدن**، مرجع سابق، ص 267.

[4] – محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر، ج2، **مرجع سابق**، ص 87.

تفوق ما كان موجودا في فرنسا، وأن التعليم فيها كان حرا وجزءا أساسيا وهاما من حياة الناس يكاد يكون مجانيا، وهي كباقي مدن الجزائر تكاد تخلو من الأمية[1]. وللمقارنة بين الحالة الثقافية في باريس والجزائر في تلك الفترة، فنسبة الأمية في الجزائر سنة 1830م كانت أقل منها في فرنسا، إذا نظرنا إلى تعداد السكان، يعني أن نسبة الأمية كانت أعلى في فرنسا، فالإحصاء الرسمي الفرنسي يثبت أن الأمية كانت موجودة في فرنسا سنة 1833م بنسبة 53% من مجموع السكان، في حين لم تكن الأمية في الجزائر آنذاك لتتجاوز نسبة 14%[2]. كما أن الدوق "دورليان" (Duc D'orléan)، كان قد عبر عن اندهاشه مما لاحظ من تقاليد عريقة وحس مدني وانضباط لدى الحضر، وقال: "إن التعليم كان منتشرا إلى حد بعيد في المدن الجزائرية"[3].

وأثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة خلال شهر أكتوبر 1837م، انبهر الفرنسيون بالعدد الهائل للمؤسسات الثقافية المتواجدة بالمدينة، ولكن وحشية جنود الاحتلال الفرنسي وسياسة فرنسا الرامية إلى تجهيل الجزائريين الذين رفعوا السيف في وجهها، أطلقت العنان لجنودها للقيام بتدمير وحرق هذه المنارات العلمية الشامخة على غرار ما فعلت في الجزائر العاصمة[4]، وكان في مدينة قسنطينة سنة 1837م العديد من المدارس والمعاهد والتي تعرضت للتخريب ولم يبق منها إلا القليل[5].

ومن أشهر هذه المدارس كما سبق وذكرنا المدرسة الكتانية التي واصلت في أداء مهمتها العلمية حتى بعد احتلال المدينة سنة 1837م، أين ضمت هذه المدرسة إلى أملاك الدولة بدعوى أنها من أملاك الباي الخاصة، وهي تستثنى بذلك من الوقف على المسجد وتوقفت بها كل

---

[1] –عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة**، مرجع سابق، ص 64.

[2] –عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، ج4**، مرجع سابق، ص 173–174.

[3] –مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 225.

[4] –محمد سعيد قاصدي، (المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان)، **مجلة عصور الجديدة**، ع 18 خاص بقسنطينة، أوت 1436هـ/2015م، قسنطينة، ص 159.

[5] –سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة، **مرجع سابق**، ص 57.

الأنشطة التعليمية والثقافية إلى غاية سنة 1850م[1]. وهذا التهميش الذي طالها عطلها عن القيام بدورها الرئيسي، حيث حولت إلى مقر للإدارة الفرنسية تارة وإلى محكمة عسكرية تارة أخرى، وهي المحكمة التي أصدرت أحكامها بإعدام ونفي وشنق الجزائريين الأحرار الذين رفعوا لواء المقاومة في وجهها بالشرق الجزائري كمحاكمة الشيخ المقراني والحداد بمقرها الرئيسي[2]. وأوصت السلطة الفرنسية بضرورة وضع كل أنواع التعليم تحت الرقابة، لأن الوجود الفرنسي لا يمكن أن يتأسس نهائيا، إلا إذا تولت السلطة المديرة تعليم كل الأجيال الجديدة في البلاد وأمسكته بيدها[3].

وفي هذا السياق رفعت السلطة الفرنسية شعار المدرسة في محاولة منها لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية وطمس الهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وعليه كان من بين ما وقع اختيارها عليه مقر المدرسة الكتانية وتحويله إلى مدرسة فرنسية أطلقت عليها اسم المدرسة الشرعية –الفرنسية بقسنطينة، وهو ما حصل كذلك في كل من الجزائر العاصمة وتلمسان التي عرفت نفس الشيء، لتصبح ثلاثة مدارس رسمية فرنسية، أو ما بات بعرف بالمدارس الشرعية الثلاث[4].

إن اختفاء هذه المؤسسات يعني اختفاء اللغة العربية الوطنية وهي اللغة التي اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية وميتة، وباعتبار أن اللغة الرسمية في الجزائر، قد أصبحت اللغة الفرنسية وأن الجزائر فرنسية، فقد كان هدم هذه المؤسسات التعلمية بالمصادرة من العوامل المساعدة على تهميش اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها[5]. فأهملت بذلك المدارس الإسلامية وتوقف

---

[1] –كمال غربي، المساجد والزوايا، **مرجع سابق**، ص 197.

[2] –محمد السعيد قاصدي، **مرجع سابق**، ص 159.

[3] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3**، مرجع سابق، ص 24.

[4] –محمد السعيد قاصدي، المدرسة الكتانية، **مرجع سابق**، ص 159.

[5] –سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة، **مرجع سابق**، ص 57.

التعليم الابتدائي والثانوي، ولم تبق إلا بعض الزوايا البعيدة والمعزولة[1]، وكان بها من الكتب الابتدائية نحو التسعين كتابا، ويزاول الدراسة بها نحو الألف وثلاث مائة وخمسين تلميذ[2].

كما ذكرت التقارير الفرنسية أن المدارس الشهيرة والزوايا كانت متوفرة، ثم اختفت نتيجة للاحتلال والإهمال ومصادرة الأوقاف وهجرة العلماء أو نفيهم، ولم يبق منها إلا عددا قليلا، وأصبح التعليم في الباقي منها ناقصا، واختفى الكثير منها أيضا بالهدم والتحويل عن الغرض الأصلي، كانت للحملات العسكرية الفرنسية على المدينة سببا في تشتيت تجمعات الطلبة والعلماء، ولم تنجو إلا بعض المدارس التي تقدم تعليما قليلا[3].

2.1.4. المكتبات:

كانت مدينة قسنطينة مركزا ثقافيا يقصده الطلبة والعلماء من جميع أنحاء الجزائر، وقد عثر المستشرقون الفرنسيون في مكتبات أغنيائها العامرة على مخطوطات قيمة تضم تاريخ الأدب الأندلسي والمغربي والأفريقي[4]، غير أن الكثير من هذه الكتب تشتتت بعمليات الاحتلال للمكتبات والمساجد التي كانت موجودة فيها، كما تم اتلاف عدد كبير من المخطوطات التي كانت تستعمل قاعدة للتدريس[5].

وكانت الكتب والوثائق من الضحايا الأولى للاحتلال الفرنسي فالحروب الطويلة ورد الفعل الوطني الجزائري بالمقاومة أدت إلى التلف المقصود أو الغير مقصود من قبل الجيش الفرنسي الذي كان يصيب الكتب عند الفوضى كالحرائق والتآكل، بالإضافة إلى السرقة الممنهجة لوثائق

---

[1] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3**، مرجع سابق، ص 22.

[2] -عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، ج4**، مرجع سابق، ص 172.

[3] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3**، مرجع سابق، ص 23-25.

[4] -مصطفى الأشرف، **مرجع سابق**، ص 236.

[5] -ايفون تيران، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880**، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 133-134.

ومخطوطات العائلات من قبل الفرنسيين بالاعتداء الصارخ أحيانا والتحايل أحيانا أخرى[1]. واحتوت مدينة قسنطينة على مكتبات كثيرة منها العامة والخاصة والتي تعرضت للتشويه والتلف.

- **مكتبة أل الشيخ الفكون:**

ذكر مترجم الجيش الفرنسي "شارل فيرو" Charles Féraud "، أن مكتبة سي "حمودة الفكون" تعد من أغنى المكتبات العربية في الجزائر، وحسب الإحصاء الذي قام به البارون "دو سلان" (1801م-1878م) (Le Baron de Slane) المستشرق الفرنسي الذي اهتم بالمخطوطات سنة 1845م، فقد بلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة أربعة آلاف كتاب[2]، في حين تذكر بعض المراجع أن ثروة هذه المكتبة قدرت بحوالي 2500 مخطوط، وكانت كلها في وضعية جيدة ذات زخرفة، وقد اطلع عليها المستشرق (دو سلان) (Le Baron de Slane) طويلا لمدة خمس أسابيع، حيث قام بزيارة المكتبات الخاصة وذلك في إطار المهمة الرسمية التي كلف بها، وخصص لكل مخطوط معلومات تحتوي العنوان والمؤلف وأغلب هذه المخطوطات تتعلق بأصول الدين والفقه والقليل منها يخص التاريخ والرياضيات[3]، ولكنها تعرضت للتلف والسرقة وبيعت مخطوطاتها النفيسة، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي "آلان كريستو"، أنه بينما كان حمودة يحتج أمام المحكمة الاستعمارية في قسنطينة بخصوص ناحية الكدية، التي كانت ملكا للعائلة لأنها توجد فيها مقبرة أفراد عائلته، وأن أجداده كانوا القيميين الروحيين على المدينة، قام الفرنسيون بحجز مجموعة المكتبة التي تقدر بأربعة آلاف مخطوطة ثمينة ثم باعوها بأثمان بخسة، كما كتب المستشرق "فانيان" "Fagnan "[4] كلمة مؤثرة عن ضياع ما بقي من مكتبة شيخ الإسلام الفكون، وروى كيف تفرقت وضاعت وبيعت في المزاد العلني بطريقة وزن الورق القديم، وأن كيسا مليئا بالكتب الثمينة قد بيع بثلاثين فرنكا، مما أدى إلى تضاءل عدد مخطوطاتها ليصل إلى 2000 كتاب، ولم يتبق

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 325.

[2] – حنيفي هلايلي، **إقليم قسنطينة على ضوء المجلة الافريقية**، مرجع سابق، ص 147.

[3] –جيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 155.

[4] – مستشرق فرنسي من أهم أثاره ترجمة كتب عربية

من أغنى مكتبة شرقية في الجزائر خلال العهد الاستعماري سوى 220 مخطوطة بعد الاستقلال وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية[1].

وقد أتيحت للمحافظ الأول لمكتبة الجزائر بربروجر (Berbrugger) الذي اختص في المصادر المكتوبة في بداية الاحتلال الفرنسي أن يجمع شخصيا مجموعة من المخطوطات لينقذها من الاتلاف والدمار، وأثناء الاستيلاء على مدينة قسنطينة سنة 1837م، كلف هذا الأخير بنقل المخطوطات في شهر نوفمبر، في حين رفض الماريشال "فالي" "Valée" تقديم المساعدة له، وعليه لم يتوصل بربروجر (Berbrugger) إلى جمع كل المخطوطات التي كانت مهددة بالدمار والنهب والحرق على أيدي الجنود الفرنسيين[2].

كما تم الاستحواذ على وثائق محلية بطرق غير شرعية مثل الرسائل التي استعملها بربروجر (Berbrugger)، في حيازة حوالي 800 مخطوط أثناء مصاحبته للفيلق الثاني الذي دخل مدينة قسنطينة سنة 1837م، كما تمكن البارون (دي سلان)(Le Baron de Slane) أثناء زيارته للكثير من المكتبات الخاصة بمدينة قسنطينة، واطلاعه على أكثر محفوظاتها بفضل نفوذ السلطات الفرنسية الحاكمة بمدينة قسنطينة من الانتفاع من مكتبة سيدي حمودة الفقون[3].

- **مكتبة الشيخ الباش تارزي:**

وهي المكتبة الثانية في مدينة قسنطينة، وقد بلغ عدد مخطوطاتها حوالي 500 مخطوط، تختص في أصول الدين والفقه أشهرها معارف ابن قتيبة وتعليق ابن نفطة المتعلق بشعر ابن زيدون[4]، وقد تعرضت مكتبة الشيخ الباش تارزي هي الأخرى إلى التلف والسرقة والتغريم أثناء الحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة سنة 1837م، ففي رسالة مؤرخة في 24 جويلية سنة 1845م موجهة إلى السيد رينو تحدث فيها البارون دي سلان عن زيارته لمكتبات عمالة قسنطينة

---

[1] -حنيفي هلايلي، إقليم قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 147.

[2] -جيلالي صاري، **مخطوطات قسنطينة**، **مرجع سابق**، ص 153-154.

[3] -ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص 39-40.

[4] -جيلالي صاري، **مرجع سابق**، ص 155.

وبخاصة مكتبتي سي حمودة الفكون ومكتبة الشيخ الباش تارزي، وهما مكتبتين نجتا بأعجوبة من الخراب والتغريم والسرقة وبعد أسبوع من إرسال دي سلان بتقرير من 16 ورقة إلى وزير المعارف الفرنسية، يصف فيها حالة مكتبة الشيخ الباش تارزي، إذ ذكر أن هذه الأخيرة تضم حوالي 500 مخطوط عاينها بنفسه وهي تتناول قضايا معرفية في المجالات التالية: الفقه والعلوم الدينية ولاحظ وجود مخطوطتين نادرتين هما المعارف لابن قتيبة وتفسير ابن نباتة حول رسالة ابن زيدون، وتعرضت مكتبة الشيخ باش تارزي لنفس مصير مكتبة سي حمودة الفكون، إذ من بين 500 مخطوط بقي حوالي 221 مخطوط فقط، أتلفت كلها وتبعثرت وخرجت من رفوفها نفائس المخطوطات، وأهم شيء قام به شيربونو (Charbonneau)(1813م-1882م) هو تحريره للفهرسة المنهجية لمكتبة سي بن سعيد باش تارزي إمام وشيخ الحنفية بقسنطينة[1].

- **مكتبة القاضي العربي بن عيسى:**

هو أخ علي بن عيسى قائد أحمد باي والمدافع عن المدينة، كانت له مكتبة غنية بالكتب والمخطوطات الثمينة جمعها عبر عقود من الزمن باعتباره من الشخصيات العلمية في المدينة وربما توارثها عن أجداده، حيث استولى جنود الاحتلال على دار بن عيسى ونهبوا حوالي مائة مخطوط ذو قيمة كبيرة، بالإضافة إلى مصحف وسجلات تعود لعهد صالح باي ورسائل تعود لأحمد باي وأعيان وشخصيات المدينة، كما تم الاستيلاء على سجلات تتعلق بأملاك الدولة في دار أخرى تقع بالقصبة لم يذكر اسم صاحبها[2].

- **مكتبة عائلة ابن باديس:**

ثبت أن المستشرق الفرنسي بربروجر (Berbrugger) حاز أثناء مصاحبته للفيلق الثاني الذي احتل مدينة قسنطينة على 800 مخطوط من مكتبة آل ابن باديس[3].

---

[1]-حنيفي هلايلي، إقليم قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 148-149.

[2] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، مرجع سابق، ص 234-235.

[3]-عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، ج4**، مرجع سابق، ص 173-174..

بالإضافة إلى هذه المكتبات توجد مجموعة من المخطوطات في ريف قسنطينة قدر عددها بحوالي 500 مخطوط، وكانت معظم الوثائق التابعة للمكتبات العامة تحمل خاتم صالح باي، وكذلك خاتم ابن العربي وهو أحد قضاة المدينة ومن هنا تتضح قيمة ورمزية الرجليين، وحرصهما على المعرفة والثقافة[1].

ونجت هذه المكتبات من الإتلاف والنهب الكلي، وأكيد أنها لم تكن الوحيدة في مدينة قسنطينة، بل هناك مكتبات أخرى خاصة والتي نجت من الضياع، ولكن لم يسمح بعض أصحابها بتسجيل عناوين مخطوطاتها، إن القيمة العلمية والثقافية لهذه المخطوطات والتي تعد مرآة صادقة لكتابة تاريخ الجزائر، أوجب علينا أن نحاول الاطلاع عليها طبعا إذا سمحت لنا الفرصة، وذلك لتفنيد وجهة نظر المحتل الذي حاول بكل الطرق أن يقضي علينا نهائيا طيلة أكثر من قرن من الزمن، فعمليات النهب هذه لم تتم من طرف الجنود والضباط الفرنسيين فقط، بل شاركهم في هذه الجرائم أفراد الجالية اليهودية[2].

ورغم محاولات محافظ مكتبة الجزائر إنقاذ هذه المخطوطات، غير أنه تعرض إلى مشكلة النقل، وأثناء السفر ضاعت منه ثلاث صناديق، وعليه فإنه لم يسلم إلى مكتبة الجزائر سوى 700 مخطوط، من مجموع 800 مخطوط، أن العدد الذي احتفظت بها مدينة الجزائر لا يمثل إلا قسما ضئيلا من التراث القسنطيني، إذ أن هناك عدد مهم من المخطوطات قد سلم إلى المكتبات الفرنسية من طرف الضباط، كما صرح بذلك إسكير (Esquer)، بالإضافة إلى الجزء الذي نهب وأتلف نهائيا أثناء العمليات العسكرية[3].

ونتيجة هذه الإجراءات التي اتبعتها السلطة الفرنسية تبعثر كم هائل من المخطوطات وأتلف معظمها وقد كانت هي أساس التعليم[4]. وأن كمية المخطوطات التي وجدت في مكتبات المدينة

---

[1] –الجيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 155–157.

[2] –الجيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 154–156.

[3] –الجيلالي صاري، **مرجع سابق**، ص 154.

[4] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3**، مرجع سابق، ص 25.

سواء الخاصة أو العامة لهي دليل على الاهتمام بالعلم والمعرفة رغم الظروف العامة الغير ملائمة، وهي تأكد على تعلق المجتمع الإسلامي بالثقافة والعلم ارتباط فكري وروحي[1].

جدول رقم (42) التحولات على مستوى المدارس والمكتبات

أواخر العهد العثماني	بداية الاحتلال
عدد المدارس يزيد عن 90 مدرسة	تقلص العدد إلى 30 مدرسة
عدد الطلبة يتراوح من 1300 إلى 1400	تقلص العدد إلى 350 تلميذا
16 زاوية	تراجع عددها
70 مسجدا	تراجع عددها
مكتبة بمدرسة الفكون تحتوي على 4000 مجلد	تعرضت للنهب والسرقة
مكتبة باش تارزي تحتوي على 500 مجلد	تعرضت إلى التلف والسرقة أثناء الحملة وبقي حوالي 221 مخطوط
مكتبة القاضي العربي بن عيسى	تعرضت إلى نهب حوالي 100 مخطوط بالإضافة إلى سجلات ورسائل
الريف القسنطيني يحتوي على حوالي 500 مخطوط.	تعرضت للنهب والسرقة.

تعرضت مكتبات ومدارس مدينة قسنطينة في بداية الاحتلال إلى عملية ممنهجة للاستيلاء على المخطوطات والكتب الثمينة التي كانت موجودة سواء في المكتبات العامة أو الخزانات الخاصة بالعائلات العلمية المعروفة في المدينة.

3.1.4. تغييب الرموز والمرجعيات العلمية والدينية:

كانت مدينة قسنطينة في العهد العثماني عاصمة دينية تميزت فيها طبقة العلماء والمشايخ بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما كان يقصدها عدد كبير من الطلبة يتوزعون على مختلف المدارس للعلوم الدينية والدنيوية، وبعد نيل الإجازة يتفرقون في أنحاء البلاد لينشروا ما أخذوه من علوم[2]، ويعد العالم في هذه الفترة هو المعلم والمفتي والقاضي، وعملت السلطة الفرنسية على

---

[1] -جيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 157.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية**، مصدر سابق، ص 30.

فصل هذه الوظائف بعضها عن بعض، وأدخلت على كل واحدة منها تخصصا معينا، مما أدى إلى ظهور غموض وفوضى كبيرة في المجتمع، فقد أقصي المعلم عن الشؤون الخاصة بالعدالة، كما لا يمكنه القيام بدور ديني والعلاقة الوحيدة التي تربط هؤلاء هي انتمائهم لسلك الموظفين[1].

ولما رأت فرنسا الاستعمارية مدى تأثير الرموز والمرجعيات العلمية والدينية على المجتمع الجزائري، عملت على تغييبهم من خلال إنهاء أدوارهم فأصبحوا مجرد صور لا حراك لهم في بداية الاحتلال الفرنسي سواء كانوا قضاة أو مفتيين أو مدرسين، أما من بقي منهم سواء هاجروا، وإما انتهت خدمتهم بتقدم السن[2]، وبعد القضاء على هذه المؤسسات ونفيها للعلماء والفقهاء، وتشريدها لهم في إطار سياسة إطفاء الشموع واستعمار العقول، عادت فرنسا الاستعمارية من جديد لتوظيف عنصر في المدرسة كمعول هدم ثقافي تثمينا وتتمة للجرائم التي يقوم بها الجيش الفرنسي الاحتلال العسكري بالسيف والاستعمار الاستيطاني بالمحراث ودور الكنيسة في الاحتلال بالصليب[3].

وعملت فرنسا الاستعمارية بداية الاحتلال على استمالة العائلات الكبيرة والعلماء والشخصيات ذات الوزن الاجتماعي والديني في تنفيذ مشروعها الاستيطاني، ومنهم الشيخ محمد الشاذلي الذي أوفدته الحكومة الفرنسية عدة مرات إلى فرنسا، لمؤانسة الأمير عبد القادر أيام إقامته الجبرية بفرنسا (1848م-1952م)، وبعد رجوعه استأنف حياته العلمية بقسنطينة وأسندت إليه إدارة المدرسة العربية-الفرنسية التي أنشأتها الحاكم العام في الجزائر[4]. كما كان للاستيلاء على الأوقاف ومراقبة الزوايا وحرب الإبادة ضد الجزائريين دور في تقليص دور العلماء الذين يمكن الاعتماد عليهم في تسيير الحياة الاجتماعية والثقافية للسكان المسلمين بداية الاحتلال[5].

---

1 – محفوظ سماتي، **مرجع سابق**، ص 204-205.

2 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية ج1**، مرجع سابق، ص 370.

3 –محمد السعيد قاصدي، المدرسة الكتانية، **مرجع سابق**، ص 159.

4 –كمال غربي، مساجد وزوايا مدينة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 96-97.

5– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية، ج1**، مرجع سابق، ص 370.

وتدهورت الأوضاع الثقافية في منتصف القرن التاسع عشر، حيث انخفض عدد أماكن تعليم القرآن من 86 إلى 30 أي أكثر من النصف، كما انخفض بالمقابل عدد الطلبة من 600 إلى 60 فقط، وهذا الوضع الثقافي لم تتفرد به مدينة قسنطينة فقط بل كل المدن الجزائرية[1]. واستمرت فرنسا الاستعمارية في محاولاتها المتعددة للاستيعاب الديني والثقافي المتصاحب باحتقار وامتهان للثقافة المحلية، وهو الشيء الذي أدى إلى تأصيل العداء لدى المجتمع الجزائري تجاه الإدارة الاستعمارية بداية الاحتلال والذي ترافق بالتمرد والمقاومة المسلحة ثم المقاومة السلمية كالعصيان ورفض التعامل مع الإدارة[2].

كما لعب الاستعمار الفرنسي دورا أساسيا في حركة الهجرة الداخلية والخارجية التي استهدفت طبقة العلماء، وهذا بعد مصادرة الأوقاف وتحويلها إلى خدمة الدولة الفرنسية، مما انعكس سلبا على هذه الطبقة اجتماعيا واقتصاديا[3]، ونتيجة لسياسة التهميش هذه تحولت العديد من العائلات الكبيرة والبيوتات العلمية التي كانت ثرية بتقلدها مناصب الإمامة والإفتاء والقضاء وأصبحت ضمن العائلات الفقيرة كعائلة حمودة بن الفكون وعلي بن عيسى[4]، وأصبح في هذا الوقت يصعب العثور على رجال أكفاء يتولون مناصب الإفتاء والقضاء[5]. وتم عن طريق هذا التقسيم الحد من سلطة هذه الفئة وخضوعهم الكلي، وأصبح المثقفون يعانون الأمرين من جراء تقليص مهامهم ومسؤولياتهم وأخذوا يتجنبون الوظائف الرسمية فتراجع دورهم التقليدي[6].

4.1.4. مصير أوقاف مدينة قسنطينة بداية الاحتلال:

استهدف الاحتلال الفرنسي خيرات الجزائر ضمن إطار المشروع الاستيطاني، وأول ما قام بداية الاحتلال هو احتلال الحقول ونهب خزينة الجزائر، كما قام بالاستيلاء على نظام الأوقاف

---

[1] –جيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 158.

[2] –كمال بيرم، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، مرجع سابق، ص 29.

[3] – أحمد سيساوي، **مرجع سابق**، ص 246.

[4] –أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية، ج1**، مرجع سابق، ص 210.

[5] – عبد الحميد زوزو، **مرجع سابق**، ص 216.

[6] – محفوظ سماتي، **مرجع سابق**، ص 205-206.

الإسلامية وأملاكها، وهذا ما جرد المساجد والزوايا والكتاتيب من مصدر تمويليها الأول الذي يمدها بالأموال من أجل إطعام الفقراء والمحتاجين، وإيواء طلبة العلم ودفع أجور المشايخ، وهو ما أدى إلى هجرة العديد من العلماء طلبا للعلم والأمن والاستقرار والعيش في أماكن وبقاع أخرى بديار الهجرة بعيدا دار الكفر وهو الاسم الذي حملته كل مستعمرة دخلها الاحتلال الأجنبي ومنها الجزائر[1]، ورأى الفرنسيون بداية الاحتلال وبعد أن قرروا إلحاق الجزائر بفرنسا بعد فترة التردد (1830م-1834م) أن المؤسسات الوقفية كثيرة جدا، وتعتبر مصدرا أساسيا للحفاظ على الهوية الوطنية ومصدر تمويل للمقاومة، فعملوا على مصادرة هذه الأوقاف والقضاء عليها بكل الطرق[2].

وكان الفرنسيون في بداية الاحتلال يجهلون الدور الاجتماعي والثقافي والسياسي للأوقاف الإسلامية في الجزائر، وقد شرح حمدان بن عثمان خوجة للسلطات الفرنسية كل ذلك بالتفصيل، وأكد على أن الأوقاف في تشريعاتها وتنظيمها قائمة على مبادئ أخلاقية وحضارية، ويعود جهل السلطات الفرنسية بالأوقاف حسب ما جاء في المصادر الفرنسية، إلى تدمير وإتلاف متعمد للوثائق الإدارية بداية الاحتلال التي ضاع أغلبها نتيجة عمليات الغزو وهو ما صعب إدارة شؤون البلاد بعد خروج الداي حسين والأتراك[3]. وعلى هذا الأساس قام قادة الجيش الفرنسي في الجزائر بمراقبة المؤسسات الدينية وتصفيتها والاستيلاء على الأحباس التابعة لها باعتبارها أحد العوائق التي كانت تحول دون تحقيق أهداف الاستعمار الفرنسي، وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين إلى القول: "إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر"، ولهذا السبب عملت الإدارة الفرنسية دون هوادة على إصدار قرارات ومراسيم تنص على نزع صفة المناعة والحصانة عن الأملاك المحبسة، هذه الحصانة التي لم يتردد أحد الكتاب الفرنسيين من وصفها بأنها تشكل أحد العوائق التي لا يمكن

---

[1] -كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 162.

[2] -سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة في الجزائر، **مرجع سابق**، ص 70.

[3] - عثمان بن حمدان خوجة، **المرآة**، مصدر سابق، ص237.

التغلب عليها والتي تحول دون الإصلاحات الكبرى القادرة وحدها على تطوير الإقليم، الذي أخضع بالسلاح وتحول إلى مستعمرة حقيقية[1].

وعملت الإدارة الفرنسية بداية الاحتلال على إيجاد سلسلة من النصوص القانونية والتنظيمية التي تهدف إلى رفع الحصانة عن الأملاك الوقفية، وذلك بهدف إدخال هذه الأملاك في نطاق التعامل التجاري والتبادل العقاري كي يسهل على المستوطنين امتلاكها، ومن أهم هذه المراسيم مرسوم 31 أكتوبر 1838م، وهو عبارة عن مرسوم ملكي المتضمن قسم الأملاك الوقفية إلى ثلاث أنواع: أملاك الدولة وتخص كل العقارات المحولة التي توجه إلى المصلحة العمومية عن طريق قرارات تشريعية والمكتسبة عن طريق مداخيل ورأس المال من الخزينة والأملاك المستعمرة والأملاك المحتجزة[2].

وكان في مدينة قسنطينة أوقاف عامة وأوقاف خاصة قبل احتلالها وكانت أوقاف مكة المكرمة والمدينة المنورة على نوعين: نوع تحت إدارة الناظر وأخر تحت إدارة الوكيل، وبعد الاحتلال استولت الإدارة الفرنسية على هذه الأوقاف ووضعتها تحت إدارة قايد الدار لإدارتها وصب أموالها في الخزينة العامة للدولة الفرنسية، بالإضافة إلى أوقاف العيون والسبالات والطرقات التي كان مصيرها المصادرة هي الأخرى[3]، وكان في قسنطينة حوالي 1276 من الأوقاف المميزة و416 من الأوقاف الخاصة بالمصالح العامة[4]. وبالإضافة إلى الاستيلاء على الأوقاف عملت إدارة الاحتلال كذلك على نسخ السجلات التي وضعها صالح باي لتنظيم الوقف فيها، وكان فيرو الترجمان العسكري قد نشر النص العربي الكامل لهذه الوثائق في كتاباته لتأريخ مدينة قسنطينة[5].

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 166.

[2] –ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث**، مرجع سابق، ص 166.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 172–173.

[4] –عمار بوحوش، **تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية 1962م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 141.

[5] – محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر، ج2، **مصدر سابق**، ص 8.

وبعد سيطرة السلطة الفرنسية على جميع الأوقاف الإسلامية باعت منها بعض الأملاك القارة كالمساجد والزوايا، وكان بعضها قبورا موقوفة لأهلها فقررت هذه الإدارة نقل رفات هذه القبور ليتسنى لها البيع لأن الناس تشمئز نفوسها من شراء القبور، وعلى هذا الأساس تم نقل القبور إلى أماكن مختلفة[1]، وتصرفت الإدارة الفرنسية في هذه الأوقاف بالبيع والعطاء والتأجير، بالإضافة إلى عمليات الهدم والتحويل والتعطيل والاحتلال العسكري والمدني[2].

وهكذا فإن نتائج مصادرة أملاك الأوقاف لخصها "دوتو كفيل" "De Tocqueville" بقوله: "إن تصرفنا هذا ترك المجتمع الجزائري أكثر فقرا وفوضى وجهلا وأكثر بربرية، مما كان عليه قبل قدومنا"[3]، وهي شهادة من الفرنسيين أنفسهم عما صدر منهم من تجاوزات.

وحاولت السطات الاستعمارية الفرنسة في بداية الاحتلال تمزيق وحدة الصف الجزائري، وأن تحدث تفككا اجتماعيا واقتصاديا، وفي بعض الجهات فراغا سياسيا، ولكنها لم تتمكن من إذابة عناصر الشخصية الجزائرية، بحكم أن الجزائريين لم تكن لهم الرغبة في امتصاص الثقافة الفرنسية، إذ أنهم منعوا أبناءهم من الدخول إلى حظيرة التعليم الفرنسي سواء بالجزائر أو بفرنسا[4].

كما سعى الاستعمار الفرنسي إلى تنصير الجزائريين بكل الطرق ليضمن ولاءهم، وليقضي على الثورات الشعبية التي كانت رد افعل الوطني بداية الاحتلال، فكانت أهدافه ضرب المؤسسات التعليمية التي تعنى بتربية النفوس على العقيدة الإسلامية، وعلى هذا الأساس بدأ الاستعمار باستهداف المساجد والزوايا والمدارس القرآنية وقام بتشجيع الخرافات والجهل[5].

كما حاولت السلطات الفرنسية إدماج الشعب الجزائري في المجتمع الأوروبي وتجريده من مكونات هويته العربية الإسلامية، حتى يتسنى لها البقاء والاستمرار، ولكنها لم تتمكن من تحويل

---

[1] –كمال غربي، مساجد وزوايا مدينة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 182.

[2] –سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة، **مرجع سابق**، ص 70.

[3] –الطاهر عمري، دور بنى المجتمع، **مرجع سابق**، ص 97.

[4] –أحميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية، مرجع سابق**، ص 63.

[5] –كمال غربي، مساجد وزوايا مدينة قسنطينة، **مرجع سابق**، ص 163.

أفكار الجزائريين المسلمين وقلوبهم عن قيمهم الروحية، بل ظلوا متمسكين بالعروبة والإسلام ويستمدون منها قوتهم وصمودهم[1].

إن الملاحظة العامة التي تظهر لنا من خلال هذا الطرح أن هذه التحولات الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والثقافية الحاصلة في مدينة قسنطينة بداية الاحتلال مباشرة بعد سقوط المدينة سنة 1837م، كان لها أثر كبير على مختلف الجوانب، حيث برزت تداعيات هذه التحولات في المدينة بشكل واضح مقارنة بالأرياف، ويتضح من خلالها أساليب الاحتلال الفرنسي وسياسته الإجرامية تجاه الشعب الجزائري، وطرقه في طمس عناصر الهوية العربية الإسلامية، وذلك بتفكيك البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري المسلم، وخلق مجتمع استيطاني غريب في عاداته وتقاليده، ومحاولة إحلال العمران الأوروبي مكان العمران العربي الإسلامي في المدينة، بالإضافة إلى ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الأوروبي، والقضاء على التعليم الأصلي ومقومات اللغة العربية من خلال القضاء على المؤسسات التعليمية والثقافية والأوقاف.

---

[1] –محمد الهادي العروق وعبد العزيز فيلالي، **مرجع سابق**، ص 106.


الخاتمة

مثلت فترة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي حلقة مهمة في تاريخ الجزائر عموما ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص، ومن خلال دراستنا لموضوع التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م" توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن أن نلخصها في النتائج التالية:

- حظيت مدينة قسنطينة بمكانة هامة وأهمية كبيرة عبر مختلف العصور التاريخية، ويعود ذلك لموقعها الجغرافي والفلكي وتنوع تضاريسها مما جعلها قطبا لجذب العناصر السكانية من مختلف الأقطار.

- شكل المجتمع القسنطيني أواخر العهد العثماني نموذجا للتنوع العرقي حيث تكون من عدة عناصر منها الفئات الحاكمة من أتراك وكراغلة وفئة الأعيان والأثرياء من البلدية أو الحضر والأندلسيين، وفئة العلماء والأشراف ذات المكانة المميزة، بالإضافة لليهود والمسيحيين، وفئة العامة الممثلة بالعناصر الوافدة سواء من داخل أو خارج الإيالة.

- شكلت مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني مركزا حضاريا وثقافيا وعمرانيا ساهم في ابراز معالم التحضر من خلال تنوع الفئات الاجتماعية الذين انسجموا وكونوا مجتمعا موحدا في العادات والتقاليد.

- تعد العوامل الطبيعية والبشرية من أهم المؤثرات على الحراك الاجتماعي والتطور العمراني في مدينة قسنطينة لما لها من تأثير على البنية الاجتماعية والنسيج العمراني.

- ساهمت الظروف السياسية المتمثلة في التوترات الداخلية مثل الثورات المحلية والخارجية كالتوتر مع إيالة تونس، والعوامل الاجتماعية كالمصاهرات التي تربط بين فئات المجتمع في التأثير على الحراك الاجتماعي والتغيرات العمرانية في المدينة.

- إن تفاعل الفئات المشكلة للمدينة مع التطور العمراني خلال أواخر العهد العثماني، ساهم في تشكيل الصورة الحضرية والاجتماعية للمدينة والتي مازلت أثارها شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

-جاءت هذه العلاقات نتيجة تفاعل السكان في هذا الفضاء المديني مع احتياجاتهم الوظيفية والاجتماعية والدينية والثقافية وتفاعلهم الحيوي مع مكونات النسيج العمراني للمدينة.

- كان للعوامل الصحية من انتشار للأمراض والأوبئة في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال انعكاسات سلبية على الجوانب المختلفة، حيث كانت من أهم العوامل التي تسببت في تأخر المجتمع وضعفه، لما ألحقته من أضرار بالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والنمو الديمغرافي، كما تعد من أسباب الركود التجاري والصناعي وذلك أنها تهلك عدد كبيرا من الصناع والتجار وتترك السوق مفتوحة للتجار الأجانب لتصدير الإنتاج المحلي.

-أما فيما يخص الجانب الاقتصادي للمدينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال فقد كان تقليديا يرتكز على الزراعة والرعي وما تنتجه الأرياف، ورغم بساطة الوسائل المعتمد في الزراعة في تلك الفترة غير أن الإنتاج كان وفيرا وخاصة الحبوب كالقمح والشعير.

-أما في المجال الصناعي فانتشرت الصنائع والحرف التقليدية واليدوية في المدينة وكانت موزعة على مختلف الأحياء والورشات ومعظمها كان مرتبط بالثروة الحيوانية، كما مارس هذه الحرف كل فئات المجتمع واختصت كل فئة بأعمال معينة.

-كانت التجارة نشطة بنوعيها الداخلية والخارجية وخاصة في عهد "صالح باي"، أين عرفت المدينة تطورا في جميع المجالات مشكلة مركز الثقل الاقتصادي للشرق الجزائري.

-تشكلت الصورة العمرانية لمدينة قسنطينة من خلال التغيرات التي عرفتها عبر مراحلها التاريخية انطلاقا من الفترة القديمة ثم الفترة الإسلامية مرورا بالعهد العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

- شكل النسيج العمراني لمدينة قسنطينة صبغة مميزة للمدينة منذ القديم، وقد تطور في الفترة العثمانية خاصة في عهد "صالح باي" الذي أولى عناية كبيرة بالناحية العمرانية.

- شكلت العمارة السكنية للمدينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال أهم سمات عمران المدينة الحضرية، كما كان للعمارة الدينية المتمثلة في المساجد والزوايا دورا هاما في الجانب الديني والثقافي لسكان المدينة.

-مثلت العمارة العسكرية حيز هام في المدينة بما احتوته من أبراج وحصون مخصصة للوظيفة الدفاعية.

-أسهم التواجد العثماني والأندلسي في تطور عمران المدينة من خلال ما أدخلوه من زخارف على البنايات والمساجد والتأثير المتبادل بين الواقع العمراني والاجتماعي للسكان المدينة.

-اهتم الحكام بإيصال الماء إلى المدينة من خلال انشاء العيون والآبار والأسبلة والصهاريج التي تستخدم لتخزين المياه، كما أولوا عناية بنظافة المدينة من خلال اخراج الفضلات منها.

-إن النسيج العمراني التقليدي لمدينة قسنطينة كان يلبي المتطلبات الإنسانية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية لساكنة المدينة في تلك الفترة.

-شهدت مدينة قسنطينة بعد الاحتلال تغيرات كبيرة على جميع الأصعدة فعلى المستوى الاجتماعي تأثرت المدينة بالتغيرات الديمغرافية التي سببها الاحتلال نتيجة تغير نمو السكان وتوزيعهم وذابت الفئات الاجتماعية مما أثر على بنيتها الاجتماعية والثقافية.

-كانت التحولات الحاصلة في المجتمع الجزائري في هذه الفترة مرتبطة بالظروف الطارئة الحاصلة مع بداية القرن التاسع عشر والمفروضة على المجتمع الجزائري بصفة عامة ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص.

-ظهرت في المجتمع الجزائري واختفت عدة فئات ذابت مثل الأتراك والأندلسيين والكراغلة وظهرت فئة جديدة وهي المعمرين الأوربيين بما فيها الفرنسيين.

-خضعت مدينة قسنطينة على غرار المدن الجزائرية إلى تغيرات طارئة ومفروضة على الجوانب المختلفة خدمة للمستعمر الفرنسي والمعمرين الفرنسيين وذلك من خلال تهميش السكان الأصليين وحرمانهم من ثرواتهم وتجريدهم من أملاكهم.

-أما على الصعيد العمراني فشهدت المدينة تغيرات في هيكلها العمراني التقليدي واستحدثت السلطات الفرنسية مباني وأحياء جديدة وأعادت تأهيل المدينة بما يتماشى مع المشاريع الاستيطانية وما يستوعب الوافدين الأوروبيين مثل حي القصبة وقصر الباي.

-أدى الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة إلى تغيير الواقع الاقتصادي والاجتماعي للفئات المشكلة للمجتمع التقليدي ذلك نتيجة السياسة الفرنسية المفروضة عليهم كمصادرة الأراضي وفرض الضرائب وانعكست هذه الإجراءات على البنية الاجتماعية والنسيج العمراني للمدينة.

-أدت التحولات الاقتصادية إلى تغيرات على مستوى الزراعة والصناعة التقليدية والتجارة من خلال التوزيع الغير عادل للأراضي والثروات بين الجزائريين والمعمرين.

كما تأثرت الحياة الثقافية نتيجة التحولات التي فرضها الاحتلال على مختلف المؤسسات التعليمية والدينية التي كانت عمادة الحياة الثقافية في تلك الفترة من خلال محاولات القضاء على اللغة والدينة ومحو العادات والتقاليد وادخال عادات وتقاليد جديدة غريبة على المجتمع الجزائري العربي المسلم.

-سعى الاحتلال الفرنسي إلى تغيير وجه مدينة قسنطينة ونسيجها العمراني والاجتماعي والثقافي واحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية الموروثة.

-أدى التواجد الفرنسي في المدن الجزائرية على غرار مدينة قسنطينة إلى احداث تغيرات في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى العمرانية والتي كانت موروثة وقائمة لأكثر من ثلاث قرون من الزمن، وحاولت الاستعمار الفرنسي القضاء على كل موروثات الشعب الجزائري وطمس هويته العربية الإسلامية واستبدالها بما يخدم الأغراض الاستعمارية.

-أدى سقوط المدينة إلى تغير طارئ في الطابع العمراني حيث تم إعادة هيكلة وتخطيط المدينة بما يتماشى والطموحات الأوروبية الاستعمارية الرامية إلى جعل الجزائر جزء من فرنسا وتعميرها من عناصر أوروبية.

-اختار الأوروبيون والأعيان السكن في البناء الجديد الذي تم إنشاؤه خصيصا لهم، بينما سكن الأهالي والنازحون والجزء القديم التقليدي، وأصبحت المدينة بذلك تشكل وجهين أو ثنائية في مدينة واحدة جزء للأوربيين وآخر للأهالي.

كان للاحتلال الفرنسي ودخول المعمرين الفرنسيين أثر سلبي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للمدن الجزائرية بشكل عام وعلى مدينة قسنطينة بشكل خاص.

-طرأ تغير ملحوظ على الواقع السكاني والعمراني للمدينة بعد الاحتلال مباشرة وذلك راجع للسياسة الفرنسية التي اتبعتها وعلى التغيرات التي أدخلتها على نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال السماح للأوربيين بالإقامة في الحي الجديد المدينة.

أفـــــاق الدراســـة:

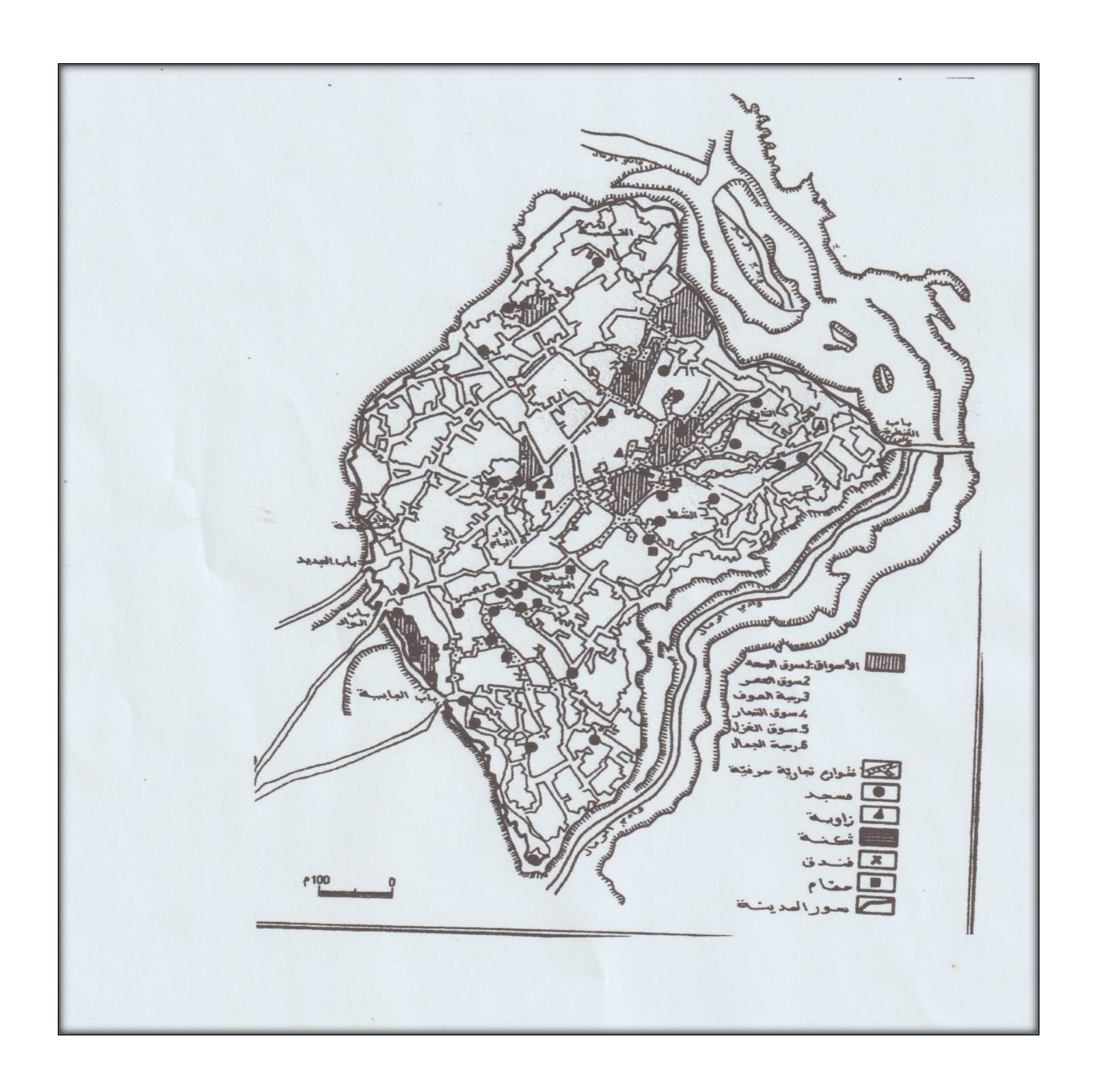
-يبقى موضوع التفاعل الاجتماعي في مدينة قسنطينة وعلاقاته بالعمران أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي قابلا للإثراء والتمحيص لأننا لم نستطع في هذه الدراسة الإلمام بكل جوانب الموضوع، ويبقى الأرشيف المحلي غني جدا بالمادة العلمية التي تخص موضوعات المجتمع والعمران والتي سوف تفتح أبوابا وأفاقا جديدة للأبحاث والدراسات.

-محاولة توظيف الأرشيف المحلي لتوثيق المعلومات العمرانية والاجتماعية للمحافظة على الموروث الثقافي والعمراني للمدينة من الاندثار والزوال.

- أتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة علمية جديدة تساهم ولو بالشيء اليسير في الدراسات التاريخية الأكاديمية الخاصة بتاريخ مدينة قسنطينة في الفترة الحديثة والمعاصرة، فإن أصبت فإن أجري على الله وإن أخطأت فحسبي أني حاولت ولي أجر المجتهدين.

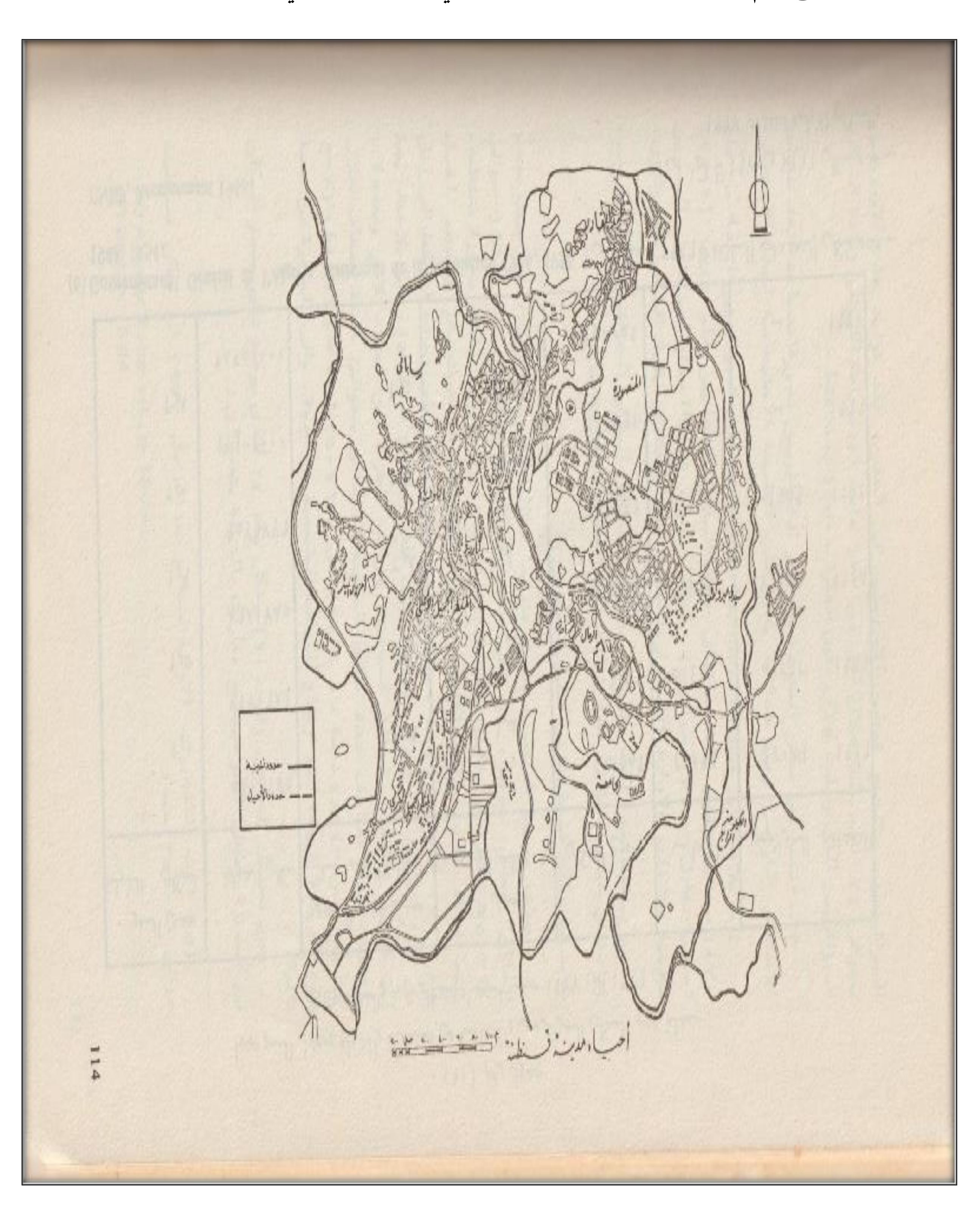

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة مدينة قسنطينة في العهد العثماني [1]



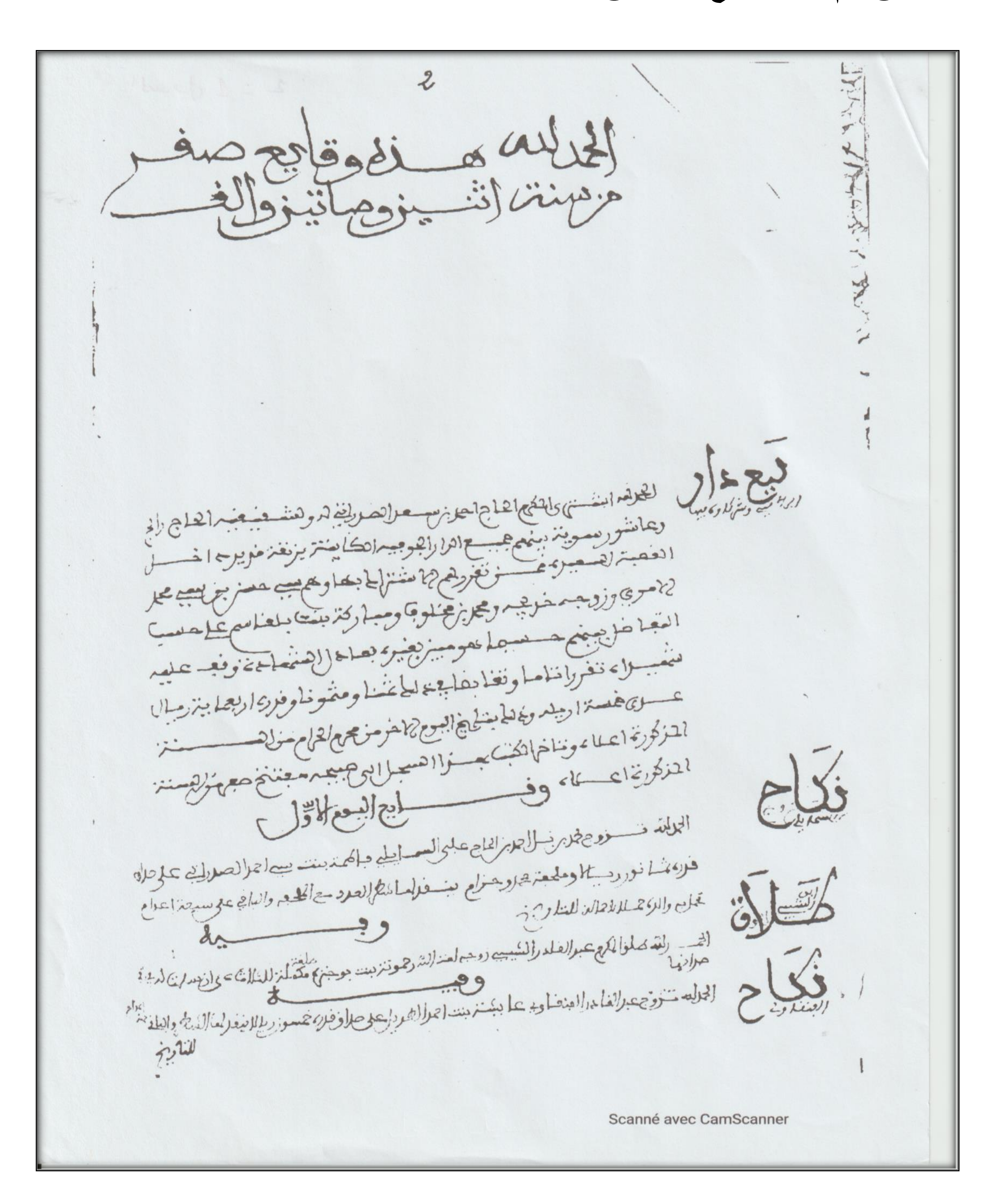
[1] محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، مرجع سابق، ص 84.

الملحق رقم02: أحياء مدينة قسنطينة في العهد العثماني[1]



[1] محمد الهادي العروق، مرجع سابق، ص 114.

الملحق رقم 03: نموذج من وثائق المحكمة الشرعية [1]



الحمد لله هذه وقايع صفر من سنة اثنين ومائتين والف

بيع دار

نكاح

طلاق

نكاح

[1]-وثائق المحكمة الشرعية، وثيقة 2، 1202هـ، أرشيف ولاية قسنطينة.

ملحق رقم (3) مكرر: من سجلات المحكمة الشرعية: السجل الأول وثيقة رقم 2. المؤرخة في صفر من سنة 1202هـ.

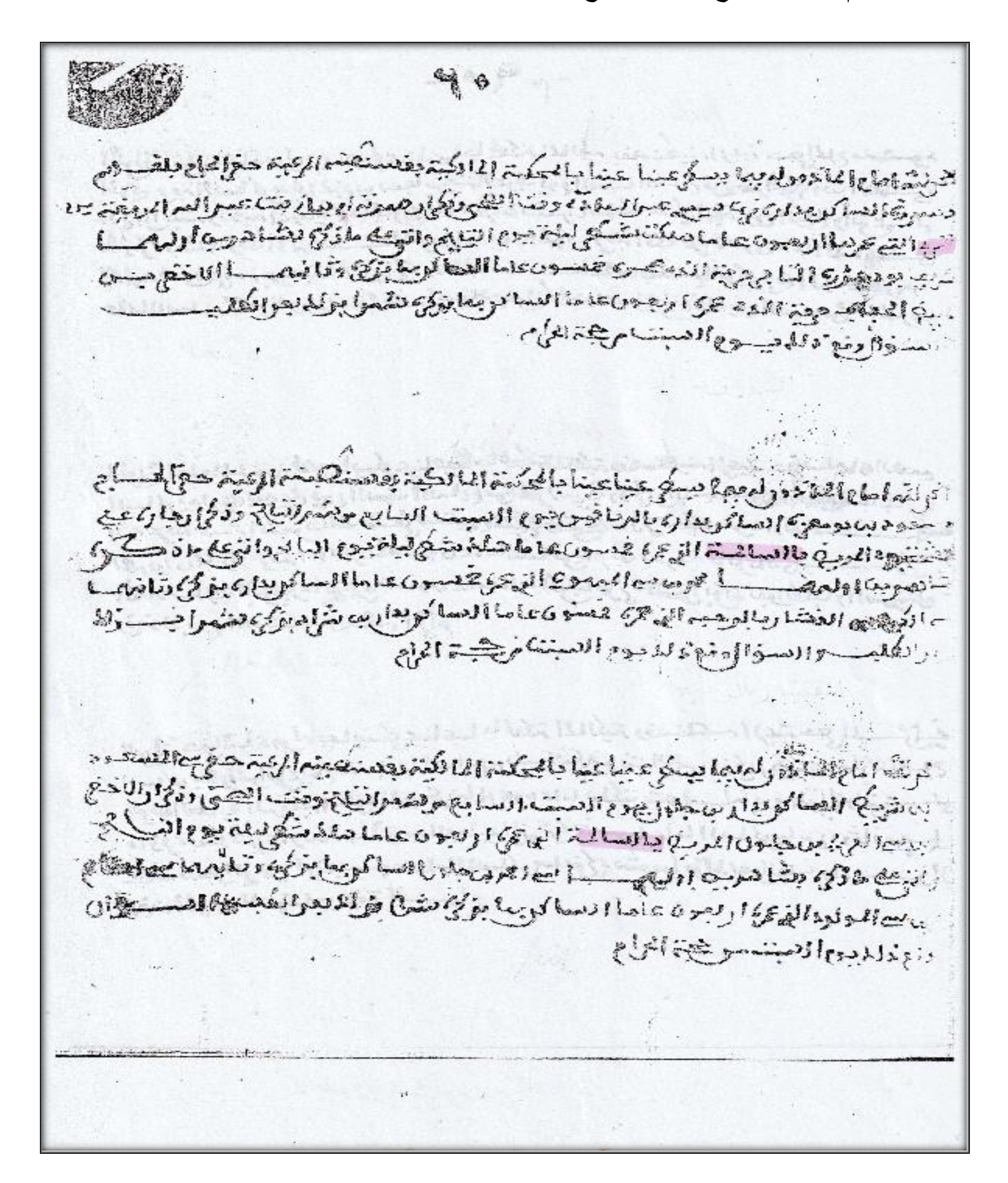
العقد الأول عقد بيع دار: " هذه وقائع صفر من سنة 1202هـ " الحمد لله وفيه اشترى المكرم الحاج أحمد بن سعد الصدراتي له ولشقيقيه الحاج رابح وعاشور سوية بينهم جميع الدار الجوفية الكاينة بزنقة فرير داخل القصبة الصغيرة ممن تقرر لهم الاشتراك بها وهم سي حسن بن سي محمد العمري وزوجه خديجة ومحمد بن مخلوف ومباركة بنت بلقاسم على حسب التفاضل بينهم حسبما هو مبين بغيره بما دل الشهادة وقف عليه شهيدا ، تقرر تاما وتقابضا في ذلك ثمنا ومثمونا وقدره أربعمائة ريال عدى خمسة اريلة وذلك بتاريخ اليوم الآخر من محرم الحرام من السنة المذكورة أعلاه وتأخر الكتب بهذا السجل إلى صبيحة مفتتح صفر من السنة المذكورة أعلاه"

العقد الثاني عقد زواج: " الحمد لله تزوج محمد بن ...أحمد بن الحاج علي السماعلي فاطمة بنت سي أحمد الصدراتي على صداق قدره ثمانون ريالا وملحفة ... وحزام ينفذ لها شطر العدد مع الملحفة والباقي على سبعة أعوام تحمل به والده ...للتاريخ".

العقد الثالث عقد طلاق:" الحمد لله طلق المكرم عبد القادر ... زوجه آمة الله رحمونة بنت بوخبزة طلقة مكملة للثلاث، على أن سلمت له في صداقها".

العقد الرابع عقد زواج: " الحمد لله تزوج عبد القادر المنفاوي عايشة بنت أحمد الطويل على صداق قدره خمسون ريالا ينفذ لها الشطر والباقي على خمسة أعوام للتاريخ".

الملحق رقم 04: نموذج من تصاريح الوفيات وثيقة 90[1]



---

[1] – سجل الوفيات، وثيقة 90.

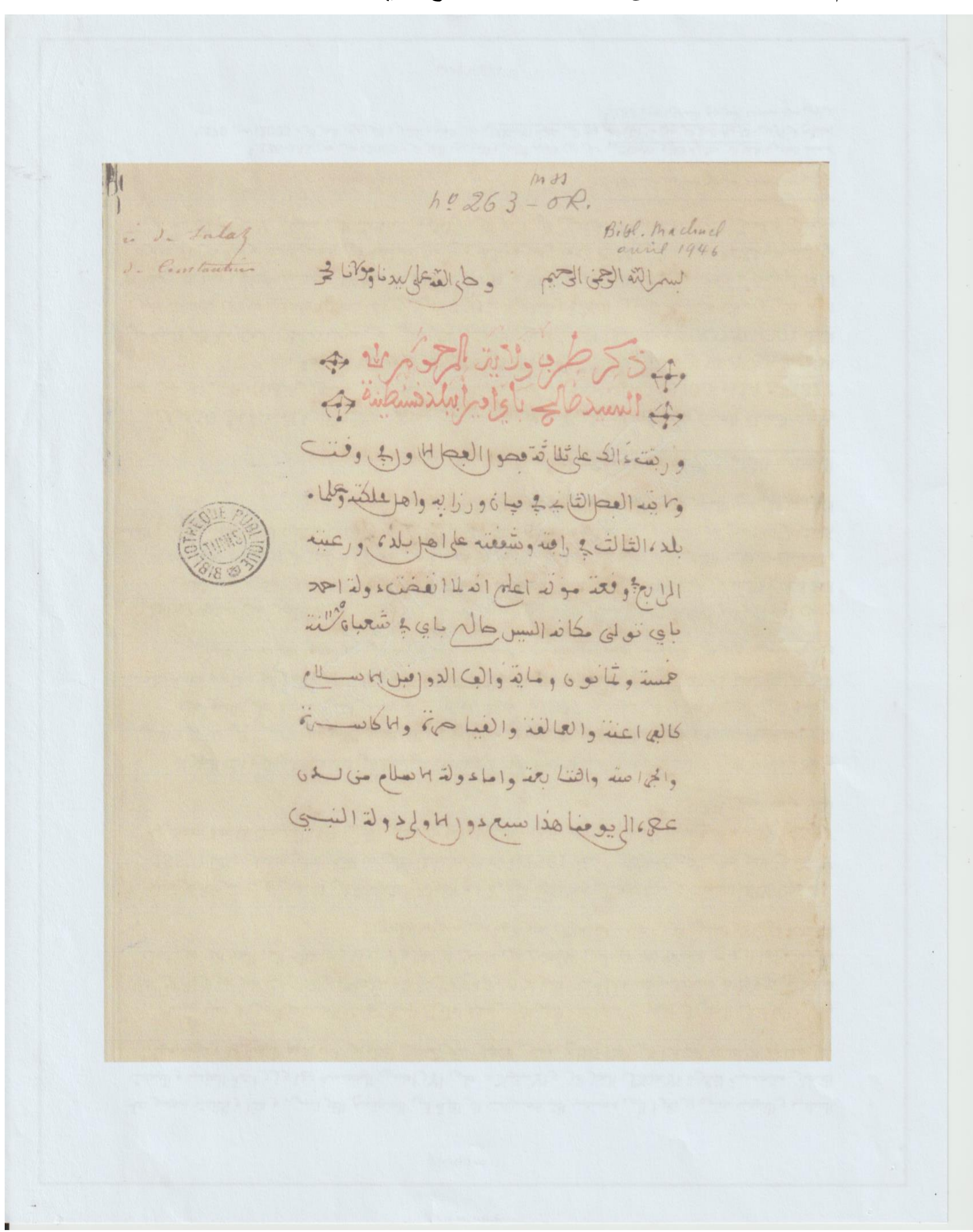
ملحق رقم (04) مكرر: الوثيقة رقم 90 من سجل الوفيات:

التصريح الأول: "الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية، حضر الحاج بلقاسم ... الساكن بداره قرب سيدي عبد الله الهادي وقت الضحى، وذكر أن صهرته أم هاني بنت عبد الله المريضة بالبرد والتي عمرها أربعون عاما هلكت شطر ليلة يوم التاريخ، وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما الشريف بوقرة التاجر حرفة الذي عمره خمسون عاما الساكن بما ذكره، وثانيهما الأخضر بن ... الحفاف حرفة الذي عمره أربعون عاما الساكن بما ذكره، شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم السبت من حجة الحرام".

التصريح الثاني: "الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية، حضر الحاج مسعود بن بومعزة الساكن بداره بالرقاقين يوم السبت السابع من شهر التاريخ، وذكر أن جاره على ... المريض بالسالمة الذي عمره خمسون عاما هلك شطر ليلة يوم التاريخ، وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما محمد بن سي الميهوب الذي عمره خمسون عاما الساكن بداره بذكره، وثانيهما... القشار بالرحبة الذي عمره خمسون عاما الساكن بدار بن شراد بذكره، شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم السبت من حجة الحرام".

التصريح الثالث: " الحمد لله أمام المأذون له فيما يسطر علينا عينا عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية، حضر سي مسعود بن شريط الساكن بدار بن جلول يوم السبت السابع من شهر التاريخ وقت الضحى، وذكر أن الأخضر بن سي العربي بن جلول المريض بالسالمة الذي عمره أربعون عاما هلك شطر ليلة يوم التاريخ، وأتى على ما ذكره بشاهدين أولهما سي أحمد بن جلول الساكن بما ذكره، وثانيهما سي قاسم بن سي المولود الذي عمره أربعون عاما الساكن بما ذكره، شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم السبت من حجة الحرام".

الملحق رقم 05: الورقة الأولى من مخطوط صالح باي[1]



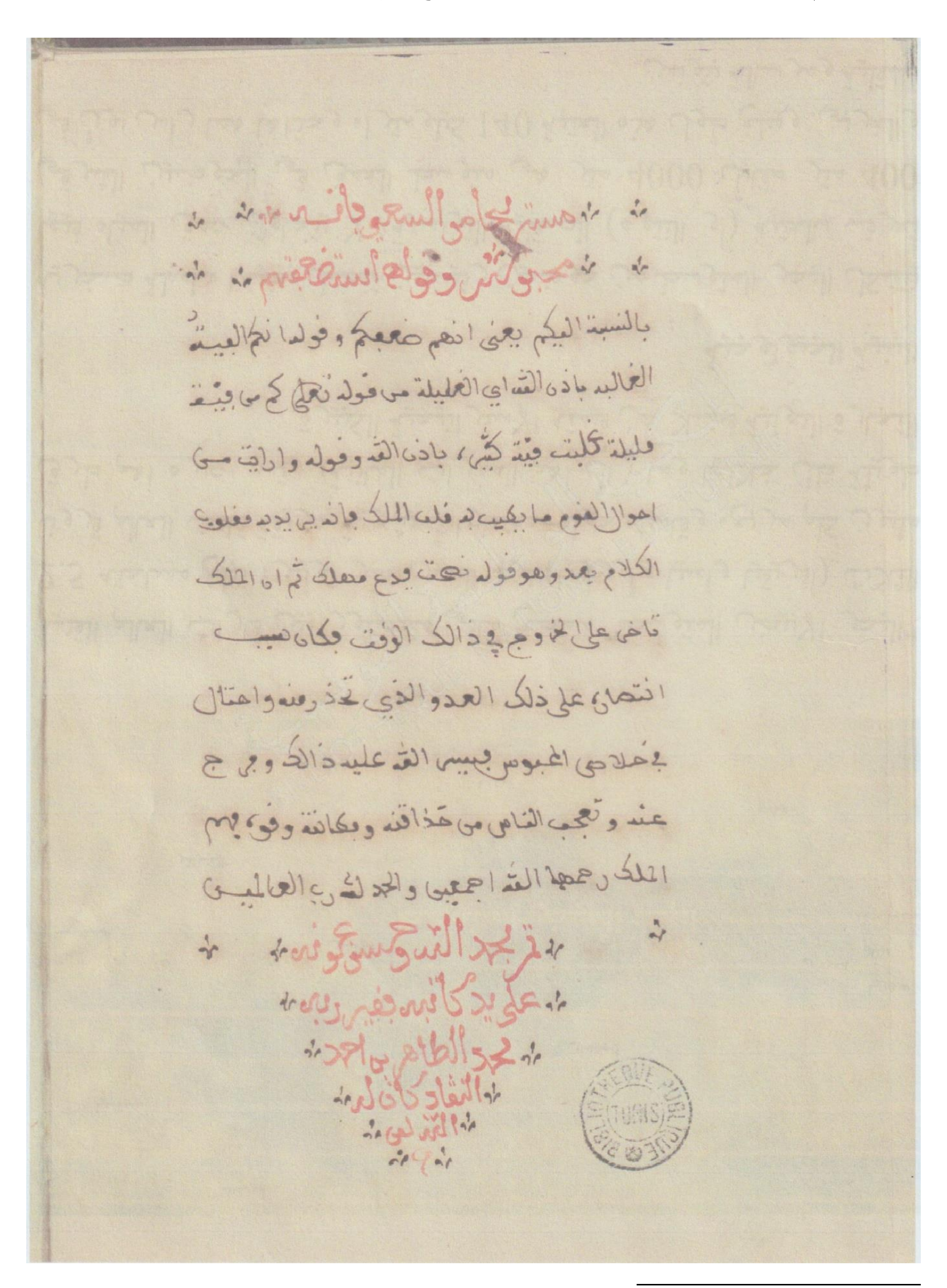
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

ذكر طرف ولاية المرحوم
السيد صالح باي أمير بلد قسنطينة

ورتبت ذلك على ثلاثة فصول الفصل الأول في وقت
ولايته الفصل الثاني في بيان وزرايه وأهل مملكته وعلماء
بلده الثالث في رأفته وشفقته على أهل بلده ورعيته
الرابع في وقت موته اعلم أنه لما انقضت دولة أحمد
باي تولى مكانه السيد صالح باي في شعبان سنة 1185
خمسة وثمانون ومائة وألف الدول قبل الإسلام
كالفراعنة والعمالقة والقياصرة والأكاسرة
والجراكسة والتبابعة وأما دولة الإسلام من لدن
عهد إلى يومنا هذا سبع دول أولها دولة النبي

[1] –مخطوط صالح باي، المكتبة الوطنية التونسية، مصدر سابق

الملحق رقم 06: الوثيقة الأخيرة من مخطوط صالح باي[1]



مستريحا من السعي فانه

محبوس وقوله استضعفتم

بالنسبة اليكم يعني انهم ضعفكم وقولنا لكم الفئة

الغالبة باذن الله اي القليلة من قوله تعالى كم من فئة

قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقوله واريت من

احوال القوم ما يطيب به قلب الملك فانه من يديه مغلوب (?)

الكلام بعد وهو قوله فحصت بدع مهلك (?) ثم ان الملك

ناهض على الخروج في ذلك الوقت فكان سبب

انتصاره على ذلك العدو الذي تخذ رهنه واحتال

في خلاص المحبوس جبيس (?) الله عليه ذلك ومن ج

عنده وتعجب الناس من حذاقته وبكائنه (?) وفور فهم

الملك رحمهما الله اجمعين والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله وحسن عونه

على يد كاتبه فقير ربه

محمد الطاهر بن احمد

النقاد كان له

الله لمن (?)

---

[1] –مخطوط صالح باي، المكتبة الوطنية التونسية، مصدر سابق

الملحق رقم 07: مكان تواجد بعض الدور من خلال ما جاء في سجل الوفيات[1]

المكان	الدور
البطحاء	دار الفقون- دار بن مصطفى- دار بن البجاوي-دار الحاج عمر الطبال- دار بن الخويل-دار مصطفى باش تارزي-
حومة الطابية	دار محمد بن الصباغ-دار قدور بن الحاج إسماعيل- دار بن محجوبة- دار الغراب- دار بن هدوار- دار بوشامة- دار القنيفي- دار بوساحة-دار فرج بن عمر التنبكتي-
باب الجابية	دار الغرازلة-دار الحاج عمر الفرطاس- دار الغناي- دار بن خباب- دار بن عون- دار الأكحل الزموري- دار بن المعلم- دار إبراهيم بوقرة- دار البوعزيزي-دار سعيد العباسي- دار سي عبد القادر الونيسي- دار بن شعلال- دار مراد- دار سعيد العباسي- دار بن سي ثابت-
باب القنطرة	دار بن سعيد-
رحبة الصوف	دار الحاج يوسف- دار بن سي حمد- دار محمد بن كحل الراس البناي- دار ابن الزواوي- دار بن عيسى-
حي النجارين	دار ابن العطار-دار محمد الصالح- دار بن سنان- دار بن فرحان-
حي البرادعيين	دار محمد الصالح-

[1] سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة.

قرب كوشة الزيات	دار بن المكي- دار المرابط عمر- دار محمد ابن المكي- دار سي المراني بن علي- دار بن خزندار
قرب سيدي عبد المؤمن	دار بن إسماعيل- دار الحاج عمار-دار بن سليم- دار محمد بن بلخير-
سيدي راشد	دار سي الطيب بن سليمان- دار سي حمد بن طرطوسة- دار سي بلقاسم- دار الغناي- دار الحاج عبد القادر-
المناجل	دار بن خليفة-
قرب زنقة سيدي مقيس	دار بن جلال- دار أحمد بن التباني-
زنقة العمامرة	دار سي عمر بن المفتي-
حي ميلة الصغيرة	دار سي عبد الله بوشلاغم-
قرب مسجد حفصة	دار سي النوى- دار بن الشريف- دار بوزاهر-
حومة الشارع (شارع اليهود)	دار القهواجي- دار سي محمد- دار شايب راصو-دار التباني-
حومة الموقف	دار الابراهيمي- دار ابن الضياف- دار بن بريس-
سيدي عبد الله أبي المعرة	دار سي مصطفى البناي- دار بن سي مسعود- دار سي النوى- دار بن الأعور-
حومة الزلايقة	دار الحاج علي- دار البجاوي-

حي القصبة	دار حسين الصباغ-
رحبة الجمال	دار العزوزية- دار بن يونس-دار سي أحمد بن سعيد الميلي-دار الحاج العمري المغربي-دار مصطفى بن حسين العسكري- دار بن إسماعيل- دار بن شريط-دار بن وارث
زنقة حلموشة	دار عيسى الكواش-
حومة سيدي علي بن مخلوف	دار العطار- دار بن عباس-دار بوجناح- دار بن رجب- دار بن الغناي- دار بن باديس- دار بن سليمان- دار بن بدر- دار بن سي عباس-
قرب سيدي أبي عنابة	دار وعلو بوصبع- دار إبراهيم بن مصطفى- دار بنت عبو- دار سي التركي-
قرب الأربعين شريف	دار الفجي بكير- دار ابن ابي الضياف- دار الشيخ الناظر-دار بن جدو-
حومة أفران بروا	دار أولاد بوفرانة- دار بن هوشات- دار حسان المحاذية لضريح السادات الأربعين-دار بن رابح- دار بن عز الدين- دار ابن الكاهية-
حي الرقاقين	دار سي التهامي الطبال-
حومة سيدي محمد الجليس	دار الناظر- دار بوشناق-

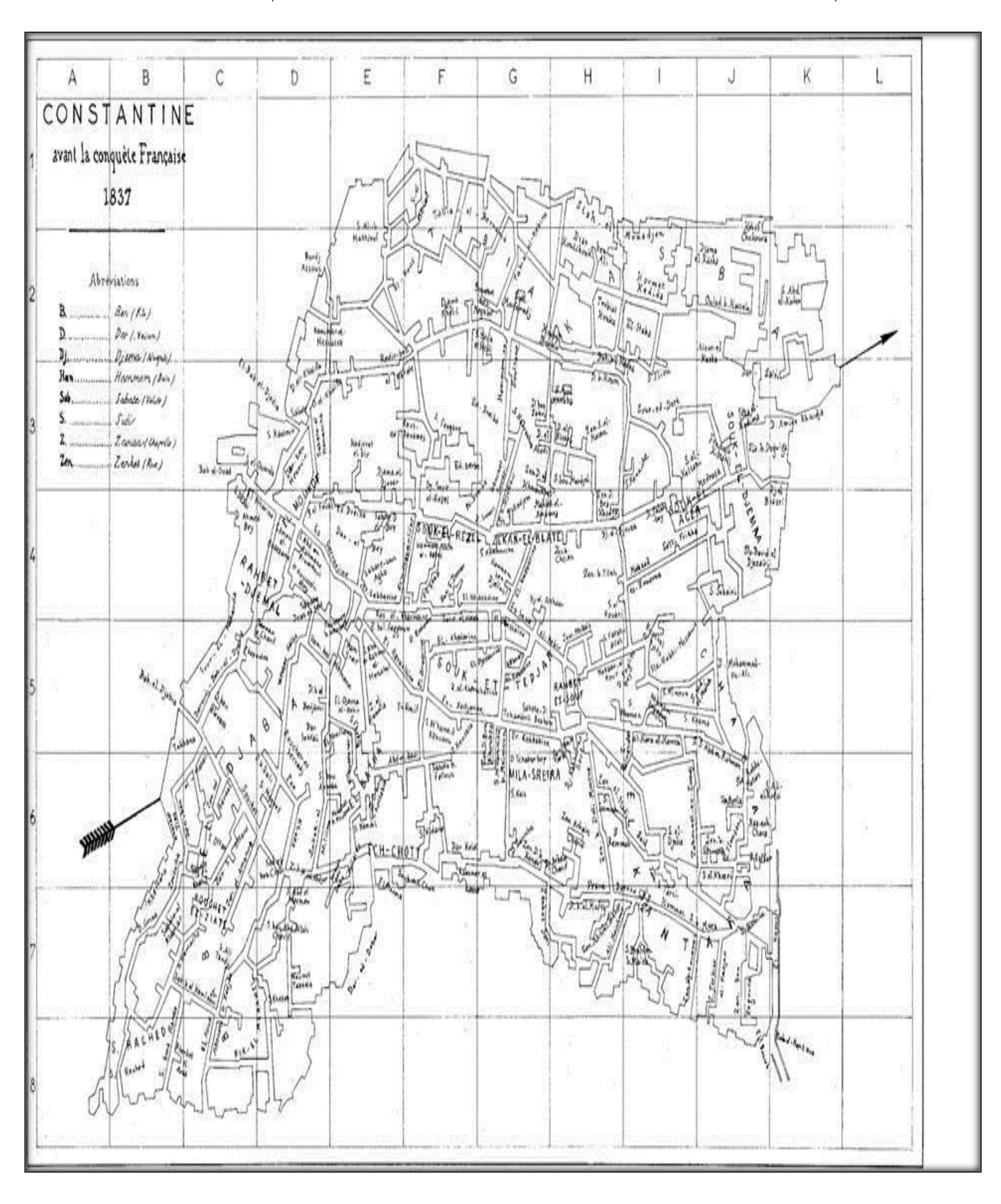
قرب مسجد سيدي مفرج	دار ابن الفج-
حومة الرصيف	دار ابن الشيخ-دار القهواجي-
قرب سيدي الرماح	دار بن الدلال- دار عمر-
زنقة الروامل	دار نعمان- دار بن كيرد- دار القزداري-دار محمد بن العطار الحوكي-
حي الموقف	دار ابن باديس- دار سي حمد العياشي-
قرب فندق بن نويوة	دار بن عباد
جامع خليل	دار بن كرد-دار بن قارةعلي-
زقاق البلاط	دار الحاج لحضر- دار الحاج علي-دار بن نعمون-
أعلى كوشة المسبح	دار بن جلول-
قرب سيدي عبد الهادي	دار بن يونس-
حي الحدادين	دار محمد ابن المؤدب-
قرب سيدي إبراهيم الراشدي	دار بن ميمون-

الملحق رقم08: أسماء بعض المعالم العمرانية المذكورة في سجل الوفيات[1]

المساجد	الجامع الكبير- الجامع الأخضر- جامع الأربعين شريفا- جامع سيدي علي بن مخلوف- مسجد أبي عنابة- جامع الجوزا- جامع خليل- جامع سيدي علي الطنجي- جامع سوق الغزل- مسجد قيس- مسجد حفصة- سيدي الجليس-
الزوايا والأضرحة	زاوية سيدي علي التلمساني- زاوية الشيخ الباش تارزي- زاوية بن عبد الرحمان- زاوية أبو عنابة- زاوية مولاي الطيب- زاوية بن نعمون- زاوية أولاد بن باديس- ضريح سيدي الرماح- ضريح سيدي الدرار- ضريح أبي عبد الله الشريف-
الأسواق والرحبات والحوانيت	سوق الغزل- رحبة الصوف- رحبة البلد- السوق الكبير -حانوت بن معلم-سباط بن فلوس
الفنادق	فندق بن نعمون- فندق بن نويوة- فندق بني ميزاب-
الكوشات	كوشة الزيات- كوشة الحاج علي بباب الجابية- كوشة المسبح- كوشة الجمع
الحمامات	حمام السلطان

[1]- سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة، مصدر سابق

الملحق رقم 08: خريطة مخطط عمران مدينة قسنطينة سنة 1837م[1]



[1]- Ernest mercier, Histoire de Constantine, op cit, p 437.

ببليوغرافيا

أولا: المصادر الأرشيفية والمخطوطة

1. وثائق سجلات المحكمة الشرعية الأرشيف الولائي لقسنطينة من السجل الأول إلى السجل العاشر 1202هـ-1253هـ/1778م-1837م.
2. سجل الوفيات للمحكمة المالكية بقسنطينة المؤرخ في 1256هـ-1257هـ/1840م-1841م.
3. مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن 10-11هـ/16-17م
4. و. م. ش، المجموعة 1641 الأرشيف الوطني الوثيقة رقم 56.
5. مخطوط صالح باي، الأرشيف الوطني التونسي تحت رقم 263.
6. سجل الوفيات، و 18 م، عقد 02، أ. و. ق.
7. سجل الوفيات، و55، عقد 1، المؤرخ في 1840م، أ. و. ق.
8. سجل الوفيات، و102 م، ع 3، أ. و. ق.
9. سجل الوفيات، و17، ع رقم 2، أ. و. ق.
10. سجل الوفيات، و17، عقد 2، أ. و. ق.
11. سجل الوفيات، و31، ع 1، أ. و. ق.
12. سجل الوفيات، و46م، ع 2، أ. و. ق.
13. سجل الوفيات، و82، العقد 1، أ. و. ق.
14. سجل الوفيات، ورقة 23، العقد 3، أ. و. ق.
15. سجل الوفيات، ورقة 79، العقد 04.
16. سجل الوفيات، ورقة 91، عقد 3، أ. و. ق.
17. سجل الوفيات، ورقة 95م، العقد 1، أ. و. ق.
18. سجل الوفيات، ورقة 97، العقد 04.
19. و. م. ش، السجل 03، و105، أ. و. ق.

20. و. م. ش، السجل 06، و85، أ. و. ق.

21. و. م. ش، السجل الأول المؤرخ عام 1203هـ، و64، أ. و. ق

22. و. م. ش، السجل الأول، و10، أ. و. ق.

23. و. م. ش، السجل الأول، و12، المؤرخة في عام 1202هـ، أ. و. ق.

24. و. م. ش، السجل الأول، و53، 1202هـ، أ. و. ق.

25. و. م. ش، السجل الثامن، و384، أ. و. ق.

26. و. م. ش، السجل الثامن، و445، أ. و. ق.

27. و. م. ش، السجل الثاني، و281، أ. و. ق.

28. و. م. ش، السجل الثاني، و536، المؤرخة 1210هـ، أ. و. ق.

29. و. م. ش، السجل الخامس، و315، مؤرخة في 1228هـ، أ. و. ق.

30. و. م. ش، السجل الخامس، و324، المؤرخة في شعبان عام 1228هـ، أ. و. ق.

31. و. م. ش، السجل الخامس، و520، المؤرخة في ربيع الثاني 1232هـ، أ. و. ق.

32. و. م. ش، السجل الرابع، المؤرخ عام 1222هـ، وثيقة 215، أ. و. ق.

33. و. م. ش، سجل 1، و67، 23 محرم سنة 1203هـ، أ. و. ق.

34. و. م. ش، السجل 01، و12، أ. و. ق.

35. و. م. ش، السجل 03، و209، أ. و. ق.

36. و. م. ش، السجل الأول، و13، أ. و. ق.

37. و. م. ش، السجل الأول، و6، أ. و. ق.

38. و. م. ش، السجل الأول، و6، أ. و. ق.

39. و. م. ش، السجل الأول، و8، أ. و. ق.

40. و. م. ش، السجل الأول، و9، أ. و. ق.

41. و. م. ش، السجل الأول، و9، أ. و. ق.

42. و. م. ش، السجل الأول، و08، أ. و. ق.

43. و. م. ش، السجل الخامس، و517، أ. و. ق.

44. و. م. ش، السجل الخامس، و519، أ. و. ق.

ثانيا: المصادر العربية المطبوعة

1. ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، مقدمة ابن خلدون" المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، طبعة جديدة، دار الامام مالك للطباعة، الجزائر، 2021.
2. ابن سعيد أبو الحسن المغربي أبي الحسن، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.
3. أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1989.
4. أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تر: محمد العربي الزبيري، د. ط، منشورات السهل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
5. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1989.
6. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1989.
7. ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م.
8. بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، د. ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009
9. البكري، المسالك والممالك" المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، د. ط، ديسلان، الجزائر، 1911.
10. بن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج1، د. ط، الدار التونسية للنشر، 1976.
11. بن مبارك العطار أحمد، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع تق: عبد الله حمادي، طبعة جديدة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011.

12.بيسونال جون أندري، رحلة إلى إيالة الجزائر، تروتع: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والنشر، د. ط، 2022، الجزائر.
13. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، لمحة تاريخية واحصائية حول إيالة الجزائر، تق، محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
14. دحدوح عبد القادر، مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن(10هـ-11هـ/16م-17م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، قسنطينة، 2015.
15. ريمون أندري، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
16. الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، د. ط، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
17. الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا (1147-1249هـ/1734-1833م)، تر: عبد الكريم الفيلالي، د. ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1412هـ/1991.
18. شالر وليام مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816م-1824م)، تع وتح وتق: إسماعيل العربي، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
19.شغيب محمد المهدي بن علي، أم الحواضر في الماضي والحاضر «تاريخ مدينة قسنطينة"، تح: سفيان عبد اللطيف، ج1، ط1، دار الروح للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015.
20. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1837-1832)، تر وتع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
21. الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر1107-1117هـ/1695-1725م، د. ط، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر للنشر والطباعة، الجزائر، 2014.

22. العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، طبعة مصححة، تق: يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

23. // ، مجاعات قسنطينة، تح وتق: رابح بونار، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ-1974م.

24. الفكون عبد الكريم (توفي 1073هـ/1662م)، منشور الهدايا في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1408هـ/1987.

25. كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حاجي ن محمد زنيبر، محمد الأخضر، ج 3، دار المعرفة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الرباط، 1408هـ-1409هـ/1988م-1989م.

26. مجهول، تاريخ بايات قسنطينة (المرحلة الأخيرة)، تح حساني مختار، د. ط، منشورات دحلب، الجزائر، 1999.

27. محمد الحفناوي أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

28. الورتيلاني الحسن بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة فونتا، الجزائر، 1908.

29. // ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار- الرحلة الورتيلانية- د. ط، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

30. الوزان حسن بن محمد، الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

ثالثا: المصادر باللغة الأجنبية:

1. Chan Margaret et Heyman David, (La sécurité sanitaire, évolution au XXI siècles), Rapport sur la santé dans le monde 2007, Paris, 2007.
2. -Devoulx, Tachrifet, Recueil de notes historique de l'ancienne régence d'Alger, Alger, imprimerie du Gouvernement, 1852.
3. Féraud Charles, Histories des villes de la province de Constantine ; la Calle, Type de l'Association Ouvrière, Vaillaud et Cie Alger, 1877.
4. // , visite au palais de Constantine libraire hachette et Cie paris BOULEVARD saint-germain 79. 1877
5. Filiali Kamel Les kuloughlis, essais d'histoire d'une version d'origine ottoman dont l'identité, vol3, 1999.
6. Gaid Mouloud, chronique des Bays de Constantine office publication univarsitaire 1975.
7. Golvin Lucien, Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord, Presses Universitaires de France, Paris, 1957.
8. HAEDO (de) Fray DIEGO de, Topographie et histoire d'Alger, Trad de l'espagnole par MM le Dr MONNEREAU et BERBRUGGER en 1870. Imprimé à VALLADOLID en 1612.
9. Joleaud Léonce, La rocher de Constantine, Annales de géographie, 2018.
10. Kindersley Dorling, London Dictionary Medical, Illustrated, D- A Burns and Terry Hamblin.
11. Mercier Ernest, Constantine avant la conquête française 1837, Notice sur cette ville à l'époque du dernier bey.
12. // , Histoire de Constantine, Imprimerie Jérôme Male et f Biron, Constantine, 1903.
13. Narcisse Faucon, Le livre d'or del'Algérie, T1, Challamel éditeurs, Paris,1889.
14. Nouschi Andrée, Constantine a la veille de la conquête Française IN les cahiers de Tunisie, Tunis, 1955.
15. // , Enquète sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'à 1919, Assail l histories économique et sociale, Presses Universitaires de France, Paris, 1961.
16. Pagand Bernard, La Medina de Constantine (Algérie) de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine, Fascicule 14, Etudes méditerranéenne, Université de Poitiers, 1989.
17. Paradis(de) venture, Alger au XVIII -ème siècle édité par E Fagnan Alger 1898.
18. //, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, empires et reassembles par joseph cuop Paris Sind Bad 1983.
19. Perier J.A. N., De l'hygiène en Algérie, Science médicale, 02 Imprimerie Royale, Paris.

20. Regis Louis, Constantine et sa région, voyage et séjour, 1879, Dar el-Houda, Ain Mlila (Algérie), 2005.
21. Temimi Abdeljalil, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), Revue d'Histoire Maghrébine, Vo l1, Tunis, 1978.
22. Vayessette Eugene, Historie de Constantine sous la domination turque de (1517-1837) , boucheme Paris 2002.

رابعا: المراجع باللغة العربية:

1. أحمد يحي، التركيبة الاجتماعية لمدن الشمال القسنطيني، ج1، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2016.
2. إسماعيل أحمد علي، ط4، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ/1988.
3. الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
4. ألكاسي أنطونيو وآخرون، الاستعراض العلمي لبحوث فيروس الجذري، شركة بيوتكس للنشر، منظمة الصحة العالمية سويسرا، 2010.
5. بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، د. ط، الجزائر، 2013.
6. البرقاوي سامي، الملكية العقارية وعلاقات الإنتاج بجهة تونس من 1875 إلى 1914، د. ط، جامعة الوسط، دار المعلمين العليا بسوسة، 1989.
7. بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات) 1517–1924م، د. ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000.
8. برنشيفك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، تاريخ النشر، ج1.
9. بلوط عمر، الورشات الحرفية في مدينة قسنطينة العثمانية –دراسة أثرية–، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، د. ط، الجزائر، 2022.

10. بن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، 956-1246هـ/1549-1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، دبي، 1421هـ/2000م.
11. بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري-السادس عشر الميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
12. // ، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، د. ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
13. بن صحراوي كمال، دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ/2016م.
14. بن يوسف إبراهيم، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، ط2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، الجزائر، 2015
15. بوبكر محمد لخضر ودحماني سعيد، غزو الطوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607م، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر، 2013.
16. بوركبة السعيد، دور الوقف في حياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1417هـ/1996م.
17. بوروبية رشيد، سلسلة الفن والثقافة، د. ط، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978،
18. بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم(1830م-1848م)، ط2، دار الحكمة للنشر، 2012.
19. بوطبة عمار، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919-1956، مطبعة بابل، الجزائر، ط خ، 2015.
20. البوعبدلي المهدي، تاريخ المدن، جمع: عبد الرحمان دويب، ط خاصة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

21. بوعزيز يحي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
22. // ، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، د. ط، 2008.
23. بومهلة التواتي، قسنطينة معالم حضارة وتاريخ، ج1، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2015.
24. تاورته محمد العيد، الأدب الشعبي في مدينة قسنطينة، د. ط، منشورات البيت، الجزائر، 2015.
25. الترمانيني عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، د. ط، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1987.
26. تيران ايفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
27. جبران مسعود، الرائد، ط خ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992.
28. الجيلالي بن محمد عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2 جديدة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1384هـ/1965م.
29. //، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط. ج، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
30. //، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط. خ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
31. // ، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط. خ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
32. حجيج على ومفتاح سعيدة، المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1251هـ-1420هـ/الموافق ل 1830م-1999م-دراسة نظرية تطبيقية حول التنظيم العمراني، د. ط، دار عرار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

33. حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
34. حماش إبراهيم خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني –الحياة الاجتماعية للأسرة–، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1436هـ–2015م.
35. حمدان جمال، جغرافية المدن، ط2، علم الكتب، القاهرة، د. س ن.
36. حنفي عائشة، الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ج1، د. ط، مطبعة السفر، الجزائر، 2013.
37. الخطيب ماجد، النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغيير، د. ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د س ن.
38. الخلابي عبد اللطيف، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي 669هـ–960هـ/1270–1550م، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011.
39. خلاصي على، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، ط1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2015.
40. خلف التميمي عبد المالك، أضواء على المغرب العربي–رؤية عربية مشرقية، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
41. خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، د. ط، تر: حضرية يوسفي، المؤسسة الوطنية الاتصال والاشهار، الجزائر، 2013.
42. // ، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، د. ط، منشورات ANEP، الشركة الوطنية للاتصال والاشهار، الجزائر، 2013.
43. دحدوح عبد القادر، قسنطينة محطات تاريخية ومعالم أثرية، دراسة تاريخية أثرية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2015.
44. درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

45. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

46. الزبيري محمد العربي مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، ط1، دار الحكمة للنشر، 2014.

47. // ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

48. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، طبعة منقحة ومزيدة، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010.

49. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

50. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية(1830م-1900)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

51. // ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

52. // ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

53. // ، محمد الشاذلي القسنطيني 1808م-1877م، دراسة من خلال رسائله وشعره، د. ط، لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 1394هـ/1974م.

54. سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

55. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية-دراسة تاريخية أدبية، ط1، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015.

56. سعيدوني معاوية، ثلاثية قسنطينة، قسنطينة التاريخ والعمران والحضارة، في عبقرية المكان القسنطيني، (تاريخ قسنطينة من الازدواجية إلى القطيعة)، د. ط، الكتاب الثاني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

57. //، ذاكرة قسنطينة (مختصر تاريخ قسنطينة عبر العصور)، الكتاب الأول، د. ط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
58. // ، ذاكرة مدينة قسنطينة من خلال النصوص التاريخية، الكتاب الثالث، د. ط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
59. سعيدوني ناصر الدين والبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
60. سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من القرن 16 إلى القرن 19، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، د س ن.
61. // ، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م/1430هـ.
62. // ، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف –مراسلات وتقاييد ومذكرات وتقارير–، د. ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
63. // ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1792)، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
64. // ، الوقف في الجزائر أثناء القرنيين 12 و13 هـ/18 و19م معالجة مصادره واشكالية البحث فيه، أعمال ندوة الجزائر العلمية 6و7 ربيع الأول 1422هـ/ 29و 30 ماي 2001م، البصائر للنشر والتوزيع، د. ط، الجزائر، 2014.
65. // ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، د. ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
66. // ، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت، 2003.
67. // ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

68. // ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

69. سماتي محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب، د. ط، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.

70. شريدي سعيد، قياد الجزائر العثمانية دراسة في التاريخ الإداري للجزائر خلال مرحلة الحكم العثماني(ق16-ق19م)، ط1، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 1441هـ-2021.

71. شريط عبد الله والميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث للطباعة والنشر، ط1، قسنطينة،1965.

72. الصيد سليمان، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، د. ط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

73. طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.

74. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، دار الالمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

75. عبد الحميد حسين، رشوان أحمد، العلاقات الاجتماعية في القوات المسلحة، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004.

76. عبد الحفيظ بورايو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2013.

77. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، د. ط، الجزائر، 2006.

78. عبد الكريم محمد، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1972.

79. عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

80. العروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
81. علواش المولودة زوليخة اسماعيلي، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.
82. علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال، د. ط، منشورات الأنيس، الجزائر، د.ت. ن.
83. // ، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط1، دار منشورات الأنيس، 2011.
84. علي محمد عمر محمد، جغرافيا المدن بين الدراسة المنهجية والمعاصرة، تق: أحمد حسن إبراهيم، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2016.
85. عميراوي أحميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري بداية الاحتلال، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1984.
86. // ، علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2002.
87. عوض السيد حنفي، سكان المدينة بين الزمان والمكان، د. ط، المكتب العلمي، الإسكندرية، 1997.
88. غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، د. ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
89. غربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، د. ط، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
90. غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ط خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
91. فايست أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية1517م-1837م، تر: أحمد سيساوي، ط1، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019.
92. فتحي حسن، العمارة والبيئة، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1988.

93. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844م-1871م، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.
94. // ، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826م-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
95. فيلالي عبد العزيز والعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبينية الطبيعية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، 1984، ص 119.
96. فيلالي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830-1850)، د. ط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د س ط.
97. // ، مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007.
98. //، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، د. ط، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002.
99. فيلالي كمال، تاريخ المغرب الحديث، من فتح القسطنطينية على سقوط قسنطينة (1453هـ/1837م)، أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات، ط1، ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
100. القشاعي فلة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771م-1837م، د. ط، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
101. // ، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518م-1871م)، دراسة أكاديمية معتمدة على وثائق الأرشيف الصحي والديمغرافي للمجتمع الجزائري، الجزائر، 1978.
102. قشي فاطمة الزهراء، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
103. // ، قسنطينة مدينة وموروثات، مر: عياش سلمان، نوميديا- بلوس، قسنطينة، 2009.

104. // ، مدينة قسنطينة في عهد صالح "باي البايات"، ط1، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2003.

105. // ، سجل صالح باي للأوقاف 1185-1207هـ/1771-1792م، ط2، دار مداد يون يفارسيتي براس، قسنطينة، 2013.

106. مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي في المغرب الإسلامي، د. ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2013.

107. مبروك قارة بن صالح، مسار المدن والعمران بالجزائر، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 1438-2017.

108. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

109. محمد ولي باسم ومحمد جاسم محمد، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، د. ط، مكتبة دار الثقافة، عمان، 2004.

110. المدني أحمد توفيق كتاب الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

111. // ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.

112. // ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

113.. مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة –النقود–الأسعار، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

114. // ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني–القرصنة –الأساطير والواقع، ج2، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

115. معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.

116. مقروس جهيدة مهنتل حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
117. مقيبس بشير، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط، الجزائر، 1983.
118. ملاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر -1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
119. مياسي إبراهيم، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
120. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق: محمد الميلي، ج1، د. ط، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.
121. نصر الدين جابر، الهاشمي لوكيا، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2006.
122. هلايلي حنيفي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
123. يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير -العصور الحديثة وهجوم الاستعمار-، ج3، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
124. يحياوي مصطفى وآخرون، التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المغرب، تنسيق: آمنة بوغالبي عبد الرحمان علال، ط1، د. د. ن، الرباط المغرب، 2022.

خامسا: الرسائل الجامعية:

1. بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 إلى سنة 1939، رسالة الحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، 1984.
2. بن فرج حسين جيلالي، الأسواق والاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات(1671م-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 2021-2022.

3. بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م-1830م (مقاربة اجتماعية)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014-2015.

4. بوديبة سهام، دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة قسنطينة 02 عبد الحميد مهري، 2018م-2019م.

5. بوديبة ياسين، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني(1786م-1800م) دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2016-2017.

6. بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني 1771-1837م، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2012/2011.

7. بوعلي لطفي، الحرف والحرفيون في الإيالة التونسية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي من خلال وثائق البايلك، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تونس، 1992-1993.

8. بولحبال رياض، (أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

9. دوبالي خديجة، رسائل أحمد باي إلى حسين باشا 12040-1245هـ/1826-1830م دراسة وتحليل، رسالة ماجستير في الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1426-1427/2005-2006.

10. روابحي العياشي، الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837-1871م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2014-2015م.
11. الزيات عبد الفتاح أحمد السيد، الطابع العمراني لمدن القناة، دراسة تطبيقية لمدينة الإسماعيلية في القرن العشرين، رسالة ماجستير في العمارة، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، د ت.
12. سعيدان جمال الدين، الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830م-1919م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة منتوري، قسنطينة،2017.
13. سيساوي أحمد، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838م-1871م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2، 2013-2014.
14. شاعو كمال، بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171هـ/1757م-1207هـ/1792م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005.
15. شحادة زياد محمد، أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، كلية الهندسة قسم الهندسة المعمارية، جامعة غزة، 1431هـ/2010.
16. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519م-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.
17. صالحي توفيق، المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيا ليه(1838-1962م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة متنوري، قسنطينة، 2008/2009.

18. صورية حسام، العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، عبد المجيد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.

19. عبد الحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.

20. عبد الحميد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة، 1991.

21. علي طه رانية محمد، التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان -حالة دراسية البلدة القديمة بنابلس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010.

22. عمري الطاهر، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار (1830-1900)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999.

23. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2000-2001.

24. فيلالي السايح، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، 1982-1983.

25. قشوان عبد الرزاق، الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري 1219-1282هـ/1804-1871م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2017-2018.

26. قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1419هـ/1998م.
27. قويسم محمد، مدينة قسنطينة ما بين القرنيين 07-10هـ/13-16م، دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2014-2015.
28. كليل صالح، التنظيمات الإدارية والاقتصادية في الجزائر 1830-1871، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2017-2018.
29. محمد الصالح العود، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م، ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
30. مشرفي جميلة، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات 1671م-1830م، أطروحة دكتوراه التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2017-2018،
31. معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع في بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري، قسنطينة 1428-1429هـ/2007-2008.
32. ملاك لمين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية في ضوء فقه الوثائق في الغرب الإسلامي (ق4-10هـ/10-16م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، تاريخ وسيط، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2021-2022.

33. هواري مختار، سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837م-1870م، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.
34. // ، نماذج من القمع الإداري الاستعماري اتجاه القبائل في الجنوب القسنطيني 1871م-1916م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016-2017.
35. الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1994/1993
36. يوسفي صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700م-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2017-2018.
37. // ، معاملات ومبادلات اقتصادية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2005/2004.

سادسا: المقالات:

38. برقوقي الزازية، جدلية الفن والعمل في ظاهرة التويزة بمنطقة سيدي بوزيد، مجلة الثقافة الشعبية، ع 17، البحرين، 2023.
39. بوديبة سهام وقشي فاطمة الزهراء، مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة (1800-1825م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 49، 2018.
40. البوزيدي أحمد، قضايا توزيع الماء بواحة درعة (من خلال الوثائق المحلية)، ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11، أيام 10-11-12-ديسمبر 1996، جامعة الحسن الثاني، عين الشق،، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999.
41. بوفلاقة سعد، قسنطينة في عيون الرحالة الجغرافيين، حوليات جامعة الجزائر1، ع 3، ج2، كلية الآداب، د س ن.
42. بيرم كمال، تاريخ حاضرة قسنطينة (من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني الحضنة نموذجا، مجلة الثقافة الإسلامية، ع 13، الجزائر، 1437هـ/2015.

43. بيرم كمال، فئة الكراغلة بالجزائر كراغلة مدينة المسيلة انموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 11، ديسمبر 2016.

44. التجاني العمودي، العلاقة بين العمران والإنسان في القصور الصحراوية، مجلة الإعلام والمجتمع، مج 3، ع 2، ديسمبر 2019.

45. تيتة ليلى، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17، ديسمبر 2014.

46. حكيم بن شيخ، جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن 19م –المقاهي والحمامات أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية، ع 11، ربيع الثاني 1441هـ–ديسمبر 2019م، جامعة يحي فارس، المدية.

47. دحدوح عبد القادر، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، د س ن.

48. // ، توزيع الأسواق والورش الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ع47، أكتوبر 2013، تونس.

49. رحموني عبد الجليل، الشعر والشعراء الشعبيون في بايلك قسنطينة خلال العهد العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية، ع3، رمضان جوان 1437هـ/2016م.

50. روابحي العياشي، السياسة الصحية للسلطة العثمانية بالجزائر موقف النخب المثقفة منها: حمدان خوجة أنموذجا، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع59–60، تونس، د. س ن.

51. الزين محمد، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2012.

52. سعد الله أبو القاسم، مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهدايا القرن 11هـ/ 17م، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، ع48، زغوان، 1988.

53. سعيدوني ناصر الدين، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 92، مارس –أبريل 1986، الجزائر.
54. شعباني بدر الدين، مدينة قسنطينة في العهد العثماني الأصالة والتراث، مجلة دراسات، مج 7، ع 1، جامعة قسنطينة، 2020.
55. صاري جيلالي، مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة في سنة 1837م، مجلة الثقافة السنة الرابعة عشر، ع 8، جمادى الثانية –رجب 1408ه/مارس –أفريل 1984م.
56. عباس نصار عبد العظيم، التنظيمات الحرفية والصناعية المحلية في العهد العثماني، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع 43، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2016.
57. غطاس عائشة، الوافدون، "البرانية" على مدينة الجزائر1787م–1830م بين التهميش والاندماج، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 25، أوت 2002 منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 2002.
58. // ، الوضع الصحي للجزائر في العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع 76، الجزائر، 1983.
59. قاصدي محمد سعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، ع 18 خاص بقسنطينة، أوت 1436ه/2015م.
60. قشي فاطمة الزهراء، معالم مدينة قسنطينة وأعلامها، مجلة انسانيات، ع 19–20، جانفي –جوان، 2003.
61. قويسم محمد، المسيلة في العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 3، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2017.
62. كريم عاتي لعيبي الخزاعي وحارث علي عبد الله، أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي المتوفي عام 941ه، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع 22، أب 2015.

63. لعرج عبد العزيز، السكة الجزائرية في مرحلة الانتقال، مجلة البحوث التاريخية، ع 2، ليبيا، 2011.

64. محمد الشريف عداد، التحولات العمرانية في مدينة بسكرة وتأثيراتها على المحيط، مجلة علوم الانسان والمجتمع، مج 9، ع 5، ديسمبر 2020.

65. محمد الصالح العقون، نظام الأراضي الفلاحية في عهد الدولة العثمانية بالجزائر(1519م-1830م)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مج 6، ع 3، كلية الحقوق، جامعة الجزائر1، جانفي 2022.

66. مشنان فوزي، الأحياء العشوائية واقعها وتأثيرها على النسيج العمراني لمدينة باتنة دراسة ميدانية للتجمع الحضري (أولاد بشينة-طريق حملة)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 20/سبتمبر 2015، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

67. المشهداني محمود مؤيد وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، ع16، أوت، جامعة العراق، 2013.

68. موسى بن دابة صلاح إبراهيم، المتغيرات الاجتماعية ودورها في الحراك السكني بمدينة طبرق، مجلة القرطاس، ع 16، ديسمبر 2021، كلية الآداب، جامعة طبرق.

69. هلايلي حنيفي، إقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية في ضوء المجلة الإفريقية، مجلة عصور الجديدة، ع 18، أكتوبر 1436-1437هـ/2015، جامعة وهران، الجزائر.

70. يوسفي صرهودة، مكانة عائلة بن كوجك علي في بايلك الشرق أواخر الحكم العثماني من خلال الوثائق الأرشيفية، مجلة البحوث التاريخية، مج 06، ع 2، ديسمبر 2022، جامعة باجي مختار، عنابة.

سابعا: الأطروحات والمقالات الأجنبية

1- BOUFENARA Khedidja, le rôle Genie militaire dans la production des villes coloniales en Algérie Annaba et Constantine, thèse pour L’obtention du Diplôme de Doctorat ès-sciences, option urbanism,

Faculté des sciences de la terre de Géographie et de la Management du territoire, Département D'architecture et d'urbanisme université mentouri.

2- Cour A, Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh Belgacem Er-Rahmouni EL-Haddad, R A, n° 60.
3- Expédition de Constantine période initiale, Revue de deux mondes, Tome 13, Paris, 1838.
4- Feraud Charles, Les corporations de métier à Constantine avant la conquète française, R.A, V16, Paris, 1872.
5- Grangoud Isabelle, La ville imprenable une histoire sociale de Constantine au 18ème siècle, Media plus Algeria.
6- Marchika Jean, (La peste en Afrique septentrionale histoire de la peste en Afrique de 1363-1830), Thèse pour doctorat.
7- Mercier Ernest, Constantine Avant la conquête français, dans RSAC,1878, p44.
8- Rin Louis, Le général Boissonner, in RA, Vol 46, 1902
9- Temimi Abdeljalil, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), Revue d'Histoire Maghrébine, Vo l1, Tunis, 1978.

ثامنا: المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، ج1، د. ط، دار المعارف، القاهرة، 1988.
2. //   ، ج13، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ.
3. بدوي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط خ، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
4. بن جميل زكور محمد ياسر، اصطلاحات الطب القديم، د. ط، دار الكتب العلمي، بيروت، 1971.
5. توني يوسف، المصطلحات، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية، مصر، د ت.
6. الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج 4، ط2، دار صادر، بيروت، 1995.
7. حنين ولي ومصري خليفة، أطلس دائرة المعارف الطبية وصيدلية مبسطة، ج1، ط12، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2005.
8. الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1416هـ/1996م.
9. شامي يحي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.

10. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م.
11. ضيف شوقي وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروف الدولية، 2004، القاهرة. القمري بن نوح أبي المنصور، التنوير في الاصطلاحات الطبية، د. ط، تح: غادة حسن الكومي، مكتبة التربية العربية لدول الخليج 1991.
12. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.



الفهارس

1. فهرس الأعلام:

ج

ح

خ

د

إ

ب

ت

هـ

ف

ق

ك

ل

م

2. فهرس الشعوب والأمم:

3. فهرس الأماكن:

ج

ح

ر

ز

ع

ف

ق

س

ش

ص

ط

4. فهرس الجداول

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة باللغة العربية:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بالتفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م" فترة مفصلية استثنائية من تاريخ مدينة قسنطينة، أين شهدت أواخر العهد العثماني تطورات عديدة في الجوانب الاجتماعية والعمرانية، فقد تشكل المجتمع من عدة فئات تفاعلت مع المحيط العمراني متأثرة بالعوامل الطبيعية والبشرية، كما تنوع النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة يدوية وحرف، بالإضافة إلى تطور التجارة الداخلية والخارجية، أما في المجال العمراني فقد عرفت المدينة تطورا ملحوظا خاصة في عهد "صالح باي" الذي أولى أهمية كبيرة للعمران، وتنوعت العمارة في المدينة من عمارة سكنية وخدماتية ودينية وعسكرية.

وبعد الاحتلال الفرنسي وسقوط المدينة سنة 1837م، طرأت عليها تغيرات كثيرة طارئة مست مختلف الجوانب الاجتماعية والعمرانية حاولت من خلالها فرنسا تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع القسنطيني، وإحلال النمط العمراني الأوروبي محل العمران التقليدي للمدينة وفسح المجال لإسكان المعمرين الفرنسيين، كما حاولت فرنسا القضاء على الهوية والثقافة العربية الإسلامية المتوارثة وفرنسة المحيط الجزائري من خلال القضاء على مقومات الدين واللغة.

الكلمات المفتاحية:

التفاعل الاجتماعي– التوسع العمراني– مدينة قسنطينة– القديم المتوارث– التجديد الطارئ– أواخر العهد العثماني– بداية الاحتلال الفرنسي.

Summary in English: الملخص باللغة الإنجليزية:

This study, entitled "Social Interaction in the Context of Urban Expansion in the City of Constantine between Tradition and Urgent Renewal during the Period 1787/1841," addresses a pivotal period in the history of Constantine. During the late Ottoman era, the city witnessed various developments in social and urban aspects. Society consisted of several classes that interacted with the urban environment, influenced by both natural and human factors. Economic activities diversified, encompassing agriculture, handicrafts, and trade, both nationally and internationally. Urban development in the city experienced significant growth, especially during the reign of Salah Bey, who gave great importance to urbanization. Architecture in the city varied, encompassing residential, service, religious, and military structures.

After the French occupation and the fall of the city in 1837, many significant changes occurred which affected various social and urban aspects. France attempted to dismantle the social structure of the Constantine community and replace the traditional urban layout of the city with a European pattern. This involved allocating space for elderly French settlers. Additionally, France sought to eradicate the inherited Arab-Islamic identity and culture of the Algerian environment by targeting the pillars of religion and language.

Keywords: Social interaction; Urban expansion; Constantine city; The old heritage; The urgent renewal; The late Ottoman era; The beginning of the French occupation.

Résumé en français :   الملخص باللغة الفرنسية:

Cette étude, intitulée "L'interaction sociale dans le contexte de l'expansion urbaine de la ville de Constantine entre la tradition héritée et le renouveau émergent pendant la période 1787/1841," aborde une période cruciale de l'histoire de la ville de Constantine. À la fin de la période ottomane, la ville a connu de nombreux développements dans les aspects sociaux et urbains. La société était composée de différentes classes qui interagissaient avec l'environnement urbain, influencées par des facteurs naturels et humains. Les activités économiques se sont diversifiées, comprenant l'agriculture, l'artisanat et le commerce, tant sur le plan national qu'international. En ce qui concerne le développement urbain, la ville a connu des progrès significatifs, notamment pendant l'ère de "Salah Bey," qui attachait une grande importance à l'urbanisation. L'architecture dans la ville était variée, comprenant des bâtiments résidentiels, des services, religieux et militaires.

Après la colonisation française et la chute de la ville en 1837, de nombreux changements significatifs ont eu lieu, affectant divers aspects sociaux et urbains. La France a tenté de démanteler la structure sociale de la société constantinoise et de remplacer l'urbanisme traditionnel de la ville par un modèle européen. Elle a également favorisé le peuplement de Français âgés dans la ville. De plus, la France a cherché à éliminer l'identité et la culture arabes islamiques héritées, ainsi qu'à européaniser l'environnement algérien en supprimant les éléments religieux et linguistiques.

Mots Clés : L'interaction sociale ; l'expansion urbaine ; la ville de Constantine ; l'ancien héritage ; le renouveau d'urgence ; la fin de l'ère ottomane ; le début de la colonisation française.